

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

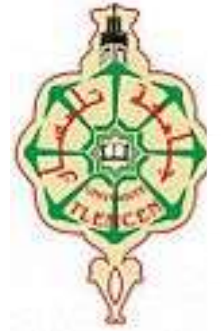
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان الموضوع:



## الاجتهادات النحوية المعاصرة بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي

دراسة فكرية تحليلية لأشهر المشاريع المنجزة في القضية النحوية

أطروحة دكتوراه منجزة في تخصص: "الدراسات النحوية والبلاغية في ظلّ مناهج البحث الحديث".

إشراف الأستاذ الدكتور:

- عبد الجليل مرتاض.

إعداد الباحث:

- الخثير داودي

### ■ أعضاء لجنة المناقشة:

جامعة تلمسان	رئيسا	- أ.د. عبد الناصر بوعلي
جامعة تلمسان	مشرفا	- أ.د. عبد الجليل مرتاض
جامعة تلمسان	عضوا مناقشا	- د. عبد الحكيم والي دادة
جامعة مستغانم	عضوا مناقشا	- أ.د. حنفي بن ناصر
جامعة وهران	عضوا مناقشا	- أ.د. عبد الخالق رشيد
جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا	- أ.د. أمينة طيبي

السنة الجامعية: 2016 / 2017

«وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا  
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ»

**[الحشر: 10]**

# مقدمة

"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا." (الكهف: 60)

1

---

<sup>1</sup> فطالب الحقيقة يجب أن يكون موسويّ الروح، فالحقيقة تبقى دائما هي الهدف المنشود والمرمى المقصود، وأعلى قدرًا وقيمة، وهذه الهمة المساوية وجدناها كذلك عند الفيلسوف الألماني إفرام ليسينغ (1729-1781) في كلمته المشهورة، عندما يقول: "لو كان بيد الربّ اليمنى الحقيقة كلّها، وبيسراه البحث الدؤوب عنها، ومايصاحبها من الخطأ والصواب أثناء السعي، ثم خيّرني ربي بينهما، لجنّوت على ركبتي وقلت له: إلهي أعطني ما في اليسرى، أما الحقيقة كلّها فهي تليق بمقامك ومجدك فقط."

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام الأشرفان الأكمّان على نبينا محمد الأمين صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ وبعد:

كيف جاءت الفكرة؟ معلوم أن الإنسان لا يفكر إلا بدوافع ومحفّزات، وذلك تلبيةً لتساّلات عقله أو مشاعر قلبه أو طموحات نفسه، فوطأة الدافع هي المنطلق الأوّل للتفكير في إيجاد الحلول أو لغزو الجهول! أما دافعي في هذا الموضوع هو أنّه قبل أن أناقش موضوع رسالة الماجستير: "نحو التراكيب ونحو الصنعة بين الفكر والجدل"، وأنا أراقب حركة التأليف اللغوي الحديث، فعلمت منها ما علمت وجهلت منها ما جهلت، فتلجلجت أفكاري حول هذه الزخوف من الدراسات اللغوية والنحوية الحديثة التي تنطّ بها المكتبة العربية، فهل هذه الكثرة في البحوث اللغوية فوضى أم موضوعة أم غير ذلك؟ لقد كثرت الدراسات اللغوية إلى حدّ التراكم، فمنها ما عمّق فيها الفهم، ومنها ما كثر فيها الوهم، أمّا التي عمّق فيها الفهم فلعمق العربية واتّساعها، فكما قال مازن الوعر: "إننا نحن بني البشر نبقي تلاميذ لغة، فإذا لم نكن تلاميذاً للغة أجنبية فإننا على الأقل تلاميذ للغة العربية"، أمّا التي كثر فيها الوهم فهي من فساد تصوّر الفكري لعلوم العربية، لأنّ تصوّر المعلول يؤدي دائماً إلى الفكر المخدوج، وإلا كيف نفسّر عقلية اللغويين والمشتغلين بهموم اللغة والثقافة الذين اشتطّوا في تعييب نظرية النحو العربي، فكان إلا من فساد تصوّراتهم المسبقة حول هذه النظرية الخالصة، وكما قال المتنبي:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً\*\*\* وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذُ الآذان منه\*\*\* على قدر القرائح والعلوم

إنّ كل أذن تأخذ ممّا تسمع على قدر الطبع العلمي للباحث، فإذا عاب الباحث قولاً صحيحاً، فذلك من سقم جهازه الفكري، "وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيئُلُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ" (الأحقاف: 11)، لقد رأيت أنّ هذا المستقيم والمعوج يجب أن يشار إليه كليهما، لكي يُعرفَ كلّ إنجاز موقعه من الآخر، وذلك على سنّة حذيفة بن اليمان، الذي كان يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الشرِّ مخافة أن يقع فيه، ومن هنا تكون حتى البحوث التي لا قيمة علمية لها مضطّرة إلى تصنيف لا للنهل منها، وإنما للبتّ فيها.

هذه أهم الأسئلة التي انطلقت منها فكرة البحث في الموضوع، الذي أحسبه مهمّ ويستحقّ المغامرة العلمية والتضحية، لأنه يبحث في أعمال رجال أفنوا أعمارهم في مباحثة القضايا اللغوية، التي قد وقف في بعضها اللسانيون حيارى مشدوهين!! منها نشأة اللغة، منها نظرية العامل، منها قضية الإعراب، منها العلاقة بين الفكر واللغة والثقافة والدين، منها العلاقة بين النحو واللسانيات... الخ.

إنّ علوم العربية بدءاً من الثمانينيات من القرن العشرين قد توجّهت وجهة جديدة على غير ما كانت عليه، على يد اللسانيين العرب الجادّين الذين بحثوا وألّفوا وترجموا، الذين تنوّعت مشارهم الثقافية وتغيّرت لديهم تصوّرات الفكرية حول كلّ شيء، ولهذا وجدنا منهم من اشتغل بالللسانيات التطبيقية، ومنهم من اختصّ في اللسانيات النفسية، ومنهم من تأثّر ب اللسانيات الأنثروبولوجية، ومنهم من شقّ طريق اللسانيات الاجتماعية، ومن من اختصّ في اللسانيات البيولوجية والعصبية، ومنهم من درس اللسانيات الرياضية، ومنهم من توجّه إلى اللسانيات الحاسوبية، وهذا كلّ نتيجة الحوار الحضاري بيننا وبين الغرب في اللغة والللسانيات، ومن هنا نجد العالم الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستراوس قد صدق في حدسه عندما رأى أن "الللسانيات بفضل توجهها العلمي ستصبح جسراً تعبره كل العلوم الإنسانية".

غير أنه إذا فكرت في هذه الزخوف من الكتابات اللغوية الحديثة ونظرت إليها نُظْرَةً المفكر المُتَفَرِّج لما عدت أن تجد منها كتب ذات قيمة ما يقوم كتاب واحد منها مقام ألف كتاب، مثلاً كتاب "معاني النحو"، للسامرائي الذي أنقذ به العربية من الركام وأقام به صرح اللسان ومثّن به عمود البيان. ومنها ما هو عكس ذلك، من جنس المنخقة، والموقودة، والمتردية والنطيحة! وذلك لكثرة الدخلاء الأذعياء في البحث اللغوي، فلقد وجدنا عرمرما من الدراسات اللغوية التي ادّعت الخلق والابتكار ولكتّها عند الإمتحان ظهرت كتابات لا تَنفَعُ من عُلاّ ولا تشف من عِلّة، لا على المستوى العلمي (la scientifique) ولا على المستوى التعليمي (la didactique)، مثل بعض كتابات أنيس فريجة، وأحمد لطفي السيّد، وعبد العزيز فهمي، ومحمود تيمور، أما الكتابات اللغوية التي لا أرضا قطعت ولا ظهرا أبقت فهي كتابات هؤلاء المجرمين الثلاثة : سلامة موسى، ولويس عوض، وزكريا أوزون، وربما ستجيء كتابات أخرى ماهو أشرّ من هذه، بل قد ظهرت وهي تمشي على استحياء، وهي القليلة الحياء من العربية الفصحى ولعمري تلك هي البلوى، لأنهم يريدون أن يكون اللسان العربيّ بلا مأوى والذي يتكلمه بلا نُهى، فهذا هو حدّ معرفتي بهذه الاجتهادات الفتّاقة التي كلّ مرّة تظهر على أشكال وأنماط ملبّسة بلباس الإصلاح والتجديد!؟

أما المنهج المتّبع في هذا البحث الموسوم بـ: " الاجتهادات النحوية المعاصرة بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي". فهو دراسة فكرية تعتمد على الوصف والتحليل والنقد، وقد قلت دراسة فكرية هدفها الحقيقي البحث عن المؤثرات والحوافز والخلفيات، ولم أقل قراءة لسانية، أو مقارنة لغوية، أو غير ذلك، أما الصعوبات التي واجهتني في الموضوع هو غموض بعض الخطابات اللسانية.

وكما قد حاولت أن أكسر فيه رسميّة الأكاديميات الجاقّة، وذلك بأسلوب الإثارة لكي لا يملّ

القارئ الكريم لأن النفوس بطبعها أميل لما هو غير روتيني، وكما اعتمدت أسلوب الضغط اللغوي في

أغلب المعالجات اللغوية والنحوية بمعنى أنه قد تحتاج القضية إلى عشرين صفحة فأضغظها في خمس

صفحات بمهاراتي اللغوية، وذلك أيّ خشيت أن ينفرد مئّي الموضوع فأقعد ملوما محسورا، فحاولت أن

أسدّد وأقارب، ولعلني قرّبت القاصي وذلّت العاصي، وأرحت الباحث الذي سيتعب، وقدمت له

الفكرة على مسافة جبل الذراع أو أقرب، ما بين إشارة بلمح النظر وعبارة بعد طول فكر وبصر.

فحاولت في المداخل البحث في بدايات الاجتهادات في اللغة والنحو ابتداءً من قبيل العصر

الحديث إلى يوم الناس هذا، مبينا كيفية تناقل الأفكار وتوارد الأنظار بين العرب والغرب، أما في الفصل

الأول، فهو على قسمين، القسم الأول استوقفتني فيه تواريخ تمثّل أحداث لغوية ونحوية هامة في تاريخ

اللغة العربية حديثا، والقسم الثاني كان عبارة عن محطات خفيفة عند أبرز مواقف دعاة الأصالة، أما

الفصل الثاني، فقد عاجلت فيه أهم المشاريع النحوية المنجزة لكبار اللغويين العرب.

أما الفصل الثالث، فقد عزّفت ببعض الدراسات النحوية واللغوية التي كان لها صدى في حاضرة

اللسانيات العربية الحديثة، أما الفصل الرابع، فقد درست فيه بعض المقاربات للسانين الذين كانوا

سفراء النحو العربي في النظريات اللسانية الغربية المعاصرة، أما الفصل الخامس، فقد قدمت فيه بعض

الاجتهادات النحوية لبعض دعاة الأصالة والتوسّط التي كانت بين التريديد والاستشراف، أما الفصل

السادس، فأردت أن يكون في دراسة واقع المقاربة وآفاق المصاهرة بين الدرس النحوي العربي والدرس

اللساني الغربي، ثم خاتمة صنعها في شكل اقتراحاتٍ واستطلاعاتٍ وتساءلاتٍ.

أما الذين سبقوني في دراسة هذا الحقل فهم كثيرون، وخاصة لسانيي المغرب الأقصى الذين حملوا همّ تبسيط الخطاب اللساني العربي الحديث توصيفا وتصنيفا وتقريبا للقارئ العربي، ولقد وجدنا هذه الروح وافرة الحظّ عندهم بشكل خاص، حتى وجدنا من الكتب التي اهتمّت بهمّ هذه القضية، ككتاب: "اللسانيات العربية الحديثة: -دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية-، نشره سنة (1998)، لمصطفى غلفان، وله كذلك " اللسانيات العربية -أسئلة المنهج-" ، نشره أول مرة سنة 2013، وهو كتاب فوق الرائع، ومن أشهر القضايا التي عاجلها فيه: النحو واللسانيات أية علاقة ؟

إنّ موضوع بحثي مبدوؤا مع عز الدين مجدوب من تونس، في دكتوراه: "المنوال النحوي العربي" التي ناقشها في: 95/06/24، ونشرها سنة ( 1998)، ومع مصطفى غلفان من المغرب الأقصى في كتابه: "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة": -حفريات في النشأة والتكوين- نشره سنة (2006)، ومع عطا محمّد موسى من الأردن في كتابه: "مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين"، نشره سنة 2002، وكذلك مع حافظ اسماعيلي علوي في دكتوراه: "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، التي نشرها سنة 2009، ولقد كان لكل واحد من هؤلاء زاوية نظر في الحكم على الكتابات اللسانية العربية الحديثة. ومع كتاب " قضايا إبستمولوجية في اللسانيات"، الذي اشترك فيه كل حافظ اسماعيلي علوي وأحمد الملاخ، نشره سنة 2009، وهو كتاب فوق الرائع في الاختبار الابستمولوجي العلمي اللساني فقد تضمّن الاستراتيجيات التأويلية لفهم اللغويات العربية والنظريات اللسانية الغربية.



أما هدفنا فهو تشخيص واقع البحث اللساني العربي دون مزايدة أو تنقص، وتصنيف كتاباته في حقول وبارات، ودراستها دراسة فكرية تحليلية مع التغلغل في الكشف عن النوازع التي تحكمت في أقلام الباحثين لأنه لكل لساني سياقه الحضاري ومشربه الثقافي، وتكوينه الديني، ومناخه البيئي، وحتى نزعه العرقي.

لقد عاجلت ما ما عاجلت من قضايا ومسائل وجهاً لوجه، على قدرتي قلمي ومستواي، فإن جاوزت حدّي وقدرتي فذلك الأمر ليس بيدي بل هو مسطور في الأزل "وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" (الأحزاب:72)، وإن احترمت قارئتي وكنت على قدر قلّمي، فذلك الأمر ليس بيدي "وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (هود: 88)، وإن قصرت وأذنبت فذلك الأمر هو من عندي "وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ" (يوسف: 53)، ثم لعلّه من يجيء بعدي من يشرح ما استغلق عليّ، أو يتمم ما قصرت فيه، أو يصحح ما أخطأت فيه، ورحم الله الحريري (ت: 516هـ) عندما قال في ملحته:

فَانظُرْ إِلَيْهَا نَظَرَ الْمِسْتَحْسِنِ \*\*\* وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِهَا وَحَسْرَتِي  
وإن سجدت عبياً فسدد الحلالاً \*\*\* فجعل من لا فيه عيبٌ وعلاً

وفي الأخير؛ الحمد لله حمداً كثيراً أولاً وأخيراً بدأً وختاماً، وكما أنّي مدينٌ لأستاذي الكبير عبد

الجليل مرتاض الشيخ المهيب الوقور الذي علّمني وشجّعني ومنحني وأحبّني، فأنا شاكرٌ له ومدّين على

كلّ هذه المنح السامية التي مكّنتني أن أغالب سطوة تراحب هذا الموضوع ومكّدساته

الباحث: الخشير داودي

"جامعة أبي بكر بلقايد" تلمسان.

## ❖ مداخل:

وقفات مهمّات في طريق البحث، لمحاكمة رجال اللغة والنحو في العصر الحديث: دراسة بليوغرافية موجزة لبدايات الاجتهاد والبحث في النحو، وفكرة تطوير مناهجه، وتيسير موادّه، كيف جرت؟ ومع من كانت أوّل مرة؟

أ/ لمحة خاطفة حول التجارب اللسانية الأولى عند المحدثين العرب.

ب/ أهم الكتب اللسانية المترجمة التي ساهمت في إحصاب التجربة اللغوية الأولى عند العرب.

ج/ دور الاستشراق اللغوي بحديّيه السلبي والإيجابي في تفعيل التجربة اللسانية عند العرب.

د/ إطلالة سريعة مختصرة حول الحركة التيسيرية للنحو عند المحدثين:

1 - وقفة عن أبرز الكتب التيسيرية التعليمية حديثاً.

2 - وقفة عند بعض الدراسات التهكميّة.

رَبِّحْتَ شِيبًا، فَلَمَّ ا أَنْ غَدَا أَسَدًا\*\*\*عَدَا عَـلَيْكَ، فَلَوْلَا رَبُّهُ أَلْكَكَ

جَنَيْتَ أَمْرًا، فَوَدَّ الشَّيْخُ مِنْ أَسْفِ\*\*\*لَمَّ ا جَنَيْتَ عَلَى ذِي السِّنِّ لَوْ تَكَلَّكَ

شيخ المعرّة (ت: 449هـ)

أ/ لمحة خاطفة حول التجارب اللسانية الأولى عند المحدثين العرب.

1) التجربة اللسانية الأولى في مصر: كانت وما زالت مصر هي البداية "أمّ العالم، وإيوان الإسلام، وينبوع

العلم والصنائع"،<sup>1</sup> ومُنطلق العربية وعلومها، ومن أشهر الأحداث التي مرّت عليها في بدايات العصر

الحديث، الصدمة الثقافية والحضارية، التي كان سببها حملة "نابليون بونابرت" العسكرية عليها سنة

1798م، لكن هذا الأخير لم يلبث إلا ثلاث سنوات فقط ورحل هاربا.

وفي سنة 1805م آلت سلطة مصر إلى "محمد علي" الذي كانت له يد خيريّة على "رفاعة رافع

الطهطاوي"<sup>2</sup> (1801-1873)، بأن جعله إمام البعثات العلمية إلى فرنسا، فلبث فيها ستّ سنوات، وبعد

تكوين علمي طويل على يدي مجموعة من المستشرقين، وعلى رأسه "سلفستر دي ساسي"، رجع إلى مصر،

مؤلفا ومترجما ومحققا في مختلف ميادين العلوم وخاصة العلوم العربية، وأنشأ المكاتب والمعاهد والمدارس منها

مدرسة الألسن التي كانت تدرس فيها شتى الآداب والمعارف، بحيث قضى "رافع" حياة حافلة كلّها علم

وثقافة وفكر، وبفضل هذه الأعمال وغيرها عُدَّ علامةً فارقةً في تاريخ النهضة العربية الحديثة، وأحد أكبر

الرؤاد التنوير في مصر، نظرا لعقليته الإصلاحية البنائية.

<sup>1</sup> مقدمة ابن خلدون (ت:808هـ)، تحق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988، ص:697.

<sup>2</sup> أما رفاعة الطهطاوي من منظور أبي فهر محمود محمد شاكر فإنه يراه أحد أكبر المُعلِّبين للثقافة الأوروبية على الثقافة العربية، ولا يرى فيه زعيما تنويريا بئس. أما قضية النهضة الحديثة فإنه يراها ولدت عربية إسلامية خالصة ما بين منتصف القرن السابع عشر الميلادي إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وعلى رأسها خمسة من الرجال: "عبد القادر البغدادي (1620-1683م) في اللغة"، و"الحبري الكبير (1698-1774م) في علوم الحضارة"، و"المرتضى الزبيدي (1732-1790م) في اللغة والإسلام"، و"محمد بن عبد الوهاب (1703-1793م)، في العقيدة"، و"الشوكاني (1760-1834) في علوم الدين"، وهؤلاء كانوا متكاملين من غير تفاهم ولا تواصل. انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: لأبي فهر محمود محمد شاكر، ط 2، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص: 81، 82، وص:144.

إلا أنه لم يكن مختصاً في فنّ بعينه، وإنما كان رجلاً إصلاحياً موسوعياً، والجانب الذي يهّمنا في فكر "رفاعة" هو الجانب اللغوي، بحيث "تجسّد أفكار الطهطاوي اللغوية أوّل مظهر من مظاهر التلاقح بين الثقافتين العربية والفرنسية في كتابيه: (تخليص الإبريز في تلخيص باريس، والتحفة المكتبية في تقريب العربية)، نجد فكرة عامة عما وصل إليه البحث اللغوي في فرنسا، سواء بالنسبة لدراسة اللغة الفرنسية، أم بالنسبة للغة العربية على يد المستشرقين أمثال دي ساسي وكوسان دي برسفال<sup>1</sup> الفرنسيين، والشيء الذي كان يتمتع به رفاعة العقلية المتفتحة على الثقافات الأخرى، ومن شدّة التأثير بهم استوحى عنوان كتابه "التحفة المكتبية في تقريب العربية"، من أستاذه القدوة سلفستر دي ساسي صاحب كتاب "التحفة السنينة في علم العربية"<sup>2</sup>، الذي أثنى عليه نتيجة إعجابه به.

فكتابه "تخليص الإبريز" يصنّف في مجال التعريف بالمصطلح، فقد عدّ رفاعة الطهطاوي أول مؤلّف حديث ختم كتابه "بفهرس لبعض الألفاظ جامعا وشارحا لها، وذلك نهج جديد في وضع قوائم المصطلحات وحصرها."<sup>3</sup> أما في تيسير إصلاح الكتاب النحوي، فإن كتابه التحفة المكتبية عدّ "أول كتاب خرج عن كتب عصره التي ما كانت إلا متونا ومنظومات وتقاريرات."<sup>4</sup>

ومهما يكن يبقى كتابا "التحفة والتلخيص"، من أوائل المحاولات الرائدة التي فتحت الباب للدارسين في مجالي تيسير النحو العربي، وتحديث اللغة وتطويرها لمواكبة المستجدات.

<sup>1</sup> اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مصطفى غلفان، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص:26.

<sup>2</sup> انظر: في إصلاح النحو العربي -دراسة نقدية-: عبد الوارث مبروك سعيد، دار القلم، الكويت، ط1، 1985، ص:60.

<sup>3</sup> نقلا عن: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص:24، من كتاب: مجمع اللغة في ثلاثين سنة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1964.

<sup>4</sup> نقلا عن: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص:24، من مقدمة محمود فهمي حجازي على التحفة المكتبية، ص:31.

ولقد أنصفه د، "مصطفى غلفان" عندما قال فيه: "إننا لا ننكر القيمة التاريخية لجهود الطهطاوي اللغوية التي تنم عن اطلاع أوّلي على بعض الآراء اللغوية السائدة في فرنسا خلال الربع الأول في القرن التاسع عشر، لكن لا ينبغي أن نبالغ، فنذهب إلى ما ذهب إليه بعض الدارسين، فعّد الطهطاوي "أب اللسانيات الحديثة".<sup>1</sup> وهذه كلمة إنصاف لا غبار عليها، لأن هذه الأخيرة لا تزال في حظيرة الفلسفة والميتافيزيقيا، ورفاعة عاش ما بين (1801-1873)، والميلاد الحقيقي لعلم اللسانيات كمنهج مستقل هو تاريخ نشر كتاب دي سوسير سنة (1916).

- علي عبد الواحد وافي<sup>2</sup>: (1901-1991).

إنّ أوّل إصدار لهذا الفقيه اللغوي هو كتاب "علم اللغة" الذي نشره سنة (1941)، وهو الكتاب الذي "أطراه مجمع اللغة العربية وتقرّر تدريسه بجامعة القاهرة، كما أطروا صنوه "فقه اللغة"، وحمّدت اللجنة في الكتاب الاستطلاعات العلمية التي يحتاجها الباحث، وذكرت أن في الكتاب الكثير من استقلال الرأي، وانفراد النظر في المسائل اللغوية، وهذا شأن كل باحث مجتهد يأبى التقليد."<sup>3</sup>

أما الفكرة اللغوية المركزية لهذا الكتاب، والتي ظلّ يدافع عنها فيه تكاد تحصر في رأيه "أن الظواهر اللغوية لا تسير وفقا لإرادة الأفراد والمجتمعات، وإنما تسير وفقا لنواميس لا تقلّ في صرامتها عن النواميس الخاضعة لها ظواهر الفلك والطبيعة، بمعنى آخر مهما أجادت هذه الأفراد والمجتمعات في خدمتها صوتا

<sup>1</sup> اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص: 33.

<sup>2</sup> هو أستاذ مختص في الاجتماع، كان له الفضل الكبير في التعريف بعلم اللغة وفروعه ودراساته، وخاصة أن تأليفه في هذا الباب كانت سهلة ومطوعة، قريبة كل القرب من طلاب العربية، وقد درس في العديد من الجامعات في العالم العربي وحتى الغربي.

<sup>3</sup> انظر: علم اللغة: د، علي عبد الواحد وافي، شركة نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، 2004، ص: 3.

وصرفا وتركيبا ودلالةً وكتابةً وتعليمًا، ومهما بذلت في حراستها من اللحن والخطأ، فإنها لا تلبث أن

تخطم هذه الأغلال، وتسير وفق التطور والإرتقاء التي ترسمها قوانين علم اللغة.<sup>1</sup>

ولا أظن أن باحثا له استيعاب لمعنى اللغة في حياة الإنسان والمجتمع، يوافق هذه الرؤية المتطرفة، فلو فرضنا أن اللغة العربية منذ عهد أبي الأسود الدؤلي (ت:69هـ) إلى يوم الناس هذا، لا تخضع لتأثير العلماء هل تصل العربية موفورة إلينا في القرن الواحد والعشرين؟ ونحن نتكلمها كما تكلمها الأوائل، لا شك أن هذا مستبعد، بل ستصير لغة دارسة لا أثر لها مع تغلب العاميات وزحام اللغات، فإذا كانت اللغة كائن حي فمعناها أنها تحي على السنة المتكلمين بها، وكيف يعرف المتكلم بها الصحيح من الخطأ لولا توجيهات العلماء، فخدمة العلماء للغة لها دور كبير في فاعليتها.

وسبب هذا التصور الخاطئ الذي أفضى به إلى نتيجة خاطئة هو اعتماده على مراجع أجنبية كان ظهورها "ما بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومصادر المكتوبة باللغة الفرنسية تعكس بروز اتجاه معين في الدرس اللغوي هو المنهج التاريخي المتأثر بعلم الاجتماع الدوركايمي . وهذا الاتجاه حمل لواءه في فرنسا أنطوان مابيه." <sup>2</sup> أما برنامج دي سوسير الذي يلخصه في قوله: "موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها". <sup>3</sup> "The true and unique object of linguistics is language studied in and for itself" فقد

أشغلته الأدبيات اللسانية في القرن التاسع عشر.

<sup>1</sup> انظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص: 20، 21.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 140.

<sup>3</sup> De Saussure : Course in general linguistics, p: 232.

رغم أن د، "عبد الواحد وافي" لم يعتمد على الكتب اللسانية التي تعتمد المنهج الوصفي التي

تُخضع الظواهر اللغوية إلى الفحص العلمي، لأنّ تكوينه العلمي المختص في علم الاجتماع جعل قلمه

اللساني عصياً عليه، فيضطرّ أن يستجيب للطبع الذي اشتدّى فكره عليه أول مرّة.

ويبقى له فضل في أنه أيقظ الحسّ اللغوي وغرس الدرس اللساني غرساً أدبياً في حاقّ موضعه وهو

المحيط الجامعي، وخاصة أنه درّس في عدة جامعات في الوطن العربي، فقدّم خطاباً لسانياً أدبياً سهلاً

وميسوراً غير مرّدد ولا مكفّهّر بكثرة الإصطلاحات والتفريعات.

أما إذا جئنا إلى كتابه الثاني "فقه اللغة"، الذي ظهر مباشرة بعد كتابه الأول علم اللغة، "فيتناول فيه

بطريق مباشر موضوعات علم اللغة التاريخي المقارن. ولكنه يهتم اهتماماً خاصاً باللغات السامية ويرى

أن كتابه هذا متمم لكتابه السابق علم اللغة.<sup>1</sup>

ولقد لقي هذا الكتاب كذلك قبولا، بحيث نجد فيه نفس المنوال اللساني في معالجة القضايا اللغوية،

احتذى فيه فكر اللغوي الفرنسي ومناهجه، وبهذان الكتابان لم يصبح الدرس اللساني غريب الوجه على

الثقافة العربية الحديثة، فرغم تراحم أبعاده اقتدر على تبليغه، بقلمه المطواع، "وقد ظلّ هذان الكتابان

علم اللغة وفقه اللغة لعبد الواحد وافي مرجعين أساسيين في الدراسات اللغوية في الجامعة، وغير الجامعة.<sup>2</sup>

إلا أن جاء إبراهيم أنيس من إنجلترا بعدما عبّ من علم اللسانيات في لغته الأصل.

<sup>1</sup> العربية وعلم اللغة النبوي - دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث - د، حلمي خليل، دار المعرفة، القاهرة، 1996، ص: 146.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 146.

أما إبراهيم أنيس<sup>1</sup>: (1906-1978)، فأول ما أصدر كتابه "الأصوات اللغوية" ولم يكتب عليه

تاريخ نشره، ولهذا اختلف الباحثون حول تاريخ صدوره أول مرة، ما بين (1941-1946)، وأهم

المبادئ الوصفية التي قدّمها هذا الكتاب تتمثل فيما يلي:

1 الوصف العلمي التجريبي للأصوات اللغوية.

2 بعض القوانين الصوتية مثل المماثلة assimilation والمخالفة disassimilation وقانون جهد

الأقل، أو نظرية السهولة.

3 عوامل تطور الأصوات اللغوية، والعادات الكلامية وآثرها في تعلّم اللغات.<sup>2</sup>

وهذا منه اجتهاد شخصي كان يميل فيه إلى استعمال المصطلحات الأجنبية بعد تعريبها بدل

المصطلحات الصوتية العربية التراثية، ورغم أن هذا المصطلحات التي جاء بها لم تكن بكرا عند الغرب بل

لها ما يقابلها عند العرب وخاصة عند ابن جني (ت:338هـ) في كتابه سرّ صناعة الإعراب.

في قائمة المراجع اعتمد د، "أنيس" على ثمانية شخصيات منتقاة من التراث العربي، مختصين إما

في النحو أو في القراءات منهم: سيويوه، والمبرد، وابن الجزري، وأبو عمرو الداني، أما المراجع الأجنبية

فكلها باللغة الإنجليزية وعددها أربعة عشر. مما يدل على أنّ د، "أنيس" كان يحسن اللغة الإنجليزية،

وأهم ملاحظة في هذه المراجع أنه لم يعتمد على كتاب سوسير، ولعل العذر واضح، لأنّ كتاب دي

<sup>1</sup> كان أستاذا بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، أصدر بعد حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة لندن سلسلة قيمة من التأليف اللغوية، كان لها دورا كبيرا في الترويج للفكر اللساني الجديد، فبعدها كان موضوعا نجويا بين اللسانيين، صار بفضل تأليفه موضوعا جمعويا بين جميع طلاب العربية، أقبل عليه من أقبل، وعزف عليه من عزف.

<sup>2</sup> العربية وعلم اللغة البنيوي -دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث-، ص148.



سوسير ترجم إلى الإنجليزية سنة (1959)، وإلى العربية سنة (1985)، وكتابه الأصوات صدر في مطلع

الأربعينيات، و"مما يلفت النظر عند أنيس إلا أنه رغم اعترافه بأن كتابه هذا يدخل في إطار الدراسة الفونولوجية، إلا أنه لم يتعرّض مطلقاً لنظرية الفونيم ومفهومه لدى علماء اللغة المحدثين، على الرغم من أن هذه النظرية تمثل حجر الزاوية في علم اللغة البنيوي."<sup>1</sup>

ومهما يكن فقدم د، "أنيس" المنهج البنيوي الوصفي تقدماً لسانيا علمياً لأول مرة في تاريخ

الفكر اللغوي العربي الحديث في ثلاث كتب تمثل مستويات اللغة العربية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، فالأول وهو كتاب "الأصوات اللغوية"، الذي اختلف في تاريخ نشره ما بين (1941-1946)، والثاني وهو كتاب "في اللهجات العربية"، الذي نشره سنة (1950)، والثالث وهو كتاب "دلالة الألفاظ"، الذي نشره سنة (1958).

أما الكتاب الأول فيقدم لأول مرة، باللغة العربية دراسة متكاملة عن الأصوات اللغوية وطرق دراستها بعامة، وأصوات اللغة العربية خاصة، وذلك وفق المنهج الحديث.<sup>2</sup> فكان مورد الفكر اللساني الصوتي الأوّل في الساحة العربية، وكل الصوتيين العرب الذين جاءوا بعده عيّال عليه.

أما الكتاب الثاني فقد اقتحم فيه ميدانا، كان وما يزال، تحيط به الشكوك نتيجة لنظرة القدماء للهجات على أنها نوع من الخطأ، لا يصل إلى مستوى الفصحى النموذجية. وازدادت هذه الشكوك نتيجة ارتباطها بالدعوة إلى العامية، ف:"أنيس" تناول مستويات اللهجات فونولوجيا ومورفولوجيا ونحويا

<sup>1</sup> العربية وعلم اللغة البنيوي - دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث -، ص 150.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 148.

ودلاليا مفرقا بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية مبتكرا عدة مصطلحات.<sup>1</sup> أما الكتاب الثالث فقد

انطلق فيه من رؤية أن دراسة الدلالة هي قمة التحليل اللغوي وهدفه النهائي، إذ الغاية من اللغة هي

الاتصال والتفاهم، وبدون دراسة المعنى فلا معنى للتحليل اللغوي.<sup>2</sup>

وأبرز ما أخذ يؤخذ على هذه الكتب الثلاثة هو "استخدامه للمصطلحات اللغوية أحيانا استخداما

غير واضح في هذا اللون الجديد من الدراسة اللغوية، واكتفائه أحيانا بالإشارة العابرة إلى مناهج أصيلة في

النظرية اللغوية الحديثة."<sup>3</sup>

ومهما يكن فلقد كان "أنيس" ذا شعور علمي لساني خالص، وبعيد عن أدبيات البحث اللغوي

الفضفاضة، وهذا الشعور كان يراوده منذ أيام الطلب في إنجلترا، وبهذا القلق العلمي استحق أن "يعدّ

الرائد الأول في الدرس اللغوي الحديث، وكان عليه العبء الأكبر -لسبقه وتقدمه- في الدراسة اللغوية

إلى الآفاق الحديثة التي ظهرت في مطلع القرن العشرين، فكان العين التي رأت، والأذن التي سمعت،

والعقل الذي وعى، ثم القلم الذي كتب، فأهّج السبيل لسالكيه، وأنار الغاية لطالبيه."<sup>4</sup> وذلك لأنه كان

متزامنا مع أشهر مدارس ونظرياته الأول، فكان يتابع مجريات أبحاثه واستشرافات دراساته، فأحسن بتفكير

اللّساني ذي العمق الرؤيوي أنّ العربية يجب أن تُرْفَدَ في سوق البحث اللسانية العالمية الحديثة، وغريلة ما

في مستودعها التراثي اللغوي القديم.

<sup>1</sup> انظر العربية وعلم اللغة النبوي -دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث-، ص 152.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 157.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 162.

<sup>4</sup> فتنة النص -بحوث ودراسات نصية-: د، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص 223.

## 1) التجربة اللسانية الأولى في لبنان:

أحمد فارس الشدياق<sup>1</sup> (1804-1874)، من أشهر كتبه: "سر الليال في القلب والإبدال"، وهو كتاب ذو دراسة مميزة في علم الصرف، صدر عام (1868)، أما "غنية الطالب ومنهجي الراغب"، نشره سنة (1871)، فهو كتاب تيسيري للنحو ليزال محل اهتمام في المحيط العربي، ولقد قال مؤلفه في مقدمته: "إذا فرضت أن طالب يتعلم منها كل يوم درسا واحدا مع التفهم لقواعده، والترسم لفوائده لم يمض عليه ثلاثة أشهر من الزمن، إلا وقد أدرك جل ما يطلبه من هذا الفن".<sup>2</sup> وهذا شعور علمي نبيل، لأنه أراد تعميم تعليم قانون العربية لجميع لأبناء زمنه.

أما في مجال الدراسات المعجمية فقد "قدم الشدياق العديد من المفردات المستحدثة عن طريق تعريب وترجمة كلمات إلى العربية أو إحياء، (..) وحتى في عصرنا الحاضر نجد الكلمات الشدياقية تضع بصمتها في الكتابات العربية ولغة وسائل الإعلام وغيرها".<sup>3</sup> وما يقال عن "الشدياق" يكاد ينطبق على ابراهيم ناصيف اليازجي (1847-1906)، وهو من لبنان الذي كانت له اليد الطولى في التيسير والتعريب والترجمة والتحديث لعلوم العربية، وهو ابن الأديب الكبير ناصيف اليازجي (1800-1871) الذي ألف في النحو والصرف واللغة والأدب والتاريخ، وهو صاحب كتاب "مجمع البحرين".

<sup>1</sup> وهو من أبرز الشخصيات اللغوية في هذا البلد الذي كان له عدة إسهامات إصلاحية وتحديثية للعربية، ولعل اتصاله بكبار المستشرقين وكبار مثقفي العرب هو الذي أهله بكفاءة أن ينهض بالعربية في بلده لبنان خير نهوض، ورغم أنه كان ابن عائلة مسيحية إلا أنه كان مسلما، وربما هذا ما جعله مخلص للعربية أكثر من اللغويين المسيحيين الآخرين.

<sup>2</sup> نقلا عن: جهود رواد النهضة والجماع اللغوية في إحياء اللغة العربية وتحديثها في العالم العربي الحديث: توشيوكي تاكيدا، مجلة دراسات العالم الإسلامي، فبراير، 2012، ص: 35.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 35.

فبحكم الموقع الجغرافي الاستراتيجي الآسيوي الذي ساعد على حضارتها، والظروف التاريخية التي

مرّت بها لبنان من حركات سياسية وإجتماعية، ثم العقلية الانفتاحية الذي يتمتع بها الشعب اللبناني

على ثقافات العالم. فإن لبنان على صغرهما كانت تعج فيها حركة لغوية فاعلة، نجد فيها جمهرة كبيرة من

اللغويين النهضويين من أمثال بطرس البستاني (1819-1883)، وسعيد الشرتوني (1849-1912)،

ويعقوب صرّوف (1852-1927)، وغيرهم.

غير أنّ أغلب هؤلاء اللغويين كانوا معجميين، لأن المستوى المعجمي وهو المستوي الأكثر

استجابة لقوانين التطور، فلقد رفض هؤلاء المعجميون "دعوى عجز العربية عن مسابرة ركب الحضارة

الحديثة، التي نقلت بعض مظاهرها إلى العالم العربي، ولم يكن للبحث في معجم اللغة العربية من غاية

أخرى سوى الوصول إلى اللفظ العربي الحديث الذي يمكن وضعه مقابل ما تقدمه المدنية الحديثة، من

شئى ضرور الألفاظ والمصطلحات الفنية والعلمية." <sup>1</sup> غير أنّ دعوى عجز العربية وعقمها هي دعوة

خرجت من علم الاستشراق ومن الذين نجد عندهم هذا المغمز، بروكلمان، وماكدونالد، و مرجليوث،

وإرنست رينان الذي تعدّى إلى الغمز في عقلية الإنسان العربي ودينه. أما إذا جئنا إلى جرجي زيدان

الأديب والروائي والمؤرخ الذي عاش ما بين (1861-1914)، فقد قدّم كتباً عدّة في إنعاش النهضة

العربية الحديثة بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولبنان يعد البلد العربي الثاني بعد مصر الذي

عرف وضعاً فكرياً متميّزاً في هذه الفترة <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة-حفريات النشأة والتكوين-، ص:13.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص:12.

وهو صاحب قلم أدبيّ ولغويّ سيّال، جال به في معظم قضايا علوم العربية وفنونها، وإن كان هذا الرجل الباحث قد اختلفت فيه الموازين بين قضاة الفكر واللغة،<sup>1</sup> لكن الذي يهمنا منه هو جانبه اللغوي الذي قدمه للثقافة العربية ولم تألفه من قبل بتاتا فاستحسنته لعصريته.

إن أشهر كتب زيدان التي هفت نحو تجديد العربية كتاب "الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية"، أو تاريخ العربية الذي نشره سنة (1886)، وملخص فكرتها ظاهرة من خلال عنوانه فهو دراسة في فلسفة وجود العربية ونشأتها وتطورها، فلا يزال البحث اللغوي الغربي في وقته في حظائر الفلسفة، والأدب، والكلام في نشأة اللغات، ولم يستقل بعد بمنهج خاص به يخضع للفحص العلمي اللساني الدقيق، وكما أن هذا الكتاب نجد فيه "صدى واسعا لآراء ونظريات رينان وماكس مولر وويتني".<sup>2</sup> التي لم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد.

أما بالنسبة لكتابه "اللغة العربية كائن حي" الذي نشره سنة (1904) يخلو "من أي إشارة للمنطلقات التي صدر عنها زيدان، كما لا نجد تقدما للهدف المنهجي من وراء دراسة اللغة ارتقائيا.

<sup>1</sup> ومن أشهرهم أبي فهر محمود محمد شاكر، فقد طعن في موثوقيته وأمانة قلمه، فهو عنده "رجل وافد لا يربطه في نفسه بالموروث العربي إلى اللسان، أما ضميره فمرتبط بالعقلية الأروبية، وكل ما كتبه (يعني زيدان) حول آداب العرب وعلومها وفنونها كان سطوا مجردا على آراء المستشرقين ومناهجهم في النظر، وهذا الرجل كان وافدا مع استقرار الاحتلال الإنجليزي في مصر سنة (1892) كان شديد الأثر في تلاميذه المفرغين من ماضيهم وكل الذي أُلّفه لم يذهب هدرا، بل فتح الباب ويسر السبيل للساطين من بعده، بل زاد وصير هذا السطو ضرب من التجديد وثقافة العصر." انظر: المتني: لأبي فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص: 24، 25. فالشيخ أبو فهر لا يرى في كتب جرجي زيدان أية قيمة لغوية أو أدبية سوى أنه سنّ سنة سيئة في ظاهرة السطو والتطقل على أعمال لغوي أوروبا وأدبائها، ولقد امتزج بهم حتى استحکم فيه ذوقهم وفكرهم. وخاصة أنه يدين بدين الوثنية المسيحية، فطبيعي جدا أن يحتكم إلى وازع ديني غير إسلامي، أما زيدان من منظور الناس فهو الأديب الحصيف، ومهما يكن يبقى لزيدان سهمة في الحركة اللغوية الأولى في بلده لبنان بجموعة من المؤلفات.

<sup>2</sup> اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة-حفريات النشأة والتكوين-، ص: 47.

"إن زيدان استفاد كثيرا من أفكار داروين ومن حذوه من اللسانيين أمثال شلايشر وماكس

مولر.<sup>1</sup> وما دام أن ثقافة الباحث لها دخل كبير في تحريك قلمه وتوجيهه للدفاع عن فكرة ما، فإن

حدّقت في طرز كتبه تجده كما وصفه أبو فهر لا يزيد ولا ينقص، بحيث بدا لسانيا مزيفًا، فسهل على

أصحاب الأقلام المختصة اكتشافه، وذلك لأنه خطأ أرضا ليست بأرضه، فمن أين له بنظرية تطور اللغة

ونشوؤها وهو ابن بيئة لبنانية عربية لا تزال في البداية، لولا خائنة العين اطلّعت على فكر الداروينيين

والماركسيين الذين يؤمنون بالرؤية التطورية في الحياة الإنسانية والطبيعية.

غير أن المنطلق الأساسي في كتابه هذا هو تشارلز داروين (1809-1882)، صاحب كتاب أصل

الأنواع الذي نشره سنة 1859. الذي سبب انفجارا علميا وكانت أفكاره "عند ظهورها بدعة العصر،

تأثر بها علماء اللغة كما تأثر بها سواهم ورأوا فيها - كما رأى غيرهم - حلاّ لكثير من مشكلاتهم،

فظهرت حوالي سنة (1870) مناهج جديدة للبحث في اللغة على أساس فلسفة جديدة أو تصورات

عامة جديدة، هي أن طبيعة "التغيرات اللغوية" نفس طبيعة التغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي،

لاسيما عالم الحيوان والنباتات.<sup>2</sup> وأشهر كتاب في الثقافة العربية نجد فيه الفكر اللغوي مضمخا بروائح

الداروينية هو كتاب: "أبي آدم - قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة: للفقير اللساني الكبير عبد الصبور

شاهين، الذي نشره سنة (1998)<sup>3</sup>، وصدمة على قراء العربية المهتمين.

<sup>1</sup> اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة-حفريات النشأة والتكوين، ص: 44، 45.

<sup>2</sup> علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: د، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، ص335.

<sup>3</sup> رغم أن د، عبد الصبور شاهين رد على نظرية داروين للنشوء والإرتقاء في كتابه، إلا أنّ الرجل يؤمن بالتطور، ثم إن الرجل يدافع عن مذهبه من فهم واطّلاع، وهذا ما جعل الكتاب يغير من القناعات، قال في مقدمته: "وإذا كانت كتابة هذا البحث قد استغرقت خمسة وعشرين أو تزيد؛ فإن بضع ساعات تنفق في قراءته لا تكفي للتجاوز معه، ومناقشته للخروج من المأزق العقلي والثقافي الذي

أما إذا رجعنا إلى "زيدان" كمفكر لساني مقارن ف"ما يهمننا أساسا من آراءه هو الدور التاريخي الذي لعبه هذا الرجل الموسوعي في حقبة كاملة من تاريخ الثقافة اللغوية العربية، وذلك ببحثه قضايا اللغة العربية في إطار أحدث المناهج اللغوية المتداولة في أوروبا إبان القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كما كان تأثيره قويا فيمن جاء بعده." <sup>1</sup> وإن كان ليس معدودا من اللسانيين الخالصّ فله منزلة الناقل بينهم فقط، لأن الطابع الروائي يغلب عليه وإن كان مثقف ثقافة لسانية.

ومهما يكن، فمعظم اللغويين نهلوا من الثقافة اللغوية نتيجة تمكنهم من لغات أجنبية سمحت لهم بالاطلاع على الفكر اللغوي الحديث في أوروبا ولو في صورة جزئية ومتفرقة، وشكّل ذلك مصدرا هاما أضافوه لمعرفتهم بالثقافة اللغوية العربية القديمة، فجاءت كتبهم حاملة روحا جديدة إن لم تكن دائما في مستوى المضمون، فإنها على الأقل اتّسمت بنوع من الحرية الفكرية في التعامل مع قضايا العربية بروح العصر. <sup>2</sup> فكانت خطاباتهم اللغوية ذات طعوم ومذاقات متنوعة وهذا بحكم المصادر العربية والأجنبية التي نهلوا منها بين الغرف والرشف، ولقد كان لهذه الخطابات أثرا قويا في تحريك البنية اللغوية والثقافية العربية الحديثة.

---

جرتنا إليه الإسرائيليات. " انظر كتاب: أبي آدم - قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة: د، عبد الصبور شاهين، ، ا ناشر: دار الإعتصام، 1998، ص:17.

ومن الذين ردوا عليه، وهو كثيرون جدا؛ د، عبد العظيم المطعني في كتابه: "أبي آدم وقصة الخليقة"، أما الذي نسفه نسفا، فهو د، زغلول النجار، في مناظرات تلفزيونية معه على قناة mbc. ويرى أنه لا يجوز أن نقول "الإنسان حيوان ناطق"، فهذه التسمية التي شاعت على ألسنة الباحثين هي من آثار التغريب للحضارة العربية، وقوة الدفع للفكر الدارويني وترويجه، فالإنسان إنسان كائن حي عاقل ومكّلف.

<sup>1</sup> اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة-حفريات النشأة والتكوين، ص:32.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:19.

## 2) التجربة اللسانية الأولى في العراق:

ليس من اليسير أن تخضع العراق للتجارب اللسانية الحديثة بسهولة، كما خضعت لها لبنان أو مصر مثلا، وهي مادة العرب الأوّل ومستودع العربية وعلومها وسرّ نبعها، ولهذا ضلّ يحصرها فكر التقليد والاتباع والتمسك بالموروث العربي القديم، فجلّ الداسات اللغوية العراقية في بداية عصر النهضة إلى فترة الخمسينيات لم تفقد التصاقها بالقديم التي عبّت من أفوايقه، ولعل هذا ما يفسر كثرة النحويين في العراق حديثا كما كانوا كذلك قديما - من أمثال مصطفى جواد، ومهدي مخزومي، والحواري، والعزاوي، والسامريين وغيرهم، وقلة اللسانيين باستثناء بعض المجمعين، الذين كانت لهم رغبة في كيفية تطويع العربية، لأن الذوق اللساني لم يستحكم فيهم بعد.

والسبب في ذلك عدم الاتصال بالثقافات الأروبية لسانيا إلا متأخرا، فإذا كانت بوادر النهضة اللغوية قد بدأت في أعقاب القرن التاسع عشر في ديار الشام ومصر، فإنها بدأت في مطلع القرن العشرين في العراق حيث قدّم علماءه وباحثوه الكثير من المباحث اللغوية، ومنها الاستدراك على المعجمات القديمة والحديثة ونقدها.<sup>1</sup>

أما الإشارات اللسانية الأولى التي تستطيع أن تلاحظها على إشفاق في العراق فنجد الأب

أنستاس ماري الكرملي (1866-1947)، الباحث المجمع الذي يمثل البداية الثانية بعد زيدان

للمنهج المقارن في الدرس اللغوي العربي الحديث، وإذا كان زيدان قد اهتمّ بالجانب النظري العام

<sup>1</sup> الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين: د، عبد الجبار جعفر القزاز، بغداد، 1981، ص: 31، 32.



للمقارنة فإن أبحاث الكرمل في تحليلها معطيات لغوية من اللغة الفصحى مقارنة بغيرها من اللغات، خاصة منها اللغات الآرية على نحو ما نجد في بحثه في تناظر العربية واللاتينية.<sup>1</sup>

ومهما يكن، فإن الكرمل "قد استعان ببعض النظريات اللغوية التي كانت جديدة نسبيا في وقته، في محاولته للنهوض بدراسة اللغة العربية الفصحى ولهجاتها، مكملًا في ذلك ما بدأه زيدان في الفلسفة اللغوية، واللغة العربية كائن حي، ومستفيدًا من اطلاعه الواسع على كثير من اللغات السامية والآرية ورحلاته المتعددة إلى الديار الأروبية."<sup>2</sup>

ولقد دخل جلّ لغويينا فيما دخل فيه العالم الغربي من حتميات التغيير وتطبع أكثر لغويينا بفكرهم "بدون استثناء - سواء أصرحوا بذلك أم لم يفعلوا- اطلعوا على كتابات "رينان"، و"ويتني"، و"دار مستتر"، و"دوبريال"، و"مايي"، و"سايس"، إضافة إلى "أصل الأنواع"، لداروين وتطبيقاته اللغوية عند شلايشر، وماكس مولر.<sup>3</sup> وبهذا الإطلاع على شعاب وحزون دراسات هؤلاء اللسانيين الأجانب، اصطبغت البحوث العربية الحديثة بحلل الجذّة والتحديث، فكانت هذه الكتابات تمثل مرحلة البداية، والتكوين، والتمهيد، والتخمر.

<sup>1</sup> اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة- حفريات النشأة والتكوين-، ص: 54.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 60.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 84. أما مداخل الفكر الدرويني إلى العرب، فقد كان عبر د، شبلي شميل ( 1850-1917)، الطبيب والفيلسوف المسيحي العلماني الإشتراكي الدارويني اللبناني، صاحب كتاب: "فلسفة النشوء والإرتقاء." الذي نشره سنة ( 1910)، وهو دعوة لتبني الفكر الدارويني والإستفادة منه، ويعد هذا المؤلف أول كتاب دعا للداروينية كتب بالعربية، وكما يعد أول كتاب فتح الباب لتلوّث الثقافة العربية، ثم جاء بعده داروينيون عرب آخرون، أمثال سلامة موسى (1887-1958)، في كتابه: "نظرية التطور وأصل الإنسان"، نشره سنة (1957)، وحنّا نمر (1900-1964)، صاحب كتاب "الداروينية"، وبعدها اتسع الخرق على الراقع فأصبحت الداروينية جزءا من الثقافة العربية، رغم أن هذه النظرية تماوت أمام العلم، ورغم أن بعض أصحابها في الغرب ردوا عليها وتخلّوا عنها، ولكن وأسفا لا تزال أمة مستهلكة حتى لرجيع الفكر الغارق في أوحال الإلحاد والكفر.

أما الرجل الثاني فهو مصطفى جواد (1904-1969) وإن كانت بحوثه للقديم أميل، ومع ذلك

فهو أحد أبرز رواد الحركة اللغوية في العراق الأوائل، له عدة مساهمات لغوية كثيرة، في التحقيق،

والمعجمية، وتيسير الكتاب النحوي، وتطوير اللغة وترقيتها، وخاصة التصحيح اللغوي الذي بسببه عرفه

العراقيون وكل البلاد العربية المجاورة، وذلك من خلال برنامجه الإذاعي الناجح "قل ولا تقل".

كان برنامجا لغويا شيقا وكان يتابعه الصغار والكبار، قام مصطفى جواد من خلال ذلك البرنامج

بتبسيط اللغة العربية للمستمع العام وللمختص اللغوي وبحرفة الكتابة في آن واحد. طبع له من هذا

الموضوع جزآن (1970-1988). ابتداءً بنشر موضوعه منذ عام (1943) في مجلة "عالم الغد" فكان يذكر

أولا الصحيح أو الفصيح ويشفعه بالغلط أو الضعيف، وكان يرتب ذلك على حروف المعجم. أما

الأسباب التي دعت به إلى تأليف موضوعه "قل ولا تقل" فهي:

- استهانة طبقة من المترجمين باللغة العربية، وقد امتاز منهم بهذا الإثم اللغوي مترجمو البحوث العسكرية.

- أن كثيرا من الكتاب والشعراء يكتبون كلما غير مشكول، واللحن في غير المشكول لا يظهر.

- إفساد اللغة من قبل طبقة من الممثلين، وكثرة الأغلاط في تحريرات الدوائر ودواوين الحكومة.. الخ.

- انتقاده للمصريين أن الخطأ خطأهم، وذلك أنه لما حصل على بعثة لتطوير دراساته في باريس فقصي سنة

كاملة في القاهرة لتعلم الفرنسية، وهناك التقى طه حسين، والعقاد، والزيات، وباحثهم في أخطائهم.<sup>1</sup> ولكن

هيهات لمثلهم أن يدعنوا ومن أعمق خصائصهم المكابرة.

<sup>1</sup> انظر: <http://ar.wikipedia.org>، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، (مصطفى جواد)، تاريخ الاقتباس: 2014/04/22.

ومهما يكن؛ فإن دراسات اللغويين العراقيين الأوائل في العصر الحديث زحرت بها المكتبة العربية من معجمية، واشتقاق، وصرف، وتصويب لغوي، وتيسير وإصلاح، في علوم العربية، وهذه المعالجات اللغوية ليست حقولا بكرًا وإنما هي قديمة قدم صناعة علوم العربية في هذا البلد التاريخي، فإن جل الدارسين العراقيين المحدثين في هذه الفترة ظلوا لغويين تقليديين، بحيث أن قلة الدراسات الترقوية للعربية يؤكد هذا، وخاصة إذا ما قورنت بالدراسات الترقوية في لبنان التي ابتكرت فيها ألفاظ ذات دلالات مستحدثة، ودراسات لغوية ذات صبغة متفتحة.

أما البحث اللساني الخالص بدأ في النص الثاني من القرن العشرين، بعد أن تم التواصل بين لغويي العراق بأشهر أعمدة الحركات اللسانية في العالم العربي والغربي، وربما المؤسسات العلمية كالمجمع العلمي العراقي للغة هو الذي أراد أن يفتح اللغويون العراقيون على مجريات عالم اللسانيات وتحولاته، لكي يظل الباحث العراقي له موقعا في الخارطة اللسانية العربية والعالمية، ومن أشهر هؤلاء **مجيد الماشطة** (ولد سنة 1941) باحث عراقي في الترجمة واللسانيات له عدة أبحاث في حقل الترجمة وتحديث الدرس اللغوي العربي وطرائق تدريس العربية للناطقين بغيرها، ومن أهم المؤلفات التي قدّمها للثقافة العربية، كتابه: شظايا لسانية<sup>1</sup>، الذي صدر سنة 2008.

<sup>1</sup> ولقد اعتبر فيه أنّ النحو هو القانون المنطقي الذي يحكم اللغة بشكل عام، ثم حاول دراسة الرابط بين النحو والفكر ليبين من خلال مقارنة يجريها عبر تاريخ النحو ليخرج بنتيجة مكونة من خمسة اختلافات وضح فيها علاقة النحو بالفكر الإنساني، ثم انتقل إلى النحو بصورته الحديثة عند تشومسكي الذي بدأ عام (1957) في كتابه (البنى النحوية)، فحاول -وبشكل موجز- عرض تفاصيل هذا النحو وتطور آلياته، وحاول أيضا ان يبين عبرها دور البنيويين الأمريكيين في تطور هذا النحو ومساهماتهم المساهمة الفاعلة بذلك. انظر الرابط: <http://www.alnoor.se/article> قراءة في كتاب شظايا لسانية: مراد حميد عبدالله، تاريخ الاقتباس: 2015/01/01

أما يوثيل يوسف عزيز (1932-؟؟) وهو أستاذ في جامعة الموصل، بحيث يعتبر رائد حركة

الترجمة من الإنجليزية إلى العربية في العراق، من أهم ما ترجم للثقافة العربية في مجال اللسانيات كتاب:

علم اللغة العام، لدي سوسير سنة (1985)، يرى عز الدين مجدوب أن الترجمة العراقية ليوثيل يوسف

عزيز هي أكثر جدا وأمانة، وقد بذل صاحبها جهدا مشكورا وراجع النص العربي د، مالك يوسف

المطلبي، وهي الترجمة الوحيدة التي انطلقت من الترجمة الإنجليزية التي أنجزها وايد باسكن سنة (1959).

وبديهي أنه مهما بذل فيها صاحبها من جهد فإنها لن تغني عن ترجمة أخرى تعمل انطلاقا من النسخة

الأصلية للكتاب وتقف على فكر سوسير دون حاجز ولا واسطة.<sup>1</sup>

أما الترجمة الثانية فهي لكتاب: البنى النحوية، نشره سنة 1987، وقد سبق وأن تكلمنا عن أهمية هذا

الكتاب، ومن أبرز اهتمامات هذا الكتاب، "الاهتمام بالصفات العامة المشتركة في اللغات بدلا من التأكيد

على الفروق بين اللغات، كما تفعل المدرسة البنيوية؛ أي أن هذه المدرسة تؤمن بما يسمى بالنظرية اللغوية

العامة.<sup>2</sup> ومن هنا فلا مانع أن نجد التماثل بين اللغات نظرا للكليات التي تجمعها، لأن النحو في نظر

تشومسكي هو ملكة صورية بيولوجية، تهتم اللسانيات التوليدية بصورته، ومن هنا تتهاوى تلك المقولة

الاستشراقية التي أسس لها ميركس، بلأن النحو العربي أسس على منطلق أرسطو، وقد تبنها أغلب اللسانيين

العرب الوصفيين، منهم فؤاد حنا ترزي في كتابه "أصول اللغة والنحو"، زعم أن تقسيم سيبويه الكلم إلى ثلاثة

أقسام يوناني لأن أفلاطون قسم الموجودات إلى ذوات (أسماء) وأحداث (أفع ال)، ولأن أرسطو أضاف إليهما

قسما ثالثا هو الروابط (الحروف)؟!)

<sup>1</sup> انظر: ثلاث ترجمات لكتاب فردينان سوسير: عز الدين وجدوب، حوليات الجامعة التونسية، 26، السنة 1987، ص: 49.

<sup>2</sup> البنى النحوية: لناعوم تشومسكي، ترجمة: د، يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، مطبعة النجاح، ط2، 1987، ص: 5.

أما الجانب الإيجابي<sup>1</sup> الثاني لهذا الكتاب التأسيسي، أنه يهيد الإعتبار بطريقة أو بأخرى لنظرية العامل التي بعج أول من بعج فيها القول محمد بن المستنير قطرب (ت: 206هـ)، ولقد ألفت في هذه القضية عشرات الرسائل الأكاديمية للمقاربة بين العامل عند تشومسكي ونحاة العرب القدامى، وكما يرى د، أحمد العلوي: "أن العاملة ليست مذهبا في النحو ولكنها النحو نفسه وأن أعمال النحاة كيفما كانت فإنها لا تخرج عن النظر في القوانين العاملة."<sup>2</sup>

وخاصة أن تشومسكي يرى "أن النحو العالمي هو نظام من المبادئ والقيود والقواعد التي تتحكم في كافة اللغات البشرية بسبب الضرورة البيولوجية وليس المنطقية."<sup>3</sup> إذا مع تطور اللسانيات الكبير - خاصة التوليدية منها-، تتهاوى بعض الاتهامات العلمية التي كثر فيها الطريقة الشككية الهيومية التي تتعلق بسمعة الحضارة العربية، حتى فما يدري الباحث إلى أي رأي يستريح له.

إذن، فكما توجد مواز وانفرادات في نحو لغات العالم الطبيعية، فإنه يقابل هذه الظواهر المواز ظواهر عرفانية إدراكية مشتركة على مستوى البنية العميقة.

<sup>1</sup> ذلك أن "قضية العامل التي سخر منها ابن مضاء النحوي وتابعه في ذلك مجموعة من الباحثين العرب المحدثين، متأثرين بمبادئ المدرسة البنوية - عادت مرة أخرى إلى الظهور عند التحويليين، بصورة تكاد تقترب مما كان عند نحاة العربية، وهم يربطون بين هذه القضية وقضايا أخرى كثيرة، التفت إليها نحاة العربية، كالحذف والتقدير، والتقدم وغير ذلك، ففي جملة مثل: "محمد أراد أن يسافر"، يقول التحويليون إن الفاعل للفعل، "يسافر" محذوف، يدل عليه "محمد" السابقة. وهذا هو عين ما يذكره نحاة العربية، حين يقولون إن الفاعل في: "يسافر" ضمير يعود على: "محمد". دراسات وتعليقات في اللغة: د، رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1994، ص: 199، 200.

<sup>2</sup> الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي: د، رشيد بوزيان، (د، ت)، (د، ط)، ج1، ص: إهداء المؤلف.

<sup>3</sup> Chomsky: reflexions sur le langage, trad par judith milner et autres; libraires maspro, paris, 1977, p:40

## 3) التجربة اللسانية الأولى في المملكة العربية السعودية:

ما يقال عن التجربة اللسانية الأولى في العراق، يكاد ينطبق على التجربة اللسانية الأولى في المملكة العربية السعودية وهي كذلك مصبوغة بالصبغة التراثية ولم تمسّها رياح التغيير المنهجي للعلوم إلا قليلاً وفي مواطن معدودة، بحيث تشكّل الخطاب اللغوي في المملكة "بوصف وتحليل النص التراثي في مسأله النحوية خاصة من منطلق فهم الأفكار في سياقها، مما يمكن أن يوجه إلى تأسيس مدرسة نحوية تراثية المنهج والإجراء، إلا أن ما أُلّف في هذا السياق لا يعدو أن يكون صدًى لما تمّ بحثه في بدايات عصر النهضة في مصر والشام."<sup>1</sup>

فلعدة ظروف جاء الخطاب اللغوي السعودي تقليدياً محافظاً على منابت علوم الفصحى القديمة، وربما السبب الأوّل يعود لثقل الإرث اللغوي العربي القديم الضارب بجمرانه في محيط المملكة، فليس من السهل الانتقال عنه إلى ما تحدو به اللسانيات الأوروبية أو الأمريكية، ومن هنا يلتبس على أيّ باحث من أين يبدأ؟ فصعوبة الاختيار قد تحدت تأخراً عن الغير، لأن الاختيار هو ذاته ثقافة يخضع لاختلاف الرؤى والأنظار وتمايز الطبائع، وتحكّم النزعات بين المزاجية والانضباط، وخاصة في ظل تأخّر البعثات العلمية وهشاشة قاعدة الترجمة إلى العربية. بالإضافة أنه قد "ظهرت طائفتان أولاهما تؤثر السلام بتحصنها داخل قلعة التراث اللغوي، (وآخرتهما) رأى في التمسك بمناهج النظر اللسانية الغربية ولوجها إلى عالم الحداثة الفكرية، غير أن هذه الفئة بالذات سقطت في هوة معرفية سحيقة، وهي منذ زمن تحاول الخروج عبثاً إذ كلما اعتقدت في نفسها استكمال آليات التفكير اللساني المحدث ظهرت آليات وأطروحات جديدة."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر: الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية: د، نعمان عبد الحميد بوقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص:200.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:25.

ومهما يكن فالخطاب اللغوي السعودي يمكن إدراجه في منظومة التفكير اللساني التطبيقي، في اللغة العربية بالرغم من بساطة أدواته وتراثية رؤيته المنهجية إذ قد يكون شكلا تمهيدا لا يغفل في مسار تطور الكتابة اللسانية التطبيقية في المملكة.<sup>1</sup>

إذن؛ فاللغويون الأوائل السعوديون كانوا لغويين تقليديين أهتموا بالدراسات التراثية والتحقيق،

ومن أشهرهم: حسن محمد المشاط، ومحمد طاهر الكردي، ومحمد سعيد العمودي، وأحمد إبراهيم العزاوي، وأحمد عبد الغفور عطار، وحمد الجاسر.. الخ.

أما اللسانيين الخُصّ الأوائل في تاريخ المملكة حديثا فلا نجد إلا رجلين وهما محمود إسماعيل

صيني، ومحمد حسن باكلا، فهذان الرجلان هما اللذان افتتح بهما البحث اللساني المحض قبل عليان الحازمي، وحمزة المزيني، وفالح العجمي، وغيرهم.

أما الدكتور محمود إسماعيل صيني<sup>2</sup>، ومن أشهر مؤلفاته: "التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء"،

الطبعة الأولى كانت سنة (1982)، بمعية الأستاذ: إسحاق محمد الأمين عاجلا فيه قضايا لغوية عصرية مهمة، كتعليم العربية لغير الناطقين بها، والإزدواجية اللغوية وتعليم اللغات الأجنبية.. الخ.

أما الدكتور محمد حسن باكلا<sup>3</sup>: له عدة العشرات من الدراسات اللسانية والصوتية، ولعل

أهمها ابن جني عالم الصوتيات التي أعدها باللغة الإنجليزية، وأهم ما يقال فيها أنها "تشفي غليل الدراس

في مجال معرفة الجهود العربية القديمة في التأسيس للصوتيات النطقية، (..) وكانت معلما له مميزا في

<sup>1</sup> الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، ص: 93.

<sup>2</sup> (ولد عام 1942م) وهو أستاذ علم اللغة التطبيقي بقسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

<sup>3</sup> (ولد عام 1944م) درس في بريطانيا مدة سبع سنوات حتى تحصل على درجة الدكتوراه، وهو أستاذ اللسانيات بجامعة الرياض.

البحوث الصوتية العربية الأساسية.<sup>1</sup> " ولقد سئل باكلا عن تقييمه وضع اللسانيات في المملكة العربية

السعودية؟ فأجاب بأن "لا تزال الدراسات لدينا فقيرة كما وكيفما. ولقد كان من الصعب جدا إجراء

التغيرات الحديثة على المناهج التي مر عليها حوالي خمسين عاما في بعض أقسام اللغات."<sup>2</sup>

فهذان الرجلان يعدّان من الأوائل اللسانيين الخّصّ الذين أسسوا للسانيات في المملكة العربية

السعودية تأسيسا علميا من حيث التأليف والترجمة، وعمليا من حيث الإشراف والتأطير، فتفتّحوا على

الحياة اللغوية الجديدة، فاستطاعوا تشكيل خطاب لساني له خصوصياته ومناهجه في المملكة وإن كانت

تجربتهما متأخرة. لأن أغلب اللغويين السعوديين الذين كانوا على اطلاع واسع بالتراث اللغوي رأوا فيه

كفاية، فلا جدوى من التجديد في منظورهم بعد هذا الدهر الذي عمّره التراث، فهذا سبب مهمّ من

أسباب التأخر ضيّع<sup>3</sup> على العربية كثيرا من فرص التحديث والموقعة.

<sup>1</sup> الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، ص: 139، 140.

<sup>2</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات: إعداد: د، حافظ اسماعيلي علوي، وليد العناتي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص: 226.

<sup>3</sup> أجدني مرغما على الاعتراف لطرح المفكر الإسلامي السوري محمد شحرور صاحب كتاب "الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة-"، الذي نشره سنة 1990، فلقد أحسن فيه تشخيص أزمة العقل العربي الحديث ورأى بأنه عقل ترادفي قياسي، ترادفي على مستوى اللغة وقياسي على مستوى الفقه، فمعنى ترادفي أن يرى بأنّ الكتاب هو القرآن والقرآن وهو الكتاب، والأب هو الوالد والوالد هو الأب، وأتى أي جاء وجاء أي أتى، بحيث تبنى العقل العربي الحديث ظاهرة الترادف وأسقطها على نصوص التنزيل الحكيم، فقد رسّخ أطروحة الترادف، فالعربية عنده غنيّة بالمترادفات، علماً أن الشعر لا يعييه الترادف، وكذلك لا يعييه الكذب، ولا يعييه الخيال، ولكن هذه الثلاثة (الترادف، الكذب والخيال) تعيب القرآن إذا وجدت فيه. أما معنى قياسي أي ناسخ بحيث تأثر بالشافعي وابن حنبل أكثر من ابن رشد وابن خلدون، فهو عقل لا يبدع لأنه عقل ترادفي قياسي عاجز عن إنتاج المعرفة، ونتيجة هذا العقل القياسي الترادفي هو نتاج الجامعات العربية في العالم العربي حيث إنتاج المعرفة فيها يكاد يساوي الصفر، ففي رأبي أنّ هذا التوصيف على عمومته توصيف رائع وذكي، ولكن هناك استثناء من هذا التوصيف الرائع لأنه صاحبه قد حبط فيه حبط عشواء في كثير من المفاهيم ووقع في مطبات خطيرة جدا جدا، ومن أراد أن يتأكد من هذا الخبط فلينظر كتاب "بيضة الديك"، ليوسف الصيداوي الذي ردّ عليه ردّا لغويا في مستوى الخبر اللغوي الذي فاتش اللغة وخبر أساليبها وتراكيبها وعرف مواطن أسرارها.



## 4) التجارب اللسانية في المغرب العربي:

أ/ الرباط: من أوائل اللسانين الخلّص في المملكة المغربية د، أحمد الأخضر غزال (1917-2008) وهو الذي ساهم مع مؤسسات علمية دولية عالمية في كندا والولايات المتحدة على تطوير الحاسوب لتعامل بالحرف العربي، من خلال ابتكار طريقة تبادل المعلومات بين مراكز البحث في العالم. هذا إذا لم أقل أن فكرة اللسانيات الحاسوبية هي فكرته في العالم العربي.

وخاصة أنه صاحب مشروع الكتابة العربية ومعالجتها آلياً الأستاذ أحمد الأخضر غزال، الذي

أطلق عليه العربية المعيارية المشكولة - الشفرة العربية، والتي تعرف اختصاراً ب(العمم-شع)، وقد تم هذا عام 1954م، ثم طُورت لتتلاءم مع التقدم التقني في الحاسوبات عام (1974)<sup>1</sup>. وصاحب مقال "اللغة العربية في الإنترنت" نشره سنة (1986)، في مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. يعد من أبرز اللسانين التقنيين الذين اهتموا باللسانيات الحاسوبية.<sup>2</sup>

ونستطيع أن نعدّ د، أحمد الأخضر غزال أول لساني تقني مغربي على الإطلاق قدّم دراسات ميدانية

في توظيف اللسانيات الحاسوبية لخدمة اللسانيات العربية الحديثة.

<sup>1</sup> انظر: مقال: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية، ص: 47-96.

<sup>2</sup> يعد عبد الصبور شاهين أول من أوجد كلمة حاسوب المقابل الإصطلاحي لكلمة كمبيوتر. وهو صاحب "دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر": د، علي حلمي موسى، ود، عبد الصبور شاهين، نشره سنة (1973)، ثم توالى الدراسات في هذا الموضوع اللساني التقني، بحيث نجد د، نبيل علي، صاحب كتاب: "اللغة العربية والحاسوب"، نشره سنة (1988)، ثم يأتي د، عبد زياب العجيلي، صاحب "الحاسوب واللغة العربية"، نشره سنة (1996)، ثم يأتي نهاد الموسى صاحب: "العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، نشره سنة 2000.

ب/الجزائر: عبد الرحمن الحاج صالح<sup>1</sup> (1927-؟) هو من أبرز اللسانيين الخَلَص في المغرب العربي، وهو رجل مقلّ في كتابته اللسانية، تتمثل جهوده في خدمة التجربة اللسانية في الجزائر، أنه أنشأ معهدا كبيرا للعلوم اللسانية والصوتية، وجهزه بأحدث الأجهزة بمعية مجلّة اللسانيات، وهذا بمساعدة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي (وزير التربية آنذاك)، بدأ البحث العلمي الجاد في اللغة والعربية منذ أن عين رئيسا لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات في سنة (1964)، وأخرج تلك النظرية التي الموسومة ب: "النظرية الخليلية الحديثة"، وهي التي نال بها دكتوراه دولة من جامعة السربون سنة (1979)، وبعد 20 سنة من العمل الجاد، نسف هذا المعهد العلمي العالمي نسفا بيروقراطيا من طرف سياسيين وأساتذة بحجة إعادة هيكلة المؤسسات التعليمية، وهذا الإلغاء الذي كان جريمة لا تغتفر في تاريخ اللغة العربية في الجزائر .

وهذه العشرين سنة تعد أول تجربة لسانية أولى في الجزائر ، والتي فيها شرع في ترجمة كتاب دي سوسير في بداية السبعينيات بحيث "نشر فقرات مترجمة من كتاب دي سوسير في بحث له بعنوان "مدخل إلى علم اللسان الحديث"، في مجلة "اللسانيات" التي تصدرها جامعة الجزائر، ع 1، سنة 1972<sup>2</sup>. والذي يعضد هذا الرأي، الدكتور مالك يوسف المطلي المراجع لترجمة محاضرات سوسير،

<sup>1</sup> لا أظنّ أن باحثا مطلقا على تاريخ علماء اللغة الجزائريين يخالفني إذا قلت إني أرى عبد الرحمن الحاج صالح هو اللساني الجزائري الذي يعوّض ثمانية قرون على التقريب من الفراغ العلمي في اللغة والنحو في الجزائر منذ عهد ابن معطي الزواوي النحوي الأمازيغي الذي عاش في مدينة بجاية وتوفي في مصر (سنة: 628هـ)، وهو أول من نظم ألفية في علم النحو، التي اعترف بفضلها وسبقها، "سيبويه الثاني ابن مالك" (ت: 672هـ)، يقول في خطبة ألفتها:

وتقتضي رضى بغير سُخْطٍ \*\*\* فائقة أَلْفِيَّةِ ابْنِ مُعْطٍ

وَهُوَ بِسَبْقِ حَائِزٌ تَفْضِيلاً \*\*\* مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلَا

<sup>2</sup> انظر في الهامش: البحث عن فردينان دو سوسير، لميشال أرفيه، ترجمة: أ.د: محمد خير البقاعي، مراجعة: نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1/ 2009، ص: 10.

التي أعدها يوثيل يوسف عزيز، وقد سبق ذكره، قال: "ذكر عبد الرحمن الحاج صالح في مجلة اللسانيات في أوائل العقد السابع، أنه يعكف على إعداد الترجمة الكاملة لمحاضرات دي سوسير في علم اللغة العام." <sup>1</sup> غير أن حوائل حالت بينه وبين هذا العمل اللساني النهضوي.

لم يؤلف الحاج صالح كتباً مستقلة في اللسانيات، وإنما كان رجلاً مقلاً له أبحاث لسانية مركزة في قضايا معدودة ينشرها حسب اقتناعه بما يكتب، ومن أوائل البحوث التي نشرها، "النحو العربي ومنطق أرسطو"، في سنة (1964)، وهذا المقال من أنفس ما كتب حول أصالة النحو العربي المفترى عليه، فلقد فند فيه شبهات المستشرق أدلبرتوس ميركس - وغيره - الذي زعم سنة (1889) أن النحو العربي مؤسس وفق منطق أرسطو، وأثبت أن النحو العربي أصيلاً في قرونه الأربعة الأولى. وبعدها استوت مجلة اللسانيات لمعهد العلوم اللسانية الصوتية، طفق الحاج صالح ينشر ما كان يراه يخدم فكرته حول النظرية الخليلية، ومن هذه المنشورات:

- مدخل إلى علم اللسان الحديث: أربع مقالات نشرها ما بين: (1971-1973).

- اللغة العربية: طرق تكيفها ومناهج تعليمها، نشره سنة (1971).

- مشاكل تطوير اللغة العربية وكيفية علاجها، نشره سنة (1976).

وبعدما نال درجة الدكتوراه سنة (1979)، من جامعة السربون، اختمرت أفكاره وتوسّعت مداركه،

استقلّ منهجه لفكرة أعظم وأجل وهي ثمرة النظرية الخليلية الحديثة، وهو مشروع الذخيرة اللغوية العربية،

<sup>1</sup> علم اللغة العام، لفردينان دي سوسيرترجمة: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د، مالك يوسف المطلي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985، ص: 14.

أو قوقل العربي الذي تجاوز فيه الحاج صالح الطرح الإقليمي إلى الطرح القومي ليصبح حديث المؤتمرات العلمية والمجالس الرسمية للغة العربية. وأول بحث لهذا المشروع القومي، هو "مشروع الذخيرة اللغوية العربية"، نشر في مجلة المجمع الأردني سنة (1986)، وقد نشر هذا البحث مرات مع بحوث أخرى له إلا أن رحّب به اتحاد الجامعات العربية سنة 1998، وأخير تبناه المجلس الوزاري بجامعة الدول العربية رسميا سنة 2004.<sup>1</sup> ولا أظنّ أنّ هذا المشروع في المجلس الوزاري في أيد أمينة، ونحن اليوم في سنة (2014)، بمعنى بعد مرور عشر سنين ولا يزال المشروع مجرد تنظير، المهم أنه قد رمى به في المستنقع السياسي وهو شيخ طاعن في السنّ، قد دلف إلى التسعين، ولا أقول لا أظنّه ينجح، وإنما أقول ليس لدينا باحثين بمستوى هذا المشروع القومي.<sup>2</sup>

**السؤال المطروح:** هل لنا لسانيّ جزائريّ مختصّ متمركز حول موضوع ما في اللسانيات بعد عبد الرحمن

الحاج صالح؟ الإجابة: نعم؛ يوجد هناك لسانيون ليسوا بالقليل في الجزائر بعد الحاج صالح.

أما وجود لسانيين مختصين متمركزين حول موضوع لساني محدد، نحسبه الدكتور عبد الجبار تومة من ولاية الأغواط (الجزائر)، عُرفَ عن الرجل أنه لسانيّ متمكّن له دراية واسعة بالتراث النحوي العربي القديم، وعلم باللسانيات الحديثة وخاصة منها الوظيفية، التي أهلتته أن يكون له مواقف علمية مع تمام

<sup>1</sup> انظر في الهامش: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: د، عبد الرحمن الحاج صالح، ج1، ص: 395.

<sup>2</sup> ثمّ إن هناك حقيقة في شخص عبد الرحمن الحاج صالح معروفة عنه وهي الصرامة التي لا تطاق، وهذا ما نقرّ تلاميذه منه، بمعنى إذا كان الحاج صالح قد ترك علما فإنه لم يترك طلابا أكفاء يرثوا هذا العلم ويزيدوا في صناعته، وهذه حقيقة مشاهدة فكلما سألتنا تلاميذه الذين كان يدرّسهم لا ينفقون عليه الشكر إلا وهم كارهون، لماذا لأنه رجل أوتي علم اللسانيات ولكنه لم يؤتي سياسته ليورثه لطلابيه، وقد ضنّ به عليهم، لدرجة أنّنا لا نجد طالبا واحدا من الطلاب الذين درّسهم في مسيرة نصف قرن يحمل همّ قضية لسانية مثلما يحملها هو، هذا حدّ معرفتي بهذا اللساني الجزائري، وربما يكون هذا الذي ذكرت كله غلط، وقد يكون سبب آخر في عميق نفسه لا يعرفه إلا من خالط بشاشته، أما الأمر الذي لا شكّ فيه أنه لساني مخلصّ سمحّ وفيّ للغة العربية.

حسان في مذهبه النحوي. كانت رسالته في الماجستير من جامعة حلب سنة 1986، بإشراف مصطفى جطل، موسومة بـ: "الفعل في القرآن الكريم" وهي رسالة مطولة تقع في: 521 صفحة. كانت رسالته في الدكتوراه موسومة بـ: "القرائن المعنوية في النحو العربي" من جامعة الجزائر كانت سنة 1995، بحيث تقع في: 497 صفحة، كانت بإشراف: فرحات عياش، وكان صالح بلعيد أحد مناقشيها، والحاج صالح كان رئيسا لهذه اللجنة لكنه لم يجزها، لأنها تحوي أفكارا نحوية نارية تناول فيها على علماء العربية قديما.

ولست أدري من أجازها بعد الحاج صالح، ولكن بعد مناقشتها مباشرة انتسب إلى جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وهم يلقّبونه بـ: سيويه الجزائر، هكذا هي حال الخمائر العلمية المغربية وخاصة منها الجزائرية التي أبت أن تشرق إلا في المشرق. ولا يفوتني أن أشير إلى نعمان بوقرة<sup>1</sup> الذي انتسب إلى جامعة الملك سعود الرياض منذ سنوات. وهو لساني جادّ مشغول بموم القضية اللسانية العربية الحديثة، ومصطفى حركات<sup>2</sup>، وأحمد حساني، وربما تكون هناك أسماء شخصيات لسانية مغمورة لم أذكرها، ليس تجاهلا مني، وإنما هذا هو حدّ معرفتي بالطاقات اللغوية بعد الحاج صالح.

<sup>1</sup> أستاذ بجامعة عنابة، من أشهر كتبه: "الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية"، و"المدارس اللسانية المعاصرة"، و"اللسانيات: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة"،... الخ، عنوان رسالة الدكتوراه: التفكير اللساني عند ابن حزم"، جامعة الجزائر سنة 2005.

<sup>2</sup> مصطفى حركات لساني وعروضي صاحب عقلية رياضية متميزة، وهو يدرس في الجزائر العاصمة من أهم كتبه "نظرية الإيقاع"، نشره سنة 2008، الذي يعد ابتكارا لسانيا جميلا خدم به الصوتيات العربية، يقول: ولو تأملنا مفهوم الإيقاع لرأيناه مرتبطا بالزمن، والمادة العلمية التي تستعمل الزمن بصفة أساسية هي علم الحركة، وعلم الحركة يربط بين الزمن والمسافة، فالجسم الذي يتحرك في الفضاء له مسار معين، وموقعه متعلق بالزمن، وتحديد سرعته يقتضي معرفة المسافة والزمن، والتسارع له معادلة مبنية على المسافة والزمن، أما الإيقاع فإنه مرتبط بالزمن وحده لا يستعمل الفضاء أو المسافة. القلب الذي يدق لا يقطع أي مسافة والنفس الذي يدخل الرئتين لا تهمنا منه إلا علاقته بالزمن، وكذلك الشأن بالنسبة لتعاقب الليل والنهار، وتوالي الفصول، ودقات الطبول في الموسيقى، وتوالي السواكن والحركات في الشعر." انظر الرابط التالي: <http://ar.wikipedia.org> (الإيقاع)، تاريخ الاقتباس: 2015/04/19.

ج/ تونس: صالح القرمادي (1933-1982) لغوي وأديب تونسي، كان له أثر كبير على الحركة

اللسانية في تونس، لولا أن اخترتمته المنية فجأة، ومن أشهر بحوثه المنشورة التي ساهمت في حراك الفكر

اللغوي الحديث مايلي:

- مشاكل الإمكانيات اللغوية لتطوير العربية، نشره سنة (1960).

- دور الألسنية في التعريب، نشره سنة (1975).

- الترجمة من حيث هي عام هام من عوامل العدوى اللغوية، نشره سنة (1976).

- دراسة في الحقلين الدالين لكلمتي عين و"oeil" الفرنسية، نشره سنة (1981).<sup>1</sup>

أم أشهر الكتب التي ترجمها "دروس في علم الأصوات العربية": لجان كانتينو، نشره سنة

1966، وفي هذا الكتاب ظهر مصطلح الألسنية الذي وظّفه قاصدا به علم اللهجات.<sup>2</sup> وليس ذلك

العلم الذي يدرس اللغة بطريقة علمية. أما الترجمة التونسية التي كان يشرف عليها لكتاب سوسير، منذ

سنة 1975، المسماة بـ: "دروس في الألسنية العامة"، لـ: محمد الشاوش، ومحمد عجينة، ولكنها نشرت

بعد وفاته بثلاث سنوات في أواسط عام 1985م. ولقد قال فيها د، حمزة المزيبي "أن الترجمة التونسية هي

التي يجب اعتبارها وأن يتدارك ما فيها من نقص".<sup>3</sup> أما د، عز الدين مجدوب فقال فيها: "قد توفر فيها

من الإتقان ما يجعلها حدثا علميا في تاريخ اللسانيات العربية، وهي إذا قدر لها الرواج الذي تستحق،

<sup>1</sup> انظر: مراجع اللسانيات: د، عبد السلام المسدي، دار العربية للكتاب، 1989، ص: 140، 141.

<sup>2</sup> انظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: د، فاطمة الهاشمي بكوش، ايتراك للنشر، القاهرة، ط1، 2004، ص: 20.

<sup>3</sup> مرجعات لسانية: د، حمزة بن قبالان المزيبي، ج2، سلسلة كتاب الرياض، العدد79، يونيو2000، ص: 125.

تقرب بحق فكر دي سوسير إلى القارئ العربي وتجعله ماثلا بين يديه بدون واسطة.<sup>1</sup> وهذه شهادة إحصائيين في هذه الترجمة التي كان يشرف عليها منذ سنة (1975)، والإشراف على هذه المدونة اللسانية المهمة لترجمتها، دليل على أستاذيته وتمكنه في تطويع مجال المصطلح اللساني وإيجاد المقابل اللغوي العربي له.

كما أن صالح القرمادي قد عزم وهو مشرف على ترجمة كتاب سوسير، أن يترجم كتاب أندري مارتنيه (1908-1999) اللساني الفرنسي صاحب كتاب: "مبادئ في اللسانيات العامة"، الذي ظهر سنة (1960) لكنه قضى نخبه في الحياة سنة (1982) ولم يتحقق ما عزم عليه، لأنه كان يدرك تمام ماذا يعني كتاب: "éléments de linguistique générale"، الذي "يحلّ في المرتبة الثانية بعد الدروس ل سوسير."<sup>2</sup> أما بعد صالح القرمادي فنجد مجموعة كبيرة من اللسانيين التونسيين من بينهم عبد القادر المهيري، رشاد الحمزاوي حمادي صمود، والطيب البكوش، وعزالدين المجذوب، وعبد السلام المسدي ، وغيرهم وكلهم قد جدّوا وسدّوا.

ولا ننسى صلاح الدين الشّريف صاحب أطروحة دكتوراه "الشرط والإنشاء النحويّ للكون: بحث في الأسس البسيطة المولّدة للأبنية والدلالات" في جزأين، نشرت سنة 2002. وهي دراسة مجهدة ومعقدة لا يفهمها إلا اللسانيون النخب أو ربما نخب النخب الذين له اطلاع واسع ودقيق على التراث اللساني العربي والدرس اللساني الغربي.

<sup>1</sup> انظر: ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير، ص: 204.

<sup>2</sup> وظيفة الألسن وديناميتها: أندريه مارتينه، ترجمة نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص: 20.

### أهم الكتب اللسانية المترجمة التي ساهمت في إخصاب التجربة اللغوية العربية الحديثة:

لا يخفى على أيّ مثقف ما للترجمة من دور في حوار الحضارات وبناء الهويات وتشكيل الثقافات وتفعيلها، ولقد مرّت التجربة اللسانية الأولى عند العرب في باب الترجمة بسنين عجاف، وأبرز شاهد على هذا، تأخر العرب بترجمة كتاب فردينان دي سوسير الذي تأخرت ترجمته عند العرب بسبعين سنة، في أواخر سنة (1984)، وهو أهم كتاب في اللسانيات على الإطلاق، والشيء المؤسف له حقا أن هناك العشرات الكتب التي ترجمت قبله مثل:

- 1) اللغة بين الفرد والمجتمع: لجسبرسن، ترجمه: عبد الرحمن أيوب، مصر، 1954.
- 2) اللغة في المجتمع: للويس، ترجمه: تمام حسان، وراجعه: إبراهيم أنيس، مصر، 1959.
- 3) دروس في علم الأصوات العربية: لكانتينو، ترجمه: صالح القرماضي، تونس، 1966.
- 4) العربية الفصحى: هنري فليش، ترجمه: عبد الصبور شاهين، بيروت، 1966.
- 5) البنيوية: لجان بياجيه، ترجمه: عارف منيمنة وبشير أوبري، بيروت، 1971.
- 6) أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمه: أحمد مختار عمر، ليبيا، 1972.
- 7) تاريخ علم اللغة حتى القرن 20: لجورج موانان، ترجمه: بدر الدين القاسم، دمشق، 1972.
- 8) الأثروبولوجيا البنوية: كلود ليفي ستراوس، محمد صالح، دمشق، 1977.
- 9) مفاتيح الألسنية: لجورج موانان، ترجمه: الطيب البكوش، تونس، 1981.<sup>1</sup>

وهذا قليل من كثير، فالذي ترجم قبل كتاب الدروس ل: سوسير، نيّف على حدّ الثلاثين كتابا لسانيا.

<sup>1</sup> انظر: علم اللغة: د، حاتم صالح الضّامن، مطبعة التعليم العالي، الموصل، العراق، (د، ت)، (د، ط)، ص 27، 28، 29.



من أوائل الرسائل التي ترجمها العرب "منهج البحث في اللغة" لأنطوان ماييه: وهو مقال مطوّل ترجمه محمد مندور، للعالم الفرنسي أنطوان ماييه، باسم "منهج البحث في علم اللسان"، ثم نشر هذا المقال، مع مقال آخر كان قد ترجمه في نفس الوقت تقريبا لمؤرخ الأدب الفرنسي لانسون موضوعه "منهج البحث في الأدب"، وتم نشر هذان المقالان مترجمين للعربية سنة (1946).

والذي حمل محمد مندور على هذه التجربة الوحيدة المبكرة من دون أي دافع مؤسّساتيّ أنه كان يرى "أن الدراسات اللغوية في الغرب قد تطوّرت وازداد الاهتمام باللهجات الحديثة التي نسميها عامية ونظن أنها لا تطرد على قاعدة ولا تستند إلى نحو، ومنهج الأستاذ ماييه خليق أن يبدد من العقول هذا الوهم، وأن يفتح للدراسات مجالات لم تكن تخطر لنا ببال".<sup>1</sup>

أما الدراسات العربية في مطلع الأربعينيات وما قبله، فقد نالت منه الشيخوخة التقليدية حظّها، فيقول: "لا تزال أبحاثنا تقوم على المنطق المجرد، أو التأكيدات المسرفة، ولا تزال مسألة الصحة والخطأ محور مجادلتنا اللغوية".<sup>2</sup> وهذا طبعا حسب رأيه.

لقد أحسن د، محمد مندور في اختيار الرسالة التي تساهم في إحصاب التجربة اللغوية عند المحدثين العرب، فاختار بذلك أنطوان ماييه صاحب هذه الرسالة اللسانية التي تكاد أن تكون نسخة موجزة من فكر سوسير الذي بثّه في "الدروس"، وخاصة أنه كان من تلامذته المقربين.

<sup>1</sup> انظر: النقد المنهجي عند العرب: د، محمد مندور، درا نفضة، مصر، 1996، ص: 393، 394.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 394.

وفي هذه الرسالة قدم د، مندور ترجمة موفقة لمصطلحين هامين من مصطلحات علم الأصوات هما مصطلح الصائت "vowel" ومصطلح الصامت "consonat"، الذين قدر لهما أن يشيعا بعد ذلك في المؤلفات العربية في علم اللغة.<sup>1</sup>

رغم أن الترجمة عملية جدّ صعبة حسب كل الاحصائيين، لأنه ليس معنى الترجمة النقل الحرفي، أو المقابل اللغوي، أو المعادل الموضوعي، وإنما الأمر يتعلق بكيفية صياغة الفكرة، والوصول إلى روح النص، فقد تجاوز محمد مندور عقبات الترجمة، بدليل أنّ الذين اطلعوا على رسالته لم يبدوا أيّ مغمز فيها، ثمّ إنّ المطّلع على الرسالة المترجمة يجد أنّها قد رسمت الخطوط العريضة لموضوع الفكر اللساني الحديث، وذلك أنّها أعطت مجموعة من المفاهيم اللسانية، مثلا من حيث معنى أن اللغة ظاهرة إجتماعية، والفرق بين الدراسة التاريخية للغة والدراسة الوصفية لها، وكالفرق بين اللغة واللهجة، وبين الكلام المنطوق والكلام المكتوب، إلى غير ذلك من القضايا.

يرى د، نعمان بوقرة في رسالة "منهج البحث في اللغة" لماييه، التي ترجمها محمد مندور، بأن ترجمتها: "في هذا التاريخ (1946) هو تهيئة ذهنية لمرحلة أخرى أكثر جدية تمثل آراء ومحاضرات دي سوسير."<sup>2</sup> وهي تقع في 36 صفحة، ومن هنا نستطيع أن نقول أن الفكر الذي سوسيري أول ما دخل إلى الثقافة العربية كان عبر ناقد أدبي وليس عبر مختصّ لساني.

<sup>1</sup> انظر: العربية وعلم اللغة البنيوي - دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث -، ص: 164.

<sup>2</sup> انظر: الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، ص: 30.

اللغة، لجوزيف فنندريس<sup>1</sup> (1875-1960)

إن كتاب اللغة لفنندريس يعالج "تعريف اللغات وأنواع اللغات المختلفة وطرق تكون اللغات

وتطورها وانشعابها بعضها من بعض، وتداخل اللغات والأثر الذي تحدثه بعضها في بعض، وأخيرا القرابة

اللغوية."<sup>2</sup> ورأى أنّ القدرة على الانتشار التي نشاهدها في بعض اللغات الهندية الأوربية أو السامية

كاللغة العربية مثلاً ترجع بلا شك إلى أسباب معقدة، ولكن القيمة الذاتية للغة لها في ذلك نصيب.

وأهم فكرة أعجبتني في هذا الكتاب تعريف فنندريس للغة، فقال بأنها: "مركب معقد تمس فروعاً من

المعرفة مختلفة وتعنى بها طوائف مختلفة من العلماء. فهي فعل فيسيولوجي من حيث أنها تدفع عدداً من أعضاء

الجسم الإنساني إلى العمل؛ وهي فعل نفساني من حيث أنها تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل، وهي فعل

اجتماعي، من حيث أنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الإنسان. ثم هي في النهاية حقيقة تاريخية لا وراء

فيها."<sup>3</sup> ومن هنا فلا مجال للبحث في من قضية نشأة اللغة التي يراها ليست من صلاحيات الباحث

اللغوي فهي مسألة سيكولوجية انفعالية، مفتقرة دائماً إلى الأدلة التاريخية، لهذه الموهبة الإنسانية.

<sup>1</sup> هو تلميذ أنطون ماييه-، تاريخ نشره أول مرة بلغته الأصل الفرنسية كان سنة ( 1920)، وهو كتاب لساني قيم ترجمه: محمد القصاص وهو مدرس بكلية الآداب بجامعة عين الشمس، وعبد الحميد الدواخلي وهو أستاذ بدار العلوم ، نشره عام (1950). يقول جوزيف فنندريس: "الأستاذ ماييه هو الذي أوحى إليّ بعمل هذا الكتاب، وخاصة أنه أخذ عليّ عاتقه عبء قراءة المخطوط وناقش المؤلف في أكثر من مسألة من بين المسائل التي عالجها، وكذلك راجع المخطوط جيل بلوك وأفاد فنندريس بملاحظات مهمة." ولعل هذا سبب تأخر طبعه في النسخة الفرنسية سنة 1920، وقد أتم إنجازها سنة 1914، فهو نتيجة مناقشات ومحاورات مع زملائه الأساتذة الذين كانوا أعضاء في الجمعية اللغوية في باريس، وهم ديلافس، ودبني، وجود فروا، وإيزيدور، وليفري بريل، وهنري جريان وغيرهم. انظر: اللغة: جوزيف فنندريس، ترجمه: محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط 1، 1950، ص:25.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:25، وص:425.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص:هـ.

ويقول هنري جريان وهو من زملاء فندريس الذين أسدوا ملاحظات خدمة لكتابه، "الأمر الذي اضطلع الأستاذ ببيانه، والذي أبانه في قوة وبراهين بيّنة تدعو إلى الإعجاب، هو كيف أن اللغة نشأت من الحياة، وكيف أن الحياة راحت تغذيها بعد أن خلقتها."<sup>1</sup>

من خلال هذا نستنتج أن اللغة أصوات وهذه الأصوات تحكمها قوانين صرفية ونحوية ومعجمية، وهذا لكي تصبح هذه الأصوات وعاءاً لعلم الإنسان ومشاعره، وهذا العلم هو الفكر الذي تحكمه قوانين عقلية ونفسية واجتماعية وثقافية ودينية، ومن هنا لا نستطيع الفصل بين اللغة والفكر البتة، فعمق اللغة من عمق الفكر الممتزجة به جاذبيا وديناميا.

بل إن الإنسان في عالمه الداخلي لا يزال كائنا مجهولا رغم تطوّر العلم اليوم، وعندما نقرأ كتاب الجراح الأمريكي ألكسس كاريل "الإنسان ذلك المجهول"<sup>2</sup> الذي نشره سنة 1935 يثبت بأدلة قاطعة على غموض عوالم الإنسان، وقد اقترح في نهاية دراسته إنشاء علم جديد سماه "علم الإنسان".

لقد استفادت الثقافة العربية كثيرا من كتاب اللغة لفندريس، وذلك أنه يحمل أفكار علمية تخدم العربية وخاصة أنها تتمتع بالضبط والدقة وذلك لأنّ صاحبه كان لسانيا متخصصا أكاديميا، وكتاب اللغة لفندريس ظهر بعد كتاب سوسير بسبع سنوات سنة 1920، وترجم إلى العربية سنة 1950.

<sup>1</sup> اللغة: لجوزيف فندريس، ص:3.

<sup>2</sup> لقد نشر الفيلسوف السوري عادل العوا كتابا سماه "الإنسان ذلك المعلوم." سنة 1977، وكأنه يرد فيه على كتاب "كاريل"، عاج فيه الإنسان من منظور قرآني ورأى فيه أن الخالق الذي خلق الإنسان وأحاط علما بمكوناته ووظائفه وصلاحيته وكيفية صيانه إذا أصابه العطب. قال تعالى: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"، وكما تعرض فيه لطبيعة الضعف الإنساني، ورآه ضعف حتمي يتوافق مع نمو الإنسان وتدرج علاقاته بما حوله من كائنات، وكما أوضح قيمة الإنسان وكرامته ورسالته التي اختصه الله بها. إلا أنّ ألكسيس كاريل كان أكثر علمية منه في توصيف سلوك الإنسان.

## كتاب البنى النحوية:<sup>1</sup> لناعوم تشومسكي (1928-مازال حيًّا؟)

قبل أن يترجم كان قد ذاع صيت هذا الكتاب ، وشاعت أفكاره وطارت كل مطار خاصة في ساحات الثقافة العربية، لأنّ أغلب اللسانيين الأوائل وخاصة في مصر كانوا يحسنون اللغة الإنجليزية ، ثم لأنه يقاسم الفكر النحوي العربي القديم في قضية العامل.

إنّ سنة 1957، تمثل تاريخ نشر كتاب البنى النحوية الدستور الأول للنظرية التحويلية، وأحدثت هذه النظرية ثورة في الدراسات اللغوية في أمريكا وأروبا وأتت بمفاهيم لغوية جديدة منها أن نظام القواعد هو قدرة المرء على الاستعمال غير المحدود لوسائل المحدودة، والاهتمام بالصفات العامة المشتركة في اللغات بدلا من التأكيد على الفروق بين اللغات، كما تفعل المدرسة البنيوية ، وكذلك تهتم بالقدرة العقلية التي تكمن وراء الكلام ويسميتها القدرة competence ويميزها عن المظهر الخارجي للكلام ويسمى هذا المظهر "بالإنجاز" performance<sup>2</sup>.

وفي السنة التي ظهر فيها كتاب البنى النحوية سنة (1957)، ظهر كتاب " دراسات نقدية في النحو العربي " لعبد الرحمن أيوب، وهو كتاب مبني على الوصفية الشكلية الأمريكية عند بلومفيلد وهاريس، بحيث انتقد النحو العربي، أما تشومسكي فقد رفض منهج بلومفيلد "وعده لونا من التعامل مع سطح اللغة دون عمقها، وسعى لإقامة نظريته على أساس أن اللغة عمل عقلي يتميز به الإنسان عن الحيوان، ومن ثم فإن الهدف الأساسي للنظرية اللغوية هو دراسة هذا الجانب العقلي من الإنسان

<sup>1</sup> الكتاب في الأصل هو أوراق الدروس التي كان يلقيها بمعهد مساشيوسيت التكنولوجي فأشار عليه موريس بنشرها سنة 1957.

<sup>2</sup> البنى النحوية، ص:5.

والكشف عن قدراته اللغوية.<sup>1</sup> " وإن كان دراسة الجانب العقلي في اللغة لا يفضي إلى نتيجة بيّنة

ومكشوفة، لأن المناهج اللسانية مما تطورت لا تستطيع أن تعرف كيفية تفكير العقل.

لقد أعاد تشومسكي الاعتبار لقضية المعنى في العالم الغربي والعالم العربي الذي رفضه الوصفيون

"لأن النحو عند التحويليين يربط بين البنية العميقة للجملة والأداء السطحي لها، الذي يتمثل في الأداء

الصوتي، أما البنية العميقة فتتمثل الناحية الإدراكية التركيبية في اللغة، ودراسة هذه البنية تحتاج إلى فهم

العلاقات داخلها، باعتبارها علاقات تصويرية وإدراكية يلعب العقل الإنساني فيها دورا واضحا.<sup>2</sup> فالنحو

العربي كان صورة للمناخ الفكري العام في الحياة الإسلامية، وإن هذا المناخ قد زوّده بالإتجاه النقلي

الذي أفضي إلى منهج وصفي واضح، وزوّده بالإتجاه العقلي الذي أدى به إلى تفسير الظاهر العربية

تفسيرا عقليا، والنحو العربي بهذين المنهجين استطاع أن يثبت صلاحيته في فهم العربية<sup>3</sup>، فالنحو العربي

علم قد ازدوج فيه العقل والنقل.

ثم إن قضية إسقاط المعنى من الدراسة الوصفية لا تصلح، لأن النحو العربي أول ما نشأ ليس لحفظ

القرآن الكريم من اللحن فحسب، وإنما جاء لفهمه "الدوافع دينية وتشريعية، ومن هنا اكتسب المستوى

الدلالي أو المعنى أهمية فائقة، لأن وصف الظواهر اللغوية كما هي من حيث الشكل والوظيفة والتوزيع لا

يفسر شيئا ولا يؤدي إلى شيء لأنه يغفل عن أهم وظيفة للغة وهي الاتصال ونقل المعنى.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> انظر: العربية و علم اللغة البنيوي، ص: 179.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 179، 180.

<sup>3</sup> انظر: مقالات عبده الراجحي، إعداد: د، سمير حامد، ومحمود الجيار، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 2011، ص: 16.

<sup>4</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 179.

مبادئ في اللسانيات العامة، لأندري مارتينه (1908-1999).

نستطيع أن نقول كتاب المبادئ لمارتينه أول كتاب أوضح وأفهم مفهوم اللسانيات في أوروبا، وقد

صدر أول مرة سنة (1960)<sup>1</sup> بلغته الأصل الفرنسية، بل قد "اعتبر على مدى عقود خمسة ألقاب

اللسانيات العامة وكتابها الأوحده غير المقدس. فقد بسّط مارتينه من خلال فصول ستة هذا العلم

المستجد، بلغة سهلة ومبينة.<sup>2</sup> "إذا فكتاب "المبادئ" كتاب ذو خطاب لساني تمهيدّي تأسيسيّ، وقد

ترجم إلى أكثر من سبعة عشر لسانا. بمعنى أنه ترجم أكثر من كتاب الدروس لدي سوسير.

أما ترجمته للعربية، فقد تولى ترجمته: أحمد الحموي، بإشراف: عبد الرحمن الحاج صالح وفهد عكام،

سنة (1984)، ثم ترجمه د، رمون رزق الله سنة (1990)، ثم ترجمه د، سعدي الزبير للمرة الثالثة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> لم أتعرض في هذا المدخل لكتاب "الدروس" لسوسير، لأني نشرت عنه بحثا بعنوان: كيف تعرّف اللغويون العرب على فردينان دي سوسير؟ ولقد قلت في هذا المقال: لو ترجم كتاب فردينان دي سوسير على الأقل في تاريخ الذي ترجم فيه كتاب "اللغة" لجوزيف فندريس، عندما نقله: محمد القصاص، وعبد الحميد الدواخلي إلى العربية، ونشره سنة (1950)، لكانت جل أرحل الباحثين العرب في ميدان اللغة والأدب قد وضعت في الركاب، في الوقت المناسب!؟ ولو ترجم هذا الكتاب هذه التراجم الخمس العربية على قصورها في الوقت الذي ترجم فيه إلى اليابانية سنة (1928) كأول ترجمة في العالم، لكانت هذه الترجمة بالنسبة للثقافة العربية لحظة أرخميدس. عندها لا يتحيف جيل البحاثة اللسانيين الأوائل الطريق الموصل إلى شاطئ الأمان، ولاختصرت المسافات ونيلت المقاصد والمهمات في وقتها الموعود مع التاريخ، فلما تأخرت الثقافة العربية في ترجمة الكتاب سبعين سنة -الذي خرج من الهدوء العلمي الذي عاشه هذا الرجل- دفعنا ضريبة هذا التأخر بأن حدث لنا إشكالا في تلقي اللسانيات واعتبارها "ترفا فكريا"، كما يرى حافظ اسماعيلي علوي.<sup>2</sup> وظيفة الألسن وديناميتها، ص: 18.

<sup>3</sup> يقول د، سعدي الزبير في سبب ترجمته لكتاب "المبادئ" لمارتينه للمرة الثالثة: "إن الأفكار النيرة كالحقائق العلمية لا يؤثر عليها الزمن ولا ينقص من قيمتها حتى وإن ظهرت أفكار أخرى بعدها تكشف عن جانب آخر مغفل وتبين مكوناته وتبين فوائده فعلم اللسان متعددة جوانبه معقد تركيبه، والعلماء يعملون كل على شاكلته ينظرون إليه من زوايا مختلفة لمعرفة مكوناته وسبر أغواره، وما آراؤهم ونظرياتهم إلا كجذور شجرة كلما ازدادت عمقا في الأرض صلب جذعها وأينعت أوراقها وكثرت ثمارها مبادئ في اللسانيات العامة: أندري مارتينه، ترجمة: د، سعدي الزبير، دار الآفاق، الجزائر، ص: 7.

ومهما يكن، يبقى كتاب المبادئ: "نصًا مرجعيا لا يمكن تفاديه أو التغاضي عن وجوده لكل من يرغب في الاطلاع على اللسانيات، أو التعميق معارفه في الطريقة التي تشتغل فيها اللغات." <sup>1</sup> وقد طبع أربعة مرات في لغته الفرنسية الأصل، الأولى كانت سنة (1960)، الثانية سنة (1970)، الثالثة سنة (1980)، الرابعة سنة (2008).

أما الجانب السلبي في هذا الكتاب فإنّ أندري مارتينه كشف عن بواطنه ووقف من العربية موقفا تحيّرًا غير علمي، وذلك عندما يقول: "ربما تكون اللغة قبل كل شيء، لغة تقليدية، أدبية، أو مقدسة ثم تكون سيئة التأقلم بحيث لا تلي مجموع الحاجات المنوعة للأمة، كما هو الحال بالنسبة للغة العربية "الكلاسيكية" في البلدان الإسلامية"<sup>2</sup>.

ولقد أحسن د، منذر عياشي في الردّ عليه عندما رأى بأنّ "مارتينه" يعتبر من بين اللسانيين الغربيين الذين درسوا اللغات الشرقية فعثروا في بعض جهات الهند على لغات خاصة بالشعائر الدينية، فوقفوا عند هذا الحد من الملاحظة، وصنف مارتينه العربية في عداد هذه اللغات، ولكنه نسي أو تناسى أن العربية سابقة على نزول القرآن، وأن العرب يستخدمونها كأداة لاتصال بينهم في حياتهم اليومية والأدبية والعلمية وفي مساجلاتهم الفكرية، وأن المكتبات تعج بملايين الكتب العربية، وأن المطابع لا تزال تطبع يوميا أعدادا كبيرة منها في كل مجالات العلم.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> وظيفة الألسن وديناميتها، ص: 18، 19.

<sup>2</sup> André martinet : élément de linguistique générale, P155

<sup>3</sup> انظر التفصيل: قضايا لسانية وحضارية: د، منذر عياشي، دار طلاس، للدراسات والترجمة والنشر، 1991، ص: 27.



دور الاستشراق اللغوي بحديه السلبي والإيجابي في تفعيل التجربة اللسانية عند العرب:

لقد نشأ الاستشراق رسمياً كما يؤرخ له في الغرب المسيحي ، بصدور قرار مجمع فينّا الكنسي عام (1312م) بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامانكا.<sup>1</sup>

ولقد تباينت رؤى وأنظار الدارسين في النظر إلى أهداف الإستشراق ومراميه، وخاصة أن الاستشراق قد أصبح موسوعة كبيرة، بل هو مدارس واتجاهات، لم يترك شيئاً عن حضارة العرب إلا أخذ حظّه من الدراسة والتفتيش فيها، وخاصة علوم العربية، بل إن مدخل الاستشراق الأهم هو علوم العربية، ولهذا كانت الصلة قوية بين الاستشراق والعربية.

من أكبر الدوافع؛ التي جعلت أوروبا تبطل عمل السلاح حادثة سقوط القسطنطينية عاصمة المسيحية سنة 1453م، على يد محمد الفاتح الذي دخلها بالتكبير والتهليل والآذان، عندها اهتزّ العالم الأوروبي كله هزّة عنيفة ممزوجة بالخزي والخوف والرعب والغضب والحقد. ولكن قارن ذلك إصرار مستميت على دفع هذا الخزي، ومن يومئذ، بدأت أوروبا تتغيّر من المواجهة العسكرية إلى المواجهة السلمية بتعرف على علوم المسلمين ولغتهم ونواياهم.<sup>2</sup> لأن هذا الكيان الأوروبي قد أدرك جيّداً معنى المواجهة العسكرية التي تحمّروا لها جميع أنوف العرب.

<sup>1</sup> انظر: الاستشراق: لإدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2. 1984، ص: 80.

<sup>2</sup> انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص: 36، 37.

فقضية الاستشراق أصبحت ظاهرة مفهومة الأهداف وبيّنة الأبعاد، وذلك بعد الدراسات التمحيصية بحديه الإيجابي والسلبي، ومادام أن "الحقيقة اللغوية هي الهدف، والكشف عنها هو الغاية، وما يوصل إليها هو الوسيلة، فلا ينبغي -والحال هذه- أن نرفض أمرا إلا بمقدار ما يبعثنا عن الحقيقة كما لا ينبغي أن يقرّ إلا بمقدار ما يقربنا من الحقيقة. وعلى ذلك بات لزاما أن تدرس الجهود الاستشراقية بروح هذا الأصل والمبدأ، فيؤخذ منها ويرد."<sup>1</sup>

والمستشرقون الذين اهتموا بعلوم العربية أكثر من أن يحصروا في العشرات أو المئات منذ أن تأسس علم الاستشراق سنة (1312م) فهم كثيرون جدا، وقد اهتموا بالتراث العربي وإخراجه أفرادا وجماعات. وكثيرة هي دوافعهم في الاهتمام باللغة العربية، منها دوافع السياسية والاقتصادية والتبشيرية والعلمية وغير ذلك، والأمر الذي لا يقبل الشك ما دمنا نحن عرب، يبقوا هم أجنب، وبين هذا وذاك تاريخ بدايته منذ عهد أبينا وأبيهم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام أبو الأجناس، "فالمعركة إذن، معركة حضارية، ومن مستلزماتها دراسة لغة العدو لتكون مفتاحا للدخول إليه حضاريا، أو إيقاف مدّه الحضاري والمستهدف الأول في الحرب هي الحضارة والثقافة، قبل الإنسان أو الأرض، لأن الشعوب ينذر أن تفنى أو تتبدل. أما الثقافة فقد تتبدل أو تمسخ."<sup>2</sup>

فدراسة كتب المستشرقين ينبغي أن تكون على منهج الهويني والسكون، لأننا نواجه دارسين ليسوا من أبناء اللغة والثقافة والدين، وشعور الإبن تجاه أبيه ليس كشعور الريب تجاه مربيّه.

<sup>1</sup> المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية: د، اسماعيل أحمد عمارة، ط2، 1992، دار حنين، عمان، ص:15

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:18.

كلمة لا بدّ منها، ليست في موضوعنا ولكنها تخدم موضوعنا:

ربما في هذه الكلمة مرتكزا ضوئيا يمشي فيه القارئ الكريم على جميع ما كتب في موضوع هذا

البحث، وذلك أن عالم الفكر واللغة والروح والنفس عالم جدّ معقّد ومركب، وخاصّة أنه "أمر مرتبط أشدّ الارتباط، بل متغلغل في أعماق سرّين عظيمين هما سرّ النطق وسرّ العقل اللذان تميّز بهما الإنسان من سائر ما حوله من الخلق كلّه، وتحيّرت عقول البشر في كيف جاء؟ وكيف يعملان؟ لأن الإنسان لم يشهد خلق نفسه حتى يستطيع أن يستدلّ بما شهد." <sup>1</sup>

وليس هذا مجرد رأي تستطيع أن تخالفه، بل هو حقيقة واقعية محتمّة، ف: "الثقافة واللغة متداخلتان

تداخلا لا انفكاك له، ويتراقدان ويتلاقحان بأسلوب خفيّ غامض كثير المداخل والمخارج والمسارب

ويمتزجان امتزاجا واحدا غير قابل للفصل، في كلّ جيل من البشر، وفي كلّ أمة من الأمم. ويبدأ هذا

التداخل والتراقد والتلاقح والتمازج منذ ساعة يولد فيها. <sup>2</sup>

إذن؛ فالثقافة شيء لا يمكن فصله عن اللغة، فهو أمر مغموس كل واحد منهما في الآخر،

فالثقافة "معارف كثيرة لا تحصى، متنوعة أبلغ التنوع لا يكاد يحاط بها، مطلوبة في كلّ مجتمع إنسانيّ،

للإيمان بها أولا من طريق العقل والقلب ثم للعمل بها حتى تذوب في بنية الإنسان وتجري منه مجرى الدم

لا يكاد يحسّ به، ثم للإنتماء إليها بعقله وقلبه انتماء يحفظه ويحفظها من التفكك والانهيار، وهذه

القيود الثلاثة، الإيمان والعمل والانتماء هي أعمدة الثقافة وأركانها. <sup>3</sup>

<sup>1</sup> رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص: 72.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 68، 69.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 68.

بمعنى أن الثقافة تنمو مع نمو الإنسان منذ بواكير الصبا وهو في مرحلة التلقين إلى أن يستوي رجلا سوياً عاقلاً مستقلاً بفكره، وفي هذه المرحلة تمتزج فيها الثقافة مع النفس والروح، وتشكل مع اللغة فيستبغ كل واحد منهما في الآخر، وأهم شيء في الثقافة هو الدين، وهذا الأخير هو رأسها وعمودها، وكما أنه لا يمكن الفصل بين الثقافة واللغة، كذلك لا يمكن الفصل بين الدين والثقافة، و"لا تكاد تجد أمة من خلق الله ليس لها دين بمعناه العام، كتابيا كان أو وثنيا أو بدعا."<sup>1</sup>

إذ، فالنتيجة المحتمة، أنه لا يمكن الفصل بين اللغة والدين، لأن هذا الأخير له سلطة من الخفاء بمكان "على اللغة وعلى النفس وعلى العقل جميعا."<sup>2</sup>

وإذا أردنا أن نثبت العلاقة التمازجية بين اللغة والدين بحجة قرآنية، فإن الله تعالى يقول : "فَأَقِمْ

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ

الْقَيِّمُ."<sup>3</sup> {الروم:30}، فقد بين أن الدين من الفطرة، وأن الفطرة لا تكون إلا عالية المستوى، وذلك في

قوله: "ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ"، وإن الدراسات التشومسكوية أثبتت أن اللغة من الفطرة وأن الطفل يولد مزوّد

بلغة، وهل الفطرة مع الفطرة في وجود الإنسان الواحد تتناقض؟

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص:72، 73.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:74.

<sup>3</sup> يعلق أحد الباحثين بأن هذه الفطرة هي المدينة الفاضلة عند المسلمين على الحقيقة والواقع، لا الخيالية التي نشدها أفلاطون فلم يجدها.

لا يوجد هناك فكر في فراغ، فهناك دينامية في التداخل والتراسل بين اللغة والفكر، أو علاقة اللغة بلثقافة، وأشهر من نظر لها بنجامين وورف<sup>1</sup>، بحيث تعتمد فرضيته على مقولتين أساسيتين "أولاهما: أن الاختلافات اللغوية تكشف عن اختلافات ثقافية في رؤية الحياة والكون، وثانيتها أن اللغة تلعب الدور الحاسم في تشكيل الفكر، بل إنها هي الفكر ذاته."<sup>2</sup>

فالعلاقة بين اللغة والثقافة علاقة حتمية فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل هي نفسها التي تشكل الأفكار ووقود النشاط الذهني للفرد . وكما أنه لا توجد جزافية بين اللغة والدين<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> بنيامين لي وورف (1897-1941) لساني و أنتروبولوجي أمريكي، سبب شهرته هو العمل المشترك الذي قام به مع إدوارد ساير والذي عرف باسم فرضية ساير- وورف. بحيث عملا ساير وتلميذه وورف على إثبات الحتمية العلاقة بين اللغة والثقافة وقال إتهما غير منفصلين، وأجدي أرى أنه إذا كانت اللغة لها هذا التلازم العجيب بينها وبين الفكر والثقافة والدين والأخلاق وربما حتى العرق من منظور ساير، إذن من يفكر بالعربية ويتكلم بها ويكتب بها فهو إنسان متفوق، لسبب واحد وهو أن العلم أثبت أن اللغة العربية هي أم اللغات ولها ما ليس لغيرها، ولأنها وسعت كتاب الله لفظا ومعنى وليس بعد هذه المزية من مزية أخرى. يقول عبد الرحمن الحاج صالح عن علم اللسان التفاضلي بأنه "علم سيكون له شأن عظيم بدون شك." البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي:د، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة الثقافة، ع26، ماي 1975، الجزائر، ص:19.

<sup>2</sup> اللغة والفكر والعالم-دراسة في النسبة اللغوية بين الفرضية والتحقيق-:د، محي الدين محسب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، مصر، مكتبة بيروت، ناشرون، 1997، ص:41.

<sup>3</sup> فمن شك في العلاقة التراسلية التناقلية بين اللغة والدين والفلسفة، فهناك الدليل الحقيقي الواضح في أنّ ثنائيات دي سوسير (الدال والمدلول)، (الدياكرونية والسانكرونية)، (العلاقات الجدولية والسياقية)، (اللغة والكلام)، (الشكل والمادة)، (اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية). قد خرجت من مشكاة الفلسفة الدينية المسيحية، ف:"المثنوية هي النظرة الفلسفية التي ترى أن هناك وجود لمصطلحين أساسيين، غالبا ما يكونا متعاكسين، مثل الخير والشر، النور والظلام، الذكر والأنثى"، ولم يكن سوسير وحده الذي كان فكره اللساني يقوم على فكرة الثنائيات، بل كذلك عند ليونارد بلومفيلد صاحب ثنائية المثير والإستجابة في التفسير السلوكي للغة، وعند لويس هلمسليف صاحب ثنائية الشكل والمضمون، وعند نعوم تشومسكي صاحب ثنائية الكفاءة والأداء . ونظرية العامل في النحو العربي إنما هي "أثر من آثار الدين والفلسفة. وتطبيق يكاد يكون حرفيا، لما يقوله علم التوحيد، من أن موجد الوجود واجب الوجود، إذ ليس يصح في العقول وجود معلول من غير علّة، أو موجود من غير موجد... وهذا هو شأن العامل النحوي، فإن وجوده واجب، وإلا ارتفع المرفوع بغير علّة، وانتصب المنصوب على غير هدى، وانجّر المجرور عبثا. فهذا وذاك وذلك لا بدّ له من محدث يحدّثه، يقول ابن مالك:

بين جميع الحضارات التي لها لغة، وفكر، وثقافة، ودين، ومن شدة هذا التمازج والحلولية وخاصة في العربية أن الكلمة المفردة لها نصيب من الفكرة المراد التعبير عنها<sup>1</sup>، فإذا كان هذا التلاحق في أمر دقيق كهذا، فكيف يكون بين اللغة والثقافة والدين. وما دام أنه لا نستطيع أن نفصل بين الدين واللغة، فالنتيجة إذن هي أن اللغة جزء من العقيدة قبل من قبل وأنكر من أنكر.

ولا يفوتني أن أقول أن الذين كانوا -ولا يزالوا للأسف- يجاربون العربية وعلومها تحت ستار الإصلاح أو التجديد، إنما يجاربونها من خلفيات دينية وثقافية، لأن "الناس لا يوجّه حياتهم ولا يغيّرها أن يعلموا ولكن يوجّه حياتهم ويغيّرها أن يعتقدوا"<sup>2</sup>، ومن هنا تأتي صعوبة التنازل!!؟

ومهما يكن؛ فإنه إذا كان للغة والنحو دخائل، فلأنّ للنفس والروح أسرار مكتّمة، والنفس والروح لا تكون لها أسرار مكتّمة إلا لأنها تشبعت من ينابيع دينية وثقافية حسب الانتماء الحضاري لهذا الإنسان، ومن أوتي حظا وافرا من الفهم في اللغة والنحو فإنه يستطيع أن يفاتش السلوك النفسي المندسّ في الرموز اللغوية، وإذا حظي بهذا الشرف العلمي فإنه بإمكانه فهم العادات والتقاليد للأمزجة البشرية، وبهذا نستطيع أن ندرك ماهية الوسائط والمفاتيح للولوج في أغرب عالم في الإنسان وعالم النفس والروح، وأن نعرف أفضل السبل والمداخل للتعرف مع غيرنا شعوبا وقبائل.

أُرْمَى بِالْإِغْرَابِ إِنْ قَالَ: إِنْ قَوْلُهُ: "فَلِلْوَاحِدِ مِنْهُمَا الْعَمَلُ"، هُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ، عَنْ عَمْدٍ مِنْ هَذَا الْإِمَامِ أَوْ غَيْرِ عَمْدٍ؟" الْكَفَافِ (كِتَابُ يَعْجِدُ صَوَغَ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ): د، يَوْسُفُ الصَّيْدَاوِي، دَارُ الْفِكْرِ، سُوْرِيَا، ط1، 1999، ص: 17، 18.

<sup>1</sup> لَقَدْ عَقَدَ ابْنُ جَبِّي بَابَا وَسَمَاهُ: "تَصَاقِبُ الْأَلْفَاظِ لِتَصَاقِبِ الْمَعَانِي"، وَقَدْ قَالَ فِيهِ: "هَذَا غُورٌ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ لَا يَنْتَصِفُ مِنْهُ وَلَا يَكَادُ يَحَاطُ بِهِ. وَأَكْثَرُ كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَفْلًا مَسْهُوًّا عَنْهُ." الْخَصَائِصُ، ج2، ص: 147.

<sup>2</sup> الْمُسْتَقْبَلُ لِهَذَا الدِّينِ: سَيِّدُ قَطْبٍ، دَارُ الشُّرُوقِ، الْقَاهِرَةُ، ط16، ص: 82.

أ/ الدور السلبي: سلفستر دي ساسي (1758-1838)، شيخ المستشرقين الفرنسيين<sup>1</sup>:

منذ اكتشاف اللغة السنسكريتية وعلاقتها التركيبية باللاتينية والإغريقية على يد السير وليام جونز

(1746-1794) "نشأت شيئاً فشيئاً طرق المقارنة العلمية بين اللغات، وتكونت الحلقات الكثيرة

لدراسة اللغات الشرقية، وساعدت كثيراً على تنمية المقارنة بتلقيها العدد الكبير من لغات الشرق

للطلبة، وأهم هذه الحلقات بل أخطرهما هي حلقة العالم الفرنسي سلفستر دي ساسي وقد امتاز هذا

الباحث عن سابقه بمعرفة واسعة للغات الشرقية.<sup>2</sup>

مجمل القول في سلفستر دي ساسي أنه مستشرق ذو حدّين على الثقافة العربية أحدهما سلبيّ

وآخر إيجابيّ، أما الجانب السلبي فيه، فهو الذي غرر برفاعة رافع الطهطاوي واستغل غرارته ونباهته

وطموحه على طلب المعرفة، فزرع في قلبه الأخضر الخصب الطري أفكاراً قد بيّتها وهو يعرف عاقبتها في

دخيلة نفسه، وما ضمّنه رفاة رافع الطهطاوي في كتابه: "أنوار الجليل، في أخبار مصر وتوفيق بني

اسماعيل" إلا دليل على ذلك، فقد ضمّنه الدعوة إلى استعمال العامية.<sup>3</sup> وهي دعوة أوقع في شراكها،

ورفاة يعد من أوائل اللغويين العرب اللذي سعوا للتمكين لها في مصر.

<sup>1</sup> وهو مستشرق غامض وخطير، ولا يزال الغموض يحيط بالكيفية التي صار بها سيلفستر دي ساسي مستشرقاً، كما قال هرتفج دارنبور في ترجمته له. فنحن لا نعرف أسماء أساتذته، ولا الدور الذي كان لهم في اختيار سيلفستر التخصص في الدراسات العربية والشرقية بعامة، "وكان الإمبراطور نابليون، كما التقى به في قصر التويلري، يسأله دائماً نفس السؤال وهو: كيف حال العربي؟ Comment va l'arabe، وقد منحه نابليون لقب بارون baron في مارس 1814 ضمن مجموعة من 16 شخصاً." انظر: موسوعة المستشرقين، ص: 334.

<sup>2</sup> مجلة اللسانيات، عنوان المقال مدخل إلى علم اللسان، د، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلد2، العدد1، الجزائر، ص: 9.

<sup>3</sup> انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص: 143، 144.

أما الجانب العلمي في دي ساسي أنه قام بتأليف كتاب في نحو اللغة العربية، في مجلدين،

عنوانه: "النحو العربي، لاستعمال تلاميذ المدرسة الخاصة باللغات الشرقية ، وقد أنجز تأليفه وقدمه إلى

المطبعة في (1805)، وظهر الكتاب في (1810)، وأما الطبعة الثانية، وقد أضاف إليها قسمًا في

العروض والقوافي، فظهرت (1831).<sup>1</sup>

وإن كان هذا الكتاب غير متداول، ونحن نتحدث عنه إلا عن طريق الوسائط، والأمر الذي

لوحظ فيه أن دي ساسي كان ينزع فيه: " إلى الوصف الدقيق للظواهر النحوية واللغوية، وعرض القواعد

النحوية بوضوح ودقة . ولم يسبقه، بين الأوروبيين، من كتب نحواً عربياً بهذا المستوى. " <sup>2</sup> أما من منظور

"هينرش إيفلد"، فقد أخذ على خضوعه لسيطرة النحويين العرب ولم يصل إلى الكشف للأسباب

الحقيقية للظواهر النحوية، ومع ذلك يراه أنه جدير بكل تقدير بالنسبة إلى زمانه.<sup>3</sup>

إذا كان للكتاب قيمة علمية، فهي قيمة بالنسبة للزمان الذي ظهر فيه، أما اليوم ولا أثر له فلا قيمة

له، وخاصة أن من المستشرقين الذين جاؤا بعده ألفوا خيراً منه في النحو العربي، على سبيل

المثال، "التطور النحوي للغة العربية" وهو في الأصل مجموعة دروس ألقاها، المستشرق الألماني جوتلف

برجستراسر في الجامعة المصرية سنة 1929.

<sup>1</sup> موسوعة المستشرقين، ص: 336.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 337. غير أن هناك من يرى أن "خير كتاب ألف في النحو العربي من طرف المستشرقين قبل دي ساسي، هو كتاب "نحو اللغة العربية" ل: ماثيو لمسدن، نشره سنة (1814)، في كلكتا، لكن تحريره وشواهدة ليست بمستوى تحرير وشواهد كتاب دي ساسي. انظر: المرجع نفسه، ص: 337.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 337.



لابدّ للباحث أن يعلم أنّ أصعب محنة تفكيكية مرّت بها العربية هزّت حصونها، منذ عهد أبينا آدم عليه السلام كأول نبي تكلم بها، إلى يوم الناس هذا! كانت بين دعاة العامية ودعاة الحرف اللاتيني، وهما دعوتان خرجتا من سحر علم الاستشراق، الذي كان شيخه الأول من دون منازع سلفستر دي ساسي.<sup>1</sup> الذي أوحى إلى رفاة بالتأليف في العاميات واللهجات.

<sup>1</sup> المستشرقون الأربعة الذين كانوا مصدر الدعوة إلى العامية، هم: ولهم سبيتا، صاحب كتاب: قواعد العربية في مصر، نشره سنة (1880). و كارل فولرس، صاحب كتاب: "اللهجة العربية في مصر، نشره سنة (1890). و سلدن ولمور، صاحب كتاب: العربية المحكية في مصر، نشره سنة (1901). وفيلوت وياول، صتبح كتاب: المقتضب في عربية مصر، نشره سنة (1926).  
✓ الدعوة إلى العامية تؤتي أكلها عند المفكرين المُستخدِمين العرب من حيث يدرون ولا يدرون! منهم:

رفاة الطهطاوي في كتابه: "أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل"، نشره سنة (1868)، يحقّق ما أراده له المهندس الفرنسي "المسيو جومار"، و "سلفستر". و سلامة موسى، في كتابيه: "البلاغة العصرية واللغة العربية"، نشره سنة (1945). و "الأدب للشعب"، نشره سنة (1956). ولويس عوض، وهو نسخة منقحة عن سلامة موسى، يفتي بجواز ترجمة القرآن الكريم إلى العامية. وأنيس فريحة، في كتابيه: "نحو عربية ميسرة، نشره سنة (1955)، و "تبسيط قواعد اللغة العربية"، نشره سنة (1959).

أما من أبرز المجمعين الذين كانوا دعاة الحرف اللاتيني ليكون بديلا للحرف العربي، فنجد:

أحمد لطفي السيد، له سبع مقالات، نشرها في صحيفته "الجريدة"، أفريل، وماي، سنة (1913). و عبد العزيز فهمي باشا، له اقتراح: -"استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية"، قدمه سنة (1943). و علي الجارم، له اقتراح "شكلات جديدة للدلالة على الحركات، نشره سنة (1944)، و محمود تيمور في كتابه: -"ضبط الكتابة العربية"، نشره سنة (1951)، و أحمد أمين: -"اقتراح ببعض الاصلاح في متن اللغة"، مقال، نشره سنة (1951). انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص: 18.

أما تمام حسان، فقد أظلمت بصيرته، ولم يذهن لمطامح هذه الدعوة رغم أنه من أئمة العربية في العصر الحديث، ففي كتابه: "اللغة بين المعيارية والوصفية"، الذي نشره أول مرة سنة (1958)، يقول: "غير أنني شخصيا أميل إلى الأخذ باشتقاق رموز عربية من الأبجدتين الأغرقيية واللاتنية." اللغة بين المعيارية والوصفية، ص: 145. وقد ظلّ هذا الخطأ محبّرا في دفتر تاريخه العلمي لم يمح أثره ولم يعف رسمه، وهي من غرائب أخطائه، غير أنه استدرك الأمر وتراجع في طبعات أخرى عما كتبه، فأدرك أنّ هناك "عقبات مالية في إعادة طبع كتب العربية، وعقبات من الناحية القومية، فهدفنا الآن التجمع في أمة عربية واحدة، وعقبات موقف الأمم الإسلامية التي ارتضت نظامنا الكتابي... الخ" انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص: 142، 143. وكل هذه الآراء والأشئآت مجتمعة في كتاب الدكتوراة نفوسة زكريا "تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر"، الذي نشرته سنة (1964)، ولقد قال فيه الأستاذ الكبير أبو فهر كلمة عجيبية، منها قوله: "ولا أظني قرأت في هذا الدهر كتابا، ينبغي لكل عربي وكل مسلم أن يقرأه من ألفه إلى يائه، يضارع هذا الكتاب (الذي يكشف) عن أكبر معركة تدور في العالم العربي والإسلامي، وهي معركة البناء أو الهدم، معركة الحياة أو الموت (...). ولو كان لي من الأمر شيء، لأمرت أن يطبع هذا الكتاب ليكون في يد كل شاب وشابة، وكل رجل وامرأة." الأباطيل وأسما، ص: 125، 126.

أصول الشعر العربي: لدافيد صمويل مرجليوث، نشره في أبريل سنة (1925)<sup>1</sup>.

وهو مقال مطول يقع في حدود أربعين صفحة من القطع المتوسط، "نشره عام (1925)، في "مجلة الجمعية الآسيوية الإنجليزية"، حين كان يرأس تحريرها، والذي ينكر فيه وجود أي شعر عربي قبل العصر الأموي.<sup>2</sup> لكن استطاع به صاحبه إفقاد الثقة في النفسية العربية بثوابتهم المتعلقة بتراثهم وقد أحدثت به بلبلة وحيرة في البحث اللغوي والأدبي العربي، حتى صار كل باحث إذا أراد أن يرجع إلى تراثه يساورك الشك تجاه ثوابته التي لم تكن يوما ما في تاريخ العربية محلّ خلاف!

يرى د، عبد الرحمن بدوي أن أول الباحثين في قضية صحة الشعر الجاهلي هو شيخ المستشرقين الألمان "تيودور نيلدكه في بحثه الموسوم ب: "من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم"، نشره سنة (1861)، ثم تلاه قلهم ألمقرت مستشرق ألماني أيضا بحث له موسوم ب: "ملاحظات عن صحة القصائد العربية"، نشره سنة (1872).<sup>3</sup> وإن يكن مرجليوث قد سبق في إفكته، إلا أن كل من تيودور، وألمقرت، كانت دعوتهما عديمة الفعالية، وتوارت بالحجاب لأنها لم تجد من يأخذ بها، أو ربما لم تقع موقعا حسنا في قلوب الناس آنذاك، وبقيت الحال هكذا إلى سنة (1925)، وهو تاريخ ظهور ظاهرة الدجل في بحث مرجليوث، الذي تعبد بأقواله طه حسين.

<sup>1</sup> دافيد صمويل مرجليوث (1850-1940)، مستشرق إنجليزي يهودي الأصل، له كتابات كثيرة عن الإسلام منها "محمد ونشأ الإسلام" الذي ظهر سنة (1905)، ثم ففى عليه كتاب "الإسلام"، وكذلك له "العلاقات بين العرب واليهود"، ظهر سنة (1924)، أغلب دراساته كانت تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة، مما جعلها تثير السخط عليه، ليس فقط عند المسلمين، بل وعند كثير من المستشرقين. "انظر: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص: 318.

<sup>2</sup> أصول الشعر العربي: ديفيد صمويل مرجليوث، ترجمة وتعليق ودراسة: د، ابراهيم عوض، دار الفردوس، 2006، ص: 5.

<sup>3</sup> انظر: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي: د، عبد الرحمن بدوي، دار العلم، بيروت، ط1، 1979، ص: 11، 12.

وملخص بحث مرجليوث، أنه كان يرى: "كل الشعر مشكوكا فيه، وربما أيضا كل الشعر السابق

على العصر الأموي (..) فهل نستطيع أن تصدق أن البدوي غير المتحضّر كان عنده شعر على نحو

المتضلع الذي ينسبه إليه الرواة والإخباريون المسلمون؟ وبالجملة فإن الاحتمال الأرجح، فيما يبدو هو

افتراض أن الشعر والنثر المسجوع مستمدان كلاهما في الغالب من القرآن.<sup>1</sup>

محمل القول في هذا بحث الذي صرح به صاحبه عن كوامن قلبه، أن أفكاره متلددة، ليست من التفكير

العقل السويّ وإنما هو عمل غير صالح بل هو من الخبل والزور الذي يجب الإعراض عنه، فقد حاول جهده في هذا

البحث إعطاء صورة داجية سلبية مرتدة عن أخلاق علماء السلف العلمية والطعن في موثوقيتهم رواة، ونحاة ولغويين

ومفسرين.<sup>2</sup> وإذا ضربت الأمة في أصولها، فأبي قيمة لها بين الأمم والحضارات!!!

<sup>1</sup> دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص: 127.

<sup>2</sup> أراد هذا الدجال الذي أكل الحسد قلبه وفرى كبده أن يمحرق على التراث العربي القديم الذي به عزّ العرب ومنه ينطلقون، لأنه لا يريد أن يعلم أنه قد وصل من أخلاق علمائنا قديما لكن يخر أحدهم من السماء أحب إليه من أن يكذب في حرف، وكيف نحن العرب والمسلمين أمة وسطا وعدولا، والدليل على ذلك قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" {البقرة: 143}، يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير؟ فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمه، وهذا مصداقا لقوله تعالى: "وكذلك جعلناكم أمةً وسطا"، فندعوا ونشهدوا له بالبلاغ والنصيحة لقومه، كما أخبرنا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم، ومن أهم شروط الشهادة العلم، ولكي يكون لنا حظّ من الشهادة يوم القيامة فواجب علينا فهم القرآن، وفهم القرآن لا يكون إلا بالعربية، وإذا أردت دليلا من عالم مختص فقد جاء في الخصائص لابن جني (ت: 338هـ)، "باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية"، يقول فيه: "اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية ولا وراءه من نهاية، وذلك أن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها فإنما استهواه واستخفّ حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة."

الخصائص، ج 3، ص: 248. وهذه الشهادة قد تمتاها أناس قبلنا وهم الحواريون أنصار عيسى عليه السلام، قال تعالى على

لسانهم: "رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ" {آل عمران: 53} إذن، من لا حظّ له من العربية التي تبلّغه فهم

مقاصد القرآن الكريم لا حظّ له من من الشهادة - التي من شروطها العلم - مع النبي صلى الله عليه وسلّم في الأنبياء حول تبليغ

رسالاتهم لأقوامهم. وإنما ذكرت لك هذا لتعلم موقع وجودك أيها القارئ العربي والمسلم، فخصمك جاد، لأنه صراع اعتقادات دينية في حقيقته وليس مجرد شعارات فكرية.

ب/ الدور الإيجابي: أوجست فيشر (1865-1949)، مستشرق ألماني صاحب مشروع "المعجم

اللغوي التاريخي"، أراد صنعه على غرار معجم أكسفورد المعروف في اللغة الإنجليزية وذلك أنه لما شعر بنقص المعاجم العربية لافتقارها إلى الشواهد في كل حالة، فقد حاول وضع مشروعاً لمعجم عربي شامل يستند في كل معنى ينطوي عليه اللفظ إلى شواهد، بحيث أعلن عن مشروعه هذا لأول مرة في (1907)، أثناء انعقاد مؤتمر الفيلولوجيين الألمان في بازل (1907)، وهذا المعجم يختص باللغة العربية القديمة، لغة الشعر منذ البداية حتى نهاية العصر الأموي، ولغة القرآن، ولغة الحديث.<sup>1</sup>

وبما أنه مشروع حضاري ضخم، فقد حاول استغلال المواد المعجمية التي خلفها المستعربون الذين كانوا قبله، من أمثال فليشر وتوريكه، وبحكم عضويته في المجمع اللغة العربية في مصر الذي أنشئ سنة (1932)، فقد استعان به في خدمة هذا المعجم، لكن قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1939)، ولم يستطع فشر العودة إلى مصر، خصوصاً وقد ألغي تعيينه في عضوية المجمع سنة (1945). ولقد بدد المجمع أكثر المواد التي جمعها، ولم يبق منها إلا القليل الذي حاولت جامعة توبنجن وغيرها من الجامعات الألمانية تصويره، ابتغاء استئناف العمل في هذا المعجم.<sup>2</sup>

لكنهم لم يفلحوا، وقد استأنف فيه العمل مرةً أخرى منذ عدة سنوات في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في العاصمة القطرية الدوحة وهو حالياً موضوع رسمي، بعدما كان تحت إشراف مجمع اللغة العربية بمصر من قبل، وقد تكفلت دولة قطر بتمويل هذا المشروع.

<sup>1</sup> انظر: موسوعة المستشرقين، ص: 405.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 406.

أما أهمية هذا المعجم فقد صرّح د، عزالدين البوشيخي -المدير التنفيذي للمشروع- بأنّ "بناء معجم

تاريخي للغة العربية هو بناء ذاكرة الأمة اللغوية، ولأن اللغة مرآة الفكر، فإن بناء الذاكرة اللغوية هو في

الوقت ذاته، بناء الذاكرة الفكرية، وإذا وثّقنا هذه الذاكرة تاريخيا، فإننا نيسر بذلك رصد التطورات

اللغوية والفكرية التي مرّت بها هذه الأمة على مدى عشرين قرناً، ويتيح ذلك الرصد فهم تراثنا الفكري

والعلمي بدلالات ألفاظه ومفاهيم مصطلحاته التي استعملت بها في سياقاتها التاريخية والثقافية (..). إننا

حقاً سنعرف أنفسنا بإنجاز هذا المعجم، كما لم نعرفها من قبل."<sup>1</sup>

سيكون هذا المعجم ملحمة معجمية قومية في ال قرن العشرين للغة العربية، وخاصة أن كل

علامات النجاح بادية عليه وذلك أنه بإشراف نخبة مختصة كبيرة من اللسانيين والتقنيين العرب، وبعض

المنظمات والمؤسسات الأكاديمية،<sup>2</sup> وتمويل مالي من دولة قطر.

إذن، فالفكرة أول مرة كانت من بنيات أفكار "أوجست فيشر" المستشرق الألماني أعلن عنها

منذ سنة (1907)، مقتبسا الفكرة من معجم أوكسفورد التاريخي الذي مكّن للغة الإنجليزية، والذي كان

في الأصل مشروع جمعية لغوية في لندن من قبل ريتشارد، وهربرت وفريدريك، الذين كانوا غير راضين عن

القواميس الإنجليزية، فبدأوا البحث سنة (1857).

<sup>1</sup> انظر الرابط: [www.raya.com](http://www.raya.com) إطلاق مشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية (25 ماي 2013) تاريخ الاقتباس: 2014/04/22.

<sup>2</sup> لما عقد الاجتماع الثاني للمجلس العلمي لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية يوم 26 ديسمبر 2013، صرّح د، عزمي بشارة المدير

العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بأنه قد: "ظهرت فوائد العمل الحزبي جلية نتيجة للتشاور والتواصل الدائم بين الهيئة التنفيذية للمشروع وبين أعضاء المجلس العلمي الذي يضم نخبة من أهم علماء اللغة والمتخصصين العرب". انظر الرابط:

<http://www.raya.com> "تاريخ الاقتباس: 2014/04/22. ولقد سمعت في إحدى ندوات هذا المشروع رمزي بعلبكي

يقول: "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا مشروع هذا المعجم ما تركته."

التطوّر النحوي للغة العربية: لجوتيلف برجستراسر (1886-1933).<sup>1</sup>

هذا الكتاب في أصل هو مجموعة من المحاضرات كان قد ألقاها في الجامعة المصرية سنة (1929)، ومنذ هذه السنة "والكتاب يسدّ فراغا كبيرا في المكتبة العربية في ميدان الدراسات اللغوية التاريخية للغة العربية، وإنه ليندر أن تجد مؤلفا بالعربية، في علم اللغة وفقهها، لم يفد من هذا الكتاب القيم، على مدى نصف القرن الماضي." <sup>2</sup> فقد أصبح مرجعا مهما في الثقافة العربية، بدليل الاقتباسات التي تأخذ منه في تحليل الظواهر النحوية من طرف المحدثين العرب.

أما الهدف العلمي من هذا الكتاب وهو: "أن يسهّل تفهّم معنى علم اللغة التاريخي، بواسطة النظر إلى اللغة العربية." كما يصرّح برجستراسر نفسه، إذ فقد اتخذ دراسة اللغة العربية في طور كمالها صوتا وصرفا ونحوا ومعجما من وجهة تاريخية بغية "التوصّل إلى معرفة علم اللغة الغربي." <sup>3</sup>

تعدّ محاضرات برجستراسر جادّة وموضوعية، فقد اتخذ اللغة العربية نقطة انطلاق وعيّنة للحكم على ما سواها من اللغات، وذلك لأنه توفّر للعربية من الكمال لم يتوفر لسواها، ومرجع هذه الدراسة أنه قد "غلب على الكتابات اللغوية الاستشراقية المنهج الفيلولوجي جملة وتفصيلا الذي يستهدف كما هو معلوم دراسة اللغة من أجل غايات وأهداف فكرية ومعرفية أخرى." <sup>4</sup>

<sup>1</sup> برجستراسر (1886-1933) هو تلميذ أوجست فيشر، دكتوراه موسومة بـ: "حروف النفي في القرآن" ط8 كانت سنة 1914. ومن تحقيقاته: "مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع"، لابن خالويه، الذي نشره سنة 1934.

<sup>2</sup> التطوّر النحوي للغة العربية: برجستراسر، أخرجته: عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص: من مقدمة المصحح.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 8.

<sup>4</sup> اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة-حفريات النشأة والتكوين-، ص: 101.

العربية -دراسات في اللغة واللهجات والأساليب-: يوهان فك، ترجم سنة (1951).

الكتاب دراسة مستفيضة اعتمد فيها على منهج الوصف والتحليل في لهجاتها وأساليبها،

و"تتبع فيه مؤلفه حياة اللغة العربية، منذ أقدم نصوصها. ودرس العوامل المختلفة التي أثرت في نموها

وتطورها عبر التاريخ. وتعقب الأخبار التي تروى عن وقوع اللحن في العربية من الشعراء والخلفاء والعلماء

وغيرهم في جميع العصور. كما وضّح جهود علماء العربية في تنقية اللغة من شوائب اللحن. وأبرز السرّ

في خلود العربية الفصحى على الزمن لارتباطها بالقرآن الكريم." <sup>1</sup> الذي كان هو نقطة الانطلاق، حيث

كان من نتائج التلاحم بين اللغة والدين أن بلغت العربية العالمية.

أهم كلمة قد تلفت القارئ في هذا الكتاب هو اعترافه الصريح بما أسداه علماء العربية قديما، وذلك

حين يقول: "لقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديدة

بالإعجاب، بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات، والصيغ، وتركيب

الجملة، ومعاني المفردات على صورة محيطية شاملة، بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من

الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد." <sup>2</sup>

وهو كتاب أعطاه صاحبه حظّه من النظر والتأمل حول حياة العربية، غير متحيّز لمدرسة استشراقية،

أو فئة لسانية أو منتصر بقول وإنما هو بحث موضوعي خالص من أي سوابق فكرية مدخولة.

<sup>1</sup> العربية -دراسات في اللغة واللهجات والأساليب-: يوهان فك، تعليق: شبيتال، ترجمة ودراسة: د، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، بمصر، ط1، 1980، ص: من واجهة الكتاب الأخيرة.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 14.

د/ إطلالة سريعة مختصرة حول الحركة التيسيرية للنحو عند المحدثين: من حفني ناصف وآخرون، من خلال كتابهم "الدروس النحوية"، ظهر عام (1887) إلى شريف الشوباسي في كتابه: - "لتحيا اللغة العربية يسقط سيويه"، نشره سنة (2004).

#### أ/ وقفة عن أبرز المحاولات التيسيرية التعليمية:

ربما تكون أول محاولة تيسيرية رسمية في تعليم النحو هي محاولة علي باشا مبارك (1824-1893) في كتابه "التمرين"، وهو من أوائل الإصلاحيين الذين نهضوا بالتعليم في مصر، بل لُقّب بـ: "أبو التعليم في مصر"، وذلك أنه كان صاحب عقلية نهضوية إصلاحية.

ولقد "عهد علي مبارك حين تولى نظارة ديوان المدارس 15 أبريل (1868) إلى رفاة الطهطاوي (1801-1873) بتأليف رسالة في النحو سهلة المأخذ لدراسة المدارس الخصوصية والأولية. وقد استجاب رفاة وأخرج عام (1868) كتابه "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية" الذي يعتبر من أوائل الكتب في التأليف النحوي الحديث.<sup>1</sup>

وقد سبقت الإشارة إليه في التجارب اللسانية في مصر، ولقد "كان كتاب رفاة - بما اتّسم به من تجديد وسهولة- حافظا للآخرين على السير على منواله، فلم تمض إلا عدة شهور حتى ظهر كتاب آخر يحمل محاولة مماثلة هو "تقريب فن العربية لأبناء المدارس الابتدائية" للشيخ أحمد المرصفي.<sup>2</sup> وهذه الكتب الثلاثة المبكرة في التيسير النحوي تدلّ على مظهر من مظاهر الاهتمام بالعربية وتحسيس الناس بأهميتها في حياتهم العلمية والعملية.

<sup>1</sup> انظر: في إصلاح النحو العربي -دراسة نقدية-، ص: 59، 60.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 62.



ولقد كانت محاولتنا رفاة والشيخ أحمد المرصفي لخدمة تلاميذ الحكومة من أولية وخصوصية وابتدائية. أما تلاميذ المكاتب الأهلية فقد ألف لهم عبد الله فكري (1834-1890) وبتوجيه من علي مبارك أيضا رسالة صغيرة أسماها "الفصول الفكرية للمكاتب المصرية". وهذه المحاولة رغم أنها تلت محاولتي رفاة والمرصفي جاءت تقليدية مادة وأسلوبا.<sup>1</sup> ويعود الفضل في تأليف هذه الكتب النحوية التيسيرية إلى علي مبارك باشا الذي كان يشرف على هذه الكتب بنفسه، لأنه يعتبر أول من أحى هذه الصناعة بصفة رسمية أكاديمية في العصر الحديث في كتابه "التمرين".

حفني ناصف وآخرون، من خلال كتابهم "الدروس النحوية"، ظهر عام (1887).

هذا الكتاب هو في أربعة أجزاء، فقد قرّظه العلامة الطنطاوي، ومن جملة ما قال فيه أنه: "يغني الطالب بل المدرس بل الأديب عن النظر في غيره، وهو أعجوبة في جمعه وترتيبه وإيجاز عبارته واختيار الصحيح من القواعد، وهو أصح وأوسع من شذور الذهب وابن عقيل."<sup>2</sup> وكذلك أثنى عليه سعيد الأفغاني وهو رجل مختصّ في علم النحو وأصوله، فقال فيه: "مضى على دراستي هذا الكتاب ما نيّف على الستين سنة وأنا لا أشبع من الترحّم على مؤلفي هذه السلسلة."<sup>3</sup> وهاتان الشهادتان تدلان حقًا على القبول الذي لقيته هذه السلسلة، وذلك لأنهم قدموا النحو حسب مراحل الطلب، مصفّى وخالصا من التأويل والتقدير وكل مسالك التعليل.

<sup>1</sup> في إصلاح النحو العربي -دراسة نقدية-، ص:62.

<sup>2</sup> الدروس النحوية، تأليف الأساتذة: حفني ناصف، ومحمد دياب، ومصطفى طمطوم، ومحمد صالح، دار إيلاف الدولية، الكويت،

ط1، 2006، ص: علي الطنطاوي ذكريات 155/1

<sup>3</sup> نقلا عن: المرجع نفسه، من مجلة الفيصل العدد 118

يقول أصحاب هذه السلسلة في مقدمة الجزء الرابع "يرتقي الطالب فيها من دائرة إلى أخرى

أوسع منها نطاقا وأكبر إحاطة، حتى ينتهي إلى هذا الكتاب، فيثبت به ما فات من القواعد، ويستدرك

ما بقي من الفوائد، ويخرج منه، وقد أتى على أصول النحو أربع مرات، وهي سنة جديدة في التعليم." <sup>1</sup>

بل هي عين الصواب في التلقين والتعليم وخاصة إذا تعلّق الأمر بعلم النحو.<sup>2</sup>

والأمر الذي عيب على سلسلة الدروس النحوية "حلّوها من التمرينات والتطبيقات ولهذا قام

بعضهم بتأليف كتب مستقلة تسدّ هذا النقص فتقدّم للتلاميذ تطبيقات وتمارين مبنية على ما في

الدروس النحوية. ألف إبراهيم عبد الخالق كتاب التطبيقات العربية على الكتاب الرابع من الدروس

النحوية سنة (1906)، وألف اسماعيل منصور النماذج التطبيقية للدروس النحوية في جزأين.. الخ"<sup>3</sup>

ومهما يكن، فإنه قد أفلح أصحاب سلسلة الدروس النحوية في تقديم النحو سهلا ومطوعا من

شأنه ولّد مناخا علميا تنويريا حبّب العربية لقلوب طلابها، وخاصة أنه ليس حكرا على فئة معيّنة، وقد

رأينا قبل قليل شهادتا الطنطاوي والأفغاني في هذه السلسلة وهما من المختصين.

<sup>1</sup> الدروس النحوية، ج4، ص: من مقدمة المؤلفين.

<sup>2</sup> يقول ابن خلدون في الفصل 37، تحت عنوان: "في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريقة إفادته." يقول: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلمين إنّما يكون مفيدا إذا كان على التدرّج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا، يلقي عليه أولاً مسائل من كلّ باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلّا أنّها جزئية وضعيفة وغايتها أنّها هيّاته لفهم الفنّ وتحصيل مسأله ثمّ يرجع به إلى الفنّ ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هناك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفنّ فتجود ملكته، ثمّ يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا ولا منغلقا إلّا وضّحه وفتح له مقفله فيخلص من الفنّ وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنّما يحصل في ثلاث تكرارات." مقدمة ابن خلدون، ص: 583.

وربما هذه الطريقة الخلدونية الناجحة في التعليم لا توجد تطبيقا إلّا في كتاب الدروس النحوية.

<sup>3</sup> في الإصلاح النحو العربي، ص: 72.

النحو الواضح لعلي الجارم (1881-1949)، ومصطفى أمين (1914-1997).

إن سلسلة النحو الواضح "ظهرت أوائل الربع الثاني من القرن العشرين وهي سلسلة من الكتب

النحوية ذات مستويين: المستوى الابتدائي والمستوى الثانوي، ويتألف كل مستوى من ثلاثة أجزاء." <sup>1</sup>

قدما فيها صاحبها من البذل والعطاء حتى جعل طلاب علم النحو في نعمة ورخاء في تعلم النحو

وخاصة أن هذه السلسلة متوفرة بقوة، وهو ما نلاحظه عيانا من اقتناء الناس لها، والسرّ فيها أن

صاحبها "قد استفادا من تجربة الدروس النحو في وضع الإطار العام لخطة الكتاب بمستوييه، بل إنهما

قاما على غرار ما فعل مؤلفوا "الدروس النحوية" بوضع كتاب في البلاغة لتلاميذ المدارس الثانوية نهما

فيه نهما في كتاب النحو، وسمياه البلاغة الواضحة." <sup>2</sup> وهذه الاستفادة فعل حضاري رائع، الابتداء مما

انتهى الأول، لكي لا يقع الضالع المتتبع خطى الضليع في الأخطاء الذي وقع فيها الأول، بل يزيد في

البناء وسدّ الثغرات وهذا كلّ حرصا على نفسية المتعلم لكي لا يملّ.

يقول عنها الأستاذ مصطفى إبراهيم: "وهي كتب بارعة في الشرح والتوضيح، وفي تقريب النحو

وتيسيره، وقد أراحت مئات المعلمين، ويسرت على ألوف المتعلمين، ثم شاعت في البلاد العربية،

وصارت كالمناهج في تعليم النحو، وأحدث أسلوبها في الشرح والتأليف مدرسة، أخذ المتعلمون يتبعونها

ويؤلفون على مثالها محاكين أو مقلّدين." <sup>3</sup>

<sup>1</sup> في إصلاح النحو العربي، ص: 72.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 72.

<sup>3</sup> مقالات محمود محمد الطناحي، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 1، 2002، ص: 648.

لقد اعتمد المؤلفان في هذه السلسلة طريقة الاستنباط بمعنى الإكثار من الأمثلة التي تستنبط منها القواعد، مع تبيين سبيل الإستنباط من الأمثلة، كما جاءت السلسلة خالية من الإصطلاحات العلمية النحوية، وذلك أخذً بأيدي النشء الصغار أن يملؤا هذه المادة الأساسية، مع وضع قواعد وتعريفات مستنبطة في عبارة موجزة ومفهومة، مع كثير من التمرينات المتنوعة الميسورة، والشيء الذي يحمد لهذه السلسلة هو وضع تمرينات للإنشاء ترتبط بالقواعد التي ألمَّ بها التلاميذ، لأنه لا معنى لتعلم قواعد النحو خارج اللغة.<sup>1</sup> وهذا هو الأصل في تعليم نحو العربية.

وبما أنه لا يخلو كتاب من نقص، فإنَّ الشيء الذي يعاب على هذه السلسلة هو الإقصاء التام للمثال القديم قرآنا وحديثا وشعرا، بحيث لا تجد له حسنا ولا تسمع له ركزا، وهذا المثال القديم هو أحسن رابط يجمع بين اللغة والنحو وإلا حدث الفصام بينهما، أما استعمال المثال المعاصر بحجة النزول إلى عقليات العصر فلا يبدو أمرا مسوغا، وليس في صالح العربية. فالنحو يكون علما مشتهى إذا وظفت له أمثلة حيّة من الكتاب القديم الذي تمور في الكلمة العربية مورا مياسةً ورفافة، ومتى يتذوق الطالب جمال العربية؟ إذا لم يتذوق شيئا منها في سلطان النحو.

ومهما يكن تبقى "سلسلة النحو الواضح تمثل خطوة كبيرة إلى الأمام في مجال إصلاح الكتاب النحوي للغة العربية."<sup>2</sup> وذخرا معرفيا محفوظا ومأثورا لا يبلى مع مرور الدهر، خفيف الدم والروح مليح في عرض بيانات النحو ومعطياته، غير مستثقل ولا معتسف.

<sup>1</sup> النحو الواضح في قواعد اللغة العربية: علي الجارم، ومصطفى أمين، دار المعارف، القاهرة، (د، ت)، ص: مقدمة المؤلفين.

<sup>2</sup> في إصلاح النحو العربي، ص: 72.

عبد العليم إبراهيم: - النحو الوظيفي، نشره سنة (1970).

قد يكون عبد العليم إبراهيم أول من أدخل مصطلح النحو الوظيفي إلى الثقافة العربية "وهو ترجمة لمصطلح شاع في الدراسات اللغوية الحديثة في الغرب، خاصة في مجال تعليم اللغات وهو مصطلح functional grammar<sup>1</sup>. ويعني به صاحبه "مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو وهي ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة."<sup>2</sup> فإذا لزم النحو هذا الغرز فهذه منتهى غاية المتعلم المبتدئ، أما إذا حصل المتعلم هذه الغاية، فسيصبح النحو وسيلة إبحار في فضاء النصوص اللغوية المتنوعة، لكشف أسرار جملها وتراكيبها، فالنحو أعمق بكثير من أن يمحصر في وظيفة صيانة اللسان والقلم من اللحن.

ومجمل القول في الكتاب فلقد كان اسما على مسمى بمعنى أنه كان وظيفيا مفهوما في جزء واحد غير متزيد ولا متنقص في عرض الأبواب النحوية، فهو "يمثل فهرس موضوعي مفصل يلي في سرعة، حاجة الدارس المتعجل الذي يريد أن يستفتي أو يذكر نفسه بمسألة معينة من مسائل النحو، وهو بذلك يناسب طلاب السنوات النهائية من المرحلة الثانوية وطلبة الجامعة في أول الطريق."<sup>3</sup> إذن، فهو كتاب انطلق من خلاصة المبتدئ، ليكون أول كتاب للطلاب الجامعي، وهذا النوع من التأليف النحوي يكاد يكون مبتكرا في عصرنا الحاضر، فهو كتاب جمع المرحلة بين المرحلتين.

<sup>1</sup> في إصلاح النحو العربي، ص:76.

<sup>2</sup> النحو الوظيفي: عبد العليم إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط9، 1998، ص: مقدمة المؤلف.

<sup>3</sup> في إصلاح النحو العربي، ص:77.

ب/ وقفة عند بعض الدراسات المتمهّرة من قيم النبل العلمي.

لقد نبت في البلاد العربية نوع من الكتابات التهكمية ذات المفاهيم العقلية المغلوطة، وهي مرحلة يمر بها النحو العربي اليوم، فبعدما كان في مرحلة التيسير والإصلاح جاءت مرحلة القذع والرحم والانتكاس، وهذه المرحلة أراد بها أصحابها أن يطفأوا سراج علم النحو، ولقد "هوجم النحو بما فيه، وبما ليس فيه، وحملت عليه أوزار غيره من جوانب اللغة وظروف المجتمع." <sup>1</sup> وكلّ هذه الدراسات التي استشكلت علم النحو افتقرت إلى الاقتدار على تلقين الحجّة وضعفت عن تقديم البديل الذي يكون بديلاً عن المشقّة، ومن هذه البحوث التي تخلّفت عن الاستمسك بالأصول، مايلي:

حمزة بن قبلان المزيني<sup>2</sup>: -موت النحو، مقال نشره سنة (1998).

عرض موقفه من النحو في أكثر من موضع، ولعل بحثه الموسوم ب: موت النحو، يلقي الضوء على خلاصة هذه التصورات النقدية، فمذ الوهلة الأولى يلتمس الباحث مشروعية الفكرة من دعوات سابقة نادى بموت المؤلف وموت النقد خرجت من رحم البنيوية الغربية، مقررًا استصدار شهادة وفاة النحو المعياري في صورته الحالية، مستغرباً صمت الكثيرين عم المسارعة إلى تشييع جثمانه بالرغم من حدوث وفاته قبل مئات السنين." <sup>3</sup> ومن الأدلة التي ساقها لكشف شروخ النحو العربي وسوآته، أو بالأحرى

<sup>1</sup> في إصلاح النحو العربي، ص: 87.

<sup>2</sup> قد يكون أنيس فريجة أول من استهزأ بالنحو العربي، بدليل أنصاحب مقال: "هذا الصرّفُ وهذا النحو... أما لهذا الليل من آخر؟" نشره سنة (1955)، والذي سخر فيه من قواعد العربية، تمخّى فيه أن يرى حاكماً عسكرياً يفرضُ العامية على العرب.

<sup>3</sup> نعمان عبد الحميد بوقرة: ملامح التفكير اللساني عند حمزة بن قبلان المزيني، مجلة الأثر، ورقلة، 2011، العدد 10، ص: 34، 35.

على موته كما يصطلح هو ؛ وما بقي إلا أن يحمل على الرقاب ليُدْفَنَ في مقابر اللغات الميتة، أو في مقابر العلوم التي لا تنفع، ومن هذه الأدلة مايلي:

(1) وقف الاحتجاج للغة والنحو.

(2) القول الشائع الذي يقضي بأن من أراد أن يؤلف شيئا في النحو بعد سيويه فليستحي.

(3) القول الشائع الآخر الذي يقضي بأن النحو طبخ حتى احترق؛ وهو ما يشير إلى القناعة.

(4) أن بعض النحويين كان ينظر إليه على أنه ميت: وأقرب هؤلاء إبراهيم مصطفى... الخ<sup>1</sup>

هذه بعض المعرّات والحجج التي دُلَّ بها على موت النحو، وهي أدلّة إحصائية قد بُرِّتْ عن سياقها

التاريخي بترأ، وفي رأينا أن النحو لم يمّت وإنما هذه الدراسات هي التي أزمّت النحو تريد إمامته وأكل

منسأته لتدلّ الناس أنه قد مات، ثم إن فكرة موت النحو هي فكرة مستوحاة من النظرية النقدية الحديثة

"موت المؤلف"<sup>2</sup>، لا يسعنا المجال لمناقشتها والردّ عليها.

ومن غريب آراء المزيبي وعجيبه في هذا البحث أنه يرى أنّ النحو كان "أداة من أدوات التحيز اللغوي

والعريقي، فالسبب الأول في فساد اللغة، في رأيي النحو، إنما هو دخول الأعاجم في الإسلام. وكأني

<sup>1</sup> انظر : حمزة المزيبي : موت النحو: جريدة الرياض، ثقافة اليوم، 1419/8/14 هـ.

<sup>2</sup> من زعماء هذه النظرية النقدية البنيوية التفكيكية اللاهوتية المتهالكة بعض النقاد الفرنسيين من أمثال: رولان بارت، صاحب أول مقال لها سنة (1977)، وميشيل فوكو، وجاك دريدا الذين لا يزالوا متناقضين حولها إلى أن وارهم الثرى، وملخص رؤية هذه النظرية استبعاد كل المؤثرات الخارجية التي تحيط بالمؤلف، والاكتفاء بالتحليل داخل النص، وهؤلاء الغربيون العبيثون المروجون لها يريدون إلغاء العقل بطريقة أو بأخرى، وللأسف لقد وصل من ضعف لغويينا الأخذ عن الغرب وثقة زائدة بحسبون كتاباتهم كأهم عارض من السماء تنفع حزون الثقافة العربية وشعابها، ولكنها محنة وعذاب أليم.

ببعض النحويين الذين يزعمون هذا الزعم يودّون في دواخل أنفسهم أن لو لم يدخل أولئك الأعاجم الإسلام حتى لا يفسدوا صفاء العرب والعربية.<sup>1</sup>

تقول العرب: "من يعيش يرّ عجباً"، فمن عجيب انفرادات المزيبي أنه يرى أن "النحو العربي لم يعد حياً منذ أواخر القرن الرابع على أكثر التقدير (..) بل إن أعظم فترات ازدهار اللغة العربية التي وصلت فيها إلى مرتبة اللغة العالمية كانت بعد الفترة التي منع عندها النحاة الاحتجاج بنصوص اللغة العربية الحية.<sup>2</sup> فهذا رأي فيها من الشكّ والتقتيم والتلبيس وسوء الظنّ الشيء الزائد، بحيث ركّب استنباطاً مكرهاً على تاريخ العربية ونحوها، فالعربية لمّا حملت لواء العلم والحضارة في العصر العباسي بسبب التفتّح المنضبط للثقافة العربية آنذاك على الثقافات الأخرى، وليس للسبب الذي ذكره "المزيبي" المتمثل في أنه لما توقّف عصر الاحتجاج تطورت العربية وازدهرت!!

ومن هذه الملابس التي حاولت أن تحجب المورد العذب الزلال، وترغمنا إلى عين مكدّرة ذات

أحوال، محاولة أحمد درويش، في كتابه: "إنقاذ اللغة من أيدي النحاة"، نشره سنة (1999).

فأصل الكتاب خمس مقالات نشرها سنة 1996 تحت عنوان إنقاذ اللغة من أيدي النحاة، ولقد

أثارت هذه المقالات استفزاز الدارسين العرب فردّ عليها جمهرة منهم، فجمع د، أحمد درويش بعض هذه الردود وضّمها إلى مقالاته الخمس ليخرجها بعد ذلك في هذا الكتاب.

<sup>1</sup> انظر : حمزة المزيبي : موت النحو: جريدة الرياض، ثقافة اليوم، 14/8/1419 هـ.

<sup>2</sup> انظر : المرجع نفسه.



يدّعي صاحب هذا الكتاب أنّ محتواه حوار جذري حول مشكلات العربية المعاصرة المعيشة في ظلّ الرهانات الحضارية الجديدة، ولكّني عندما اطّلت عليه وجدته أنه حوارا حول انهزام نفسي وانزهاق لغويّ، فلقد وصل من فكره الشائخ الذابل أن جعل من النحو فريسةً وهي واقعة بين مخالف النحاة الذين خدموه، وهي تستصرخ من ينقذها من بين مخالهم وأنيابهم، ثم طفق يحلل بقلم يتمطّي وكأنه قد أحاط صاحبه من علم العربية من لم يحط به ابن جيّ (ت:392هـ) في خصائصه، غير أنّه في كلّ ذلك اتّبع هواه الذي أسلمه إلى رأي مخدوج وهو وجوب الأخذ بالعاميّة!

ومن الذين ردوا عليه د، البدرأوي زهران، فيقول: "إن أي شاب متخصص في قسم اللغة العربية في أي كلية من كليات الجامعات المختلفة يكفيه هذا العنوان ليخلق بينه وبين النحو قطعة تصرفه عن النحو وكتبه، ولا تفلح كل الوسائل في إعادته إليها." <sup>1</sup> أما د، فيصل عبد السلام الحفيان، فإنه يرى أن "النحو نفسه في حاجة إلى إنقاذ وإنصاف، أما الإنقاذ فإن النظرة إليه، وخاصة من المثقفين المتصلين بالثقافة الغربية، فيها الكثير من الظلم والإجحاف، وأما الإنصاف فإني أعتقد صادقا أنه ليس المتهم (يعني النحو) في قضية اللغة." <sup>2</sup> أما خلاصة ما يدعو إليه بعد دعوته إلى طرح أبواب النحو ، أمران وهما: "الإستعانة بالعامية، والانطلاق في تعليم اللغة من الفصحى المعاصرة." <sup>3</sup> هذا هو مستطاع رأيه الذي أراد به طلاب العربية أن ينعموا به، ولكّن "لهوى التّفوسِ سريرة لا تُعلم!!" كما يقول أبو الطيب المتنبي.

<sup>1</sup> إنقاذ اللغة من أيدي النحاة-: أحمد درويش، دار الفكر، سوريا، ط1 نشره سنة (1999)، ص: 59، 60.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 63، 64.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 83.

زكريا أوزون<sup>1</sup>: -"جناية سيويه، الرفض التام لما في النحو من أوهام"، نشره سنة (2002).

أراد هذا المثقف المغترب بالثقافة الغربية أن يقيمَ جبلا كجبل ثهلان<sup>2</sup> متماسكا راسيا شامخا في أرض الثقافة العربية على مدّ أربعة عشر قرنا، وإن دلّ على شيء فإنما يدلّ أن هذا: "الرجل في داخله مِرْجَل يفور غضباً على العربية الفصيحة وتراثها، وعلى الرغم من أنه يحاول أن يخفي هذا الشعور إلا أنه يخور دونه، فيتجلّى في صور الاستهزاء والسخرية والتسخيف التي لا يرمي بها اللغويين وحسب بل اللغة نفسها."<sup>3</sup> أما د، نبيل أبو عمشة، فيقول فيه: "إن ما في هذا الكتاب لا يمكن النظر إليه بأية حال على أنه جرأة في الطرح أو النقد، لأن المسألة لا تتعلق بتأويل نص أو التضجر من قواعد اللغة، بل تمس كيانا لغويا برمته."<sup>4</sup> أما في رأينا أنّ هذا الرجل الذي يكتب بقلم يقطر تعالما وتعاظما مجنون بداء العظمة، أراد أن يزاحم سيويه في علمه الذي كان ولا يزال كعبة للطائف والعاكف في علم العربية، وبديله هو أن يأخذ الناس بنحو زكريا أوزون في القرن العشرين.

<sup>1</sup> زكريا أوزون مثقف مسيحي مصري عقلاني لا يؤمن بالنقل إلا قليلا، ومن أشهر كتبه: "لُقق المسلمون إذ قالوا"، و"الأركان في الميزان الصوم"، و"الأركان في الميزان الزكاة"، و"جناية البخاريّ: أو إنقاذ الأمة من إمام المحدثين"، و"جناية الشافعيّ"... الخ.

<sup>2</sup> ثهلان: جبل أسود في عالية نجد، سمي بهذا الاسم لانبساطه على الأرض، يبلغ ارتفاعه إلى 1125 متر، وهذا الجبل ورد كثيرا في أشعار العرب، وقد فخر الفرزدق به حير في لاميته المشهورة، وهو قوله:

فادْفَعْ بِكَلِّكَ، إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا\*\*\*نَهْلَانَ ذَا الْمُهْضَبَاتِ هَلْ يَتَّخِلِحُ

<sup>3</sup> انظر الرابط: <http://www.majma.org>، قراءة دلالية في كتاب "جناية سيويه": د، ياسين أبو الهيجاء، تاريخ الاقتباس: 2014/04/22.

<sup>4</sup> نظرات في كتاب سيويه: د، نبيل أبو عمشة، مجلة التراث العربي، العدد 94، آذار، 2004، ص: 231.

إن هذا الرجل المسكون بمرض البأو ولقد قُتِلَ كيف قَدَّر عندما ارتقى به غرور نفسه مرتقا عاليًا، فحاوز حدّه، وطاول خصمه وليس له بندّ البتّة، وركب مركبا وعرا، بعنوان كتابه هذا، وكأن علوم العربية جمعت بين عينيه، حتى سوّلت له نفسه أن يكابر نسرها الكاسر سيبويه، فيا لها من صلافة وصفاقة، ما سمعنا أبناء لغة في العالم ثلبوا وغمزوا ولمزوا لغتهم كما غمزت وعُتّت علوم العربية، ولو أن الغرب حظوا بلغة طيّعة ليّنة مثل العربية لعظّموها في نفوسهم وتشرفوا بخدمتها.

كيف وقد شهد أحد جبابرة اللسانيات البنيوية يعترف ويدلي بشهادته وهو ليونارد بلومفيلد صاحب كتاب اللغة الذي نشره سنة (1933)، الذي لُقّب بأنجيل اللسانيات الأمريكية، عندما رأى "أن العرب وضعوا نحوًا للشكل التقليدي للغتهم كما تتجلى في القرآن".<sup>1</sup>

ومجمل القول في هذا المثقف المنحل، لأنه لم يبلغ سنّ الرشد اللغوي الذي يستطيع به أن يرغم الناس إلى توجّهه المأفون، وفما رأي القارئ الكريم في دعوة حبيّتها الدسّ والمكيدة وغلافها الباطل، فهل يكون هدفها ابتغاء الإصلاح والفلاح!!

أما شريف الشوباسي، صاحب "لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه"، نشره سنة (2004)، فيمثل هذا الكتاب المتهدّراً من قيم النبل العلمي آخر مسمار في نعش النحو العربي، في حدود اطلاعنا، لأنّ أوّل من شيّع جنازة النحو العربي هو حمزة المزيني في مقاله الموسوم، ب: موت النحو سنة (1999)، وصاحب هذا الكتاب ليس رجلاً مختصّاً في العربية وعلومها وإنما هو مثقف يعمل بهوارة الثقافة في مصر،

<sup>1</sup> langage :by ; leonard Bloomfield, holt, new york, p:10

وسوف أردّ على رأي واحد في كتابه هذا، وهو أهمّ أغلوطة في تصوره حول اللغة، وهي رأي يعتبر نقطة الارتكاز المحوري الذي بنى عليه كتابه، يقول: "أقول لكل من يتعذب أو يشعر بعقدة نقص لعدم إجادته العربية إجادة تامة. لا تقلقوا فالعيب ليس فيكم، ولكنه في اللغة التي لم تشملها سنة التطوير. وأستطيع انطلاقاً من أن أبرئ ساحة ملايين العرب بل الأغلبية الساحقة من الشعب العربي من ذنب عدم تملك ناصية لغة الضاد بكل تعقيداتها." <sup>1</sup> وهذا الرأي يعدّ شذوذا صارخا لا يأخذ به دارس عاقل له نصيب فهم محققٍ من علوم العربية.

يقول أحد كبار علماء اللغة الفرنسيين وهو جورج فندريس: "إننا لا نعلم إطلاقاً لغة قصّرت عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها، فلا ننصت إلى أولئك المؤلفين العاجزين الذين يحملون لغاتهم مسؤولية النقص الذي في مؤلفاتهم لأنهم هم المسؤولون، على وجه العموم عن هذا النقص." <sup>2</sup> إذن، فلا دليل يعصم الشوباسي من هذا الخطأ الفادح الذي أردا به أن يضلل ملايين العرب.

ولقد ردّت عليه د، زينب عبد العزيز فرأت أن كتابه "ضربة ناسفة لثوابت الأمة العربية ووجودها! ولا أفهم كيف لم يدرك الأستاذ شوباشي، مع إتساع ثقافته، أن الكتاب برمته يندرج تحت منظومة "إقتلاع الإسلام" التي حددوا لها هذا العقد الأول من الألفية الثالثة لإتمامها، فقد أطلقوا عليه عقد "إقتلاع الشر" الذي هو الإسلام في نظرهم.. وأن الكتاب تكرر ممجوج لمطالب المستشرقين لاقتلاع لغة القرآن." <sup>3</sup> بل هو يتأسى بنظريتهم ولم يخرم مشيئتهم في الدعوة إلى التفكيك والتشتت.

<sup>1</sup> لتحميا العربية يسقط سيبويه: شريف الشوباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004، ص: 11.

<sup>2</sup> اللغة : ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 421.

<sup>3</sup> انظر رابط: (<http://majles.alukah.net>)، مقال بعنوان: كبة سيبويه: د، زينب عبد العزيز، تاريخ الاقتباس: 2015/01/01

لقد سئل الشوباسي عن سرّ الضجّة التي ألقاها هذا الكتاب رغم أنه قدّم للمكتبة العربية أربعة عشر كتابا قبله، فأجاب: "أنا أومن بنظرية الصدمة في الكتابة.. من أجل جذب القاريء لمغادرة كهف المسلمين الموروثة التي تثقل تفكيرنا وتمنعنا من الاقتراب من مناطق اسميها محرّمات العقلية العربية وهو ما يمنعنا دائما من التفكير في بدائل جديدة."<sup>1</sup>

وهذه الإجابة تدلّ أنّ الرجل جادّ وأنّ كتابه لم يضعه للتسلّي والمطارحة، بل وضعه بعقلية معتدّة لا تريد الانطلاق من التراث هذا المنهج الذي يخدم فطرة الإنسان، بل يريد أن يحدث فصاما كليّا نكدا بيننا وبينه، لأنه رجل اختلط عقله بعقل الثقافة الغربية الوثنية المسيحية. وقد وقع من حيث يدري أو لا يدري في فخ مطالب القس المنظرّ الأمريكي الخطير مارينوس زويمر (1867-1952) الذي كان يلقب بـ: "الرسول إلى الإسلام"، الذي استعمل كلّ أساليب المكر والدهاء في استعمار الشرق في لغته ودينه، وكان يوصي دائما دهاقيه بأنّ السيطرة على الشرق يجب أن تكون من داخلهم ومن رجالهم إذا أردنا اجتثاث شجرهم، وإخراجهم من الإسلام إلى النصرانية ومن الفصحى إلى العامية.

ومهما يكن يبقى هذا الكتاب للشوباسي من آخر الحملات التغريبية التي شككت الناس في أمر لغتهم، وهو عنوان جارح ساخر جاء ليزرع الريبة والنعرة والأراجيف في نفوس اللغويين خاصة والمثقفين عامة، ويساهم في الإقصاء بطريقة أو بأخرى، بحجة أن النحو حجّرها وخلفها عن الركب الحضاري المزعوم، فعبارته "يسقط سيبويه" فهي عبارة لا يقولها باحث هدفه ابتغاء الحقّ.

<sup>1</sup> انظر الرابط: <http://www.ahram.org.eg> حوار بعنوان: لا بد أن تعود "الكلمة العليا" للمفكرين والمثقفين: سهير هدايت، المصدر: الأهرام اليومي تاريخ الاقتباس: 2015/01/01

## الفصل الأول: النحو العربي بين الربع الأول من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلادي.

### أ/ محطات لا بدّ منها عند بدايات التجديد في الدرس النحوي وفي الدرس الأدبي العربيين:

- 1) البداية التجديد في الدرس النحوي كانت مع جرمانوس فرحات (1670-1732) في كتابه: "بَحْثُ الْمَطَالِبِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ"، ألفه سنة (1707).
- 2) حسين المرصفي في كتابه: - الوسيلة الأدبية لعلوم العربية، نشره سنة (1871).
- 3) وقفة مع عباس محمود العقاد وعبد القادر المازني، من خلال كتابهما "الديوان"، نشره سنة (1921).
- 4) وقفة عند كتاب: "في الشعر الجاهلي"، لطله حسين، الطبعة الأولى كانت سنة (1926).
- 5) وقفة مع أبي فهر محمود محمد شاكر، من خلال كتابه: "المتنبي"، نشره سنة (1936).
- 6) وقفة مع لويس عوض، من خلال كتابه المصادر أكثر من عشرين سنة، مقدمة في فقه اللغة، نشره سنة (1981).

### ب/ محطات خفيفة عند أبرز دعاة الأصالة الذين ردوا على دعاة التجديد والتجريد في النحو:

- 1) محمد أحمد عرفة: - "النحو والنحاة بين الجامعة والأزهر"، نشره سنة (1937).
- 2) أحمد محمد شاكر في كتابه: - "الشرع واللغة"، نشره سنة (1945).
- 3) علي النجدي ناصف في كتابه: - سيبويه إمام النحاة، نشره سنة (1953).
- 4) مصطفى صادق الرافعي: - "تحت راية القرآن الكريم"، نشره سنة (1953).
- 5) عبد السلام هارون، في مقاله: - "حول التيسير"، نشره (1968).
- 6) محمد عبد الخالق عزيمة في مقاله: - "النحو بين التجديد والتقليد"، نشره سنة (1976).
- 7) محمود محمد الطناحي في مقاله: "النحو العربي والحمى المستباح" (جزئين)، نشره سنة (1996).

"إني رأيت النحويين -رحمة الله عليهم- قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن،

وصيانتته عن التغيير، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أمّوا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا."

ابن مضاء القرطبي (ت: 592هـ)

## أ/ محطات لا بدّ منها عند بدايات التجديد في الدرس النحوي وفي الدرس الأدبي العربيين:

1) جرمانوس فرحات (1670-1732) في كتابه: "بَحْثُ الْمَطَالِبِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ"، ألفه سنة (1707).

يعد كتاب "بَحْثُ الْمَطَالِبِ" علامة فارقة في تجديد الدرس النحوي في القرن الثامن عشر، وهذا الكتاب أغفله جل الباحثين الذين كتبوا في تاريخ النهضة اللغوية العربية الحديثة وأسقطوه إسقاطا تاما رغم توسع ثقافتهم، إلا في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين بدأ يبرز رأي آخر يردّ بداية الثقافة العربية الحديثة إلى فترة القرن الثامن عشر، وقد تبلور هذا الرأي لدى بعض مؤرخي العصر الحديث والثقافة العربية المرتبطة به، ولعل أشهر من تبني هذا الرأي وسعى إلى التدليل عليه المستشرق بيتر جران في دراسته الجذور الإسلامية للرأسمالية-مصر 1760-1840.<sup>1</sup> ولقد اتخذ "بيتر جيران" في هذا الكتاب أعمال حسن العطار (1766-1835) شيخ الأزهر آنذاك مؤشرا قويا على النهضة الفكرية والثقافية في مصر ما بين النصف الثاني من القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

فكم من دارس قتل موضوعه بحثا، لكنه قد يتبدّل ذهنه في موطن هو أهم ما في موضوعه، وهذا ما حصل لمؤرخي العصر الحديث وسنأتي على ذكرهم، فقد سهوا في موضع كان يجب ينتبهوا فيه لتجلية هذه الحقيقة التاريخية المهمة المغيية.

<sup>1</sup> البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوي في العصر الحديث (القرن الثامن عشر وكتاب بحث المطالب): د، سامي سليمان أحمد، تقدم: أ. د، حسين نصّار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص: 9. غير أنه من اللافت للانتباه أن بعض مؤرخي الأدب العربي الحديث قد سبقوا "جران" في القول بأهمية دور ق 18 في تشكيل البداية الأولى للثقافة العربية الحديثة، منهم جرجي زيدان ومارون عبود. فقد أبرز زيدان قبل جران بأكثر من ستة عقود، في الجزء الرابع من كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية"، بدايات التجديد في الثقافة العربية في الأدب واللغة والتاريخ، والتي تمثلت في كتابات: البطريرك مكاريوس، وجرمانوس فرحات، والشماس عبد الله الكاثوليكي (ت: 1748). "انظر: المرجع نفسه، ص: ن.

يرى د، "سامي سليمان أحمد" صاحب هذا الاكتشاف التاريخي اللغوي الرائع الذي فتح به بابا موصدا على الثقافة العربية أنّ "البداية المجهولة لتحديد الدرس النحوي كانت مع كتاب "بحث المطالب في علم العربية" الذي ألفه جرمانوس فرحات عام (1705)، ثم اختصره عام (1707).<sup>1</sup>

لقد خالف د، "سامي" بهذه الرؤية المنهجية كثيرا من الدارسين المختصين من أمثال: فهمي حجازي في كتابه: "علم اللغة العربية، الذي نشره سنة (1973)، و"أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، الذي نشره سنة (1974)، وشوقي ضيف في كتابه: "تيسير النحو قديما وحديثا"، والبدرائي زهران في كتابه: "رفاعة الطهطاوي وتيسير نحو العربية"، الذي نشره سنة (1988)، فهؤلاء الباحثين الثلاثة قد اتفقوا من غير اتفاق أنّ بداية تحديد الدرس النحوي كانت مع "رفاعة الطهطاوي" في كتابه "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية"، وبحكم أنه قدم طريقة جديدة في التأليف النحوي واضحة، ولأنه استفاد من الثقافة التأليفية الفرنسية.

أما د، "سامي" فيرى أن البداية الأولى والحقيقية لتحديد الدرس النحوي العربي في إطاره التعميمي في العصر الحديث قد بزغت قبل الطهطاوي بمائة وواحد وستين عاما على وجه التحديد، فهذه البداية (..) ترتد إلى العقد الأول من القرن الثامن عشر، حين قدّم جرمانوس فرحات كتابه بحث المطالب في علم العربية"، الذي ألفه سنة (1707).<sup>2</sup> فهذا هو التاريخ الذي ينبغي أن نضعه حدّا فاصلا بين التأليف القديم والتأليف الحديث على الأقل في مجال البحث في علوم العربية.

<sup>1</sup> انظر: البداية المجهولة لتحديد الدرس النحوي في العصر الحديث، ص:10.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص:4.



أما معالم التجديد في هذا الكتاب من منظور "د، سامي" فهي تتجلى في الظواهر التالية:

- 1- وضع نسق جديد يبدأ بالوحدات الصغرى وينتهي بالكبرى، إذ يبدأ بدراسة الحروف والحركات، ويتبعها بدراسة التصريف في إطار الفعل والاسم، ثم ينتقل إلى النحو.
  - 2- تنظيم كثير من أبواب النحو وفق منطق العلاقات التي تربطها بعضها ببعض، وهذا ما يتضح في تنظيمه قسماً المرفوعات والمنصوبات.
  - 3- التدقيق في صياغة المصطلحات المحددة لجوانب المادة النحوية وموضوعاتها وعناصرها، وهذا ما يتضح إذا قورن عمله "بالتحفة المكتبية" لرفاعة الطهطاوي الصادر عام 1869.
  - 4- إيجاز التعريفات مع الوفاء بالدلالة الغاهيم، وإبراز دور الدلالة في المصطلح النحوي.
  - 5- عدم الالتفات إلى المسائل الخلافية والآراء المتشعبة، والنص على إضافات مهمة كان يقدمها في نهاية عرضه للموضوعات بعنوان: "تنبيه".
  - 6- الاكتفاء بالشواهد المتواترة في كتب القدماء، واستمداد الكثير مرها من الكتاب المقدس.<sup>1</sup>
- فهذه دلائل مُقنعة، استطاع بها د، "سامي" أن يغيّر لنا زاوية النظر، ويثبت لنا أن تاريخ الانطلاق في تجديد الدرس النحوي حديثاً يبدأ مع نشر كتاب "بحث المطالب"، سنة (1707). ولقد زاد د، "سامي" في إثبات هذه الحقيقة عندما استقصى كل الباحثين العرب والأجانب الذين أشاروا إلى أهمية كتاب "بحث المطالب"، فالباحثين العرب الذين لمّحوا إلى أهمية الكتاب، فهم:

<sup>1</sup> انظر: البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوي في العصر الحديث، ص: 33-78.

- جرجي زيدان في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية"، ج4.

- مارون عبود في كتابه "رواد النهضة الحديثة"، نشره (1966).

- أمين ألبرت الريحاني في كتابه "مدار الكلمة"، نشره سنة (1980).

أما من المستشرقين، الذين وقفوا وأشاروا إلى كتاب "بحث المطالب"، فهم:

- المستشرق الألماني هارتمان في كتابه "فقه اللغة والأدب" نشره سنة (1896).

- المستشرق الألماني جراف في كتابه "تاريخ الأدب العربي" نشره سنة (1977).

- المستشرق الإنجليزي ستاركي في كتابه موسوعة الأدب العربي نشره سنة (1998).<sup>1</sup>

وبعد هذه الأدلة العلمية والتاريخية فلا مسوغ للباحثين أن يختلفوا مرة أخرى في تاريخ الإنطلاق في

تجديد الدرس النحوي حديثا، فهذه المبادرة العلمية القيّمة من د، سامي انقطع الكلام وذهب الخصام،

ولا ينبغي أن نتجاوز هذه الدراسة المحقّقة علميا وتاريخيا، والتي سمّاها صاحبها بـ: "البداية المجهولة لتجديد

الدرس النحوي في العصر الحديث"، الذي كان تاريخ أول نشر لها سنة (2004).

وخاصة أنه أعطى للتجديد مفهوم لا بأس به، بحيث يراه "ظاهرة نسبية، تتحدد نسبتها في ضوء

مجموعة من المحددات أهمها: طبيعة العلم أو المجال المعرفي أو النشاط الثقافي الذي يتم تحديده، وطبيعة

اللحظة التاريخية التي تفرز الحاجة إلى التجديد، وطبيعة المتلقي أو الفئات التي يتوجه إليها المجدد بتجديده،

ثم المجدد نفسه، ولا سيما قدرته على اكتشاف المتغيرات الجديدة التي تدفع وتوجيه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر: البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوي في العصر الحديث، ص:5، 6.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:16.

وهذه الشروط أو متعلقات التجديد نحسبها قد توفرت في كتاب "جرمانوس" وزيادة، وبهذا يستحق

أن يكون علامة فارقة في تجديد الدرس النحوي في العصر الحديث، وهذا لثُراجع بعض التواريخ وتصحح بعض المفاهيم، وتوضع المعطيات العلمية في خاناتها البيانية الصحيحة.

أما الهدف الذي توخَّاه "جرمانوس" صاحب هذا الكتاب، فإنه يقول: "إن المقصود من تأليف ما

ألفناه ثلاثة أمور: الأول إزالة تعقيد العبارات المبهمة، الثاني: ضم جميع ما تلزمنا معرفته من هذه الصناعة

في مؤلف واحد بوجه الاختصار، الثالث: إيراد شهاداته من الكتب المقدسة<sup>1</sup> حسب الإمكان. وسميته

ببحث المطالب وحث الطالب. والمقصود منه نفع أولاد المسيحيين لئلا يتغربوا."<sup>2</sup>

ومن خلال هذا الهدف الواضح لكتابه، يبدو أن جرمانوس كاتب لم يؤلف كتابه لأجل الترف

اللغوي أو الإمتاع والتسلية، وإنما أَلّفه نتيجة شعور بمسؤولية، فهو يبدو كاتب مترقّ ومشفق بقارئه

المبتدي، ولهذا كان التجديد عنده مقرون بالتيسير والتوضيح والاختصار مخافة سامة طلاب العربية من

الطلب، لأنّ المصلحة كما يراها آنذاك تقتضي نهج هذا النوع من التجديد وخاصة أنه في بيئة مسيحية،

قد تكون فيها العربية قليلة الحظّ عكس ما تكون في بيئة إسلامية. وبهذا الكتاب الذي ظهر سنة

(1707) حقّق كفاية نحوية للمتعلمين على الأقل في زمانه.

<sup>1</sup> كالتوراة التي أنزلت على موسى ولكنها تعرضت للتحريف، ولذلك أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه عيسى بن مريم لليهود لهدايتهم للحق، بكتاب الإنجيل مؤيدا لما جاء في التوراة وموافقا لها في أكثر الأمور، وقد تعرّض للتحريف هو الآخر وأصبحت هنالك أربعة أناجيل: أنجيل يوحنا، وأنجيل مرقس، وأنجيل متى، وأنجيل لوقا. أما القرآن الكريم الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، وهو الكتاب الوحيد الذي تولى الله سبحانه وتعالى حفظه، قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر: 9)

<sup>2</sup> بحث المطالب في علم العربية: جرمانوس فرحات، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1995، ص: مقدمة المؤلف.

2) حسين المرصفي (ت: 1889م)، صاحب كتاب: الوسيلة الأدبية لعلوم العربية، نشره سنة (1871).

صاحب هذا الكتاب شخصية متميزة لم تنل ما تستحقه من الدراسة والإنصاف رغم أن هناك إشارات له ولكنها كانت خفيفة، لا تفي بحضوره العلمي اللغوي والأدبي، فكيف به وهو من أبرز رجال البعث والإحياء، حسب تقدير كبار اللغة والأدب، "وهو الذي تولى التدريس بعد رفاة الطهطاوي في مدرسة دار العلوم، فكان له أثر عظيم في إحياء اللغة وآدابها، وكتابه "الوسيلة" كان له فضل عظيم جدا على كل من تخرّج في دار العلوم، واقترن وجود المرصفي بظهور شاعر فدّ نقل اللغة من حال إلى حال (..) وهو الإمام الأول محمود سامي البارودي (..) فبدأت العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوتها، وانطلقت الألسنة من عقال العجز، بفضل هذين الرجلين."<sup>1</sup>

إن كتاب "الوسيلة الأدبية"، فقد جدّد فيه صاحبه مفاهيم اللغة والنحو الاشتقاق والصرف غير ما كانت عليه، وذلك لأنه كان ذا عقلية انثروبولوجية أقرب إلى عقلية ابن خلدون في تشخيصه لمواطن الارتكاس المنهجي في التعليم لعلوم العربية.

إن المتتبع لكتابه "الوسيلة الأدبية" يلاحظ هذا الأمر بوضوح وخاصة عندما يعالج الفن في الجانب النظري، وبهذه المنهجية استطاع أن يخطو بتعليم العربية خطوات إلى الأمام، شهد له بها كبار الأدباء من أبناء أمته، كمصطفى صادق الرافعي، ومحمود محمد الطناحي، ومحمود محمد شاعر الذي يغالي في أستاذيته، بل حتى المستعرب الإيطالي بيير كاكيا شهد له بالفضل في التمكين لعلوم العربية ، وبهذا استحقّ كتابه الوسيلة الأدبية أن يكون "أول كتاب في علوم العربية يؤلّف على منهج تجديدي

<sup>1</sup> أباطيل وأسمار، ص: 131.

(كما أنه) يمثل حلقة مهمة في تطوّر التأليف العربي، فهو انتقال من مرحلة القواعد والضوابط والمتون والحوشي إلى مرحلة الثقافة الواسعة والتذوق البصير.<sup>1</sup>

بدأ بعرض علم الصرف عرضا واضحا وميسورا وموصولا بعلم الأوائل، ثم تّنى بفن النحو، فتناوله في مقدمتين وخمسة أقسام، وخاتمة، في المقدمة الأولى تعرض بالنقد للطرق التقليدية التي كانت متبعة في تدريس النحو والكتب التقليدية الشائعة وما فيها من ضعف وقصور ومشيرا إلى ما لذلك كله من آثار في خلق الصعوبات التي تعسر الطريق لتعلّم النحو، ثم أدلى برأيه فيما يجب أن تكون عليه دراسة النحو.<sup>2</sup>

غير أنه لا يرى في أن يُتعلّم النحو بأمثلة صمّاء، معزولا عن نصوص الأدب والبلاغة، بل يراه لصيقاً بهما وقسيم لهما، ومن هنا فهو يرى أن الأدب الذي يحوي علوم العربية هو جزء من منهج الحياة وليس مجرد نوادير وحكايات وقواعد تدرس في القاعات.

يقول: "بل هو عام لكل حيّ، فلكلّ حيّ أدب يليق به، فأدب الإنسان تعودده الأحوال التي يصير بها نافعاً لنفسه ولأهل الأرض المنفعة التي يمكنه القيام بها في طائفته المشاركة له في ذلك."<sup>3</sup> ومن هنا فلا يصحّ أن تعزل علوم العربية عن بعضها البعض، وهي تتناصى فيها الحروف والمفردات والتراكيب والأساليب وتتراسل فيما بينها، وما أحوج معلّمي العربية إلى تفهّم هذه الرؤية المنهجية العلمية المهمة التي تخدم اللغة والنحو والمتعلّم، والمعلّم الناجح هو الذي يدرّس العلم الواحد من علوم العربية ويستحضر فيه

<sup>1</sup> معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها: د، محمد خلف الله أحمد، طبعة القاهرة، 1961، ص: 110.

<sup>2</sup> في إصلاح النحو العربي، ص: 64.

<sup>3</sup> الوسيلة الأدبية إلى علوم العربية: حسين المرصفي، حققه: عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص: 373، 374.

بعض مسائل علوم العربية الأخرى ونوادر علمائها حسب المقتضى، كالحوار الممتع المشهور الذي جرى بين الكافيجي وتلميذه السيوطي حول ما إعراب "زيد قائم"؟<sup>1</sup>

أما موقف "حسين المرصفي" من مادة النحو فله جانبان يكمل أحدهما الآخر: جانب نظري، تمثل في فيما أبداه من ملاحظات ومآخذ على كتب النحو التقليدية وعلى المنهج الذي كان متبعا في تدريس هذا الفن. أبرز عيوب تلك الكتب كثرتها في الفن الواحد، أما المنهج فيأخذ عليه أنه يكلف الطالب العديد من المؤلفات المليئة بالغث المكدّ، وحمله على التطبيق قبل التمكن من القواعد.

أما الجانب التطبيقي تمثل في وضع آرائه النظرية تلك موضع التطبيق، فقد انتهج فيهما خطة توصل الطالب إلى ما يريد من المعرفة الضرورية، مفسرا ظواهر النحو وتصوراته تفسيراً واضحاً مباشراً، يورث الدارس فقها ودراسة وتمكنا ويزوده بالأسس الضرورية لفهم عبقرية اللغة العربية.<sup>2</sup>

بهذه الطريقة درّس "حسين المرصفي" علم النحو مدججا في النص، لا معزولا عنه، فاستطاع بهذه المنهجية أن يخرج لنا جيلا من أعيان البيان واللغة والشعر الذين تتلمذوا على يديه، فهم مدينون له بالفضل في تكوينهم تكويناً لغوياً أو أدبياً أو فكرياً إما من تلقين شخصه أو من خلال كتابه الوسيلة، كأحمد شوقي، ومحمود سامي البارودي، وحافظ إبراهيم، وأحمد حسن الزيات، وغيرهم.

<sup>1</sup> روت كتب التاريخ والطبقات كغبية الوعاة والبدر الطالع وغيرهما أن جلال الدين السيوطي دخل ذات يوم على شيخه محيي الدين الكافيجي (سُمي الكافيجي لشغفه بكافية ابن حاجب في النحو)، فسأل الكافيجي تلميذه جلال الدين: أعرب (زيد قائم) فقال جلال الدين: هذه أسئلة أطفال الكتاتيب! زيد قائم: مبتدأ وخبر. فقال له الكافيجي: اعلم أنّ في (زيد قائم) 117 وجها إعرابيا! فارتاع قلب جلال الدين! وقال والله لا أقوم من مقامي هذا حتى تملئها علي، فأملأها عليه، وبعدما أنهى كتابتها سئل شيخه: كيف حصلت هذا العلم! فقال له:

تعلقت ليلي وهي بعد صغيرة\*\*\* ولم يبد للأتراب من ثديها حجم  
صغيرين نرعى البهم يا ليت\*\*\* أننا صغيران لم نكبر ولم تكبر البهم

<sup>2</sup> انظر: معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها، ص: 132.

وذلك أنّ أهمّ ما يميز الكتاب هو "الاستكثار من الاستشهاد بجيد النصوص لتربية الذوق والملكة

عند الدارس، والقضاء على سمة الجفاف التي عرضت بها القواعد النحوية خاصة في كتب متأخري

النحاة. وقد كان المرصفي مؤمنا بأن هذا هو الطريق إلى إحياء علم النحو ليؤتي ثماره." <sup>1</sup> لأن هناك فرق

بين تعلّم فنون السباحة داخل الماء وبين تلاطّات الأمواج، وتعلّم فنون السباحة عبر الكتب والصحف،

فتعلّم قواعد النحو داخل المناخ اللغوي هو الذي يصلح من لسان المتعلّم وقلمه، وحتى عقله، فإذا تكلم

أفصح، وإذا كتب أوضح، وإذا فكّر أفصح.

ومهما يكن سيظلّ كتاب الوسيلة "أول كتاب ألف في علوم العربية في (ق 19م) على منهج

حديث، يجمع بين الإحاطة والعمق والأسلوب المباشر والرجوع إلى المصادر الأصلية وتحاشي

الخلافات." <sup>2</sup> وبهذا "أعاد النحو لأول مرة في عصر الحديث مكانه الصحيح بين علوم العربية باعتباره

جزءاً أو فصلاً في منهج متكامل يبدأ بفقّه اللغة فالصرف فالنحو فالبلاغة وذلك ليصل بالدارس في

النهاية إلى القدرة على تملك ناصية اللغة والتعبير بها- في قوة عن مختلف الأغراض." <sup>3</sup> وهو موجّه بدرجة

أولى إلى من لهم دربة في دراسة النحو فهو بمنزلة عالية من الطرح، ويمكن اعتبار هذا الكتاب بمثابة

الجواب المسكت للطاعنين في جدوى تعليم النحو على منهجه التاريخي القديم.

<sup>1</sup> في إصلاح النحو العربي، ص:66.

<sup>2</sup> معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها، ص:127.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص:66.

3 عباس محمود العقاد<sup>1</sup> وعبد القادر المازني<sup>2</sup>، من خلال كتابهما "الديوان"<sup>3</sup>، نشره سنة (1921).

لم أستطع أن أتجاوز هذا الكتاب رغم أنه ليس من موضوعنا، غير أنه يمثل أول بداية حقيقية في تجديد مفاهيم النقد في مطلع القرن التاسع عشر، وقد أحدث بظهوره ضجةً لأنه يريد شرح قاعدة الانطلاق من القديم، يقولوا أصحابه في المقدمة، "إنه إقامة حدّ بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصاهما والاختلاط بينهما."<sup>4</sup> ولقد كان من أثر هذا الكتاب أن تعاطف معهما مينخائيل نعيمة في كتابه الغريال الذي صدر سنة (1923)، بل إن أغلب الذين كتبوا في تجديد اللغة والنحو والأدب استقوا بفكرة هذا الكتاب الذي بعج فيه أصحابه مفهوم التجديد بطرح جريء.

لقد كان مشروع هذا الكتاب أن يكون في عشرة أجزاء، غير أنّ حوائل حالت دونها، فخرج منه جزئين فقط، والسبب في توقّف عن مواصلة مشروع هذا الديوان، ذلك أن أصحابه تجاوز فيه حدود النقد الأدبي واللغوي المعقول، فكان أن جرت بين المازني وشكري خصومة حادة، وذلك أن المازني طعن في موثوقية أدب شكري وأصالته، فتفرّقت جماعة الديوان بسبب الغلّو في النقد الجارح لمشاعر الأدباء وكسر خواطرهم، وحاد عن مبادئ النقد الموضوعي.

<sup>1</sup> العقاد (1889-1964) رجل عصاميّ متّهب في محراب العلم والمعرفة ذو موهبة عميقة جمعت بين اللغة والفكر والأدب والشعر والخيال، حتى تسلّق مأذنة الفكر والمعرفة العربية الإسلامية، وهو من مدينة أسوان بصعيد مصر، حيث يوجد به تمثاله حاليا. ومن أحسن المقولات التي تدلّ أنّه مفكّر صعب المراس قوله: "أنا لا يهمني كم من الناس أرضيت، ولكن يهمني أي نوع من الناس أفنعت." <sup>2</sup> عبد القادر المازني (1889-1949) من كبار الكتاب في العصر الحديث، ويعدّ عمله مع العقاد في هذا الديوان من أكبر أعماله. <sup>3</sup> يحيوي سيلا نقديا جارفا على أحمد شوقي، وحافظ ابراهيم، والمنفلوطي، وكذلك عبد الرحمن شكري. <sup>4</sup> الديوان: عباس محمود محمود العقاد، وابراهيم عبد القادر المازني، دار الشعب، القاهرة، ط4، 1997، ص:4.



وملخص مشروع هذا الديوان هو الدعوة إلى التجديد، يقول في المقدمة "لهذا اخترنا أن نقدم  
تخطيط الأصنام الباقية على تفصيل المبادئ الحديثة." <sup>1</sup> ومفهوم الشعر عندهما هو حياة باطنية ونزعة  
وجدانية رومانسية لكن هذا المفهوم لم يتسنى تحقيقه طيلة حياتهما رغم الاقتدار اللغوي والحوض الفكري  
المالآن الذي يتمتعان به، فقد حرما من التجديد في الجانب الشكلي للغة الشعر. يقول د، مصطفى  
هدارة أنهم "عجزوا عن تحقيق ما دعوا إليه بالنسبة لعناصر الشكل، من حيث المعجم الشعري، وبناء  
الأسلوب، والموسيقى والمفهوم الجديد للصورة ودورها في الشعر، فقد ظلوا في ذلك كله متعلقين بالتراث،  
يصوغون أفكارهم الجديدة، وتأملاتهم في الإطار الشكلي التقليدي." <sup>2</sup>  
والعقاد الذي بلغ شعره ثلاث داووين وأنفق عليه رحلة عمر، ورغم أنه رجل متمكن من أصول  
الكتابة ومع ذلك لم يوفق لصناعة الشعر على المنهج الذي دعا إليه، ولقد سخر بشعره كبار أعيان  
البيان من أمثال: طه حسين، ومارون عبود، وخاصة الرافعي، عندما قال في شعره: "فإما ظهر الكلام  
غامضا لا يفهم، أو ناقصا لا يبين، أو معقدا لا يخلص، وإما لغوا وهذيانا أو قريبا منهما." <sup>3</sup>  
أما د، عبد الحي دياب فيرى خلاف ذلك تمام في كتابه: "شاعرية العقاد في ميزان النقد  
الحديث"، الصادر سنة 1969، الذي رأى أن أسلوبه الشعري يحمل الوقار والجلال، وإن كان د، عبد  
الحي دياب أراد أن يمدح شعره بهذه الصفة، لكنني - وإن كنت لست ناقدًا أو شاعرا- أدرك جيّدا أنّ  
من أحصّ خصائص اللغة الشعرية التمرّد والتفلّت، وإلاّ أصبح الشعر وعظا معياريا لا يطاق.

<sup>1</sup> الديوان، ص:4.

<sup>2</sup> دراسات في الأدب العربي الحديث: د، محمد هدارة، دار العلوم الإسلامية، بيروت، ط1، 1990، ص:28.

<sup>3</sup> على السفود نظرات في ديوان العقاد: لمصطفى صادق الرافعي، (د، ط)، (د، ع)، (د، ت)، ص193.

وفي رأيي أرى أنه يستحيل على أستاذ بحجم "العقاد" صاحب كتاب: "التفكير فريضة إسلامية"، أن ينجح في مشروع التخلي عن القديم الذي ضمّنه في كتابه: "الديوان". وإن هذا الأخير الجانب السلبيّ فيه هو أنّه فتح به القابلية للطعن في الثوابت (المبادئ)<sup>1</sup>، فاستعدى الفكر الضالّ من حيث لا يريد على المستقرّات الفكرية واللغوية والثقافية، وأرى أنّ أغلب الأدباء واللغويين الذين كتبوا في كسر علم العروض، أو علم النحو أو علم الأسلوب، ما كان لهم أن يفعلوا كلّهم، لولا أن رأوا أدبيا كبيرا بحجم العقاد قد استخفّ بهذه الحصون والأسوار وألّف فيها الديوان لضرّهما.<sup>2</sup>

والدليل على ذلك أنه ألّف أقوى الكتب في الدفاع عن أصالة العربية وشاعريتها، في كتابيه: "اللغة الشاعرة" الذي نشره سنة (1960)، و"أشّات مجتمعات في اللغة والأدب" الذي نشره سنة (1963)، والشئ الذي أريد أن أقوله ليس على إشفاق وهو إن القارئ لكتب العقاد والمعتكف عليها يتعلم شيئين له من جهة اللغة وشيئين له من جهة المعنى أما من جهة اللغة فيتعلّم كيفية توليد الكلمات والجمل والعبارات، وكيفية نحت المصطلحات، وأما من جهة المعنى فيتعلّم التعمّق في الفكر من غير زلل، والحرص على الأخذ بالطبع في غير تفاهة ولا ملل.

<sup>1</sup> وذلك بسبب الإعتداد الزائد بنفسه، وكما وُصِفَ بأنّ من أقوى طباعه المكابرة، وهذا هو الذي أسلمه إلى الزلزل الفاحش في قضية إعجاز القرآن، التي كان شاهدا عليها أ: فتحي رضوان عندما كان يناقشه في الإعجاز، ومن جملة ما قال عباس محمود العقاد تعليقا على سورة الناس: "لو نسبوا إليّ هذه السورة لتبرأت منها." انظر: على السفود، ص: 45. لكنه فيما بعد تراجع عن هذا الأمر وكان من أكبر المدافعين عن عربية القرآن.

<sup>2</sup> لكنهم لا يريدون أن يعلموا أن العقاد عندما ألّف كتابه الديوان كان في عنفوان الشباب وعمره إذ ذاك 31 سنة، فإذا كان قد أفسد في الديوان وانزلق، فإنّ كلّ الكتب التي جاءت بعد الديوان، وكأثما تراجعوا وإصلاحا عما أفسد في بدء حياته العلمية.

4 طه حسين في كتابه: "في الشعر الجاهلي"، نشره سنة (1926)، الذي هلك فيه وأهلك به!!<sup>1</sup>

قبل أن نعالج هذا الكتاب الذي أرد سلخ اللغة من تراثها، يجدر بنا أن نعرف من هو صاحب هذا الكتاب طه حسين؟ الذي عاش ما بين (1889-1973): ولقب بـ مارتن لوثر الشرق ورينان مصر.<sup>1</sup>

يعتبر الدكتور طه حسين من أبرز المصنعين للأفكار العقلانية، وواحد من أكبر المغلّبين للثقافة

الأوروبية على الثقافة العربية، التي شكّل بها الذهنيات لكبار الباحثين المعجبين به حتى استلب عقولهم.

هجم على تقليدية التعليم في الأزهر واستاء من مناهجه، وأبى التسليم للحقائق التراثية التاريخية لأنه ابتلع

منهج الشك الديكارتّي، الذي أراد فيما بعد أن يتقيّاه لكنه فما استطاع.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> وذلك تقديرا لما أحدثه من صحب ثقافي مصري وعالمي، فشبّه بمذّين المفكرين مارتن لوثر (1483-1546) راهب ألماني، ومفكر مصلح له فكر انقلابي، أما أرنست رينان (1823-1892) مؤرخ وكاتب فرنسي نائر. وهذان اللقبان ليس فيهما شيء من المبالغة بل كان د، طه أكثر منهما، وقد بلغ من الشهرة والريادة والأتباع الشيء الكثير والعجيب، وإذا كان أتباعه شبهوه بمفكرين أجانبين، فأنا أحده يشبه القاضي عبد الجبار الهمداني (ت: 415هـ) في صولاته وجولاته، صاحب كتاب: "المغني في أبواب التوحيد والعدل"، إمام أهل الاعتزال في وقته، وهو الذي تلقبه المعتزلة بقاضي القضاة، وهو من فحول النظر في علم الكلام والأصول، كان له أتباع كثر. ولقد عدّ أبو فهر أنّ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني كله يدور على الردّ على القاضي عبد الجبار. نال د، طه دكتورتين علميتين الأولى عن أديبه الأثير: "أبي العلاء المعري" سنة (1914) في مصر، والثانية حول فلسفة ابن خلدون (1919)، من جامعة السربون فرنسا قدمها باللغة الفرنسية، وقد ترجمها إلى العربية محمد عبد الله عنان. كما اضطلع بمسؤوليات كثيرة جدا من عضويات في مجامع ومجالس وجمعيات في الداخل والخارج، كما تقلد منصب وزير مرتين، مرة كوزير للتعليم، ومرة كوزير للمعارف، وكما ترأس مجلس اتحاد المجامع اللغوية في العالم العربي سنة (1971)، وكل هذا ليس بكثير مما حظي به هو في حياته، ومن أراد المزيد فعليه بكتاب: علي شلش: "طه حسين مطلوب حيّا وميتا"، الذي صدر سنة (1993).

<sup>2</sup> وفي ذلك يقول أبو فهر الذي ابتلي كل واحد منهما بصاحبه، يقول: "أنّ الدكتور طه، قد رجع عن أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي، بهذا الذي كتبه، وبيع بعض ما صارحني به بعد ذلك، وصارح به آخرين، من رجوعه عن هذه الأقوال. ولكنه لم يكتب شيئا صريحا يتبرأ به مما قال أو كتب. وهكذا كانت عادة الأساتذة الكبار! يخطئون في العلن، ويتبرأون من خطيئتهم في السرّ!!" انظر في الهامش: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص: 162.

لقد أوتي طه حسين سياسة الكتابة والقدرة على الوصف حتى وُصفَ أسلوبه بالسهل الممتنع، وهذا الأسلوب لاحظناه في أفكاره التي تأتي مرةً سطحية عصيَّة، ومرة يقدمها بعقلية الأديب، ومرة بقلم المثقَّف الوادع، ومرة بدقة الباحث المختص، ومرة بوصف الخبير المدقق، ومرة بنفسية الناصح المشفق، وربما هذا هو السرّ في الكتابة في كيفية الدوران مع القضية حيثما دارت حسب المقتضى، ليقدّمها للقارئ على الوجه المرتضى، فلقد كان له مهارة وحذق بأصول الكتابة حتى يستطيع أن يستخفّ "ولو بالقمر إذا اتسق، والتشكيك ولو في مطلع الشمس الضاربة بأشعتها في كل واد."<sup>1</sup>

وملخص كتاب طه حسين الذي بناه على منهج "ديكارت" التشكيكي، هو نسف عربية الشعر الجاهلي، الذي يراه أنه لا يصور حياة العرب في هذا الوقت لم يقله أمثال امرئ القيس وزهير وطرفة، فهو شعر منحول ومصطنع كُتِبَ بعد الإسلام علي أيدي النحاة والمفسرين والمحدّثين والرواة. وقبل هذا، فالكتاب كان عبارة عن سلسلة محاضرات ألقاها على طلابه، وفي ذلك يرى "أبو فهر محمود محمد شاكر" الذي كان شاهدا على هذه الفتنة بأمّ عينه وسمعه، "أن كلّ ما قاله الدكتور في محاضراته (يقصد د، طه حسين) ليس إلا سطوا مجردا على مقالة مرجليوث بعد حذف الحجج السخيفة، والأمثلة الدالة على الجهل بالعربية، التي كانت تتخلل كلام ذاك الأعجمي وأن ما يقوله الدكتور لا يزيد على أن يكون حاشية وتعليقا على هذه المقالة."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نقض كتاب في الشعر الجاهلي: السيد محمد الخضر حسين، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص: من مقدمة المؤلف.

<sup>2</sup> المتنبي: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص: 14.

لقد كانت أول دعوة مرجليوث سنة (1905)، في الشكّ في الشعر الجاهلي، وكان أول من ردّ عليه بنو قومه منهم سر تشارلز لايل في مقدمة ديوان عبید بن الأبرص، الذي نشره سنة (1913)،<sup>1</sup> وكذلك جون آربي (1905-1969) المستشرق بريطاني، وجورجيو ليفي دلافيدا.

أما الأديب مصطفى صادق الرافعي فيرى أن الكتاب "وضع في ظاهره لإنكار الشعر الجاهلي، ولكن المتأمل قليلاً يجده دعامة من دعائم الكفر ومعولاً لهدم الأديان، وكأنه ما وضع إلا ليأتي عليها من أصولها، وبخاصة الدين الإسلامي، فإنه تذرع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر قبل الإسلام مما يرجع إليه في فهم القرآن والحديث."<sup>2</sup>

وهناك جمهرة كبيرة من الأدباء الذين تصدوا في الردّ على مزاعم طه حسين في كتابه المنحول ، في مقالات وكتب، منهم محمد فريد وجدي صاحب "نقد كتاب الشعر الجاهلي"، ومحمد لطفي جمعة صاحب "الشهاب الراصد"، ومحمد أحمد الغمراوي صاحب "النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي"، والرافعي في بعض فصول كتابه "تحت راية القرآن"<sup>3</sup>، أما الذي نقضه فقرة فقرة و خسف أفكاره فكرة فقرة من خطبته إلى خاتمته، هو "محمد الخضر الحسين" أحد علماء الأزهر صاحب كتاب "نقض كتاب في الشعر الجاهلي".

<sup>1</sup> انظر: نمط صعب ونمط مخيف: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، ط1، 1996، ص: 370.

<sup>2</sup> تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي، راحعه: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001، ص: 129.

<sup>3</sup> ومن جملة ما قال فيه قوله: "وصاحبنا يرجع في ذلك إلى طبع ضعيف لم تحكمه صناعة الشعر ولا راضته مذاهب الخيال، ولا عهد له بأسرار الإلهام التي صار بها الشاعر شاعراً ونبغ الكاتب كاتباً، وما هو إلا ما ترى من خلط يسمى علماً، وجرأة تكون نقداً، وتحامل يصبح رأياً، وتقليد للمستشرقين يسميه اجتهاداً، وغض من الأئمة يجعل به الرجل نفسه إماماً، وهدم أحق يقول هو البناء وهو التجديد." انظر المرجع نفسه، ص: 105.

والأمر العجيب فعلا في "طه حسين" هو أنه أراد أن يهدم أصول اللغة بهذا الكتاب، ولكن الرجل قد أُشرب حُبَّ العربية وكان يغار على اللسان العربي ولا يَأثر سواه عليه<sup>1</sup> رغم إجادته للفرنسية، وأبرز دليل أنه كان منذ بداية حياته العلمية خصما عنيدا لدعاة العامية، والشاهد على هذا خصمه أبو فهر، عندما يقول فيه: أنه كان "محبًا للسانه العربي أشدَّ الحبِّ، حريصا على سلامته أشدَّ الحرص، متذوقا لروائعه أحسن التذوق، فهو لم يريد قط باللسان العربي شرا، بل كان من أكبر المدافعين عنه، المنافحين عن تراثه كله إلى آخر حياته."<sup>2</sup> والحق ما شهدت به الخصوم.

- هل تراجع د، طه حسين عن آرائه في هذا الكتاب؟<sup>3</sup>

لقد كان سبب تراجع طه حسين عن أقواله أن أتباعه الذين تأثروا به لما كان يملي عليه منهجهم في إنكار الشعر الجاهلي، خرجت الطلائع تدفعها الحمية وطلب الصدارة في ميدان الثقافة والأدب فساروا على نفس النهج الذي سنّه هو لهم ' بل زادوا عليه في إنكار القدم والاستخفاف به. عندئذ جزع د، "طه" نفسه وأصبح يقلب كفيّه على ما أنفق من جهد في كتابه في الشعر الجاهلي الذي رأى فيه مجاوزة لحدود الإصلاح، وذلك لأنه سبب خرابا لعقول طلاب العربية فكان هؤلاء الطلاب خطرا محققا على العربية وثقافتها وتراثها ومستقبلها.

<sup>1</sup> انظر ماذا يقول طه حسين في الذين ادعوا الثقافة من غير عربية: "إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً."

<sup>2</sup> جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ج 2 ص: 1045، ص: 1049.

<sup>3</sup> وكما يقول: خالد بن زهير الهذلي:

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا\*\*فَأَوْلُ رَاضٍ سِيرَةً مَنْ يَسِيرُهَا

وبعد تسع سنوات من صدور كتابه "في الشعر الجاهلي" سنة (1926)، بدأ ينشر في جريدة الجهاد مقالات انتهى منها سنة (1935)، وكان محصلها رجوعا صريحا عن ادعائه الأول في سنة (1926).<sup>1</sup> وبعدها ذهب د، "طه حسين" ترك سنة غير محمودة في البحث العلمي وهي سنة السطو التي تبرأ منها ولكن ولات حين مناص، ف: "صار السطو على أعمال الناس أمرا مؤلوا غير مستنكر، يمشي في الناس طليقا عليه طيلسان البحث العلمي (..) فالأديب منا مصور بقلم غيره، والفيلسوف منا مفكر بعقل سواه، والمؤرخ منا ناقد للأحداث بنظر غريب عن تاريخه، والفنان منا نابض قلبه بنبض أجنبي عن تراث فنّه. وأما الثرثرة والاستخفاف، فحدث ولا حرج، فالصبي يهزأ مزهوا بالخليل وسيبويه وفلان وفلان."<sup>2</sup>

إن قضية د، طه حسين هي قضية الشعر الجاهلي وما يتبعها هي قضية القرن العشرين بآتم معنى الكلمة، وكادت أن تكون قضية سياسية بل كانت لأن صاحبها خضع لمحاكمات قضائية بغض النظر عن المحاكمات الأدبية والثقافية والتاريخية، وقد نالت مساحة كبيرة من النقاش في العالم العربي والإسلامي لأن د، طه حسين في هذه القضية البكر في حياته أثبت بطريقة أو بأخرى عمالته للمستشرقين الصهايينه وعلى رأسهم دفيد صمويل مرجليوث المستشرق اليهودي البريطاني.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص:162.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:167.

<sup>3</sup> يرى د، عبد الرحمن بدوي أنه يعجب للحملة الشعواء الهوجاء التي أثرت حول كتاب الشعر الجاهلي سنة 1926، وبديله في الأدب الجاهلي سنة 1927، لطه حسين وذلك أن قضية الشعر الجاهلي أشبع القول فيها علماء الأدب واللغة القدماء منذ القرن الثاني الهجري، ويكفي المرء أن يفتح الصفحات الأولى من كتاب طبقات فحول الشعراء للجمحي. وأن أول الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع بالتفصيل هو شيخ المستشرقين الألمان تيودور نيلدكه في كتابه "تاريخ ونقد الشعر العربي القديم"، نشره سنة 1861، أي قبل طه حسين ب:65. "انظر: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص:5، وص:11، 12.

ويقول أيضا: "وما كتبه أساتذة الأدب العربي من كتب، وما حضره تلاميذهم من رسائل جامعية لنيل الدكتوراه وكلها تكشف عن جهل هؤلاء وأولئك التام بكل ما نشر قبل ذلك بمائة عام أو يزيد من أبحاث ودراسات نصرت وجه البحث في الشعر الجاهلي

ملخص القول في الدكتور طه حسين أنه رجل مصدوم حضاريا!!!:

نتيجة لظروف موالية خدمت د، "طه حسين" وطامت ظهرها له، فركب هو هذا الظهر الذي انبت به في سوح ومعامع أدبية وثقافية وسياسية وغير ذلك، منها ذهابه إلى باريس في بعثة علمية وهو في عنفوان الشباب الطامح، وهنالك ارتاع قلب طه حسين، فأصيب فيها ب: "الصدمة الحضارية التي أخذت بمجامع عقله، ودفعته لإعادة النظر بعدد من الثوابت الإسلامية، حتى وجد نفسه مساقا لتأويل الكثير من الحقائق وليّ أعناق النصوص والمفاهيم التي أجمعت عليها الأمة، بل وصل به الاستلاب إلى حدّ إحسان الظنّ بالمحتلّ المنهزم وعدّه صديقا.<sup>1</sup> إلى حد أنه سمّها "بلد الجنّ والملائكة"، لهول ما شاهده من التقدم الحضاري في شتى ميادين الحياة، وخاصة أنه ابن بيئة قروية في صعيد مصر لا تخلو من البؤس والحرمان، لا حظّ لها من الصنائع إلا الفلاحة وبعض الحرف التقليدية، التي يقتات منها الناس، فطبيعيّ جدا أن ينبهر بهذا التفوّق الحضاري.

وتقدمت به خطوات هائلة هم عنها جميعا غافلون ولا أريد أن أذكر أسماء، لأني لا أستثني منهم أحدا. "المرجع نفسه، ص: 13. هذا هو ملخص موقف د، عبد الرحمن بدوي من قضية الشعر الجاهلي غير أنه تجاهلّ صرخة للشيخ أبي فهر الذي يعتبر هو أول من كشف قضية الشعر الجاهلي ومازال يفتاتها إلى أن واره الثرى، وفي ذلك يقول: "كانت، ولم تزل إلى اليوم، هي قضيتي أنا وحدي، بيني وبين نفسي، ليس لأحد فيها ذنب ولا جريرة." جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ص: 1098، ج2.

<sup>1</sup> طه حسين بين التحرير والتغريب (دراسة نقدية لكتاب مستقبل الثقافة في مصر): أحمد دعوش، دار ناشري للنشر الالكتروني/ [www.NAshiri.net](http://www.NAshiri.net) /يناير 2011، ص: 28.



وأنت واجد هذه الصدمة في أغلب ما كتبه، وخاصة في كتابه: "مستقبل الثقافة في مصر"، الذي نشره سنة (1938)، تجد فيه المنزع التدويبي الحلوي الصارخ، وفي ذلك يقول بشفرة لسانه بأنه ينبغي: "أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يجب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب".<sup>1</sup>

لقد كانت رزية ابتليت بها الأمة العربية في رجالها، وأصبح المثقف منّا تابع لغيره بلا هويّة، ومفكرنا بلا خصوصية، ومتعلّماً بلا منهجية، وفي كل حركة أو سكون فهو بصحبة واو المعية<sup>2</sup>، وأغلبهم من حيث لا يدري لأنه أمر أحكم تديره لسنوات طوال، والعجيب أنه ظاهر للعيان ولا يستطيع أحد أن ينكره أو ينبس بنت شفة في الإشارة إليه، وذلك لأنها قد سُكّرت الأبصار وخُذّرت النفوس والأرواح، وشيئاً فشيئاً حتى أصبح الغمز واللمز في الثوابت والمقدسات أمراً عادياً. أليس هذا طاعونا فكرياً وثقافياً أصاب خيرة الأدباء والمفكرين العرب، فعندما يسيء أديب ومفكر بحجم د، طه حسين فإن إساءته ستكون متعدية، لأنه أديب ومفكر مسموع الكلمة. فإذا جرح فإن جرحه يكون غائراً، وإذا نفع فسيكون نفعه سائراً.

فالسلك ما اسطاع يوماً نُقِبَ لؤلؤةً،\*\*\* لكن أصابَ طريقاً نافذاً، فسلك

<sup>1</sup> مستقبل الثقافة في مصر: د، طه حسين، دار المعارف، ط2، القاهرة، ص:41.

<sup>2</sup> لأنّ عدونا له نظريات وسياسات يمشي عليها، من بينها، مبدأ "فرق تغزو"، وبعد هذا المبدأ يأتي مبدأ الثاني "فرق تسد". وهي مبادئ عندهم من أفكار ميكافيللي المتوفى عام 1527م، عميد الخداع والغش، وهو الأستاذ الأول لنظرية الفوضى الخلاقة.

## (5) أبو فهر محمود محمد شاكر، من خلال كتابه: "المتنبى"، نشره سنة (1936).

يعتبر كتاب المتنبى علامة فارقة وسيمة بالغة ولقد كان له دويّ في الثلاثينيات من القرن العشرين، فقد سلك فيه صاحبه سبلا غير معهودة لاستكشاف دواخل الموضوعات التي هي أدخل في حجب الماضي، وقبل أن ندرس الكتاب يجدر بنا أن نبيّن قصة صاحبه الذي تفرّد بجملة من المميزات، يقول أبو فهر محمود محمد شاكر عن بداية حياته العلمية "كتب الله لي الخير على يد أحد أبناء خالي، ممن كان يومئذ مشتغلا بالأدب والشعر، فأراد يوما أن يتّخذني وسيلة إلى شيء يريد من عمّته، التي هي أمي رحمها الله، فأبيت إلا أن يعطيني هذا الديوان الذي سمعتم يقرأون شعره ويتناشدونه. وقد كان فأعطاني ديوان المتنبى بشرح الشيخ اليازجي، وكان مشكولا مضبوطا جيّد الورق. فلم أكد أظفر به حتى جعلته وردي، في ليلي وفي نهارى، حتى حفظته يومئذ. وكان عينا دفينة في أعماق نفسي قد تفجّرت من تحت أطباق الجمود الجاثم."<sup>1</sup>

وهذه العين الدفينة التي اكتشفها في نفسه منذ طراءة الصبا هي الموهبة التي أوتيتها من غير زعم، فإما أن يحفظها ويرعاها، وإما أن تنضب ويذهب سرّ نبعها، وبحسن تعهده لها فقد فجّرها في السنّ المناسب وفي الوقت المناسب وفي القضية المناسبة وهي قضية الشعر الجاهلي وما أدراك ما قضية الشعر الجاهلي، حتى أصبح هو مسندها وعمادها من غير منازع في القرن العشرين.

<sup>1</sup> أباطيل وأسمار، ص: 447.

في البداية كان قد عهدَ إليه الأستاذ فؤاد صروف سنة 1935، أن يكتب بحثاً في عشرين صفحة أو ثلاثين إحياءً لذكرى أبي الطيّب المتنبي، في مرور ألف سنة على وفاته، وبعد أخذ وردّ، ومد وجزر في نفس أبي فهر وهو لا يزال في ريعان شبابه، عزم على البدء في الكتابة وخاصة أنه مكلف بعشرين صفحة أو ثلاثين، فكان الرجل يتردد في نفسه شيء كبير سيكشف لأول مرة في تاريخ الثقافة العربية في شعر هذا الرجل، ولما كتب ثلاثين صفحة، يقول عنها "وقرأتها أنا وأخي فؤاد، فكاد يأخذها للنشر لأول وهلة. ولكنني استأنسته حتى أعيد النظر فيها مرة أخرى، لأني كنت أدخر في نفسي أشياء بدت لي في شعر الرجل لم أثبتها في هذه الورقات هيبة وخوفاً من الزلل، ومن استنكار الناس لها إن أنا كتبتها مجردة بلا دليل إلا دليل التدوِّق." <sup>1</sup>

وديوان المتنبي كما يقول عنه: "كان أول ديوان من الشعر قرأته كلّه، وحفظته كلّه، وفتنت به كلّه، فأغفلته من يومئذ كله." <sup>2</sup> فكان حريّ بالشيخ أبي فهر أن يأتي بالجديد، وخاصة أنه نهل من ديوان المتنبي على ظمأ، فكان هذا الورد هو الذي استطاع به أن يجتاز محنة البيان عما يتلجج في صدره من كوامن ودفائن عن شعر هذا الشاعر الكوفي المعروف بالمتنبي الذي شهد على اقتداره اللغوي أبو علي الفارسيّ (ت: 377هـ)، وإتقانه النحوي ابن جنيّ (ت: 398هـ)، والذي أخرج لنا من بطون العربية "شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" {النحل: 69}.

<sup>1</sup> المتنبي، ص: 43.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 9.

وديوان المتنبي نال مرتبة الأولويات في حياة أبي فخر العليمية، يقول عنه: "كان أول عمل طبقت فيه

منهجي في تذوق<sup>1</sup> "الكلام"، شعرا ونثرا، وأخبارا تروى، وعلماء يكتب أو يستخرج هو كتابي "المتنبي"

الذي تولت نشره مجلة "المقتطف" في عدد يناير، سنة 1936.<sup>2</sup>

والأمر الذي تؤكده التجربة أن الثقافة العربية قد استفادت من منهج التذوق، ما لم تستفده من

تطبيق المناهج الغربية الحديثة من "البنوية والتحويلية وسائر المدارس اللغوية والنحوية، شرقاً وغرباً. وكل

أولئك لا بأس به بل مطلوب ومراد، على أن يوظف لخدمة تراثنا اللغوي والنحوي، وتحليلته والكشف

عنه، وتيسير التعامل معه والانتفاع منه، لا أن يكون باباً للثرثرة والادعاء صارفاً عنه لب العلم وأهله.<sup>3</sup>

لكن الحاصل منها هو من أجل السفسطة اللغوية والثرثرة الأدبية التي سيطرت على العقول والقلوب

اللغويين المحدثين، وهذه السفسطة اللغوية كثرت فيها التزييفات الاصطلاحية المظهرية الجوفاء، التي هي "

أشبه بتقاليع (الموضة)، تظهر ثم تختفي، لا تعرف ثباتاً ولا استقراراً، كقولهم: الوحدة الموضوعية، والمعاناة،

<sup>1</sup> وهذا المنهج استكشافي استبطاني نمط صعب وغير مسبوق في دراسة عند القدماء، لا يفهمه إلا من كان له حظٌ وافر من ممارسة اللغة وفكرها، وهو مبني على ثلاثة أشياء اللغة والثقافة والبراءة من الأهواء، وقد أحسن تطبيقه على العصور كما أحسن تطبيقه على النصوص، ولقد أعطى له تعاريف كثيرة منها: بأنه "تطلب الآثار العالقة في الأحرف والكلمات والجمل والتركيب والمعاني الناشئة في حواشيتها وأغوارها، والتي تدل دلالة ما على ما في ضمير صاحبها الذي أنشأها من ألوف مؤلفة زاخرة من الغرائز والطباع والأهواء والنوازع والعادات والأخلاق." جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ج 2، ص: 1170. وكذلك بأنه "معنى عام مشترك الدلالة بين الناس جميعاً، وهو يقل ويكثر، ويعلو ويسفل، ويصقل ويصدأ، ويوجد ويفسد، ولكنه حاسة لا غنى عنها للإنسان." المرجع نفسه، ج 2، ص: 1124. وهذه التعاريف لمنهج التذوق تدلّ أنه كان يؤمن كما يقول، ب: "قضية نشوب جميع الطباع والعواطف والغرائز والأهواء وجميع السمات الظاهرة والباطنة، في الأحرف والكلمات والجمل والتركيب والمعاني أيضاً، قضية صادقة عندي كل الصدق." جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ج 2، ص: 1172.

<sup>2</sup> رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص: 16. وصدور هذه الدراسة المبتكرة في هذا التاريخ كان "مفاجأةً وجهت أنظار الأدباء جميعاً في كل بلد ينطق اللسان العربي، إلى اسم مجهول وكاتب مغمور." وهو أبي فخر محمود شاكر رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص: 16.

<sup>3</sup> في اللغة والأدب-دراسات وأبحاث-، د: محمود محمد الطناحي، ج 2، في الغرب الإسلامي، ص: 519.

وعمق التجربة، والخلق وتراسل الحواس، والمونولوج الداخلي، والدفقة الشعورية، والتعبير بالصورة، والألفاظ الموحية، والشعر المهموس، وتكثيف التجربة، والزخم، والطرح، والمنظومة والإشكالية.. الخ.<sup>1</sup> وأغلب

استعمال هذه المصطلحات جاء للتهويل الأجوف، وكما قال ابن قتيبة (ت: 276هـ) في ردّه على

الفلاسفة في مقدمة أدب الكاتب: "ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم."<sup>2</sup>

يعتبر الشيخ أبو فهر أول أديب في القرن العشرين أثبت أنّ هناك فسادا كبيرا في الحياة الأدبية، تولى

كبره أساتذة كبار، الذين أباحوا حمى غيرهم وغنموا منها فكرا ومنهجيا من غير تلميح ولا إشارة<sup>3</sup>، وكما

يقول عنه الشيخ أبو فهر: "لقد ذهبوا بعد أن تركوا، من حيث أرادوا أو لم يريدوا، حياةً أدبية وثقافية قد

فسدت فسادا وببلا على مدى نصف قرن وتجددت الأساليب وتنوّعت، وصار السطو على أعمال

الناس أمرا مألوفا غير مستنكر، يمشي في الناس عليه طيلسان البحث العلمي وعالمية الثقافة، والثقافة

الإنسانية، وإن لم يكن محصوله إلا ترديدا لقضايا غريبة، صاغها غرباء صياغة مطابقة لمناهجهم ومنابتهم

ونظراتهم في كلّ قضية، واحتلّط الحابل بالنابل، قل ذلك في الأدب والفلسفة والتاريخ والفن أو ما شئت،

فإنّه صادق صدقا لا يتخلّف فالأديب منا مصوّر بقلم غيره، والفيلسوف منّا مفكر بعقل سواه، والمؤرخ

<sup>1</sup> انظر: مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ج1، ص: 352، 353.

<sup>2</sup> أدب الكاتب: لابن قتيبة الدينوري، ص: من مقدمة المؤلف.

<sup>3</sup> وكما يقول أبو محمد القاسم الحريري (ت: 516هـ)، في مقاماته بأنّ "استراق الشّعْرِ عند الشّعراء. أفطع من سرقة البيضاء والصّفراء. وغيرتُهُم على بنات الأفكار. كغيرتُهُم على البنات الأبيكار." مقامات الحريري: الحريري، مطبعة المعارف، بيروت، عام النشر: 1873، ص: 222. فكما تقول القاعدة النبوية "يُخْرَمُ مِنَ الرُّضَاعَةِ مَا يُخْرَمُ مِنَ النَّسَبِ"، فكذلك في العلم وسائر الفنون والمهارات، فلا يجوز التلصص والتطفّل على أعمال الناس، وإلا انقلبت الموازين فأصبح الجاهل عالما والعالم جاهلا. وظاهرة التلصص أول من سنّها الغرب عندما تطلّغوا على العلوم العرب لما كانوا في مرحلة السبات العميق. فسرقوا علوم أجدادنا فسلخوها ولخصوها إسرافا وبدارا خشية أن يفيق العرب من نومهم العميق الذي بدأ منذ سقوط دولة الموحدين سنة 648هـ.

منا لأحداث بنظر غريب عن تاريخه، والفنان منا قلبه ينبض أجني عن تراث فنه. <sup>1</sup> وهذا الفساد الواقع في بداية القرن العشرين، لا تزال آثاره السلبية في حياتنا اللغوية والأدبية اليوم، وإذا كان عمر الفساد نصف قرن، فإن إصلاحه لا يكون أقل من ذلك، لسبب بسيط وهو أن الهدم أسهل من البناء. ومهما يكن يبقى كتاب المتنبي بمثابة الجواب المسكت، للطاعنين في التراث اللغوي القديم وجدوا، وجوابا مسكتا للطاعنين في طاقة اللغة العربية في حجم الاستيعاب والمقدرة على التواصل والحجاج، إنه كتاب ذو خلق لغوي رفيع، وخلق أدبي بديع استفرغ فيه صاحبه جهده النفسي وتركيزه الفكري، وإبرادة روح طامحة استطاع أن يستنطق البواطن ويخرج الدفائن، فخلع بذلك على البحث اللغوي والأدبي الحديث رداء التراث المصفر، وألبسه حلة جديدة محكمة بمنهج التدوق للكلام.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر: المتنبي، ص: 123.

<sup>2</sup> لما اعتكف أبو فهر في محراب ديوان المتنبي لمنجاة هذا السرّ المكتّم العميق عمق نفس الإنسان في شعر هذا الرجل المتهب العاشق للرموز والعلامات، سرى به شعره إلى أعلى درجات الخيال وأبهى صور الجمال وإلى أرفع قدرات الإبداع، ومن أهم المبتكرات الفكرية التي اكتشفها في كتاب المتنبي هو: إثبات علوية المتنبي وهذه العلوية هي سرّ نفسه المحبّة للمغامرات، انظر قوله:

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَدُّهَا \*\*\* فِيمَا النَّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَمِّ

وقوله أيضاً:

لتعلم مصرٌ ومن بالعراق \*\*\* ومن بالعواصم أتى الفتى

وأني وفيثٌ وأني أبيتُ \*\*\* وأني عتوتُ على من عتي

وسرّ طاقته الإبداعية في شعره، وإثبات أن المتنبي كان يجبّ خولة أخت سيف الدولة الحمداني، وهي المقصودة في جميع شعره، وإن لم يصرح باسمها مرة واحدة، وهذا الغزل الراقي لأن هذه الصبية كانت راقية حسبا ونسبا وجمالا، وليس امرأة بدوية كباقي النساء. ورفض نبوة المتنبي رفضاً باتاً، وإنما كان هذا لقب فقط، وكذلك الترتيب الزمني للشعر... الخ. انظر: المتنبي، ص: 34-50.

إنها تجربة لغوية أدبية رائعة كشف فيها عن عمق النفس البشرية ذات الشعاب والحزون عبر مسلمات النص، وصلت إلى حدّ التجربة الصوفية عندما يرقى أصحابها إلى مرتبة نزول فيها الحُجُب والرُّيُون التي تكدّست على النفوس والأرواح والعقول.

إنّ كتاب المتنبي للشيخ أبي فهر فتح لنا أبواب موصدة، عجزت المناهج الغربية أن تكشفها من البنيوية والتفككيات والتداوليات، وغير ذلك، وبفضل منهج التدوّق المبتكر في هذا الكتاب، نستطيع أن نعيد تشكيل النص في أبعاده الزمانية والمكانية، ونستطيع أن ندرك بوظيفة الحدس من الحقائق اللغوية والأدبية والتاريخية ما لا ندركه بوظيفة العقل.

وبهذا الكتاب فيه نقل الشيخ أبو فهر سنن البحث الأدبي واللغوي من الثثرة إلى القلق العلمي الجاد، وبه كشف عن ظاهرة السطو والتلصص على أعمال الناس، وبه فترق بين الأصيل والدّعي، وبه استفدنا أنّ من ابتلع فكرة في صباه فإنه صعب عليه أن يتقيأها في كبراه. وبه استفدنا أنّ من يمتلك أصول البيان الرفيع الذي يحيط بالفكرة وزيادة من غير تنكيس للفهم. وبه استفدنا أن قوة الفكرة قد تزيد في قاموس اللغة، فالفكرة العظيمة التي كان يحملها المتنبي هي علويته، وهي سرّ لغة شعره.

وإن المطلع على كتاب المتنبي لأبي فهر سيرى أبنية معمارية لغوية رائعة جمعت بين قاموس القدماء وطرز المحدثين، فيرى جملا معتّقة من غير ترديد، وتراكيبا فصيحة من غير تجاعيد، وفقرات محكمة من غير أخاديد، وأساليبا بليغة وكأنها الأغصان الأمليد وفكرا مركزا ينطبع في الذهن من غير جهد، ونختا للغة نختا موسقيًا محروسا رائعا ومؤصّلا.

6) وقفة مع لويس عوض<sup>1</sup>، من خلال "مقدمة في فقه اللغة"، نشره سنة (1981).

يعتبر هذا الكتاب من أشرف الكتب الفيلولوجية التي تجاوزت الحدود في حقّ تاريخ العربية وأصل العرب، أثار جدلا وبلبله في الثقافة اللغوية العربية خاصة في مصر وقد مُنِعَ من النشر مدة ربع قرن، ومنهج هذا الكتاب كما يرى لويس هو "ضرورة امتحان اللغة العربية بتطبيق كافة قوانين الفونوتيقيا ، والمورفولوجيا... كما أنه يطالب بتطبيق هذه القوانين على اللغة العربية بعقل مفتوح حتى نستطيع أن نتهدي إلى ما بين لهجاتها من صلوات، وما بين مفرداتها ومفردات اللغات الأخرى من علاقة وإلى الشوائج التي تربط النحو العربي بالنحو في مجموعات اللغات الأخرى."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> لويس عوض (1915-1990) مفكر وأديب مصري، له كتابات كثيرة وخطيرة في الأدب والفكر واللغة، كانت له مناصب راقية منها أنه عمل مديرا عاما للثقافة بوزارة الثقافة، سنة (1959). ومن أشهر دعاويه الموتورة، "الدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى العامية لننحو بديننا بزعمه من غش رجال الدين منذ عهد الأئمة إلى اليوم، وخلاصة ما يقال فيه أنه نسخة منقّحة أنه عن سلامة موسى." أباطيل وأسمار، ص: 117، 118. وإذا جئنا لنعرف من هو سلامة موسى (1887-1958)؟ وجدناه مفكر مسيحي مصري منتمي إلى الغرب فكرا واعتقادا حاقده على العربية وعلومها كان من أكبر المروجين للعامية، متأثر بكارل ماركس وتشارلز داروين، من أوائل كتبه، وكتاب نظرية التطور وأصل الإنسان (1928)، رُحِبَ فيه بالفكر الداويني الإلحادي، وكتاب اليوم والغد (1929) الذي كفر فيه بالشرق، وكتاب البلاغة العصرية واللغة العربية (1945) الذي أدان فيه العربية الفصحى وحملها ماهي منه براء، ورأى في البلاغة العصرية "أن العربية الفصحى تساهم في الجنون والإحرام.!!؟"

يقول عنه الأستاذ مصطفى صادق الرافعي: رأيت في سلامة موسى معروف لم أغيره يوماً فإن هذا الرجل كالشجرة التي تنبت مرًا. لا تحلو ولو زرعت في تراب من السكر، ما زال يتعرّض لي منذ خمس عشرة سنة، كأنه يلقي عليّ وحدي أنا تبعة حماية اللغة العربية وإظهار محاسنها وبيانتها، فهو عدوها وعدو دينها وقرآنها ونبينا، كما هو عدو الفضيلة أين وجدت في إسلام أو نصرانية. دعا هذا المخذول إلى استعمال العامية وهدم العربية، فأخزاه الله على يدي، وأرثته أنه لا في غيرها ولا نفيها. وأنه في الأدب ساقط لا قيمة له. وفي اللغة دعوي لا موضع له، وفي الرأي حقير لا شأن له. " نقلا عن: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ص189، 190.

<sup>2</sup> انظر: مقدمة في فقه اللغة: لويس عوض، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص: من مقدمة المؤلف.



أما قوله ضرورة امتحان اللغة العربية بتطبيق هذه القوانين اللغوية التي سبقنا الغرب في تطبيقها على لغاتهم فهذا الامتحان ليس مؤهلا هو أن يقوم به وهو أحوج ما يكون إلى منهجية نفسية قبل أن يكون بحاجة إلى منهجية علمية، ثم إن العربية قد امتحنت مرتين في التاريخ بأكثر من هذا الذي يدّعيه، أولا "في ناحية القدرة على استيعاب الأفكار الجديدة، واجتازت هذا الامتحان بنجاح كبير، (..) (ثانيا) حركة الترجمة من الإغريقية والسريانية، في أوائل العصر العباسي، لم تقصّر العربية الفصحى عن تحمّل تبعاتها، والوفاء بمتطلباتها."<sup>1</sup> أما التجربة الحيّة اليوم فهي تدريس العلوم التقنية والطبيّة في سوريا، باللغة العربية، وهي تجربة فريدة من نوعها في تاريخ العربية، أثبتت أحيّة العربية وجدارتها أن تكون لغة العلم والطب والتكنولوجيا.

أما إذا جئنا إلى القضايا وهي كثيرة منها رأيه "أن العرب أمة حديثة عهد بالوجود على صفحة التاريخ، وأنهم لا ينتمون إلى هذه المنطقة، بل هم مجرد قبائل رُحّل انتقلت من بلاد القوقاز في الزمان القديم إلى ما يسمّى بـ"الجزيرة العربية"، وأن لغتهم لغةً بزرميط لا شخصية لها (..) وأن العامية المصرية هي لغة مستقلة عن العربية الفصحى لا تربطها بها صلة (..) فضلا عن عبثه الشيطاني بلغة القرآن.. إلخ"<sup>2</sup> فهذه قاضية من قاضيات لويس عوض الفيلولوجية التي تسعى لضرب نسب العربية في تاريخها ونسب أبنائها الذين تكلموها، وليست قضية لغوية لخدمة العربية البتّة!!؟

<sup>1</sup> دراسات وتعليقات في اللغة: د، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1994، ص:158.

<sup>2</sup> انظر: الكتاب الفضيحة مقدمة في فقه اللغة العربية؟ أم في الجهل والحقد والبهلوانية؟: د، إبراهيم عوض، الموقع والمدونة.

إن الشيء الذي حيرني في هذا الرجل أنه كيف استطاع أن يفصل بجراًة في موضوع النشأة للحرف العربي والإنسان العربي متكلم هذا الحرف، وهو موضوع موغل في سحيق الآباد والأزمان تتكاثف عليه ظلمات بعضها فوق بعض" لم يظفر بحث من البحوث اللغوية بقدر وفير من التأمل والتفكير مثلما الذي ظفرت به نشأة اللغة. ومع هذا فقد كانت النتيجة دائماً سلبية، ولم يهتد الباحثون بعد كل ما بذلوه من جهد إلى رأي يجمعون عليه أو يطئنون إليه.<sup>1</sup>

أما إذا أردنا لماذا؟ فالإجابة بسهولة هي أن "نشأة اللغة متصلة بنشأة الإنسان، أو بنشأة المجتمع الإنساني، وبالمخ الإنساني ونموه، وبأطوار الحياة الاجتماعية التي مرّ بها الإنسان، وبالاحتاجات والدوافع التي يحتمل أن تكون قد ألبأتها إلى اصطناع هذا النظام."<sup>2</sup> ولهذا علم اللغة الحديث يتجانف البحث فيما لا يخضع للفحص العلمي، لأنه مستهلك للوقت وللجهد فيما لا طائل منه بنتيجة تفيد البحث اللساني الحديث فيما هو مقبل عليه من مشاريع نهضوية للغات.

أما إذا بحثنا في خلفيات وكواليس هذه الأفكار المختلة والتي تعتبر ضريبة قاسية هي الأخرى على البحث اللساني العربي الحديث، فإن الرجل نجده قد وضع " أمامه كتابين أو ثلاثة لبعض علماء اللغة الأوربيين (مثل كوني وهرمان مولر وبوزواك) لا من عمله."<sup>3</sup> وهناك كاتب يهودى يحاول، على طريقة لويس عوض، أن ينكر قَدَم العرب في التاريخ فيقول إن اسم "بلاد العرب" لا يرجع إلى أبعد من ألف سنة قبل الميلاد، بيد أنه سرعان ما يخونه لسانه فيضيف أنه إذا كنا لا نستطيع الحديث عن العرب في

<sup>1</sup> دلالة الألفاظ: د، ابراهيم أنيس، ط5، 1984، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص:13.

<sup>2</sup> علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): د، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، ص53.

<sup>3</sup> انظر موقع : الكتاب الفضيحة مقدمة في فقه اللغة العربية؟ أم في الجهل والحقد والبهلوانية؟

العصور القديمة، فمن الممكن مع ذلك الحديث عن أسلافهم. وقد ورد هذا الكلام في مقال بعنوان :

"Origin and Identity of the Arabs" يستطيع القارئ أن يجده في موقع

"[www.imninalu.net](http://www.imninalu.net)".<sup>1</sup>

وموضوع أصل العرب ولغاتهم وبلادهم يعرف كيف يتكلم فيه علماء اليهود، لسبب واضح وهو

قضية فلسطين، فهم يعتقدون أنهم قوم أحقيون بلا منازع في إرث هذه الأرض ومقدساتها<sup>2</sup>، فانطلاقا

من هذه المزاعم ينطلق علمائهم في توطين أفكارهم لتوريتها فيستقوى بها أبنائهم.

<sup>1</sup> انظر: الكتاب الفضيحة مقدمة في فقه اللغة العربية؟ أم في الجهل والحقد والبهلوانية؟

<sup>2</sup> فأما كلمة الفصل في تاريخ بني إسرائيل (يعقوب عليه السلام) فإنهم لم يكونوا من فلسطين، فإبراهيم الخليل عليه السلام وهو أبونا وأبوهم كان من أهل أور في ذي قار جنوب العراق، وقد خرج مهاجرا إلى الشام، ثم هاجر إسرائيل وأولاده (وهو يعقوب بن إبراهيم الخليل عليه السلام) إلى مصر، -لأنّ الشام ليست أرضا لهم-، ومات إسرائيل عليه السلام وأولاده الاثنا عشرة في مصر وبقيت ذريتهم الذين سلط الله عليهم فرعون الذي سامهم سوء العذاب، ثم أنقذهم الله سبحانه بموسى عليه السلام الذي أمر أن يخرجهم من مصر للذهاب إلى "أريحا في فلسطين"، فقالوا لموسى عليه السلام "إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا." (المائدة:22) وسمي أولئك القوم جبارين لأنهم كانوا من بقية قوم عاد العمالقة، و وثق من بني إسرائيل رجلا ن فقط، حكى الله كلامهما فقال: "قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ" أي: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من بني إسرائيل الذين يخافون الله، وهما: "أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا" بتوفيقهما لذلك "ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (المائدة: 23). فلما خذلوا موسى عليه السلام عاقبهم الله سبحانه: "قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَيَّبُوهَا فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ." ولم يدخل "أريحا" أحد ممن قالوا إنا لن ندخلها أبداً. واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح، فقال قوم: إنما فتح موسى "أريحا" وكان يوشع على مقدمته، فسار موسى عليه السلام إليهم فيمن بقي من بني إسرائيل، فدخلها يوشع فقاتل الجبارة ثم دخلها موسى عليه السلام فأقام فيها ما شاء الله تعالى، ثم قبضه الله تعالى إليه. قال ابن كثير (ت:774هـ)، في قوله تعالى: "فلا تأس على القوم الفاسقين" تسلياً لموسى عليه السلام عنها أي لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به فإنهم مستحقون ذلك وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتها فيما أمرهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه وصفيه عن خلقه في ذلك الزمان وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم هذا مع ما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له ولجنوده في اليم وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلدهم بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام وافترضوا فضيحة لا يغطيها الليل ولا يسترها الذليل هذا وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يترددون وهم البغضاء إلى الله وأعدائه ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه فقبح الله وجوههم

وعلى كل فالنظرية القوقازية الخاصة بأصل العرب التي تبناها لويس عوض مأخوذة من عالم أوربي هو "آرثر كيت" وهو من أشهر الشخصيات الداروينية، وليست من بُنَيَات عقل لويس عوض، كما أن قوله إن أبحاثه دلته على أن اللغات البشرية ترجع في الأصل إلى ثلاث لغات فقط هو كلام مأخوذ من العلماء الأوربيين جاهزا دون أن يكون له فضل فيه.<sup>1</sup>

ومن تلافيقه التي تدلّ أن عقله لم تمسسه لا لغة ولا نحو، رؤيته أن معنى "النبي الأمي هو في حقيقة الأمر النبي الأمي وما معنى النبي الأمي: أي النبي الذي بعث من سلالة غير سلالة اليهود، أي أن الأمي لا تفيد الجاهل بالقراءة. ويبرر قوله هذا بأن الجمع في العربيّة لا يستحب على شكل الأمي فاختصرت في كلمة أمي والقبائلي في القبلي.<sup>2</sup> وهذا المثال خير دليل أنّ ضعفه في فقه اللغة ذاتي فيه، وهذا الاختصاص الذي خطأ فيه إنّما هو أتيّ عليه، فأنيّ يأتيه الفهم والفكر في علم ضَعْفَ فيه مرتين، مرّة من ذاتيّته الضعف في استيعاب هذا العلم بالفطرة، ومرّة في أنه رجل غير مختص.<sup>3</sup>

---

التي مسخ منها الخنازير والقرود وألزمهم لعنة تصحبهم إلى الدار ذات الوقود ويقضي لهم فيها بتأييد الخلود، وقد فعل وله الحمد في جميع الوجود." انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، 1419هـ، ج3، ص:73. فهل يستطيعون أن ينكروا هذا التاريخ الزاخر بالمسخ والعار والذلّ والهوان؟!<sup>1</sup>

انظر: الكتاب الفضيحة مقدمة في فقه اللغة العربية؟ أم في الجهل والحقد والبهلوانية؟<sup>2</sup>

مقدمة في فقه اللغة: لويس عوض، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص: من مقدمة المؤلف.<sup>3</sup>

جاء في كتاب "أباطيل وأسمار أن لويس عوض كتب ترجمةً لحياته، وجعلها مقدمة لكتابه: بلوتولد وقصائد أخرى، يصف فيها نفسه بأنّ إحساسه باللّغة ضعيفٌ بالفطرة، وأنّه لم يقرأ حرفاً واحداً بالعربيّة بين سنّ العشرين والثلاثين؛ (أي: اثني عشرة سنة!!) إلّا عناوين الأخبار في الصّحف السيّارة، وبعض المقالات الشاردة، ألزمته الضرورة السياسيّة بقرائنها، فإحساسه باللّغة أجنبيّ جدّاً على كل حال، وبالطبع هذا كلام إنسانٍ عاقلٍ جدّاً، ومتمالكٍ لجميع قواه العقليّة، فمن أجل ذلك نخاطبه، وإلّا كانت مخاطبته ضرباً من العبث والجنون. انظر: أباطيل وأسمار، ج1، ص:80.

ومهما يكن، تبقى هذه الرؤية من أرفع التجليات العلمية التي وصل إليها، وما وصل إليها إلا لأنّ الرجل قد عاش غربة ووحشة من العلم الصحيح والمنهج القويم. ربما قد يظنّ القارئ أنّي قد قسوت على الرجل في التهكم عليه، فأقول لست الأول من استخفّ بعلمه، بل إنّ هناك العشرات الأدباء واللغويين الذين ردوا على لويس عوض على كتابه هذا، بل وجميع كتبه، منهم: الأديب الكبير أبو فهر محمود محمد شاكر في كتابه: "أباطيل وأسمار": وهو كتاب خسف لويس عوض ومن يحرّكونه، وفيها عُرف من هو أبو فهر شاكر<sup>1</sup>؟ ومن هو لويس عوض؟

قد سمّي لويس عوض "مقدمة في فقه اللغة العربية"، الذي صدر أول مرة سنة (1981)، وكأنّ هذا التاريخ بدأ فقه اللغة العربي حديثاً بطرح علمي غير معهود في الدراسات الفيلولوجية الحديثة، وكأنّ الذين سبقوه في هذا العلم فلا محلّ لهم من هذا العلم، من أمثال علي عبد الواحد وافي، وصبحي الصالح، وتمام حسان، وإبراهيم أنيس، ومحمود السعران، ومحمد فهمي حجازي.

<sup>1</sup> كان أبو فهر قد اعتزل الكتابة مدة ثلاثة عشر سنة حبّاً متراكباً بين (1952 و 1965)، التاريخ الأول يمثل أول نشر للقوس العذراء، والتاريخ الثاني يمثل أول نشر لكتاب أباطيل وأسمار في جزئه الأول، ولكنه كان يتابع ما يكتب على الصحف والمجلات، وقد كانت كتابات لويس عوض هي التي أخرجته محبسه الذي فرضه على نفسه، ولما اشتدّ تمادي هذا الرجل المستعمل من طرف الاحتلال البريطاني، ألحّ عليه زملائه على الردّ عليه، فقال يومئذ: "كرهت أن أسردّ الصوم عن الكتابة ثلاثة عشر عاماً، ثمّ أجعل فطوري على بصلة خبيثة الرائحة!! (..) إنه شرلتان يضحكني، لا مفكر يحرّكني." {انظر: أباطيل وأسمار، ص: 11}. وبعد إلحاح وإصرار من إخوانه الذين حمّلوه مسؤولية هذا الصمت الطويل، عندها حمل أبو فهر قلمه لا كما يحملها الناس، والذي سوف لن يتركه إلى أن يوارى الثرى، والذي قال فيه: "لو عرفت أنّي سوف أحمل سيفاً أو سلاحاً أمضى من هذا القلم لكان مكاني اليوم في ساحة الوغى في فلسطين، ولكيّ نذرت على هذا القلم أن لا يكفّ عن القتال في سبيل العرب ما استطعت أن أحمله بين أناملي." انظر: جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ج 1، ص: 3. الشيء الذي يفتن القارئ في كتابه أباطيل وأسمار هو هذا الإقتدار اللغوي العجيب الذي زعزع به حصون الباطل، وهتك به ستر لويس عوض ومن يحرّكونه. وإذا قيل في الجاحظ أنّ كتبه تعلّم العقل، وأنّ كتابات أبو فهر تعلّم العقل والعزّة، فأنا أزيد ثلاثة له فهي تعلّم كذلك اللغة.

وخلاصة ما يقال في هذا الرجل الذي ردّ عليه العشرات من الباحثين العرب الملتزمين، ولم يروا فيه

آية فائدة على الثقافة واللغة والأدب والفكر، بل هو وبال عليها ومحنة، وكما يقول د، ابراهيم عوض

"إنه في هذا الكتاب قد طلق العقل والمنطق والعلم والتفكير المنهجي السليم بالثلاثة واستبله غاية

الاستبلاه، وتدهدى في البحث العلمي وبالبحث العلمي إلى هوة سحيقة القرار!"<sup>1</sup>

وخاصة أنّ قلمه في هذا الكتاب قد ارتعش في قضية هي في غاية الأهمية بحيث شكك في عراقة

اللغة العربية معتبرا إياها لغة محدثة ونافيا عنها صفة أهل الجنة، أو لغة أزلية بأزلية القرآن الكريم "وأنها لم

تكن لغة آدم في الجنة الأولى ولا كانت مسطورة في اللوح المحفوظ قبل بدء الخليقة."<sup>2</sup>

وهذا ليضرب صفاء النسل العربي وصراحته ونقاء اللغة العربية وشجاعتها، ثم إنّ هذا الكتاب لا

يمكن أن نلتمس العذر لصاحبه، لأن هذا الأخير كتبه وعمره 66 سنة، ولكنّ "إنّ سفاه الشيخ لا حلم

بعده"، كما يقول زهير بن أبي سلمى في معلقته. فلا يكون إندفاع في هذا السنّ فيمن يكتب بالفطرة، وإنما

هذا دليل قاطع أن الرجل غير سليم الطويّة، مادام قد انسلكت في ذهنه مثل هذه الأفكار الإدعائية الغير

المحترمة، وإنما يكتب بحقد وعصبية بحثا عن المعايير والمعاييب. ومن أشهر الذين ردّوا عليه جلال كشك في

كتابه: "القومية والغزو الفكري"، والبدرأوي زهران في كتابه: "دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته"،

ومحمود رمضان في بحثه "لويس: تُرى على من تطلق النار" الخ.

<sup>1</sup> انظر: الكتاب الفضيحة مقدمة في فقه اللغة العربية؟ أم في الجهل والحقد والبهلوانية؟

<sup>2</sup> مقدمة في فقه اللغة: لويس عوض، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص: من مقدمة المؤلف.

ب/ محطات خفيفة عند أبرز دعاة الأصالة الذين ردوا على دعاة التجديد والتجريد في النحو:

1) محمد أحمد عرفة:- "النحو والنحاة بين الجامعة والأزهر"، نشره سنة (1937):

محمد أحمد عرفة أحد كبار العلماء الأزهريين التراثيين، وهو من أشهر من ردوا على كتاب

مصطفى إبراهيم الذي نسب إلى النحاة كل اضطراب في بيان القواعد النحويّة، وأثبت أن كتابه لا يخلو من باطل القول والجور في الحكم، والعجلة في التقييم.

ولقد كان إبراهيم مصطفى "قاسيا على النحاة المتقدمين جميعا، من سيبويه ومعاصريه إلى العصور

الحديثة أشدّ القسوة، عنيفا أقسى العنف، هاجم النحاة في غير موارد وطعنهم في غير لين ولا رحمة،

وأبان أنهم قصّروا النحو على بعض منه وهو الإعراب." <sup>1</sup> بل حتّى هذه الأخير لم ينل عندهم حظه من

النظر والتأمل في زعمه، أما إحياءه فله مقاصد يطمع أن تحلّ محلّ النحو القديم البالي والتي لم يوافق على

مقصد علمي واحد منها الشيخ محمد عرفة، وهي: زعمه أن النحويين قصّروا مباحث النحو على

الإعراب والبناء، دون أن يبحثوا في خصائص الكلام، وزعمه أن الضمة علم الإسناد، والكسرة علم

الإضافة، والفتحة علم الخفة، وزعمه أن المتكلم هو الذي أحدث الحركات الإعرابية، وزعمه أن التنوين

علم التنكير فلك في كل علم ألاّ تنوّينه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة: أحمد محمد عرفة، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، (د، ت)، ص:4.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص:14.

هذه ملخص الاجتهادات التي جاء بها صاحب الإحياء ظنًا منه أنها لا تترث ولا تبلى أمام

النقد والتمحيص، لم يوافق عليها الشيخ عرفة على جملة الاجتهادات التي قدّمها صاحب الإحياء،

ورأى أنه "ليس من الخير أن يقلب النحو على أساس أن ما نون من الأعلام نكرة، ولم ينون من

الصفات والأسماء. وليس من الخير أن يقلب النحو على أساس أن الكلام في أفعال القلوب المعلقة عن

العمل كلامان، وأن الجمل التي فيها أداة التعليق مؤخّرة من تقديم. وليس من الخير أن يحور النحو على

أساس أن البدل والتوكيد شيء واحد، وإن خبر المبتدأ تابع من التوابع، وأن الضمة فيه للاتباع لا تدل

على معنى".<sup>1</sup> هذه بعض البدائل العلمية النحوية التي جاء بها صاحب الإحياء غير أنها بدائل مكرهة

كسرت العرف النحويّ الشائع عند الناس كافة، ولا يصلح أن نرغمهم مرة أخرى على نحو يستهلك

جهدا في فهمه وجهدا آخر في إفهامه، فالذي يحتاج جهدا واحدا في فهمه وإفهامه خير من الذي

يحتاج إلى جهدين لأن النحو الأول هو من تقاليد الناس.

وكذلك يرى الشيخ عرفة، أنه "ليس من الخير أن يحور النحو على أساس أن الفتحة لا تدل على

معنى ولا تشير إلى معنى في الجملة، وليس من الخير أن يحور النحو على أساس أن ما نصب يكتفي في

البحث عنه بأنه ليس متحدًا عنه ولا مضافا إليه ولا يبحث عن مركزه في الجملة أهو مركز الحال أم مركز

التمييز أم مركز المفعول لأجله... الخ"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، ص: 235.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: ن.



هذه بعض الاستبدالات النحوية التي كان مصطفى إبراهيم في "إحيائه" مقتنعا بها ومعتادا بجدواها، التي يرى فيها متسعا وليس فيها أيّ تضييع وتضييق لعلم النحو ، بل هو نحو خفيف الدم لطيف الروح، لا يتأفف منه الأستاذ والمعلم ولا يتململ منه الطالب المتعلم ، ومن جملة ما رآه الشيخ محمد عرفة أيضا، في فكر مصطفى إبراهيم، أنه كان "يدرك الخفي المستور، ولا يدرك الظاهر المكشوف، وينقل أعجاز نصوص ليستشهد بها على ما رآه، ولو نقلها كلها صدورها وأعجازها لدلت على نقيض ما رآه، فأمنت أنه لم يؤت من جهل، وأنه مدرك مذاهب النحاة على ما هي عليه من حق وسمو، وإنما شوّوها ومسحها عن علم، ونسب للنحاة التقصير عن علم، وانتحل مذاهبهم عن علم، وحاربهم بها عن علم، بأنها أسلحتهم."<sup>1</sup>

بمعنى أنه كان غير موضوعي في حكمه وهذا ما استفّر الشيخ "محمد عرفة" بتأليف كتابه هذا للردّ عليه، فانطلق في نقده ولم يحاول استرضاءه أو التماس له الأعذار في أي صفحة من صفحاته، لأنه لم يكن هادفا لما فيه صلاح طلاب العربية، ولم يراع فيه فارق الظروف والأحوال بينه وبين نحو العربية عبر عصورها ومدارسها. ومن الخلفيات التي رآها الشيخ عرفة كذلك "أن الدكتور طه حسين حيشما أتى على الكتاب كان متآمرا مع المؤلف على إخفاء الحق، وستر الواقع، للطعن في ميراث السلف والإعلاء من شأن تفكيرهم الحديث."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، ص:11.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:11.

بمعنى أن هذا الكتاب استقوى بتصدير طه حسين زمانه الذي أشاد به إشادة وضعه فيها في رتبة

الفراء (ت:207هـ)، الذي كان يلقب بأمر المؤمنين في النحو، وهو الذي اقترح اسم الكتاب، ب: "إحياء

النحو." ومهما يكن فـ"لقد حشر كتاب إحياء النحو النحاة حفاة عراة يتوارون من الناس خزيا واستحياء

تتقزز منهم النفوس، وتنحاطهم العيون، وقد حشرهم كذلك ظلما وجورا ولقد بعثهم كتاب النحو

والنحاة بين الأزهر والجامعة غرا محجلين، ولقد أضفى عليهم ثيابهم، وأسبغ عليهم دروعهم، فبدوا للناس

كما هم ملء العيون والأسماع، وملء القلوب والصدور.<sup>1</sup>

ومهما يكن، فلقد جاء كتاب النحو والنحاة للشيخ عرفة فداء وتضحية في سبيل إعلاء من شأن

نحو الفصحى القديم، وأما مقاله مصطفى إبراهيم فلا يمثل العربية ولا يستوعب لغة العرب التي لا يحيط

بها إلا نبي، وبالتالي فالإحياء لم يكن عملا مبرورا، رغم الجهد الذي قدّمه من البحث والتفتيش مدة

سبع سنوات، ومع ذلك فهو كتاب رضيع ولم يبلغ الفطام من الكتاب الأم، " الرّد على النُّحاة"، لابن

مَضَاء القرطبي (ت:592هـ).

لقد أجم الشيخ "محمد عرفة" صاحب الإحياء ودمغ جميع حججه وأذهب منه الطاقة المزعومة،

وماهو إلا اجتهاد كائد فلا يمكن الرجوع إليه، وأبداه للناس كافة عملا لا قيمة له، فالنحو هو الذي

يعطي للعربية قيمتها وأصالتها، فالعلاقة بين اللغة والنحو علاقة تلازمية.

<sup>1</sup> النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، ص:234.

2) أحمد محمّد شاكر في كتابه: -"الشرع واللغة"، نشره سنة (1945).

أبو الأشبال أحمد محمّد شاكر (1892-1952م) وهو من كبار أئمة الحديث في العصر الحديث، كان له سهمة في الدفاع حمى العربية وعلومها في رسالته الموسومة ب: الشرع واللغة وهي ردّ على عبد العزيز فهمي باشا<sup>1</sup> الذي اقترح كتابة حروف العربية بلحروف اللاتينية. يعدّ عبد العزيز فهمي من أوائل المفكرين العرب الذين دعوا إلى اعتماد الحرف اللاتيني أن يكون بديلاً للحرف العربي، وبحكم عضويته في مجمع اللغة العربية في القاهرة زاد لاقتراحه الذي قدمه له قوة، وذلك سنة (1944)، وتابعه بعدة تبريرات، وهذا ما يعني أن الرجل كان جاداً وعازماً على تحقيق هذا الهدف الذي سيقبل حياة العربية رأساً على عقب إن تحقّق وكتب له النجاح.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز باشا فهمي (1870-1951) هو قاضٍ ومحامٍ وسياسي وشاعر مصري من أعلام الحركة الوطنية المصرية، انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية سنة (1940)، من زملائه أحمد لطفي السيد أحمد لطفي (1872-1963) المفكر والفيلسوف المصري. الذي تولى رئاسة الجامعة المصرية، أول ما أنشئت، وثاني رئيس لمجمع اللغة العربية فيما بعد بالقاهرة، الذي أول من ترأسه محمد توفيق رفعت (1934-1944)، ثم أحمد لطفي السيد (1945-1963)، ثم طه حسين (1963-1973)، ثم إبراهيم مدكور (1974-1995)، ثم شوقي ضيف (1996-2005)، ثم محمود حافظ (2005-2011)، ثم حسن عبد اللطيف الشافعي رئاسة المجمع في فبراير (2012)، الذي تأسس مجمع اللغة العربية في القاهرة في 13 ديسمبر (1932).

<sup>2</sup> في الحقيقة أن الذين انغمسوا في هذه الدعوة كثيرون منهم الشعراء والكتاب والمستشرقون وحتى الأطباء، منهم "جميل صدقي الزهاوي" (1863-1963) شاعر عراقي كان قد دعا إلى اعتماد الحرف اللاتيني في مقال نشره في المقتطف سنة 1896 سمّاه: "الخط الجديد"، وداود الجلي (1879-1960) طبيب وكاتب من الموصل دعا إلى اعتماد الحرف اللاتيني سنة 1905، وسعيد عقل (ولد عام 1912) الشاعر اللبناني الكبير لقد سعى لدعوة الحرف اللاتيني سعيها تخطيطاً وتطبيقاً، أما عند المستشرقين نجد دعوة المستشرق الأمريكي ريتشارد لوتهيل، فقد كتب عنها في مجلة الهلال سنة 1902، والمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (1883-1962م)، كان له بحث فيها بعنوان "لا حياة للغة العربية إلا إذا كتبت بحروف لاتينية."

جاءت دعوة عبد "العزیز فهمي" في أول أمرها "تحت ستار إصلاح نحو العربية وذلك في الاقتراح

الذي قدمه في تاريخ 1943/5/3، بشأن تيسير الكتابة العربية، والذي دعا فيه إلى استبدال الحروف

اللاتينية بالحروف العربية.<sup>1</sup> وبعدها استحکم فيه ذوق العامية، تكشف للناس مباشرة في رغبته الملحة

على إقصاء العربية نطقا وكتابة، وساق كتاباته مساق مفكر مشفق على بني قومه من التأخر الفادح

الذي سببته هذه العربية الفصحى ورسمها.

وما ظنك أيها القارئ الكريم برجل يرى أنّ من أسباب تأخر أمتنا رسم الحرف العربي الذي يرى فيه

عسر لا يليق بمطلبات ناشئة العصر ، يقول فهمي "إن العيب إنما هو عيب اللغة التي ليس لها في

مفرداتها وقواعدها أول يعرف ولا آخر يوصف، والتي لها في أدائها جرس ولوكة يضربان صماخ أذن

الطفل لبعدهما وبين لهجة أمه، فينفر منها ومن المعلم نفور الطير روعته والظبي باغته.<sup>2</sup>

حجة أوهى من حجة إبليس حين أمره خالقه أن يسجد لآدم<sup>3</sup> اتخذها فهمي جنة في أطراح العربية،

ومعلوم أنه قد أجمع أئمة اللغة والنحو قديما وحديثا وعربا وغربا وأولهم وآخرهم أنه لا ذنب للغة من

حيث هي لغة أداة تواصل وتبليغ، وإنما الذنب والقصور قد يحدث من متكلم هذه اللغة، إذا فكيف

نحسن الظن بعقل رجل من يرى مثل هذا الرأي، بل وأكثر وذلك "عندما سئل كيف تريد أن ترسم

القرآن؟ فأجاب أن رسم القرآن بحروف اللاتينية أفضل، لأن الحروف اللاتينية ينقلها منقولة عن النصارى

<sup>1</sup> انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية، ص:144.

<sup>2</sup> نقلا عن: اللغة والشرع، ص:15.

<sup>3</sup> قال تعالى على لسان إبليس: "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ." (ص:76).

وهم أهل الكتاب أقرب من الوثنيين إلينا نحن المسلمين. " <sup>1</sup> فهذا تصوّر فاسد من البداية حول العربية، فهذا دليل على أن اطلاعه جدّ متواضع حول حياة اللسان العربي، وأنّه غير واعٍ ماذا يعني رسم الحرف العربي للإنسان العربي والمسلم، سوف تقلب كل حياة العرب والمسلمين وتقطعّ الأوصال بين الماضي والحاضر إن كتب لدعوة الحرف اللاتيني النجاح!؟

ولا ينبغي أن نحسن الظنّ بمن هو في سابق تصوراته لا يحسن إلا ظنّ السوء في علوم العربية، فهذه الآراء إذا عرضت على العقل السليم من آفة الهوى فإنه لا يقبلها. وكما يرى أحمد شاعر أن "التاريخ منذ أكثر من 1300 سنة، يربط الإسلام بلغة العرب أوثق رباط. فلا يستطيع أحد أن يتخيّل أمة مسلمة غير عربية، ولا أن يتخيّل لغة العرب منفصلة عن الإسلام. وكان ذلك من صنع الله بالقرآن، فهو أوثق سبب يصل الإسلام بالعروبة لا تنفصم عراه. فلا تكون أمة عربية ولا أمة مسلمة إلا بهذا القرآن. " <sup>2</sup> فمن لا يقيم وزنا لهذه الحقائق التاريخية المتعلقة باللسان العربي لا ينبغي أن نقيم له وزنا كائنا من كان، لأنه أمر يتعلق بمصير لسان، وهذا اللسان يتعلق بأفضل كتاب وأقدسّه، ومن قبل من هؤلاء الإباحين لهذا الفكر المأفون فينبغي الوقوف لهم بالمرصاد، وكما قال الإمام علي رضي الله عنه: "حين سكت أهل الحقّ عن الباطل، توهم أهل الباطل أنّهم على حقّ."

<sup>1</sup> اللغة والشرع ص:18.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:4، 5.

إن العربية وعلومها التي نبتت على 17 قرنا من الحضور لا تحتاج إلى مثل هذه الطروح التي تنكّرت للأصول التي اتفقت عليها أئمة اللغة والنحو عبر تاريخها.<sup>1</sup>

ومن فساد التصوّر صار هذا الرجل يشعر أن الناس جميعا يشعرون بمثل بمرارة شعوره الذي اتبع فيه هواه الذي قاده إلى هوانه وكان أمره فيه فرطا، وذلك عندما يقول: "إن أهل اللغة العربية مستكروهون على أن تكون العربية الفصحى هي لغة الكتابة عند الجميع وأن يجعلوا على قلوبهم أكثّة وفي آذانهم وقرا، وأن يردعوا عقولهم من التأثير بقانون التطور الحتمي الآخذة مجراه بالضرورة في لهجات الجماهير تلك اللهجات التي تتفرع فروعاً لا حد لها ولا حصر، والتي تتسع كل يوم مسافة الخلف بينها وبين الفصيحة."<sup>2</sup>

غير مأسوف على رجل يتكلّف الحيلة في إقصاء العربية أن يقصى من مجمع اللغة العربية الذي أنشء ابتداءً للتمكين لها في النفوس وأرواح، ولا حيلة مع رجل يرى الخطأ صواباً متعمداً وهو من الذين يسعون في الأرض الفساد الذين يجبوا أن يحاسبوا على فكرهم أو ينكل به في الصحف والمجلات تحذيراً منه أو أن يقبر هذا الفكر الإباحي الذي لا يعرف للخصوصية معنى، "هذا رأي عبد العزيز فهمي في العربية التي

<sup>1</sup> وإنّ من يقرأ موقف فهمي من التشريع الإسلامي ليدرك حق الإدراك عن هذا الرجل أنه ما شَمَّ لعلوم العربية رائحة، ومن أشهر أراجيفه قوله: "إننا الآن عيال على الأوربيين لا في خصوص العلوم والفنون فحسب، بل كذلك في أمور التشريعات والقوانين، وإن تقل عليك قولي فسل رجال كلية الحقوق وكلية التجارة، وأقلام قضايا الحكومة التي تجهز مشروعات القوانين، وسل كل من بالمحاكم الأهلية والمختلطة من القضاة المصريين ومن يشتغل لديها من المحامين المصريين." اللغة والشرع، ص: 44-45.

<sup>2</sup> تاريخ الدعوة إلى العامية ص: 145.

تصدّ لخدمتها، ولم يكن متوقّعا أن يصدر عن أحد أعضاء المجمع الذي أقيم لحماية اللغة العربية، لكن صيحة البلبلة الذهنية التي أوقع الأجانب فيها بناء العربية الذين وصلوا إلى مراتب لتمكنهم من العربية.<sup>1</sup> لقد التحف فهمي برداء كبرياء الوظيفة، وكما ترى د، نفوسة زكريا حينما تقول: "كان لاقتراح عبد العزيز فهمي خطورته وهي خطورة لم تأت مم تضمنه من الحملة على العربية فحسب، بل من مكانة صاحبه العلمية والإجتماعية، ولكن رغم هذه الطعنات التي وجهها إلى العربية الفصحى في مقدمة الاقتراح وفي ثناياه يحمل الناس على قبول دعوته إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، لم تلق دعوته قبولا من السواد الأعظم من أبناء العربية في بيئاتها المختلفة. ولم يناصر الدعوة إلى أقلية ممن عرفوا بعدائهم للعربية الفصحى، فكانت هذه الدعوة بمثابة متنفس جديد لعدائهم."<sup>2</sup>

وهذا تحليل عجيب من د، "نفوسة" بحيث لو لم تكن له وظيفة عالية في المجتمع لم يجد لاقتراحه عزما ولا قوة ولا ناصر، وهذا الرجل في نظري غير سليم الطويّة تجاه العربية وعلومها وقرآنها وسنتها، وعلى أرجح الظنّ أنه كان يشدّ عضده بدعاة الباطل من المستشرقين و المفكرين الإباحيين، الذين أرادوا أن يأتوا على بنیان العرب والعربية والإسلام من القواعد.

<sup>1</sup> تاريخ الدعوة إلى العامية، ص: 145.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 146.

3) علي النجدي ناصف في كتابه: - سيبويه إمام النحاة، نشره سنة (1953).

علي النجدي ناصف من أشهر اللغويين العرب الذين آمنوا بالتراث في صناعة المنوال المنهجي لعلوم العربية، الذي يظهر فيه من خلال العنوان، أنّ له ثقافة الاعتبار لرموز العربية القدماء لاسيما إذا تعلّق الأمر بالشابّ النحويّ اللاوذعيّ سيبويه (ت:180هـ)، الذي كتب عليه أن يكون شيخ نحو العربية الأوّل.

يقول ناصف: "إن ملازمة العظيم وطول الصحبة له -مما يثير في النفس أشتاتاً من الخواطر والأراء، وألواناً من العبر والعظات، توحى بها شخصيته وجانب العبقرية منه، وسيبويه في النحو والنحاة كلمة تعني النحو في تاريخه الأطول وتنتظم النحاة جيلاً في إثر جيل." <sup>1</sup> ولا تزال قوافل العلم والمعرفة والفكر في العربية تنهل من كتاب سيبويه على ممرّ العصور إلى يوم الناس هذا.

<sup>1</sup> سيبويه إمام النحاة: علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، 2009، ص:48. أعجبني علي النجدي في كتابه هذا عندما قال: "وليذكر الآباء أن فرط الإشفاق على الأبناء، والغلو في الرفق أضّر عليهم من إغفال أمرهم؛ والتخلية بينهم وبين ما يشتهون، فرمما أتيح للطفل على الإغفال والتخلية فرصة سعيدة جنبته العثار، وأخذت به على الطريق القويم، وأما الإفراط في الإشفاق والغلو في الرفق فأجدر أن ينشأه نشأة ناعمة بل عاجزة، وأن يوحيا إليه بالاستسلام وإيثار العافية، وكيف مع ذلك يطبق كفاحاً، أو يصبر على محاولة." سيبويه إمام النحاة، ص:47، 48. ومعلوم أنّ صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي مات عنها زوجها وترك لها الزبير طفلاً صغيراً، وكانت تشدّد مع ولدها في تربيته، وتضربه على خلقه، لتعلمه الشجاعة والحكمة والحكمة، فرآها نوفل بن خويلد فقال إنك تضربينه ضرب مبعوضة، فقالت:

من خالني أبغضه فقد كَذَبَ \*\*\* وإِثْمًا أَضْرِبُهُ لَكِي يَلْبُ

ولذلك فإنها قد أتاه رجال في الجاهلية يسألون عن الزبير حين أسلم يريدون الإيقاع به، فجاءها رجل من قريش، فقال: أحق أن الزبير قد صبأ؟ فقالت: كلا والله! ولكنه أسلم وصدق، فقال: سترين ما أصنع به، فقالت: هو في المكان الفلاني فاذهب إليه، فذهب إلى الزبير فوجده منشغلاً بأمر فهجم عليه، فأخذه الزبير وأسرّه وكتفه بسية قوسه، وجاء يحملها على عاتقه فوضعه بين يدي صفية، فوفقت عليه وضربته بعضاً وقالت: كيف وجدت زبراً؟ أعسلاً وتمراً؟ أم أسد هزيراً؟ انظر: دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، <http://www.islamweb.net> إذن، فالإشفاق الزائد قد يفقد الطفل ثقته، وإذا فقد الطفل الثقة فقد هلك، فالزبير ابن العوام الذي عاش يتيماً وكانت تضربه عمته لتدريبه، صار فيما بعد واحداً من الستة الذين عهد إليهم عمر تولي شؤون الخلافة من بعده.



لا شك أنّ ترديد أسماء الأعلام وآثارهم على مسامع له أثر طيّب في إثارة الطباع وشحن الهمم لدى طلاب العربية في القبس من فكرهم وتقّي سيرهم، ومعلوم أنّ الجانب النفسي له دور بالغ في التلقي والطلب، فيجب أن يذكّر الطالب دوماً بترائه ليقدم ولائه للسلف، ولكي يشعر بالإعزاز والثقة وأنه محمي ومدّرع وأنه على الأصل حتى لا يتيه الطالب في سبل الضياع والتلف.

وبما أنّ الأستاذ علي النجدي من دعاة الأصالة والإعتدال، فقد كان له موقف من كتاب "إحياء النحو" الذي كثرت مواقف اللغويين منه، بحيث يرى أن "مباحث إحياء النحو إما آراء قديمة عرض لها القدماء وسبقوا إليها، وإما دعاوى قابلة للمناقشة والنقض، أو فيها مجال واسع للاختلاف وتعدد وجهات النظر. ويعتبر رد الأستاذ عرفة على إحياء النحو، كذلك رداً سابقاً وغير مباشر على كتاب الردّ على النحاة، ولا سيما في نظرية العامل والدعوة إليه وإلغائه."<sup>1</sup>

لقد ثبت موقف علي النجدي أمام عتوّ موجة التجديد للدرس النحوي في العصر الحديث التي كان أحد اللغويين الشاهدين عليها عياناً، وجاهر بالدعوة إلى نحو الفصحى القديم ولا بديل عنه، وذلك عندما كان أعقل اللغويين وأحكمهم تكويناً علمياً<sup>2</sup> لا يستطيع أن يثبت بها أمام زحوف التجديد والعصرنة من أمثال إبراهيم مصطفى، وإبراهيم أنيس، وعبد العال الصعيدي، وعبد الرحمن أيوب، وغيرهم أصحاب الدعوات التجديدية المغلّفة بفكر يكره طينة العرب.

<sup>1</sup> سيويه إمام النحاة: علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، 2009، ص: 40.

<sup>2</sup> من بينهم تمام حسان الذي انزلت به رحله في كتابه: "اللغة بين المعيارية والوصفية" في طبعته الأولى سنة (1958)، الذي اقترح فيه بقبول دعوة الحرف اللاتني أن يكون بديلاً للحرف العربي، لكنه فيما بعد استدرك الأمر وتراجع في بقية طبعات الكتاب.

يقول علي النجدي "فما ضيقنا بالنحو، وإنما هو قانون اللغة التي قدر علينا أن نتكلم بها وما جريرة النحاة فيه، وما إساءتهم إلينا به، وهم إنما أخذوه من العربية كما ألفوا أصحابها يتكلمون؟ أنضيق بفلسفته؟ وكيف؟ وكل شيء من الثقافة اللغوية والدينية قد دخلته الفلسفة وأثرت فيه، وصبغته بصبغتها، وما كان ممكنا أن يسلم منها النحو وحده، وإلا كان عجبا من العجب أو تلفيقا من التلفيق، يراد به إخفاء طابع الثقافة، وسممة العصور في النحو خاصة."<sup>1</sup>

ولأن أغلب دعاة التجديد كانت كتاباتهم التجديدية عبارة عن ولاء وبراء لأمراء اللسانيات الغربية المعاصرة، ولم يجالسوا كتب القدماء مجالستهم لكتب اللسانيين الغربيين من أمثال دي سوسير، وجاكسون، وبلومفيلد، وهاريس وتشومكي، وغيرهم ولهذا قصر خيالهم العلمي، وضاعت نفوسهم عن كل ما هو تراثي، فخدمت أرواحهم وتكلمت أذهانهم وجفت طباعهم تجاهه، ولهذا لم يكونوا على قدر ما يكتبون بل كانوا يهولون ويشنعون، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

يقول علي النجدي "أم نضيق بمدارسه ومذاهبه وتعدد الآراء في كثير من مسائله؟ وكيف؟ وعمدة النحاة فيه الرواية والفهم وظروف الحال والبيئة، وكل أولئك مختلف جدا، فلا يمكن أن يكون النحو إلا كمثلته مختلفا جدا، لأنه صادر عنها ومتأثر بها."<sup>2</sup> فهؤلاء لم يعرفوا سياسة علم النحو، لأن الخلاف يتعلق في منهجيات البحث وليس النحو كمادة علمية.

<sup>1</sup> سيويه إمام النحاة، ص: 44.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: ن.

غير أن القضية النحوية تحوّلت من القلق العلمي إلى القلق النفسي بل إلى وسواس قهري هستيري

فأثر على تفكيرهم فأكثر اللغويون الحديث عنه بأن يجدوا بديلا كليا عنه، لأن هذا النحو المعلن في

كتابه القديم صار لا يصلح في أيامنا هذه.<sup>1</sup> أما على النجدي كان يرى خلاف ذلك، بكيف "نضيق

بعلله وحجج المختلفين؟ وكيف؟ ومن طبع الإنسان البحث عن الأسرار والسؤال المستنير في استنباط

المسائل وعرضها على الناس، فترمي العقول وتطمئن القلوب ! وتأخذ ما تأخذ عن بينة، وتدع ما تدع

عن بينة.<sup>2</sup> فلا شئمزاز والقلق المسبق هو عامل قوي في هزّ قلاع العربية حصونها.

أما اللغويون المؤيدون للتعليل فهم بحجم المعارضين عددا:

- عبد الحميد حسن في كتابه: "القواعد النحوية مادتها وطريقتها"، ط2، 1952.

- أحمد عبد الستار الجواري في كتابه نحو التيسير، نشره سنة (1962).

- عباس حسن في كتابه: "الوافي في النحو العربي"، (1963).

- مازن المبارك في كتابه النحو العربي: العلة النحوية نشأتها وتطورها ط3، 1974.

- محمد الخضر حسين في كتابه دراسات في اللغات العربية وتاريخها، ط2، 1979.

وغيرهم كثير من أمثال: فؤاد علي مخيمر، والسيد رزق الطويل، وفخر الدين قباوة أما المعارضون فهم كثر

كذلك، منهم مهدي مخزومي، وإبراهيم مصطفى، عبد الرحمن أيوب، وتمام حسان، وغيرهم.

<sup>1</sup> أردوا نحواً ضدّ طباعه ومناهجه، أو كما يقول أبو الحسن التهامي:

ومكّلفُ الأيام ضدّ طباعها\*\*متطلّبٌ في الماءِ جدوةً نارٍ

<sup>2</sup> سيبويه إمام النحاة: علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، 2009، ص:44.

4) مصطفى صادق الرافعي: -"تحت راية القرآن الكريم- المعركة بين القديم والجديد-"

مصطفى صادق الرافعي<sup>1</sup> (1880-1937) الأديب والمفكر المصري الكبير الذي شهد فيه كبار الأدباء والمحدثين على تمكنه وتأصيله في الفكر واللغة من أمثال محمد رشيد رضا، وعباس محمود العقاد، ومحمد عبده وشكيب أرسلان، وأحمد محمد شاكر، أما كتابه " تحت راية القرآن - المعركة بين القديم والجديد" فهو في الأصل مجموعة مقالات نشرها في وقته ردًا على دعاة الإباحية في الفكر واللغة والأخلاق، وهو جهاد تحت راية القرآن ضدّ طه حسين الذي ألهى زمانه الداعي إلى التجديد، الرفض للقديم تحت راية مرجليوث الذي بسببه هدم أصول اللغة، وغمز في قداسة القرآن، ولمز في هيبة السنة النبوية.

ولقد قال كلمة نفيسة في محاكمة طه حسين وأنصاره أثبتتها في كتابه هذا، قبل المقدمة وهي

قوله: "نلفت القراء إلى أننا في هذا الكتاب إنما نعمل على إسقاط فكرة خطيرة، وإذا هي قامت اليوم

بفلان الذي نعرفه فقد تكون غدا في من لا نعرفه، ونحن نردّ على هذا وعلى هذا بردّ سواء (..) والفكرة

لا تسمى بأسماء الناس، وقد تكون لألف سنة خلت ثم تعود بعد ألف سنة تأتي، فما توصف من بعد

إلا كما وصفت من قبل ما دام موقعها في النفس لم يتغيّر."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> معلوم أن الرافعي كان فاقد السمع، وربما هذه النعمة المفقودة كان لها دور إيجابي على قلمه، -قد أثر عن المعري أنه كان يقول: "أحمدُ الله على العمى كما يحمدّه غيري على البصر" - وذلك أنه لم يتمكن من سماع المحجين اللغوي من صفاء عقله وسلاقة لسانه، وربما هذه النعمة المفقودة جعلته لا يجالس إلا الكتب ولا يتكلم إلا بالقلم ف"لقد شارك الأوائل عقولهم بفكره، ونزع إليهم بحنينه، وفلج أهل عصره بالبيان حين استعجمت قلوبهم، وارتضخت عربيتهم لكنةً غير عربية." " جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ج 2، ص:1223.

<sup>2</sup> تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي، راجعه: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001، ص:5.

إذن هو صراع المبادئ، فإمّا هويّة حضارية عربية إسلامية، وإما أن تخضع لسلطة المغلّبين لرجيع الحضارة الأروبية، فقد صدق الرافعي في هذا الاستشراف، فقد انقلبت الموازين وتغيّرت المعايير، فقد خيم حبّ الانسلاخ من الأصول على كافة المفكرين، والهجوم إلى كلّ ما هو مستحدث ومبتدع بل وأحيانا ومتوحّش سواء وافق الأصول أم لم يوافق وهذه أمّ البلاوي.

ردّ على دعاة العامية ودعاة تمصير اللغة العربية ولا سيما أحمد لطفي السيد حامل لواء الدعوة إلى تمصير اللغة العربية صاحب المقالات السبع، التي نشرها في صحيفته "الجريدة"، أبريل وماي، سنة (1913)، والذي كان بارعا في الترويج لها بأسلوب الدسّ والالتواء، بحيث كان "يرى أخذ أسماء المستحدثات من اللغة اليومية وإمرارها على الأوزان العربية بقدر الإمكان، (..) وأن في استعمال مفردات العامة وتراكيبها إحياء للغة الكلام وإلباسها لباس الفصاحة." <sup>1</sup> وهي دعوة لا خير فيها على العربية بل هي دعوة للتفرقة وتشثيت الشمل.

والشيء الذي يحسّه في كتابات الرافعي هو الشعور بالنبل والوفاء للعربية، وكأنه وصيّ على حراستها، بل هو كذلك عندما، يقول: "إنه يُخيّل إليّ دائماً أنّي رسول لغوي بُعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه ، فأنا دائما في موقف الجيش تحت السلاح، له ما يعانیه وما يكلفه وما يحاوله وما يفني به، وما يتحاماه ويتحقّظ فيه." <sup>2</sup> فهو كاتب يغار على قارئه من أن يذهب ضحية قوم يتعاطون الفكر المنخدوج.

<sup>1</sup> تحت راية القرآن، ص:43.

<sup>2</sup> وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي، ج3، ص:243.

فغيره يبحث كيف ينقص وزن اللغة العربية من أبنائها، أما هو فيرى أن العربية ينقصها رجال لهم وزن لكي يحافظوا على وزن العربية، يقول: "أنه لا ينقصنا من اللغة شيء وهي على ما هي من إحكام الأوضاع والتراكيب والالتساع للمفردات ولو أقبلت كأعناق السيل، ولكن ينقص هذه اللغة رجال يعملون ويحسنون إذا عملوا."<sup>1</sup> لأن العربية هي اليوم في ظرف التنافس من أجل البقاء.

ومهما يكن، فدعوة تمصير العربية واحدة من الدعوات الصحابة التي حاربت العربية الفصحى ، وما دام أن العربية لغة القرآن، وكما يقول الرافي "فلا سبيل لتمصير العربية واعتبار هذه المصرية أصلا لغويا مجمعا عليه إلا بتمصير الدين الإسلامي الذي تقوم عليه هذه العربية، فإن بعض ذلك سبب طبيعي إلى بعضه؛ فمن كشف لنا عن الوجه الذي يكون به الدين مصريا وطنيا.. وبصرنا بأسباب ذلك ونتائجه قلنا له: أخطأنا وأصبت."<sup>2</sup> وهؤلاء الذين تبو هذه الدعوة التي جاء بها أحمد لطفي السيد الذي كانوا يسمونه "معلم الجليل"، قوم قد عرفوا الحق ولم يقول به لكن من هم الذين دعوا لهذه الدعوة هو مفكرون كادوا أن ينسحقوا في الثقافة الأوروبية، يقول الرافي: "ولكن الذي لا أجهله أن في بعض الناس أرواحا وأمزجة انطبعت فيها صور الاجتماع الأروبي بما يحوي من فضائله ورذائله لأن هذه نتائج تلك ما منها لهم بد."<sup>3</sup> حري بمن يتأثر بثقافات الغير أن تنازعه طباع من تأثر به، ولا تزال تنازعه حتى يستحكم فيه ذوق كذوق من تأثر به، وبعدها لا عجب أن تجد مثقفا عربيا في مسلاخ رجل أوربي مختلط المزاج.

<sup>1</sup> تحت راية القرآن، ص:46.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:50.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص:52.

ولقد دافع على إعجاز عربية القرآن التي حاول بعض المغرضين النيل منها بأسلوب التدوير

والمراوغة، بحيث يرى الرافعي أنه "من أوضح أسرار الإعجاز في القرآن الكريم أن ألفاظه تكشف لكل

عصر من المعاني بمقدار ما يتقدم العقل الإنساني في أسرار الأشياء، فكأن فيها حياة أبدية، وكأنها مقدرة

على طبقات العقل والعصور. وهي مع ذلك لا تتغير، وأنه لولا هذا السر لماتت هذه الألفاظ من زمن

بعيد."<sup>1</sup>

إن القارئ لكتاب الدعوة إلى التجديد دعوة مقنعة للنيل من اللغة العربية، فهذا تحت راية القرآن

الكريم وهذا تحت راية مرجليوث، وكتاب في الشعر الجاهلي فيه دعوة ضمنية للتشكيك في القرآن الكريم،

ومدخلاً يلتمس فيه الزاوية بالأمة منذ كان للعرب شعراً وبياناً.

بفضل عربية القرآن حفظت اللغة العربية إلى اليوم وستبقى محفوظة، بحيث هدّبها وطوّرها وأمدّها

بأسباب الحياة الأبدية والخلود السرمدي، يقول الرافعي: "إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة

إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً حتى يتأذن الله بانقراض

الخلق وطبيّ هذا البسيط، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردّهم إليها وأوجبها عليهم لما

اطرد التاريخ الإسلامي ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله، ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة ولا استقلت

بها الوحدة الإسلامية."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تحت راية القرآن، ص: 273.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 39.

إن القرآن الكريم هو مصدر قوة للعربية فسيحفظها من التشتت والتمزق ما إن تمسك به العرب والمسلمون وآووا إليه فسيحفظ ألسنتهم من الدواجر القاتلة وأذهانهم من الأفكار الميتة والميتة<sup>1</sup>، فالعلاقة بين العربية القرآن عليّة تأثيرية، فهي ترتشف منه وتغترف، في نسيج متشابك ومعقد فلا يمكن الفصل بين العربية والقرآن البتّة.

ومهما يكن، فداء الإنسلاخ هو داء عضال يفتك بأصالة الشخصية وصفاء عنصرها، وما كان المستشرقون ليستقوا لولا تمكين طه حسين وأتباعه لآرائهم وتطبيق مناهجهم، وأول سلاح هو أسلوب التشكيك في الثوابت التي ما كانت يوما ما محل خلاف "إن الأمة الإسلامية لتعلم حق العلم أنها مبتلاة في عداد مصائبها بفئة من أذكيائها يناقضونها الرأي في الدين والأخلاق واللغة والأدب، وهم في ذلك قوم مرضى العقول أصيبوا بنحو مما يسمى بجنون الفكرة الثابتة، فلا تردهم قوة من القوى عن آرائهم وأوههم في الإصلاح ما داموا أمنين مرزوقين؛ فبعض هؤلاء يريد جعل اللغة عامية لتنتهي الأمة يوما إلى نسيان قرآنها وإهماله والتفصي منه، وبعضهم يتعجل هذه العاقبة فيريد الانسلاخ من هذا الدين ضربة واحدة بقرار من الحكومة أو بجنون حكومي كالذي وقع في تركيا."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> للفائدة: يرى مالك بن نبي أنّ الأفكار الميتة هي التي خذلت الأصول فهي نتاج إرثنا الاجتماعي تولّد قابلية الاستعمار، أما الأفكار الميتة وهي التي فقدت هويتها وقيمتها الثقافيتين بعدما فقدت جذورها فهي مستعارة من الغرب تولّد الاستعمار. انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان، ط1، 1988، ص: 146، 153.

<sup>2</sup> تحت راية القرآن، ص: 237.



لقد أرادوا تسويد البياض، وهتك الأعراض، ولكنهم في كل ذلك متناقضين، بما أنه لا يعجبهم شيء في الثقافة العربية، فالتخريب الثقافي والفكري وظاهرة الاستخفاف بكل ما له قيمة أصابت المجتمع في ثقافته حتى أصبح المجتمع العربي لا يثق في شيء حتى هناك من شكك في النبوات، بهذا الفكر الأوربي المتوحش الذي لا يؤمن إلا بالملموس. فلقد أرادوا التخلص من هيمنة قيم التراث بأي طريقة كانت، ف: "طه حسين هذا مجموعة أخلاق مضطربة وأفكار متناقضة وطباع زائغة، وما من عالم في الأرض إلا وأنت واجد آراءه قائمة بمجموع أخلاقه أكثر مما هي آتية من صفاته العقلية، (..) وطه رجل أرسلوا لسانه وقلبه إلى أوربا، فرجع بلسانه وترك قلبه هناك في خرائب روما."<sup>1</sup>

ومهما يكن، فلقد كان مصطفى صادق الرافعي من أوائل المفكرين والأدباء واللغويين الذين دافعوا بقوة عن حمى علوم العربية والقرآن، فكانت ردوده عبارة عن ملاحم علمية في وجه دعاة العامية والتبشير الثقافي، والاستشراق وغير ذلك. لما كانت العربية يوماً ما في أمة عزيزة، عصية على أعدائها، محفوظة في صدور أساطين الرواة، ولا يتكلم فيها إلا أكابر النحاة، وبعد ما عدت عليها عوادي الدهر حتى بدت كلاها من ظهرها، بل حتى تهرأ لحمها عن عظمها علي يدي أحد المفكرين الطغاة سنة 1926، وهو د، طه حسين، فقل لي برّك كيف تنصر العربية بجيل سقام قد تغذت عقوله على أفكار ميتة؟ إن حكم اعتراف، وإن قرأ انتكس، وإن عرف أنكروا ودرس وأبلس؟!؟

<sup>1</sup> تحت راية القرآن، ص: 126.

5 عبد السلام هارون (1909-1988)، في مقاله: -"حول التيسير"، نشره (1968).

لقد كان لعبد السلام هارون مواقف من دعاة تجديد النحو وتجديده، رغم أنه مختص في تحقيق التراث اللغوي والأدبي، وذلك حينما شاع في أوساط الدارسين تجديد الإعراب بتغيير المصطلح النحوي واستبداله باصطلاح المسند والمسند إليه، بحيث يرى أنه "لم يقل أحد في قديم الزمان أو حديثه: إن اصطلاح المسند والمسند إليه مما يعيه عقل الصغير (..) فما الحكمة أن نجمع أبوابا شتى من أبواب النحو لكل منها في النحو الأصيل حكم خاص واضح كالفاعل ونائبه، والمبتدأ وخبره ونسبها كلها باسم واحد، ثم نعطي لهذا الاسم الواحد، أحكاما مختلفة يحار فيها التلميذ، والمسند يكون أحيانا مرفوعا ويكون أحيانا منصوبا، ويكون مرة فعلا ومرة اسما وأخرى ظرفا . ويكون مرة جارا ومجرورا. والمسند إليه يكون أحيانا مرفوعا وأخرى منصوبا. فالتلميذ إذا عرف المسند حار في حكمه وإن عرف الحكم حار في تمييز المسند من المسند إليه، وإذا عرف السند إليه حار في حكمه، وإن عرف الحكم حار في تمييز المسند من المسند إليه."<sup>1</sup>

وهذا التيسير ليس فيه إنصاف في حقّ الصبي بل هو جناية على قلبه البريء، ومهما درّست النحو على هذا الاصطلاح، فإن الصبي لن يفلح في تعلّم النحو، قد يستطيع الطفل أن يفهم ويتجاوب مع كراديس اللغة، ولكن إذا عرض عليه النحو على هذا الاصطلاح فإنه لا يفهم شيء منه وقد يحفظه حفظا لأنه في حكم المحتوم عليه.

<sup>1</sup> قطوف أدبية حول تحقيق التراث: لعبد السلام هارون، مكتبة السنّة، القاهرة، ط1، 1988، ص:153.

ثم إنّ الأطفال هم مستويات وطبقات تبعا للأبائهم ومحيطاتهم وأمزجتهم، فتكون قدرة

الاستيعاب لمادة النحو متفاوتة ربما أكثر من أيّ مادة أخرى، فالنحو علم غائر في رحم اللغة ليس في

مستطاع أي طفل أن يستجمّ عقله وينشط له منبسطا.

ف"ماذا يفعل الطالب إذا أراد أن يتصل بهذا النحو الأصيل، هل يمسك بإحدى يديه مسندا

وبالأخرى مسندا إليه ليبحث عن الفاعل ونائبه، ويتلمس أضواء التعرف على المبتدأ والخبر، واسم كان

وخبرها واسم إنّ وخبرها. ثم تربه الكتب القديمة الضمير في زيد قام واضحا مطردا على حين نهاه أستاذه

في دنيا التيسير أن يتلمس هذا الضمير أو يلقي إليه البال."<sup>1</sup>

وهكذا يقع الطالب في حيرة موزعة على قلبه وعقله، فهل يأخذ باختيار القلب أم باختيار

العقل، بمعنى آخر "أن المسند هو الذي يقال له الفاعل ويقال له اسم كان أيضا وحينما يقال له اسم إن ثم

يقلب له نحو نصف أو ضاع النحو رأسا على عقب." <sup>2</sup> إذا فهذه الطريقة لا تروق المتعلم هيئات من

منظور عبد السلام هارون.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> قطوف أدبية حول تحقيق التراث، ص: 150، 151.

<sup>2</sup> قطوف أدبية حول تحقيق التراث، ص: 151.

<sup>3</sup> وفي هذا الباب تحضري قصة جرت لابن دقيق العيد (ت: 702هـ) وذلك أنه ذات يوم جلس إلى ابن سبعين الصوفي الأندلسي (ت: 669)، من الضحوة إلى قريب الظهر، ليقتبس من علمه فقال عنه: "يتحدث بكلام تفهم مفرداته ولا تعقل مركباته!" نقلا عن: مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي ج2، ص: 695. فالشاهد من هذه القصة الطريفة قوله: "كلام تفهم مفرداته ولا تعقل مركباته!" فكذلك يصبح التلميذ غريبا عن مقاصد هذا الاصطلاح الذي يتردد على مسامعه ولا يفهم مقاصده.

وهذا التجديد ليس دائما عنوان على الإحسان والفضل، كم من تجديد حظّه من التيسير إلا التجريد وعدم الاعتراف بالعامل والعلل، إن في بعض هذا التيسير فيه إرغام فيدرسه الطالب وهو كره على قلبه، وبعد لحظات فقط من الخروج من حجرة الدرس فإنه سوف لا يلزم نفسه شيئا تجتني على راحة عقله، يقول عبد السلام "إن النحو الأصيل لا يزال يدرس حتى الآن وسيدرس بعد الآن على وجهه الذي ارتضاه العلماء وعلى الاصطلاح الذي درجوا عليه، ولكنه يدرس الآن في مصر في الخفاء وعلى طريقة التهريب العلمي." <sup>1</sup> وهذا لمن أراد أن يكون كلامه سائغ ومفهوم يصل إلى قلب السامع حتى لا يبسس الثرى بين المعلم والمتعلم فتحدث الجفوة.

أما ابن مضاء الذي اتخذه المجددون قدوة لهم، فيرى فيه عبد السلام هارون أنه "رجل لا يكاد يعي ما يقوله في النحو، ونحن نقرأ كلامه حين يشنّ هجوما عنيفا على نظرية العامل ويتخيل أمامه ميدان حرب يصل فيه ويجول ليقضي على كلمة النحويين: إن العامل يعمل في المعمول، فترى قولاً متهاكاً فأى فكاهاة هذه التي يستخرجها من هذا الهجوم." <sup>2</sup> ومعلوم أن النحو بحر لجي عميق ينبغي خاصة لغوي المختص أن يكون مرنا في مواجهة أمواجه المتلاطمة، وأن لا يتعمق <sup>3</sup> في تفاصيل ليست في طاقته.

فلا توغلنّ إذا ما سبحت\*\*\* فإنّ السّلامة في السّاحل

<sup>1</sup> قطوف أدبية حول تحقيق التراث، ص:153.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:155.

<sup>3</sup> للمتني في هذا المعنى بيت رائع، يقول فيه:

أبلغ ما يطلب النجاح به\*\*\* الطبع وعند التعمق الزلل

بمعنى أن النجاح في الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وسجيته، فإذا تكلف وبالغ زلّ وأخطأ.

إذن؛ "فالمشكلة الرئيسية أمامنا هي مشكلة المنهج لا مشكلة المصطلحات." <sup>1</sup> في تعليم نحو

العربية في القرن 20 و 21. بمعنى آخر لماذا غيرنا يعيشون بلغتهم ولا مشكلة لهم معها في عصر

الحضارة؟ أما اليوم فنحن نضيق بلغتنا ولا نتعامل معها وكأنها لغة لا تصلح للحضارة؟

وملخص موقف عبد السلام هارون من قضية التيسير أنه يرى "أن القول بتبديل الاصطلاحات قول

خطير. وبطلانه من الواضح بمكان، إلا أن يكابر مكابر، أو يعاند معاند. إننا نرحب بالتيسير المتزن،

ونرحب بالاصطلاح المعقول وندعو إلى كل منهما، لكن من الظلم البين أن نسمي هذا الضرب من

التبديل الذي رأيناه في هذا النحو الجديد تيسيرا." <sup>2</sup>

فهذا هو الرأي الوسط لا إفراط مع النحو في كتابه القديم، ولا تفريط فيه بحجة إيقاع العصر، ثم إنه

ينبغي الحذر من هذه الآراء المتهاكمة المتوترة التي تنعي النحو ابتغاء القضاء عليه، فقد أصبح صعبا جدا

على الباحث أن يعرف العقائد اللغوية المسكونة في قلوب هؤلاء الناس الذي لا يستقرون على حجة

واحدة، فمرة يأتون بالتيسير بحجة التطور ومرة بفرية التدهور، ومرة يرون أنه من "حقّ الباحث الذي يريد

إصلاح قواعد اللغة العربية أن يلغي أو يغيّر من أبوابها ما يراه مصدرا للصعوبة، حتى ولو كانت تلك

الأبواب تمثل عناصر جوهرية في نظام اللغة." <sup>3</sup>

<sup>1</sup> قطوف أدبية حول تحقيق التراث، ص: 157.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 152.

<sup>3</sup> في إصلاح النحو العربي، ص: 92.

## 6) محمد عبد الخالق عزيمة (1910-1984):

وهو عالم قلّ أن تجد له نظير في العصر الحديث<sup>1</sup>، صاحب بحث بعنوان: "النحو بين التجديد والتقليد"، كان له فيه موقف من دعاة التغيير في النحو، وهو في أربع مقالات نشره سنة (1960)، ولكنّه مفقود، وكذلك له مقال بعنوان: "رد على مقال: لماذا احتقر النحويون المرأة؟"، وه و ردّ على د. عدنان رشيد، الذي كتب مقال في جريدة الجزيرة تحمل هذا العنوان، سنة (1981)، من أهم كتبه على الإطلاق "دراسات لأسلوب القرآن الكريم"، الذي عمره أكثر من ربع قرن من البحث والتفتيش، سنحاول إعطاء صورة بانورامية موجزة حول هذا الكتاب وفكر صاحبه.

لقد قال عنه الأستاذ محمود شاكر - رحمه الله تعالى: "فماذا يقول القائل في عملٍ قام به فردٌ

واحدٌ، لو قامت عليه جماعةٌ لكان لها مفخرةٌ باقيةٌ (...). أمّا القاعدةُ العظمى التي يقوم عليها فهي معرفةٌ

واسعةٌ مستوعبةٌ تامّةٌ لدقائق علم النحو وعلم الصرف وعلم اختلاف الأساليب."<sup>2</sup>

ومن أهم القضايا التي عاجلها هذا السفر، قضية التأثير والتأثر بين النحو العربي ونحو الأجنبي فقد فنّد هذه الدعاوى الجائرة، ويقول في ذلك "وفي هذه الدراسات أيضا دفاع عن النحو، فما أكثر ما رمي النحويون بأنهم سرقوا النحو اللاتيني أو الإغريقي أو السرياني وأنهم وضعوا الحركات الإعرابية وابتدعوها،

<sup>1</sup> يذكر هذا العالم في طريقة تأليفه وصبره على البحث والتنقيب في كتابه: "دراسات في أسلوب القرآن الكريم"، بابتين جرير الطبري (ت: 310هـ) في كتابه: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، أو الزمخشري (ت: 538هـ) في كتابه الكشاف، أو شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ) في كتابه "الجامع"، أو بأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ) في كتابه: "تفسير البحر المحيط"، فالشيخ عبد الخالق قد استغرق في تأليف كتابه هذا ربع قرن بل يزيد، وفي ذلك يقول: "أمضيت في إعداده وطباعته ما يزيد عن ثلاثة وثلاثين عاما تابعت فيها

الدرس." دراسات في أسلوب القرآن الكريم: الشيخ عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، ص 579.

<sup>2</sup> دراسات في أسلوب القرآن الكريم، ص: تصدير محمود محمد شاكر.

فبينت هذه الدراسات أن القواعد التي وضعها النحويون تتمثل في أسلوب القرآن الكريم وقراءاته، وبذلك تبرز ساحة النحويين من هذا الاتهام الغاشم الظالم.<sup>1</sup>

وهذا النتيجة التي خرج بها حول هذه القضية التي تتعلق بسمعة علوم العربية، لم يكن قد تعمّد البحث فيها وإنما جاءت نتيجة إفرافات اجتهادات طويلة وشاقة ما نبتت على ربع قرن حول أسلوب القرآن الكريم، فهي تكاد تكون نتيجة عثور وليست نتيجة تكلف البحث. ومن هنا تنهافت تلك الرؤية التي لاكها الباحثون الغامزون للتندرّ بها في مفاتشاتهم اللغوية.

ولقد بلغ الشيخ عبد الخالق عضيمة في هذا الكتاب درجة الاجتهاد ، بحيث كان له مواقف كثيرة وردود علمية بالحجة والدليل على سائر النحاة متقدمين ومتأخرين، ابتداءً من سيبويه (ت: 180هـ) والزجاج (ت: 311هـ)، وأبو جعفر النحاس (ت: 338هـ)، وابن حاجب (ت: 646هـ)، وابن عصفور (ت: 669هـ)، وغيرهم إلى ابن هشام (ت: 741هـ).

ومن جملة ما رآه أن "لبعض النحويون جرأة عجيبة: يجزم بأن القرآن خلا من بعض الأساليب من غير أن ينظر في القرآن ويستقرأ أساليبه."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> دراسات في أسلوب القرآن الكريم، ص: 580.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 9.

لأنّ همّ النحويّ قديما -الذي كان يتفتّى فيما يجمعه اللّغوي- هو الحرص على الوصول إلى قاعدة مطّردة في باب معيّن من خلال ما جمع له من أفواه الأعراب الخلّص، ثم يحكم بأن ما خرج على هذه القاعدة ليس من مهيع العرب ولا سننهم في الكلام، ولا حتى في أساليب القرآن.

وهذا هو الخطأ المنهجيّ بعينه الذي وقع فيه جلّ النحاة، والسّرّ في اتباع النحاة هذه المنهجية التي تصادم أحيانا ما في أساليب القرآن، أنهم قد يزعمون أنّ سنّ قاعدة على كلام حيّ ومنطوق على ألسنة العرب الأقحاح الموغلين في البداوة الذين تحداهم القرآن، قد يدلّم على قواعد الاطراد خير من أن ينطلقوا في تأسيس بنیان قواعدهم من القرآن مباشرة.

وهذه المنهجية يجدون فيها متعة علمية، وخاصة أن من طبائع النفوس أميل إلى المشاهد عيانا أكثر من المحفوظ والمكتوب، وهذه المنهجية هلك فيها النحاة هلاكا كبيرا، وذلك عندما يرى الشيخ عبد الخالق "أن النحويين كثر منهم تلحين القراء الأئمة يستوي عندهم في ذلك القراءات المتواترة وغيرها".<sup>1</sup>

وهذا منفذ خفيّ وكبير يدخل منه المستشرقون للطعن في القرآن، وقراءاته وأئمتته وقد حدث، وما أحسن قول شيخ المعرفة الذي يختصر لنا طول الكلام، يقول:

فلا تُعَلِّم صغِيرَ القومِ مَعْصِيَةً، \*\*\* فذاك وُزِّرَ، إلى أمثاله، عدلُك

فالسُّلُكُ ما استطاع يوما ثَقِبَ لؤلؤة! \*\*\* لكنْ أصابَ طريقًا نافذًا فسلكُ

<sup>1</sup> دراسات في أسلوب القرآن الكريم، ص: 12.



ومهما يكن، لقد تكشّفت للشيخ عبد الخالق مسائل نحوية هي من أدخل المسائل وأغمضها، لا تتكشّف إلا رجل له تطوال كبير في علم النحو وكتبه وإطلاع كبير على أساليب القرآن الكريم، يقول:

قد أوقفتني دراستي للقرآن على أن القرآن خلا مما يأتي:

- 1 - توكيد فعل الأمر بالنون مع كثرته في القرآن، والمضارع المجزوم بلام الأمر، والمضارع بعد التمني والترجي، والعرض، والتحضيض.
- 2 - لم يقع خبر (لا) النافية للجنس اسما صريحا، وإنما ظرفا وجارا ومجرورا.
- 3 - عطف (ثم) للاسم المفرد لم يقع في القرآن، وإنما جاءت عاطفة للجمله.<sup>1</sup>

وهذه النتيجة ليست ميسورة على أيّ نحوي أن يستنتجها، بل أكاد أن أقول أن الشيخ قد طاف على جلّ أساليب اللغة بحثا، إذ هي ذؤابة الفوائد ومنتهى المقاصد، التي وصل إليها، مما يدلّ أن الشيخ قد ارتقى أعلى درجات السّلم في البحث والتتبّع والاستنباط في أساليب لغة القرآن. ويقول أيضا: "لست أقول أن القرآن قد تضمّن كل الأحكام النحويّة، فالأساليب التي لم يرد نظيرها في القرآن لا يلتفت إليها، ولا يعمل بها، وإنما أقول: ما جاء في القرآن كان حجّة قاطعة، وما لم يقع في القرآن نتلمّسه في كلام العرب، ونظير هذا الأحكام الشرعية، إذا جاء الحكم في القرآن عمل به، وإن لم يرد به نص في القرآن نتلمسه في السنة وغيرها."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> دراسات في أسلوب القرآن الكريم، ص: 13.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 11، 12.

مما يدل أن النحو العربي قد نشأ على سنا ضوء القرآن، بل إن علوم العربية نشأت متداخلة ومتراصة مع علوم القرآن، والدليل على ذلك أن كتاب الإنصاف لأبي البركات الأنباري (ت: 577هـ) كان على شاكلة كتب الفقهاء يقول: "إن جماعة من الفقهاء المتأدبين، والأدباء المتفقهين، المشتغلين على بعلم العربية (..) سألوني أن أخلص لهم كتاباً لطيفاً، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة."<sup>1</sup>

تجدر الإشارة إلى كتاب: "نظريه النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية"، لأحمد مكي الأنصاري نشره سنة (1985)، وهذا الكتاب قدّم فيه رؤية جديدة في النحو القرآني ورأى أنه يفارق أحياناً نحو العربية يقول د، مكي: "أول من نادى بهذه النظرية هو أبو زكريا الفراء (ت: 207هـ)، وكان لزاماً عليه أن يدافع عن كتاب الله في زمن كثرت فيه النحل والفتن والأهواء."<sup>2</sup>

وإن كان الكتاب غير متداول ولم أطلع على محتواه إلا من خلال الوسائط التي تحدثت عنه، غير أن هذه نظرية النحو القرآني التي جاء بها "د، مكي" لها بواعث من الكتب القدماء، لأنّ "العلم كلّه يقوم على أساس الإيجاب والترقب ولا يقوم على أساس النفي والإصرار، وما من حقيقة علمية إلا وهي تطوي في سجلها تاريخاً طويلاً من تواريخ الاحتمال والرجاء والأمل في الثبوت، وإن تكررت دواعي الشك بل دواعي القنوط"، كما يقول المفكر الكبير عباس محمود العقاد في كتابه: "الله".

<sup>1</sup> الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: للإمام أبي البركات الأنباري، تحقيق وشرح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2003، ص: 7.

<sup>2</sup> نقلاً عن مقال: قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني، ص: 145. من كتاب النحو القرآني، ص: 38.

وأول هؤلاء العلماء القدماء الذين أشّروا لهذه النظرية الفراء (ت:207هـ)، ثم مجموعة من العلماء بعد الفراء كان لهم الفضل في الدعوة لهذه النظرية من أمثال: ابن خالويه (ت:518هـ)، وأبي عمرو الداني (ت:444هـ)، وابن حزم (ت:406هـ)، والقشيري (ت:475هـ)، والحري (ت:518هـ)، والفخر الرازي (ت:606هـ)، وابن تيمية (ت:728هـ)، وأبي حيان الأندلسي (ت:745هـ)، وابن الجزري (ت:833هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت:911هـ).<sup>1</sup>

أما مسوغات هذه النظرية في عصر الحديث فقد صرح بأن بذور هذه النظرية قد نجدّها عند إبراهيم أنيس، في كتابه: - "من أسرار العربية"، نشره سنة (1951)، وتمام حسان، في كتابه: اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، نشره سنة (1958)، وأحمد عبد الستار الجوّاري في كتابه (نحو القرآن)، نشره سنة (1974). ومادام أن هذه النظرية لها يبرها من البواعث والمسوغات من القديم والحديث، فلسان حال صاحب هذه النظرية "يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ." (يوسف:43).

ومن أشهر من تعرّض لهذه الرؤية د، محمد حسن عوّاد في مقال له، بحيث رأى أن كتاب الموسوم ب: نظرية النحو القرآني لأحمد مكي الأنصاري، يرى أنه "نتاج للعاطفة المنهجية، والإندفاع الحماسي الذي لا حدّ له، والتكرار للفكرة الواحدة، والنأي عن الريث والهدوء والأناة، والبعد عن العمق والنظر المتغلغل، وليس ثمة نظرية للنحو القرآني، وإنما هناك نظرية للنحو العربي."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نقلاً عن: نظرية النحو القرآني بين الدلالة اللغوية والدلالة الدينية: أ، لعواش عزيز، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، ع5، جوان 2009، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص: في هامش المقال، من كتاب: نظرية النحو القرآني، ص:41.

<sup>2</sup> قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري: د، محمد حسن عواد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع، ع(1/أ)، 2011، ص:158.

وبما أنه لم يتسن لي قراءة كتاب د، مكي فإني لا أستطيع أن أحكم على قول د، محمد حسن

عوّاد، غير أن لعربية القرآن مواز نحوية، وجلالة مقامات بلاغية، لا نجدها في عرف عربية الإنسان

العربي، أما تسمية الكتاب ب: نظرية للنحو القرآني، فأرى أن هذه التسمية لا مشاحة فيها ما قد تكون

خرجت مخرج العموم فحسب، وليس معنى أن نظرية النحو القرآني نظرية خاصة تفارق وتباعد كل البعد

نظرية النحو العربي.

أما موقف د، مكي من كتاب دراسات في أسلوب القرآن الكريم ، لعبد الخالق عزيمة، الذي

ارتقى فيه مرتقا عاليا من الإجتهد وفحولة النظر، فيقول: "أن الفكرة العامة واحدة متحدة بيني وبين

الشيخ عزيمة، وهي عدم الارتياح إلى مواقف بعض النحاة من القراءات." <sup>1</sup> رغم أن الشيخ عبد الخالق

قد بلغ درجة الاجتهاد التي استطاع بها أن يردّ ويسنّ رأيا جديدا في كتابه الجليل، لكنه، وكما يري د،

حسن عوّاد " لم يطالب بنحو قرآني كما يطالب المؤلف ولم ينكر على النحاة قواعدهم إلا بالقدر الذي

كان فيه استقراء النحاة ناقصا وهذا شيء مغاير لنظرية النحو القرآني." <sup>2</sup>

وإن كان د، محمد حسن عوّاد لم يوافق د، مكي فيما ذهب إليه إلا أن هناك حقيقة قرآنية متمثلة

في الاقتدار النحوي الذي يتمتع به النص القرآني الذي يكسر القواعد النحوية التي صنعها النحاة،

والنحو القرآني ينقسم عنده إلى قسمين: "قسم ارتضاه النحويون، ووافقوا عليه كما وافقوا على نظائره من

كلام العربي. وقسم لم يرتضوه، ولهذا تأولوه أو عارضوه معارضة صريحة أو خفية." <sup>3</sup> وهذا التقسيم لا

<sup>1</sup> نقلا عن كتاب مقال: قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني، ص:144. من كتاب: نظرية النحو القرآني، ص:22.

<sup>2</sup> قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري، ص:144.

<sup>3</sup> نقلا عن: المرجع نفسه، ص:151. من كتاب نظرية النحو القرآني، ص:49.

غبار عليه، فالنحاة عندما اصدموا ببعض الآيات التي تكسر قواعدهم حاروا وأبلسوا، ففتحوا باب التأويل فأساوا فيه بعض الإساءات التي لا تغتفر، بسبب أنهم انطلقوا من كلام العرب في بناء القاعدة النحوية ولم ينطلقوا من القرآن الذي هو الحجة على كل كلام.

وبعد كتاب "نظرية النحو القرآني" لأحمد مكي الأنصاري، ظهر كتاب "النحويون والقرآن": لخليل بنان الحسون، نشره سنة (2002)، فهو دراسة إحصائية استقصائية جادة، تستحق مدارسها، ومن جملة ما رأى صاحب هذه الدراسة عن النحاة أننا "لا نكاد نجد عندهم فرقا في سياقنا يقررونه من الأصول والفروع، وما يوجهونه من توجيهات بين (قال تعالى)، و(قال الشاعر)، فكل منهما متبوع بشاهد، وهما سواء في ذلك ولا نلمح تميزا للشاهد القرآني أو إحلالا له رتبة تعلية على الشاهد الشعري." <sup>1</sup> وهذه ملاحظة دقيقة حول الأصول التي اعتمدها النحاة، وهذا خطأ منهجي فادح ارتكبه النحاة في حق نحوية الشاهد القرآني، ولو أنهم احتكموا إلى القرآن الكريم في سنّ القواعد النحوية، لما وجدنا في النحو العربي التمحل الثقيل والتكلف السمج، فالنحاة عندما جعلوا الشاهد الشعري هو المنطلق الأول فاضطروا إلى التأويل والتقدير وكسر أطراد القواعد، ومنهم من هلك في هذا الباب، عندما نجد بعضهم يحمل القرآن ما هو منه بعيد كل البعد عن هذا المعنى.

<sup>1</sup> النحويون والقرآن: د، خليل بنان الحسون، مكتبة الرسالة، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص: 10.

7) محمود محمد الطناحي في مقاله: "النحو العربي والحمى المستباح" (2ج)، نشره سنة (1996).

محمود محمد الطناحي (1935-1999) أديب ولغويّ مغمور ومسكون بعشق التراث، في هذا المقال ردّ على الأستاذ أحمد عبد المعطي حجازي<sup>1</sup>، في بعض مقالاته المزرية لقيمة علم النحو، كمقاله الموسوم بـ: "حين يستوي الصمت والكلام"، الذي لم يعترف فيه بفضل علم النحو، ومن جملة ما قاله فيه: "وبعض الناس يظنون أن اللغة معناها النحو، ولهذا قد يستغربون هذه الضجة التي نثيرها، لأن القيامة في رأيهم لن تقوم إذا أخطأ أحدنا أو أخطأنا جميعا، فجعلنا، الفاعل منصوبا أو حتى مجرورا بدلا من أن نجعله مرفوعا كما يطالبنا النحاة به، والحقيقة أن هذا فهم بالغ السذاجة، فاللغة ليست النحو، والمبالغة بالنحو ليست دئما دليلا على نهضة أدبية أو حاسة لغوية يقضه، بل ربما كانت بالعكس دليلا على ضعف السليقة، والنحطاط الملكة."<sup>2</sup>

وهذا القول الأخير دليل على استيعابه الناقص لمفهوم النحو، فالنحو كما يفهمه سعد عبد العزيز مصلوح: "هو العلم الكاشف عن أسرار المباني اللغوية في ارتباطها بالمعاني الذهنية والنفسية، وهو العلم الذي تتجلى به عبقرية اللغة وإمكاناتها في العبارة عن ذات العقل وذات النفس."<sup>3</sup> فهذا هو مفهوم النحو الصحيح الذي يجب أن يعرفه الأدباء والشعراء، أما ما يراه الأستاذ الشاعر أحمد عبد المعطي

<sup>1</sup> أحمد عبد المعطي حجازي شاعر وناقد مصري، ولد عام 1935 بمحافظة المنوفية بمصر. أسهم في العديد من المؤتمرات الأدبية في كثير من العواصم العربية، ويعد من رواد حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر. ترجمت مختارات من قصائده إلى الفرنسية والإنجليزية والروسية والإسبانية والإيطالية والألمانية. انظر الرابط التالي: <http://ar.wikipedia.org>، أحمد عبد المعطي حجازي

<sup>2</sup> نقلا عن: مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ص: 437.

<sup>3</sup> في اللسانيات العربية المعاصرة (دراسات ومناقشات): د، سعد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004، ص: 210.

حجازي فهو مفهوم ضيقٌ جدا، تحدر عن سوء فهم وضيق بالنحو، وهو كما يبدو في هذا النص أديب عاق، فبعدهما تنسم عبر العربية وعاش في رحابها وتذوق معانيها، وبعدهما استقام لسانه واستوى بيانه الذي أهله أن يكون شاعرا مصقعا خذله فكره وعقّ نحو العربية الفصحى.

لقد كان موقف د، محمود محمد الطناحي من أحمد عبد المعطي حجازي موقفا علميا تصحيحيا وإبداعيا في الوقت ذاته، بحيث فرّق له بين "نحو التراكيب، وهو الذي اتكأ على النظام وانطلق منه إلى إدراك العلاقات بين أجزاء الكلام<sup>1</sup>... وهذا تستطيع أن تدركه من أول كتاب سيويه إلى النحو الوافي لعباس حسن، على تفاوت بين النحاة في ذلك وتستطيع أن تدركه أيضا في كتب أعريب القرآن وتوجيه القراءات السبع والعشر والشواذ، وشرح الحديث النبوي، وفي شرح الشعر. والنحو بهذا الوصف لا يصحّ أن يطعن فيه... لأن الطاعن فيه منتقص للعربية كلّها."<sup>2</sup> ومن ترك هذا النحو على هذه الشاكلة فلا مبرر له، لأن نحو التراكيب يبحث في مستودعات العربية وخزائنها، بل هو تثبيت للعربية وتمكين لها في النفوس والألسن والعقول.

أما النحو الثاني الذي وضّحه له فهو: نحو الصنعة الذي: "هو النظام والقواعد والتعريفات والقوالب، وما صحب ذلك كله من العلة والعامل، ولبعض خلق الله أن يضيقوا بالنحو على هذا الوصف؛ لأن فيه أحيانا ما يكد الذهن ويصدع الرأس، مع ما في بعض النحويين قديما وحديثا من ثقل

<sup>1</sup> من التقديم والتأخير والحذف والتقدير، والإضمار والفصل، والاتساع والحمل والتضمين والحوار، والاستغناء ورعاية الظاهر واعتبار المحلّ، ومعاني الحروف والأدوات، ومعاني الأبنية.

<sup>2</sup> انظر: مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ص: 445

وغثاثة، ولكنه على كل حال علم ينبغي أن يعرف ويحاط به.<sup>1</sup> وهذا النوع الثاني من النحو كان يحسنه جيل المتون من بدايات القرن الماضي<sup>2</sup>، فنحو الصنعة علم مغرق في البحث النظري التجريدي المطلق، وهذا النحو يكاد أن يكون تعليمه معطلا، لأن قلوب الناس التي أدخلت إلى الترف والدعة لا تقوي إلى مدارس علم يصدع الأذهان.

وكذلك يرد د، الطناحي شبهة شكاوى بعض الشعراء والعلماء من النحو، ويرى<sup>3</sup> أن الذين يهاجمون النحو قديما لا يلحنون ولا يخطئون وإنما هو الضيق بنحو الصنعة لا غير.<sup>3</sup> "وأن قول الفرزدق وقول سواه من الشعراء الذين أظهروا سخطهم على النحو وقواعده إنما هو من باب المعابثة والاستطالة بالذكاء، وكأنهم يريدون أن يقولوا: إن نحوكم أيها النحاة صنعة، ونحونا فطرة."<sup>4</sup>

أما قضية ابن الراوندي<sup>5</sup> (ت: 250هـ) الفيلسوف الزنديق الذي عرف عنه الطعن في النحاة، فإن أبا حيان التوحيدي يفند هذه الشبهة فيقول: "أن ابن الراوندي لا يلحن ولا يخطيء، لأنه متكلم بارع

<sup>1</sup> مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ص: 444.

<sup>2</sup> أما جيل اليوم الذين هم أولادنا ارتفعت فيه نسبة ضريبة التفرغ فيهم أكثر من أي جيل سبق، فهل هو جيل الموسيقى والرياضة؟ الموسيقى والرياضة فنان من الفنون، هل هو جيل العبث؟ العبث لون من الإبداع، هل هو جيل الفيس بوك؟ الفيس بوك وسيلة حضارة، هل هو جيل مقدمات مسيح الدجال؟؟ وهذه هي المحنة بعينها، ونحن اليوم في قاعات الدرس نواجه أشكالا من الطلاب، بما يسموا (الإيمو) ويقال أنهم من عبدة الشياطين!!؟ من أين يبدأ الأستاذ مع هذا الإفراز الحضاري المعيش؟

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 444.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص: 443.

<sup>5</sup> ابن الراوندي هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، نسبة إلى قرية راوند الواقعة بين إصفهان وكاشان في فارس، ولد عام 210هـ، وتوفي في الأربعين من عمره. شهدت حياته تحولات مذهبية وفكرية كبيرة فقد كان في بداياته العلمية واحدا من أعلام المعتزلة في القرن الثالث الهجري ولكنه تحول عنهم وانتقدهم بشدة في كتابه "فضيحة المعتزلة" ردا على كتاب الجاحظ "فضيلة المعتزلة" ثم اعتنق لبرهنة وجيزة المذهب الشيعي وله كتاب "الإمامة" من آثار تشييعه القصير ولكن لقاءه بأبي عيسى الوراق الملحد قد أخرجه من التشيع والإسلام وتحول بعده ابن الراوندي إلى أحد أهم لأدريين والزنادقة في التاريخ الإسلامي. لم يصل إلينا شيء من تأليفه إلا ما



وجهبذ ناقد وبجاث جدل ونظّار صبور، ولكنه استطال باقتداره على علل النحويين، ورآها مفروضة بالتقريب، وموضوعة على التمثيل، لأنها تابعة للغة جيل من الأجيال، ومقترنة بلسان أمة من الأمم، فلم يكن للعقل فيها مجال، إلا بمقدار الطاقة في إيضاح الأمثال وتصحيح الأقوال.<sup>1</sup>

فالفردق الشاعر أو ابن الروندي (ت:250هـ) الفيلسوف اللذان أُثِرَ عنهما السخرية من النحاة، ونحوهم هو من باب الاقتدار اللغوي، فاستطالوا بهذا الاقتدار وأخذوا يمارسان عنفا لغويا على نحو النحاة، وخاصة عند الفردق وكيف به وهو ابن اللغة.

وبما أن د، محمود محمد الطناحي ينتمي إلى جيل المتون المحافظين، حيث يقول عن وقته: "عرفنا العربية صافية قبل أن تكدرها الدلاء، فلم يكن الدرس الأدبي واللغوي في أيامنا غارقا في ضباب المصطلح والنظرية، وتقوم الفكر العربي، وسائر تلك التهاويل الفارغة والدعاوى العريضة التي فتحت الباب للصغار يعبثون بتاريخهم وعلومهم!"<sup>2</sup> وزاد الأمر أكثر من هذا بحيث أطلت فتنة برأسها وهي فتنة الإنبهار بالغرب في قضايا اللغة، ويرى د، الطناحي أنّ هذا الإنبهار "حجزنا عن النظر في موروثنا اللغوي الضخم، وكدنا نفقد الثقة، وأصبح دورنا دور المتلقي، حتى كاد العربي يخرج من زمنه معلقا على أفق أزمته ليست له."<sup>3</sup>

نقله عنه خصومه أو ما نسبه إليه المعجبون به. فكتاب الانتصار للخياط المعتزلي هو ردّ وتفنيدي لمقولات ابن الروندي التي أودعها في كتابه الزمرد. فبفضل الخياط يمكننا الاطلاع على مقاطع كبيرة من كتاب الزمرد . انظر الرابط التالي:

<http://ar.wikipedia.org>، ابن الروندي، تاريخ الإقتباس: 2015/04/25

<sup>1</sup> البصائر والدخائر: لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1988 ج1، ص: 181.

<sup>2</sup> مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ج2، ص: 522.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 12.

لقد كان اعتقادا سائدا بين شبكة كبيرة من المفكرين والأدباء واللغويين في التخلص من النحو، والتي هي فكرة وليدة علم الاستشراق، الذي لا يزال علما معقدا في حقيقة أهدافه. ومن أهم ما نجح فيه هو زعزعة المرتكزات الراسيات التي لم تكن يوما ما محل خلاف بين أهل النظر والتدقيق من العلماء ! فاستطاع أن يدلس المفاهيم ويصير مخالفتها أمرا مألوفا!

وكما يمكن أن نفسر هذا التنازل بما يمكن أن نصلح عليه بظاهرة الافتقار الفكري، فلو كان هذا الأديب أو اللغوي قد أخذ حظه الكامل من تراثه حفظا ومدارسة، لما استطاع أن يملك عقله للأجانب فيجعلوه يتسامح في بتر أحد أعضائه من جسده من دون أن يفتن لما يحدث في تبويض جسده، وهذا هو داء الانهزام الذي يخدر العقول ويقتل النفوس.

وبما أنّ علم الاستشراق قد سبق علم اللسانيات في الدخول إلى سوح الثقافات العربية فقد كان له أثر في توجيه عقول الباحثين فيما هو غير مفيد، بحيث اشتغل عدد كبير من كبار الباحثين العرب في الإيغال في الاهتمام بالجانب النظري وإهمال الجانب التطبيقي.<sup>1</sup>

ف: "الرداء لا يصنع الراهب"، و"اللحية لا تصنع الفيلسوف"، كما يقال، فالعبرة بالجواهر لا باللحاء والمظهر، والمهم بكيونة الأشياء لا بالتنميقات الجوفاء، يقول د، محمود محمد الطناحي: "إن الغلو في هذا السلوك قد أنتج لنا طائفة من حملة الماجستير والدكتوراه، ترى أحدهم فصيحا لسنا جدلا إذا خاض في المناهج وطرق البحث العلمي، ونشأة المدارس (..) وإذا تكلم في شيء من ذلك ملأ فمه بالحروف ولاك

<sup>1</sup> وكما يقول أبو فهر محمود محمد شاعر: "ولا تهولت أسماء الرجال المحدثين الكبار، والتي لها دوي وضخامة، وإنما طبل فارغ وزق منفوخ ملؤه هواء." رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص: 44.

ومضغ، وخلط عربياً بعجمي، وبهر الناس بما يشبه أخذة الساحر، وفغر السامعون أفواههم دهشاً لهذا السيل المنهمر (..) فإذا أنت أخذته إلى سطر واحد مما كتبه السابقون الأولون، سقط كل قناع، وانكشف كل خبيء.<sup>1</sup>

وكما يقول الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجري (ت: 542هـ): "تداول فارغة من الحقيقة"<sup>2</sup>، إذن فهي "ألفاظ مستهلكة تشبه العملة المعدنية المسوحة، أو العملة الورقية التي تهرأت أطرافها من كثرة ما تداولتها الأيدي، أو كالعملة الزائفة التي ليس لها رصيد في مصرف النفس، وإنما هي ألفاظ وتراكيب تسود بها الصحف، تروح وتجيء، تتجاوزها عينك على عجل، لا تقف عندها، لأنك لا تجد فيها إمتاعاً، ولا تُحسُّ معها أنساً، فضلاً عما تجده في بعضها من ثقل وغبثاة، تكاد تطبق على القلب وتسد مجرى النفس."<sup>3</sup>

فهذا النوع فكر لغوي لا طعم له، يكتسب ويميس بأسماء لم تخلق ولم تكن، ومصطلحات غارقة في الزخارف والتنميق، وغرض هذا الفكر البعيد، بكلمة واضحة هو إماتة علم النحو، لماذا؟ لأنهم يرون فيه بكل صراحة أنه مجلبة للغم والكآبة، داعية للعجز والحيرة، وهناك من يرى فيه همهاات مجانين أو وساوس شياطين، وإلا لماذا سّفهوا أكثر علماء العربية القدامى؟

<sup>1</sup> مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ج2، ص: 521.

<sup>2</sup> ما لم ينشر من الأمالي الشجرية: لابن الشجري، تحقيق: د، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1984، ص: 05، في الهامش. وسبب هذه المقولة هو أنه كان معجباً بحجج نحو البصريين إعجاباً كبيراً جعله يصف حجج الكوفيين هذا الوصف.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ج1، ص: 352.

## الفصل الثاني: أهم المشاريع النحوية المنجزة في حاضرة اللسانيات الحديثة.

- 1 إبراهيم مصطفى في كتابه: - "إحياء النحو"، نشره سنة (1937).
- 2 مهدي مخزومي في كتابيه:  
- "في النحو العربي نقد وتوجيه"، نشره سنة (1964).  
- "في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج الحديث"، (1966).
- 3 شوقي ضيف في كتبه الثلاث:  
- مقدمته في تحقيقه: "الردّ على النحاة"، نشره سنة (1947).  
- "المدارس النحوية"، نشره سنة (1968).  
- "تجديد النحو"، نشره سنة (1982).
- 4 تمام حسان بين كتابيه:  
- "العربية معناها ومبناها"، نشره سنة (1973).  
- الأصول: - النحو. فقه اللغة. البلاغة-، نشره سنة (1981).
- 5 أحمد المتوكل في مشروعه: - "النحو الوظيفي" الذي يقوده منذ سنة (1985).
- 6 عبد الرحمن الحاج صالح، في:  
- "النظرية الخليلية"، التي نال بها جائزة الملك فيصل العالمية سنة (2010).  
"إن اللغة العربية هويّة، واللغات الأجنبية نوافذ على العلوم الأخرى، ومن تخلّى عن عربيته هو إنسان ممسوخ، ومن تخلّى عن اللغات الأخرى هو إنسان معوق. فما المانع أن ترافق العربية اللغات الأخرى في تدريس العلوم."

إبراهيم مصطفى في كتابه: - "إحياء النحو"، نشره سنة (1937)

يعتبر "إحياء النحو" أول محاولة تجديدية ريادية جادة في العصر الحديث، في الاجتهاد النحوي، الذي توقف منذ ابن مضاء القرطبي<sup>1</sup> (ت:592هـ) صاحب الكتاب الثورة "الرّد على النحاة"، بل قد بدى واضحا أنه متأثر به وأحدث نشره وقتئذ هزة في الدراسات النحوية تشابه كثيرا الهزة التي أحدثها كتاب "في الشعر الجاهلي" لـ "طه حسين" في الدراسات الأدبية.

قد أشرف عليه "طه حسين"<sup>2</sup> منذ أن كان أفكارا متناثرة في مسودات إلى مرحلة التسمية والإخراج، وقد بدت بصمات إشرافه واضحة فيه، لدرجة أنّ اسم الكتاب كان من وضعه يقول د، طه حسين "أقبل عليّ إبراهيم ذات يوم، فقرأ عليّ فصولا من كتابه هذا. فأبيّث عليه إلا أن يمضي في القراءة من الغد، وما زلنا كذلك، يقرأ وأسمع وأناقش، حتى فرغنا من قراءة الكتاب ولم يكن يعرف له اسما، فاقترحت عليه هذا الاسم الذي رسمه به "إحياء النحو" فأكبره واستكثره وأشفق منه، وألححت أنا فيه فلم يستطع لي خلافا. وأنا أتصوّر إحياء النحو على وجهين: أحدهما أن يقربه النحويون من العقل الحديث ليفهمه ويسيعه ويتمثله، ويجري عليه تفكيره إذا فكّر، ولسانه إذا تكلم، وقلمه إذا كتب. ومناقشة مسائله، والجدال في أصوله وفروعه، وتضطرّ الناس إلى أن يعنوا به بعد أن أهملوه، ويخوضوا فيه

<sup>1</sup> معلوم أن ابن مضاء القرطبي (ت: 592هـ) ألف كتابه ابتغاء مرضاة ثالث خلفاء الموحدين ببلاد المغرب يعقوب بن يوسف (ت:595هـ) بتطبيق آراء المذهب الظاهري الذي يرفض القياس، والتعليل، ومن ثم رفض كل ما هو مشرق، فتورّ ابن مضاء نحوية في ظاهرها ولكنها دينية في أبعادها، وقد سحب ابن مضاء أسس الفقه الظاهري في ثورته على الفقه المشرقي إلى النحو العربي لأنّه نشأ وتكوّن في المشرق؛ إيمانا منه بأن النحو علم يخدم النص القرآني ويسهم بشكل كبير في فهمه وتفسيره.

<sup>2</sup> بل إن مصطفى إبراهيم كان متأثرا بأفكار طه حسين الانقلابية، وهذا الأخير كان يستمد أفكاره من كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، الذي نشره سنة 1938، وهذا الكتاب الذي ظهر بسنة واحدة بعد الإحياء ناقش فيه قضايا التعليم والثقافة والمناهج وهو من أهم المشاريع النهضوية له، غير أنه بدا فيه متنكرا للأصول والثوابت، فقد كان كارثة على الثقافة العربية خاصة في مصر.

بعد أن أعرضوا عنه.<sup>1</sup> وهل كان كتاب "الإحياء" في مستوى تصوّر "طه حسين"؟ أما في رأيي الخاص فلقد كان في مستوى ظنّه وزيادة.

يقول مصطفى إبراهيم: "هذا بحث من النحو، عكفت عليه سبع سنين وأقدمه إليك في

صفحات. سبع سنين من أوسط أيام العمر وأحراها بالعمل، صدقت فيها الاعتكاف إلى النحو، وإلى ما يتصل بمباحثه، وأضعت له من حق الصديق والأهل والولد والنفس جميعا.<sup>2</sup> وهذه السبع السنين كلها كانت بمعية "طه حسين"، فقد صنع على عينه، والدليل على ذلك ظاهرة التنكّر التي اتسم بها فكر طه، فقد وجدنا هذه الظاهرة واضحة العلامات بيّنة الأمارات في "الإحياء".

غير أن "الإحياء" ظهر في زمن مبكّر سنة 1937، وهو يعيد النظر في أصول النحو والنحاة

ومبادئهما، وليس إصلاحا للكتاب المدرسيّ كما هو معهود عند "رفاعة" في كتابه "التحفة"، أو عند أصحاب سلسلة "الدروس النحوية"، أو عند الغلاييني في كتابه "الجامع"، أو غيرهم.

غير أنّ محتوى "الإحياء"، إذا ربطناه بسنة نشره أول مرة، يحدث لدى الدارس المتخصص قلقا

فكريا لا يستقر، فهو وإن كان بعيدا كل البعد عن علم اللغة الحديث ومناهجه، لا بد أن يكون صاحبه

ممن تراءت إلى أسماعه بلا شك أصداء من علم اللغة التاريخي المقارن، بل ربما أيضا أصداء من علم اللغة

الوصفي لأنه كان مع ممن يدرس في الجامعة المصرية.<sup>3</sup> التي كانت إيوان اللغويين والمفكرين والمستشرقين،

فمنحى الفكر اللساني الحديث بادٍ في "الإحياء" على الأقل في جانب الشكل والتنظيم. ولولا رواسب

<sup>1</sup> إحياء النحو: مصطفى إبراهيم، ط2، 1992، القاهرة، ص: من تقدم طه حسين.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: من مقدمة المؤلف.

<sup>3</sup> العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 61.

الفكر الأزهري وتقاليد دار العلوم التي علقت بفكر "مصطفى إبراهيم" لانزلق فيما لا تحمد عقباه على نحو العربية، مثلما حدث لعبد الرحمن أيوب في كتابه الكاسف الناسف "دراسات نقدية في النحو العربي"، الذي ظهر سنة 1957.

فلو ظهر "الإحياء" سنة ظهور كتاب عبد الرحمن أيوب، أي بعد عشرين سنة، لكان كارثة على نحو اللغة العربية، لأن في سنة 1957 تداول اللغويون العرب اللسانيات في جامعتهم، ولأن مصطفى إبراهيم نحويّ خالص له استعداد في أن يهدم جميع ما بناه النحاة، ويعيد بناءه على قواعد تطلّعات اللسانيات التي تهتمّ باللهجات بدرجة أولى، وإنّ "أخطر ما في اللهجات أنها تفرّق، ومن أحسن ما في النحو أنّه يوحد، وشتان بين التفرّق والتوحد."<sup>1</sup>

أما إذا جئنا إلى أهم الأصول والمبادئ التي قام عليها كتاب "الإحياء"، فنجد منها:

- الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل من أصلها، وإلغاء ما يترتب عليها من تقدير وتأويل وتفسير.
- التوحيد بين المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل، واعتبار كل واحد من هذه المرفوعات مسندا إليه.
- إنكاره أن تكون الفتحة علم إعراب جعله يشكك في كل المفاعيل، ويرى أنها قائمة على التأويل والتقدير والإضمار وتعبر عن اضطراب.
- رفضه تقسيم علامات الإعراب إلى علامات أصلية وعلامات فرعية، لعدم وجود حاجة تدعو إلى هذا التفصيل والتطويل، وهو ما جعله يعتبر الأسماء الستة، وجمع المذكر السالم، لا تعرب

<sup>1</sup> التفكير العلمي النحو العربي-الاستقراء، التحليل، التفسير-د، حسن خميس الملخ، دار الشروق، الأدن، ط1، 2002، ص:43.

بالحروف، وإنما تعرب بحركات طويلة. وقد لاحظ أن المثني يشذ عن رأيه، غير أنه يفسر هذا

الشذوذ بغرابة باب التثنية.

- عرضه للتوابع كما ذكرها النحاة: العطف، والنعت السببي، والخبر .. وما انتهى إليه أن التوابع

هي النعت والبدل لا غير، ويدخل في النعت خبر المبتدأ.<sup>1</sup>

كان في كل مسألة انتقدها أو طرحها قدّم البديل، لكن هذا البديل الذي كان يقدمه مفهوم مبتور

ومقصود على فكرة ما لا نستطيع أن نعممها نأخذ مثلا مسألة التنوين الذي يراه علامة للتذكير مطلقا

والتي تحرم التنوين معارف.<sup>2</sup> يقول: "الأصل في العلم ألا ينون، ولك في كل علم ألا تنونه، وإنما يجوز أن

تلحقه التنوين، إذا كان فيه معنى التنكير، وأردت الإرشاد إليه."<sup>3</sup>

غير أن د، فاضل صالح السامرائي ردّ عليه فقال: "نحن نرى الاسم معينا تمام التعيين، وليس فيه

حظّ من التنكير، ثم يكون منصرفا ونرى اسما آخر ليس فيه ذلك التعيين، ويكون ممنوعا من الصرف،

فمثلا (محمد) الذي هو رسول الله معين تمام التعيين، ومع ذلك هو منصرف، قال تعالى: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ

أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ" (الأحزاب: 40) في حين نرى علم الجنس الذي يدل على العموم، قد يكون

ممنوعا من الصرف نحو (أسامة) علما على الجنس. ونحن نرى في الآية الواحدة جملة أعلام بعضها

منصرف، وبعضها ممنوع من الصرف وذلك نحو قوله تعالى: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ

<sup>1</sup> انظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص:30، 31.

<sup>2</sup> وأول ما تجاهل في هذا الأمر، أنواع التنوين الأربعة: تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين التعويض.

<sup>3</sup> إحياء النحو، ص:179.



مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ" (النساء: 163). هل يصح أن يقال (نوحا) نكرة، لا يراد به واحد معين، و(إبراهيم) و(إسماعيل) معرفتان.<sup>1</sup>

أما آراء النقاد في كتاب (إحياء النحو) ، فكثيرة جدًا، فقد كان أغلب اللغويين العرب الذين

ظهروا بعد سنة 1937 لهم مواقف علمية مختلفة من الكتاب، نجد منهم: عباس حسن، ومهدي

مخزومي، والجواري، والصعيدي، عبد السلام هارون، شوقي ضيف، السامرائيين... الخ.

أما الذي نقضه عروة عروة بمنهجية علمية قل نظيرها فهو الشيخ محمد عرفة، يقول: "قد أنكرت

منه أنه نحل النحاة مذاهب لم يقولوها، ونقدها وأبان خطئها، فصور النحاة لقارئ كتابه قومًا بلها

يقولون ما لا يعقل، ويفهمون ما لا يفهم، وأنكرت منه أنه انتحل مذاهبهم، وهجنهم إذ لم يصلوا إلى

ما وصل إليه، أي إلى مذاهبهم، وأنكرت منه أنه قعد قواعد في العربية لو أخذ الناس بها لغيرت من روح

العربية، ولأفضى ذلك إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله على غير وجهها (..). أنكرت ذلك كله، ورأيت

حتمًا على أن أكتب كتابا أصحح به تاريخ العربية الذي أفسده هذا الكتاب.<sup>2</sup>

فالشيخ عرفة رأى في "الإحياء" أنه المنكر الذي يجب أن يغيّر، ورأى أن كل دعاويه تجاه النحو

والنحاة باطلة ومزيّفة، وقد اشتدّ في الردّ عليه بقدر اجتهاد صاحبه في الردّ على النظرية النحوية الخالصة،

وأجدني أرى أنه قد تحقق القانون الفيزيائي لإسحاق نيوتن بين كتابي: (الإحياء، والنحو والنحاة) الذي

يقول: "أنّ لكل قوة فعل قوة رد فعل مساوية لها في المقدار ومعاكسه في الاتجاه".

<sup>1</sup> معاني النحو: د، فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2007، ص: 255، 256.

<sup>2</sup> النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة: محمد عرفة، مطبعة السعادة، القاهرة (د . ت)، ص9، 10.

أما موقف د، عبد السلام المسديّ، فيقول: "لئن جاز لنا أن نقرّ لصاحب إحياء النحو بالفضل في أنّه تجرّأ على تحريك القناعات الوثوقية الراسخة، وأنه بهذا قد نال أجر المجتهد، فإنّ ذلك لن يحجب عنا مواطن الزلل في منظومة الاستدلال الفكري كما سوّأها بنفسه. ومورد الزلل من منبعين:

الأول أنه من قرط حبه للغة العربية ومن شدة وعيه بضرورة تنظيم العلاقة التعليمية بين العربي

ولسانه—قد راح يفترض أن كل بنية لغوية ظاهرة لا بد أن تحتها بنية خفية لا تقل عنها انتظاما، فإذا به ينزلق إلى المغالاة في النسقية.

والثاني أنه بعد أن كان وجيها في القول بأن اللغة محكومة بالنظام، وبأن الإعراب يندرج ضمن

القوانين المحددة له لهذا النظام، وبعد أن كان وجيها أيضا في القول بأن دلالة الخطاب—التي هي ثمرة

انتظام أجزائه انتظاما مخصوصا—مقترنة بعلامات الإعراب اقترانا بالضرورة، لم يهتد إلى القبضة التأليفية

الجامعة بين العناصر الثلاثة—عنصر التركيب وعنصر الإعراب وعنصر المعنى—في معادلة تجمع في طرفيها

بين اتزان البنية وإجراء الوظيفة.<sup>1</sup>

أما د، حلمي خليل فقد كشف الخلفيات المستعارة لكتاب "الإحياء" من نحو قطرب والفراء

وابن مضاء، ودرس المستشرقين، يقول: "جاء إحياء النحو لا تجديد فيه رغم أنه ادّعى التجديد، لأن أهمّ

ما جاء فيه، حتى فيما يتصل بإلغاء نظرية العامل قديم. لأن محاولة التجديد إنما تكون بالرأي الجديد ولا

يمكن أن تكون بالرأي القديم، لأنه هو الذي يراد إحداث التجديد فيه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> العربية والإعراب: د، عبد السلام المسديّ، دار الكتب الجديدة المتحدة، تونس، ط1، 2010، ص: 83، 84.

<sup>2</sup> العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 68.

أما إذا جئنا إلى القيمة الحقيقية للكتاب، فإنه "بعد نحو عام واحد تقريبا من ظهور الكتاب، قبل المؤلف (مصطفى إبراهيم) مع د، طه حسين التنازل عن بعض ما تضمّنه مما خالف فيه النحاة، وقد ظهر ذلك في التقرير الذي أعدته عام 1938 اللجنة التي شكلتها وزارة المعارف لتيسير القواعد اللغة العربية، والتي كان من أبرز أعضائها طه حسين وإبراهيم مصطفى، كما شارك المؤلف في تأليف العديد من الكتب المدرسية الرسمية في النحو منذ أواخر الثلاثينيات.

ولكنه لم يستطع أن يضع فيها شيئا من الأفكار والآراء النحوية الجديدة التي ضمنها كتابه الذي وضعه أساسا لتيسير النحو على المتعلمين، اللهم إلا فكرة المسند والمسند إليه التي تجمع أبواب المبتدأ والفاعل ونائبه معا وكان ذلك لأول مرة في عام 1958 في كتاب تحرير النحو، وقد بذلت جهود لتعميم هذه الفكرة في الكتب المدرسية في كل من مصر وسوريا وأبان الوحدة ولكنه رفضت بشدة من جانب السوريين، ثم أهملت تماما، ولا تزال كذلك حتى الآن.<sup>1</sup>

يقول د، عبد الله إسماعيل: "فإن بوسع المرء أن يقرر وهو مطمئن أن كتاب إحياء النحو يعد بحق أهم بحث نحوي عربي في العصر الحديث، لتصنيفه الأكاديمي، وتضمنه آراء شغلت الدارسين كثيرا، وأشاعت جوا من البحث العلمي افتقده الدرس النحوي منذ زمن طويل."<sup>2</sup> هذا صحيح، ولكن مصطفى إبراهيم اجتهد اجتهادا مضادا حتى سوّلت له نفسه أنه بإمكانه صنع آدمية النحو العربي من جديد، وسوف تخضع كل مناهج الدارسين لهذا الصنع.

<sup>1</sup> انظر: في إصلاح النحو العربي، ص: 111، 112.

<sup>2</sup> إحياء النحو بين مصطفى إبراهيم وأمين الخولي: د، عبد الله إسماعيل، منشورات جامعة عمر المختار، ط1، 1994، ص: 378.

ومهما يكن، فيكفي للسائيّ إحسانا وفضلا أن تعدّ معاييه العلمية، وقديما قال

الحكماء: "الفاضلُ مَنْ عُدَّتْ سقطاؤه"، فالأمر الذي يحسب لمصطفى ابراهيم أنه كان صادقا في عمله

بشهادة د، طه، فقد كان مخلصا في دعواه يقول مصطفى ابراهيم عن تجربته مع الإحياء: "فليكن ما أنفق

من هذا العمر ذخرا في أعمار الدارسين من بعد، ولتكن شيخوخة هذا الشيخ فدَى للعربية؛ أن تقرّب

من طالبها، ويمهّد السبيل لتعلمها."<sup>1</sup>

فلقد حفلت الثقافة العربية بدراسة "الإحياء"، في جلّ المناسبات العلمية اللغوية على مدى

نصف قرن وربما يزيد، وشهد له بالفضل من شهد، وحطّ من قيمته من حطّ، أما في رأينا فإنّ الكتاب

قد أحدث قلقا وضجّة لأنه ناقش العربيّة في حجّتها، وهو ابن زمانه بمعنى أنه كان يجب أن يظهر هذا

الكتاب في هذا التاريخ 1937، وفي هذا البلد الحضاريّ العتيق "مصر"، لأن الكتب التي ظهرت قبله

بسنوات قليلة في هذا البلد، كانت قد أحدثت رجّات عنيفة وهي ثلاث كتب: الديوان لعباس محمود

العقاد وعبد القادر المازني، نشره سنة (1921)، وكتاب "في الشعر الجاهلي"، لطف حسين، الذي نشره

سنة (1927)، وكتاب: "المتنبّي"، لأبي فهر محمود شاكر، نشره سنة (1936). فالأول في التجديد

والإبداع، والثاني في النقد والشك، والثالث في المنهج، وكأنّ هذه الكتب ممهّدت لكتاب "الإحياء"،

فكان لزاما أن يظهر كتاب تجديدي في النحو يخالف النمطيّ والسائد بعد هذه الثلاثة، فكان "الإحياء"

لتكامل الثقافة العربية الحديثة.

<sup>1</sup> إحياء النحو، ص: من مقدمة المؤلف.

فمشروعية التجديد في كل عصر فكرة لا تقبل النقاش، بل إنّه قد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لعائشة أم المؤمنين: "لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدِ بِالْجَاهِلِيَّةِ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ." وفي رواية أخرى، "لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنت الكعبة على قواعد إبراهيم ولجعلت بابين باباً يدخل منه الناس، وباباً يخرجون منه". لأن التجديد يكمل النقص ويجدد الفهم يوضح الغامض، وقيم الحدود، ويرفض التقليد، ويصلح الفاسد، ويحطم جدران الأوهام والتلافيق، ويخرج الأذهان من ضيق الصناديق إلى فضاء الآفاق.<sup>1</sup>

أما الأمر الذي يقبل الحساب والنقاش هو متى يكون هذا؟ وعلى يد من يكون؟ وهل اجتمعت البدائل اللازمة للتجديد والنقض، وهل باستطاعة هذا الجديد على الساحة أن يؤهل طلاب العربية لمنهج أفضل من القديم ليفهموا لغتهم بعمق ويتمثلوها أكثر؟!

<sup>1</sup> للفائدة فإني أقول: منذ أول قلم بدأ يكتب في العربية وعلومها وخاصة في النحو مع الطبقة الأولى من اللغويين التي ظهرت قبل "الكتاب" إلى زمن اللسانيات والمناهج لم يرفع هذا القلم ولم يجفّ حبره ولا أظنّه يجفّ إلا إذا طُوِيَ بساطُ هذا الوجود. فالعربية لا تزال ذلك اللسان العجيب الغريب، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل آية الليل القمر، وآية النهار الشمس، وآية الإنسان اللغة، فإنه قد جعل آية اللغات جميعاً اللغة العربية، و"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ" (الحجر: 75)، المتفرّسين وليس للمتعبّسين، أما ما قاله ابن حزم الظاهري، في "الإحكام في أصول الأحكام"، بأنه لا يوجد مفاضلة بين اللغات ولا فضل للعربية على غيرها، فهذا خطأ فادح أوقعته فيه ظاهرته التي أنكرت القياس، قال تعالى: "دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين." فهذا تأشير قرآني قوي بأن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة. ثم إن ابن حزم (ت: 456هـ)، عاش في القرن الخامس هجرية، بحيث لم يشهد الانفجار العظيم للغات الذي ظهر حديثاً، فمنها من عاشت وماتت، وأطولها عمراً لا يتجاوز ثلاثة قرون على الأكثر، إلا العربية 17 قرناً ومع ذلك لا تزال تحتفظ بنسقتها اللغوية، ولها القابلية للتقارب مع مناهج اللسانيات بمختلف تياراتها، والقدرة على تحمّل المسؤولية في أن تكون لغة العلم والتكنولوجيا.

مهدي مخزومي<sup>1</sup> في كتابه: -"في النحو العربي نقد وتوجيه"، نشره سنة (1964).

- "في النحو العربي قواعد وتطبيق"، نشره سنة (1966).

لقد استعمل د، مهدي المخزومي في عنوان الكتاب الأول الذي يمثل الجانب النظري في تفسيره للنحو مصطلحان وهما: النقد والتوجيه، أما في عنوان الكتاب الثاني باعتباره يمثل الجانب التطبيقي للكتاب الأول، فقد استعمل فيه مصطلحا: قواعد وتطبيق، وهو في كل ذلك يريد التجديد لأن النحو عنده "عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور؛ فالنحو متطور أبدا، لأن اللغة متطورة أبدا، والنحويّ الحق هو ذلك الذي يجري وراء اللغة بتتبع مسيرتها، ويفقه أساليبها، ووظيفة النحوي أن يسجل لنا ملاحظاته، ونتائج اختياراته في صورة أصول وقواعد تملئها عليه طبيعة هذه اللغة، واستعمالات أصحابها."<sup>2</sup>

ومن معاني التجديد عنده كذلك الهدم، بحيث سعى كما يقول: إلى هدم فكرة العامل في النحو وسلب الفعل الذي هو أقوى العوامل عندهم قدرته على العمل، وعلى الرفع والنصب.<sup>3</sup> فمن معاني الإصلاح النحوي عنده هدم نظرية العامل، وقد يكون الإصلاح بالهدم.

<sup>1</sup> مهدي المخزومي (1910-1993) باحث عراقي في اللغة والنحو متميز، نال شهادة الماجستير في موضوع موسوم بـ: "مذهب الخليل النحوي" بإشراف: أمين الخولي وإبراهيم مصطفى، والدكتوراه في موضوع موسوم بـ: "مدرسة الكوفة النحوية ومنهجها"، بإشراف: مصطفى السقا، وفي عام 1963 وجد نفسه في كلية آداب جامعة الرياض، وأثناء إقامته في هذه الجامعة صنف كتابان مهمان وهما: "في النحو العربي: نقد وتوجيه" و"في النحو العربي: قواعد وتطبيق" اللذين نال عليهما جائزة من الحكومة السعودية على أنهما من الأعمال العلمية الراقية.

<sup>2</sup> في النحو العربي نقد وتوجيه: د، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986، ص: 19.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 62.

يرى د، مهدي أن خير هذه المحاولات ما قام به صاحب "الإحياء"، وكان عمله هذا هو البادرة

الأولى في إصلاح ما أفسدته القرون. محاولات التيسير التي ظهرت في الكتب المدرسية حديثاً لم تقدم

شيئاً جديداً، ولم تفعل شيئاً يعيد إلى هذا الدرس قوته وحيوته، لأنها لم تصحح وضعاً، ولم تجدد منهجاً،

ولم تأتي بجديد إلا إصلاحاً في المظهر، وأناقة في الإخراج، أما القواعد فهي هي، وأما الموضوعات فكما

ورثناها، حتى الأمثلة، لم يصبها من التجديد إلا نصيب ضئيل.<sup>1</sup>

بني هذا الكتاب على موضوعين، أما الأول: الجملة من حيث تأليفها ونظامها، ومن حيث

طبيعتها، ومن حيث أجزاءها، وما يطرأ على أجزائها، أما الثاني: ما يعرض للجملة من معان عامة

تؤديها أدوات التعبير التي تستخدم لهذا الغرض، كالتوكيد وأدواته، والنفي وأدواته، والاستفهام وأدواته إلى

غير ذلك من المعاني العامة التي يعبر عنها بالأدوات.<sup>2</sup>

فعلى هذا الأساس بنى د، مهدي مخزومي نقده هـ لأعمال النحاة، وقد ترسّم منهج صاحب

"الإحياء" الذي ركّز على وظيفة الكلمة في الجملة، والذي يقابله اتجاه الذي ركّز على تدريس النحو في

ظلّ اللغة الذي أشّر له ابن خلدون.<sup>3</sup> الذي أخذت به محاولة وزارة المعارف المصرية الخاصة بتيسير النحو

سنة 1938، وأخذ به عبد الحميد حسن صاحب "القواعد النحوية مادتها وطريقتها"، نشره سنة 1946،

ومحمد عبد الخالق عضيمة... الخ.

<sup>1</sup> في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: من مقدمة المؤلف.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: ن.

<sup>3</sup> انظر: مناهج الدرس النحو في العالم العربي في القرن العشرين، ص: 11.

أما أبرز المصادر التي استقى منها مادته، فقد أكثر الاقتباس من ثلاث مدونات علمية، اثنين منها في القديم وهما كتاب: "الردّ على النحاة" لابن مضاء (وهو كتاب دوّخ النحو والنحاة ولا يزال) ، والنحو الكوفي، وكتاب "إحياء النحو" لمصطفى إبراهيم، أما استفادته من النحو الكوفي<sup>1</sup> فقد ظهر جلياً في كتابه التطبيقي، ومن هذه الآراء التي أخذ بها مايلي:

- تبني رأي الكوفيين في إدماج اسم الفاعل ضمن قائمة الأفعال، ويسميه الكوفيين "الفعل الدائم".
- تبني رأي الكوفيين في أن فعل الأمر له صيغتان، وذلك يجعله صيغة "فَعَالٍ" من أقسام فعل الأمر،
- أما عند البصريين اسم فعل، وعند الكوفيين فعل حقيقي لأنه لا يختلف عن بناء "افعل" في الدلالة ولا في الاستعمال، وكذلك تبني رأي الكوفيين في جواز تقدّم الفاعل على الفعل، نحو: خالد ينام مبكراً، ونحو: أزيد يقوم أم عمرو؟ تبني رأي الكوفيين في أن الاسم المنصوب بعد أفعال الكينونة يعرب حالاً، نحو كان المطر غزيراً، لأنها تبين هيئة الموجود. وأن لام الابتداء نوع من لام القسم: ويسميتها د، مهدي لام التوكيد، والقسم كذلك له وظيفة التوكيد.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> وسرّ هذا التّبني للنحو الكوفي ذلك أنه أنجز رسالة دكتوراه في النحو الكوفي بإشراف: مصطفى السقا، وهي موسومة ب: "مدرسة الكوفة النحوية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو"، في عام 1953، ومن جملة ما قال فيها المشرف أن صاحبها "أنصف مدرسة الكوفة النحوية إنصافاً علمياً لم يعهد له نظير من قبل في كتب تاريخ النحو، فقد كشف عن طبيعة الدراسة الكوفية واعتمادها على الرواية والنصوص العربية، قرآنية وشعرية وغيرها." مدرسة الكوفة النحوية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: د، مهدي المخزومي، ط2، 1958، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ص: من تصدير مصطفى السقا.

<sup>2</sup> كما تبني المخزومي مصطلحات الكوفيين مثل: الأداة وهي الحرف، الفعل الدائم وهو اسم الفاعل، أداة التشريك وهي حروف العطف، لأن أكثر لا يفيد العطف، الممكنى به عن الزمان والمكان وهو الظرف عند البصريين، وتسمية الظرف هي تسمية عقلية لا تستعمل في البحث اللغوي عنده. والخفض وهو عند البصريين الجر. انظر: النحو العربي قواعد وتطبيق، 23، وما بعدها.



أما جديد د، "مهدي" فيتمثل في أنه: اعتدّ التشابه في المعنى لا التشابه في العمل الإعرابي أساساً للتبويب مثال ذلك: جعله التوابع ثلاثة فقط وهي النعت الحقيقي، والبيان، وبدل الكل، وعليه أخرج الاستثناء المفرغ من باب: الاستثناء، وأفرد له في باب القصر. كما اقترح تقسيم رباعي يقوم على: اسم، وفعل، وأداة، وكنيات (الضمائر، والإشارات، والموصولات، وأسماء الشرط، وأسماء الإستفهام). كما قسم الفعل إلى ماضي، ومضارع، وأمر، ودائم (كان على وزن فاعل)، أما الجملة الفعلية عنده ما دل المسند فيها على التجدد، فجملة: البدر طلع، فعلية تقدم فيها المسند إليه لإظهار الإهتمام به، وذلك للتخلص من تقدير فاعل للفعل، وذلك تماشياً مع منهجه الرفض للتأويل. أما الجملة الإسمية هي التي يكون فيها المسند دالا على الدوام، أو التي لا يكون فيها المسند فعلاً.<sup>1</sup>

ويرى كذلك أن حركات الفعل المضارع المعرب تختلف بالنظر إلى زمنه لا بتأثير العوامل، فهو يرفع إذا تجرد مما يدل على الماضي، أول المستقبل، نحو: يقوم ويقعد، وينصب إذا اقترن به ما يخلص به للمستقبل، كنون التوكيد ولن، وإذن، ويجزم إذا سبقه ما يخلص به للماضي، وهو: لم ولما. وتوسيعه في مفهوم دلالة حركات الإعراب فهي لبيان ما للكلمة من وظيفة لغوية، أو قيمة نحوية، ككونها مسندا، أو مضافا إليه، أو فاعلا، أو مفعولا، أو غير ذلك.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر: مآخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها النظرية والتطبيقية: منصور بن عبد العزيز الغفيلي، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، السعودية، ط1، 2013، ص: 385، 386، 386.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: ن.

مأخذ على كتابد، "مهدي المخزومي"، النظري والتطبيقي:

1 - عدم وضوح المنهج الوصفي لديه، كما أن سمات المنهج العلمي الحديث لديه لا تكاد تختلف عما

قاله النحاة المتقدمون، سواء في التعريفات، أم في التقسيمات، أو في التبويب.

2 - تخليه في كتابه التطبيقي عن المفهوم الضيق للنحو الذي نادى به في كتابه النظري وهو دراسة

الجملة، حيث بدأ كتابه بتمهيد عن الأصوات تناول فيه الظواهر الصوتية.

3 - إهماله المستوى الدلالي في دراسته واقتصر على المستوى الصوتي والصرفي، والنحوي.<sup>1</sup>

أما د، "رياض سواد" فيرى أن المنهج الوصفي الذي تمثله "المخزومي"، ليس المقصود به ذلك

المنهج الغربي المعروف، بل هو منهج نابع من التراث العربي الأصيل، فلم تنفصم عرى الارتباط بينه وبين

الدراسات اللغوية القديمة، التي وجد فيها "المخزومي" ما يكون صالحا لدراسة جديدة، ثم أن المنهج

الوصفي العربي، إن صح هذا المصطلح، لا بد أن ينتهي إلى قاعدة عامة، تبني عليها نتائج الاستقراء

للمادة اللغوية، ولا يمكن إذ ذاك. إن تحمل النتائج على كونها نتائج معيارية، فمنتهى الدراسة الوصفية

العربية، هو وضع قاعدة للمادة المستقرأة، ومن هنا نستطيع القول، أن المعيارية عند المخزومي نتيجة

نهائية للمادة الموصوفة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مأخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها التنظيرية والتطبيقية، ص: 387.

<sup>2</sup> انظر الرابط: <http://www.wata.cc/forums/showthread> مهدي المخزومي في أنظار الدارسين،

يوم: 2014/9/4

أما د، "محمد صاري" فيرى أن "المخزومي" هو الآخر - كسابقه - لا يفرق بين النحو العلمي، الذي ينبغي أن يكون عميقا مجردا، وبين النحو التربوي الخاص بالتعليم . وللإشارة، فإن آراءه الجديدة ليست أصيلة (يعني إبداعية)، فهي في مجملها صورة طبق الأصل لما جاء في كتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء، وكتاب "إحياء النحو" لأستاذه إبراهيم مصطفى، مع شيء من الاحتجاج والتوسّع والتمحّل؛ إذ نكاد نلاحظ ذلك في جميع أبواب كتابه تقريبا.<sup>1</sup>

والدكتور مصطفى السقا، الذي أشرف على دكتوراه من الشاهدين بهذا، يقول: "ومباحث هذا الكتاب.. تعتبر بحق تطورا وتوجيها حديثا للدراسات النحوية وإن شئت فقل إنها هي التطوير الحقيقي الذي سيبقى أثره، وهي تتم ما بدأه ابن مضاء اللخمي القرطبي من مباحث قيّمة في كتابه "الرد على النحاة"، كما تعدّ استمرارا لمنهج تطوير النحو، الذي وضعه الأستاذ المرحوم إبراهيم مصطفى في كتابه "إحياء النحو" الذي قرأه النحاة وقدروا ما فيه."<sup>2</sup>

أما د، "حلمي خليل" فإنه يرى أنّ كلّ ما قدّمه مهدي المخزومي في كتابه لا يظهر فيه أثر المنهج العلمي الحديث في دراسة اللغة. وإنما جاء هذا النموذج المتعدد الأوان لا ينتمي إلى القدماء أو المحدثين ويظهر ذلك جليّا في طاقم المصطلحات التي استعملها في دراسته، فلا هو أبقى على النموذج التقليدي كما هو، فهو في النهاية بناء متماسك ومتجانس في حدّ ذاته، ولا هو أعاد النظر في هذا النموذج وقدم بديلا له مما يتفق وتطور علم اللغة في النصف الثاني من القرن العشرين. ولعل الأثر الواضح لعلم اللغة في

<sup>1</sup> انظر الرابط التالي: <http://iatafl.blogspot.com> تاريخ الإقتباس: 2015/01/04 تيسير النحو، موضة أم ضرورة؟: د، محمد صاري.

<sup>2</sup> في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 10.

هذه المحاولة يتجلى في الوقوف ضد المنطق وتحكمه في دراسة اللغة، وهي إحدى المقالات الأساسية التي مهدت لظهور علم اللغة الوصفي.<sup>1</sup>

أما ما قدّمه مهدي المخزومي من منظور د، عطا محمد موسى "فهو من القلائل الذين قدموا تطبيقاتاً لأفكارهم النظرية، وحاول من خلال هذا التطبيق رجوع النظر في جانب من الموضوعات النحوية، وكان له على هذا الصعيد حلول لا تخلو من الجدة، ووضوح المقصد والتناول."<sup>2</sup>

أما في نظرنا فإنّ الرجل كان نحوياً مختصاً ولم يكن باحثاً فضولياً متفرّغاً، وقد احتكم في كتابيه (النظري والتطبيقي) إلى أصولية نظرية النحو العربي المتمثلة في "النحو الكوفي" على وجه التخصيص، وكما احتكم إلى بعض رؤى أستاذه إبراهيم مصطفى، وقد استفادت أغلب الكتابات النحوية بشتى أنواعها التي جاءت بعد كتابيه، فلقد كان له فضل على الذين صاغوا النحو العربي في مؤلفات نحوية تطبيقية التي لطّفت النحو ورّبت بآبائه وأحكمت ربطه وقدموه جيّ طريّاً للباحثين وطلاب العربية، فالرجل كما هو ظاهر للعيان في كتابيه النظري والتطبيقي لم يستطع أن يتخلّص من النظرية النحوية العربية على طبعها القديم رغم الإجهاد الفكري الذي عاناه فيهما، وذلك لأنه من جيل المتون الذين استحكمت فيها رواسب المدرسة اللغوية العتيقة العراقية. فالعراق هي أم اللغة العربية وتاريخها وعلمائها وعلومها، فالعراق هي النفس والروح للعربية، فليس من الميسور بالمرّة مخالفة تقاليد هذا البلد لغويا الذي استطاع أن يكون عاصمة العربية حتى تكلم العالم بأكمله بالعربية على مدى خمسة قرون.

<sup>1</sup> العربية وعلم اللغة النبوي، ص: 79، 80.

<sup>2</sup> مناهج الدرس النحوي في القرن العشرين، ص: 59.

أما نظرية العامل التي صنع منها مشكلا د، مهدي فقد أصبحت مشكلا نحويا زائفا، خاصة بعد

نشر كتاب البنى التركيبية لتشومسكي سنة 1957، وخاصة بعد استواء النظرية الخليلية استواء علميا

شامخا لعبد الرحمن الحاج صالح، فرغم الاختصاص الضيق في علم النحو الذي كان يتمتع به د، مهدي

ولكنه لم يستوعب ما قاله سيويه في مدونته اللسانية الراقية "الكتاب"، عندما يقول مثلا: "وليس شيء

يُضْطَرُّونَ إليه إلا وهم يحاولون به وجها".<sup>1</sup> وهو يقصد العرب الأفحاح الذين كان النحاة يخضعون

لسلائقهم حتى ولو كان هذا الأعرابي عبدا لا قيمة له أو حتى مجنوننا.

إذن، فهناك مستوى في النحو العربي ثبوتي سكوبي لا يتأثر بحركة الزمن<sup>2</sup> المتمثل في جوهرية نظرية

العامل، فكان هذا المستوى كالصخرة الصيخود التي ارتطمت عليها كل محاولات التجريد التي رامت

التخلّص من سلطان نظرية العامل، وصنعت من النحو العربي في طبعه القديم شبعا مخيفا يجب أن

ينسف !!؟ وكما أنّ هناك مستوى مطاطي مرن قابل للتشكيل والتخليق اللساني الأصيل لأيّ منهج

مُطَاطِرٍ وفق أسس علمية متينة وبناءات لسانية مضبوطة قد استجابت لشروط العلم والمعرفة، وهذا

المستوى المتمثل في الجانب الشكلي الصياغي formalism.

<sup>1</sup> الكتاب: لسيويه، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 3، 1988، ج1، ص:32.

<sup>2</sup> لأنه ما دام أنّ القرآن الكريم صالح لكل الأزمنة اللاحقة، استنادا إلى قوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر: 9)، وقوله تعالى: "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلًا مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ". (فصلت: 42)، فإنّ النحو العربي العتيق يصلح لكل ما بعده من الأزمنة، لسبب بسيط وهو أنّه خرج من مشكاته وتشكّل على نصوصه ومتعلقاته.

شوقي ضيف<sup>1</sup> في كتبه الخمسة: أولا في مقدمته تحقيقه كتاب: "الردّ على النحاة"، الذي نشره سنة

(1947). ثانيا: "المدارس النحوية"، الذي نشره سنة (1968)، ثالثا: "تجديد النحو"<sup>2</sup>، نشره سنة

(1982)، رابعا: "تيسير النحو التعليمي"، نشره سنة (1986)، خامسا: "تيسيرات لغوية"، نشره سنة

(1990). وسنكتفي بمناقشة عامة لأهمّ دراساته النحوية واللغوية، لأن الرجل لم يكن مختصّا في اللغة

والنحو، وإنما كان رجلا موسوعيا كتب في جميع علوم العربية وآدابها.

فالكتاب النحوي الذي ظهرت فيه بصمته هو تحقيقه لكتاب ابن مضاء "الرد على النحاة". حيث

صنع شوقي ضيف مدخلا طويلا للكتاب قدّم من خلاله منهجا جديدا لتيسير النحو على الناشئة

والدارسين، بحيث فصل القول كيف بدأ ابن مضاء ثورته على سيبويه ونحاة المشرق بحيث أنها كانت

امتدادا لثورة دولة الموحدين التي كانت تعتنق المذهب الظاهري الذي ينكر العلل والأقيسة في الفقه

والتشريع، ومضى ابن مضاء على هدى هذا المذهب ينكر - في إصرار - نظرية العامل في النحو وما

جرت إليه من ركام الأقيسة والعلل. فقد كان مدخل الكتاب طويلا فصل فيه د، شوقي ضيف حياة

ابن مضاء وأدلة نسبة الكتاب إليه، موضحا دعوته إلى إلغاء نظرية العامل في النحو، وما يتصل بها من

العوامل المحذوفة والعلل والأقيسة والتمارين غير العلمية، مما لا يفيد في صحة النطق وسلامته.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> (1910-2005) أديب ولغوي موسوعي من مصر، له بحوث ودراسات في علوم العربية وآدابها تيّفت على خمسين كتابا.

<sup>2</sup> يعد هذا الكتاب ملخص موقفه من النحو العربي بصورة واضحة، أما الكتب التي ظهرت بعده ففيها تعديلات لغوية فقط.

<sup>3</sup> الردّ على النحاة: لابن مضاء القرطبي، تحقيق: د، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص3، 4.

أما إضافة د، شوقي ضيف فتمثل تصنيفه الجديد للنحو على ضوء آراء ابن مضاء، بحيث أقامه على ثلاثة أسس هي: أولاً تنسيق أبواب النحو بحيث يستغنى عن طائفة منها بردها إلى أبواب أخرى. وثانياً: إلغاء الإعراب التقديري في الجمل، وكذلك في المفردات مقصورة ومنقوصة ومبنية. وثالثاً: أن لا تعرب كلمة لا يفيد إعرابها شيئاً في تصحيح الكلام والنطق به مطلقاً سديداً.<sup>1</sup>

من المسائل النحوية التي واصل هو الآخر بإنكارها مسألة "الإعراب"، يقول: "والحق أنه ينبغي أن لا نعرب من أجل الإعراب نفسه، فهو ليس غاية تقصد لذاتها، وإنما نعرب لأجل تصحيح لساننا ونطقنا، وما دام إعراب أداة لا يفيدنا شيئاً في لساننا ولا في نطقنا، فينبغي أن لا نقف عنده، ولا نفكر فيه. وما أرتاب في أن ذلك ومثله ينبغي أن ينفي من النحو، حتى تستقيم مسأله على الجادة، وحتى تدخل في عقولنا وأفهامنا دخولاً طبيعياً، لا عنت فيه ولا مشقة."<sup>2</sup> إلا أنه كان مقلداً في إنكاره للإعراب، فقد سبق في هذا الأمر، وإذا أردنا أن نسقط هذا التوجه بمثال حيّ فسهل وميسور، يقول عتبان الحروري يخاطب هشام بن عبد الملك (الخليفة):

فإن يك منكم كان مروان وابنه\*\*\* وعمرو ومنكم هاشم وحيب

فمنا حصين والبطين وقعب\*\*\* ومنا أمير المؤمنين شبيب

فإنه لما بلغ الشعر هشاماً، وظفر به قال له: أنت القائل: ومنا أمير المؤمنين شبيب فقال: لم أقل كذا وإنما قلت: ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعد ضمها، وهذا ألطف مواربة وقعت.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الرد على النحاة: لابن مضاء القرطبي، تحقيق: د، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص3، 4.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:66.

<sup>3</sup> انظر: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص249، 250.

فأنت تلاحظ أن فتح الراء من (أمير) أنجاه من هلاك محقق، وذلك أن المعنى رفع (أمير) أن شيبا هو أمير المؤمنين لا هشاما: ف: (منا) خير مقدم، و(أمير) مبتدأ مؤخر وشيب بدل. والمعنى بنصب (أمير) أن يكون على النداء أي: ومنا - يا أمير المؤمنين - شيب فهو يقر بأن هشاما أمير المؤمنين، وفرق بين التعبيرين.<sup>1</sup>

أما إذا جئنا كتاب "المدارس النحوية"، الذي نشره سنة (1968)، فغن سبب تأليفه، فإنه يقول: "حين أعارتني جامعة القاهرة في العام الدراسي 1965-1966 لشقيقتها الجامعة الأردنية حاضرت طلاب قسم اللغة العربية بها في تاريخ المدارس النحوية. ولما رجعت إلى المكتبة العربية الحديثة لم أجد كتابا يغني هذا الموضوع غناء محمودا، وقد مضيت أحاضر الطلاب فيه محاولا - بقدر جهدي - أن أبلغ حاجتهم بترتيب مقدماته وتوفير الأسباب المعينة على صحة نتائجه، حتى استقامت لي هذه الصورة لمدارسنا النحوية على مرّ التاريخ. ولعل هذه أول مرة تبحث فيها المدارس النحوية بحثا جامعا، وهو بحث يرسم في إجمال الجهود الخاصة لكل مدرسة."<sup>2</sup>

ولقد صدق في هذا الزعم، فكتابه "المدارس" يعد أول كتاب في هذا الحقل قدمه للثقافة العربية، فكل الكتب التي ألفت في هذا المجال ظهرت بعده، منها: "دروس في المذاهب النحوية"، للراجحي، وهي عنده خمسة مذاهب نحوية، البصرة يمثلها "الكتاب"، لسيبويه، والكوفة يمثلها "معاني القرآن" للفرّاء، وبغداد يمثلها "شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشري"، والأندلس يمثلها "الردّ على النحاة"، لابن مضاء،

<sup>1</sup> معاني النحو، ص: 31.

<sup>2</sup> المدارس النحوية: د، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1992، ص: من مقدمة المؤلف.



ومصر يمثلها "مغني اللبيب"، لابن هشام. الذي نشره سنة 1980، ثم "المدارس النحوية" لخديجة الحديثي، نشرته سنة 1986، ثم "المدارس النحوية - أسطورة وواقع-"، لإبراهيم السامرائي الذي نشره سنة 1987.

لقد جاء كتاب "المدارس" دراسة سبّاقة جادة يعرض فيه صاحبه المدارس النحوية من بصرية، وكوفية، وبغدادية، وأندلسية، ومصرية، متعقبا في تفصيل نشأتها وتطورها، ومصوّرا في دقة أصولها ومناهجها ومذاهبها، وراسما في إحاطة أئمتها ودقائق آرائهم، وقد صحح في كل مدرسة كثيرا من الأفكار الشائعة، فليس أبو الأسود الدؤلي (ت:69هـ) وتلاميذه هم السابقين إلى وضع القواعد النحو العربي، والخليل لا سيبويه هو الذي أعطى النحو صيغته النهائية، والكوفة لا البصرة هي التي بدأت الحملة على بعض القراء والقراءات، وأبو علي الفارسي وابن جنيّ بغداديان لا بصريان. والمدريستان الأندلسية والمصرية لم تعيشا على التقليد وإنما عاشتا على الاجتهاد والنفوذ بمقاييس سداد.<sup>1</sup>

إلا أن مصطلح "المدارس" لا يوافق كثير من الباحثين العرب المحدثين من بينهم "تمام حسان"، و"إبراهيم السامرائي"، وخاصة "خديجة الحديثي".

أما في رأيي فلا حرج أن نستعمل مصطلح المدارس النحوية لأن شيخ هؤلاء المدارس هم من أبناء العربية وشيوخها وكلهم ألفوا العشرات الكتب في علومها، فكانوا مبدعين لهم اجتهادات ومواقف، وإلا لما نستعمل مصطلح المدارس اللسانية الحديثة التي تطلق على مدرسة جنيف، ومدرسة براغ، ومدرسة يلمسلاف، ومدرسة كونهاجن، ومدرسة لندن، ومدرسة التوليدية التحويلية، فليس دي سوسير،

<sup>1</sup> المدارس النحوية، ص: واجهة الكتاب الأخيرة.

ولا بلومفيلد، ولا جاكسون، ولا فيرث، ولا مارتينه، ولا هاريس ولا تشومسكي بأعلم من شيخ العربية الأول "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، ولا أستاذ النحو العربي "سيبويه"، ولا صاحب الخصائص "ابن جني"، ولا صاحب نظرية سمط الدهر والصولة البكر "عبد القاهر الجرجاني"، فليس أولئك اللسانيين الغربيين بكثر علماً من نحاة العربية في اختصاصاتهم.

ثم إن هذه الأفكار اللسانية الغربية التي سميت بالمدارس "ماهي في الحقيقة إلا وجهة نظر في الدرس اللغوي نتيجة البحث وليست حقائق مطلقة، اللهم إلا ما كان منها مبنياً على الاستدلال العقلي القوي فإن أمرها يختلف؛ إذ يمكن أن يتدارك عليها في بعض جوانب النقص ولا يمكن إبطالها كلها والدليل على ذلك: أن بعض النظريات اللغوية ما إن تظهر نظرية لغوية أخرى تكتسح الساحة ويلتف حولها الدارسون. فتنزع النظرية الأولى إلى التفتت حين ظهور أخرى.<sup>1</sup> باستثناء نظرية سوسير التي وجدت من يزيد في تصنيعها وتقويتها.

وبعد كتاب "المدارس" ظهر كتاب "تجديد النحو"، نشره سنة (1982)، الذي عمق فيه نظرتة في تجديد النحو وهو تطبيق للأفكار النظرية التي بثها في مدخل "الرد على النحاة"، والنتيجة التي انتهى إليها في كتاب تجديد النحو، أنه أضاف ثلاثة أسس أخرى للأسس التي طرحها في مدخل "الرد على النحاة"؛ لتصبح ستة أسس في التصنيف الجديد للنحو العربي من زاوية نظره، وهي:

- الاستغناء عن بعض أبواب النحو بردها إلى أبواب أخرى؛ اعتماداً على مبدأ التجانس.

- إلغاء الإعراب التقديري والإعراب المحلي في الجمل والمفردات المقصورة والمنقوصة والمبنية.

<sup>1</sup> المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص: من مقدمة المؤلف.

- إهمال الإعراب ما لم يفد شيئاً في تصحيح الكلام وسلامة النطق.

- وضع تعريفات وضوابط دقيقة لبعض أبواب النحو.

- حذف زوائد كثيرة من أبواب النحو تُعرض فيه دون حاجة إليها.

- زيادة إضافات ضرورية لبعض الأبواب؛ لتمثّل الصياغة العربية وأوضاعها تمثلاً دقيقاً.<sup>1</sup>

وعلى العموم فإن المنهج الذي دعا إليه قد أحسن تطبيقه بشكل عام من حيث التبويب

والتصنيف الجديد، وفقاً للأسس التي استند إليها في إعادة التصنيف، أما في التحليلات الداخلية

للموضوعات فلم يطبق منهجه في كثير مما دعا إليه، فمثلاً لم يستطع الخروج من تأثير نظرية العامل في

تطبيق منهجه على الرغم من النقد الشديد الذي وجهه لها ودعا إلى إلغائها، كما لم يطبق مبدأ التجانس

بين أبواب النحو حتى على الفعل المضارع الذي ساقه مثلاً عليه في حديثه عن المنهج.<sup>2</sup>

وقد تراجع د، "شوقي ضيف" أثناء التطبيق عن كثير من آرائه في المنهج، لم يطبق عما أسماه ب(شبه

الجملة)، فلم نجد له أثراً يذكر في التطبيق، كما جاء حديثه عن الذكر والحذف مناقضاً لأساس قوي

من أسس منهجه وهو منع التأويل والتقدير في الصيغ والعبارات. بل إنه تراجع في مدخل تجديد النحو

عن بعض آرائه التي طرحها في مدخل الرد على النحاة. وفي تراجع خير له وللنحو، على الرغم من أنه

يخل بالمنهج إن لم يفسده.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> موقف شوقي ضيف من الدرس النحوي-دراسة في المنهج و التطبيق-:د، علاء إسماعيل الحمزاوي،(مخطوط)، ص:40.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص:71.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص:ن.

وَجَمَلِ الْقَوْلِ فِيمَا قَدَّمَهُ د، شَوْقِي ضَيْفٌ لِلنَّحْوِ الْعَرَبِيِّ، فَإِنَّ د، عِلَاءَ إِسْمَاعِيلِ الْحَمَزَاوِيِّ،

يقول: "إني أرى أن هذا التصنيف الجديد للنحو لم تُؤتَ ثَمَارُهُ حَتَّى الْآنَ، فَمَا زَالَ النَّحْوُ يُدْرَسُ فِي الْمَدَارِسِ

وَالْجَامِعَاتِ وَفَقَا لِمَنْهَجِ النَّحْوِيِّينَ الْقَدَمَاءِ وَبِخَاصَّةِ الْبَصْرِيِّينَ، وَبِالتَّالِيِ فَهُوَ لَمْ يَسْهَمْ فِي النَّطْقِ السَّلِيمِ لِلْعَرَبِيَّةِ

وَفَهْمِهَا فَهَمَّا جَيِّدًا كَمَا رَجَا مِنْهُ صَاحِبُهُ، وَلَا أَبَالِغُ إِذَا قُلْتُ بِأَنَّ هَذَا الْكِتَابَ<sup>1</sup> بِمَنْهَجِهِ الْجَدِيدِ فِي النَّحْوِ

لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْمُتَخَصِّصُونَ فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى الْقَائِمِينَ عَلَى

نِظَامِ التَّعْلِيمِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ؛ فَاعْتَقَدْتُ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ وَلَا قَانِعِينَ بِأَنَّ الْمَنْهَجَ الْجَدِيدَ الَّذِي قَدَّمَهُ د/شَوْقِي

ضَيْفٌ يَصْلُحُ بَدِيلًا لِمَنْهَجِ النَّحَاةِ الْقَدَمَاءِ رَغْمَ تَيْسِيرِهِ الْمَحْدُودِ.<sup>2</sup>

أَمَّا مَا قَدَّمَهُ د، شَوْقِي مِنْ مَنْظُورِ د، جَمِيلِ عِلُوشِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَفِي هَذَا يَقُولُ: "لَمْ يَكُنْ مَوْفِقًا

فِيمَا قَدَّمَ وَاقْتَرَحَ فِي مَوْضُوعِ تَيْسِيرِ النَّحْوِ وَتَسْهِيلِ تَدْرِيسِهِ. وَكَانَتْ مَقْتَرِحَاتِهِ بَعِيدَةً عَنِ رُوحِ النَّحْوِ مِنْ

جِهَةٍ وَمُخَالَفَةً لِلْمَنْطِقِ وَمَقْتَضِيَّاتِ الْعَقْلِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَلِذَلِكَ لَمْ تَتْرِكْ أَيُّ صَدَى لَهَا فِي الْأَذْهَانِ وَلَا

فِي الْأَذَانِ."<sup>3</sup> لِأَنَّهُ اسْتَقْوَى بِمَا قَالَهُ صَاحِبُ "الْإِحْيَاءِ" وَتَعَبَّدَ لَهُ، وَهَذَا الْأَخِيرُ مِنْ بَيْنِ أَكْبَرِ الْأَخْطَاءِ

الْمَنْهَجِيَّةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا، أَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ النَّحْوَ كَانَ مَيِّتًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْقَدَمَاءِ وَمَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَيَاةُ وَالْإِحْيَاءُ،

فَ: "إِذَا مَا ظَهَرَتْ لَكَ نَظْرِيَّةٌ عَلَى أَنَّهَا الْوَحِيدَةُ الْمُمْكِنَةُ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ مُؤَشِّرًا عَلَى أَنَّكَ لَمْ تَفْهَمْ النَّظْرِيَّةَ وَلَمْ

تَفْهَمْ الْمَشْكَالَةَ الَّتِي يَفْتَرِضُ أَنَّ تَحْلُهَا هَذِهِ النَّظْرِيَّةُ." كَمَا يَقُولُ فَيْلسُوفُ الْعُلُومِ كَارْلُ بُوْبِرْ.

<sup>1</sup> يقصد بهذا الكتاب هو كتاب: "تجديد النحو"، الذي نشره سنة 1982، الذي نفّض فيه عصارة فكره النحوي وتصوره اللغوي.

<sup>2</sup> موقف شوقي ضيف من الدرس النحوي-دراسة في المنهج والتطبيق-، ص: 71.

<sup>3</sup> مجلة التراث العربي، مع الدكتور شوقي ضيف في مقدمة الردّ على النحاة: د، جميل علوش، ص: 79.

أما ما قدمه د، شوقي ضيف للنحو العربي في نظري، فأرى أن الرجل كان مخلصا في كل ما كتبه عن النحو، وكان يبتغي بذلك الإصلاح والنفع والتيسير وقد وُفق إلى حدّ بعيد في خدمة نحو العربية رغم المهام الإدارية التي كان يقوم بها، إلا أنّ الرجل كان موسوعيا فقد قدّم للمكتبة العربية أكثر من خمسين ، فقد كان أديبا موسوعيا<sup>1</sup> ولغويا ظاهريا ولم يكن نحويا اخصائيا.

ولا أقول أنّ الرجل خانه عدم التخصص، لكي نفسّر سبب عزوف الدارسين عن ما قدّمه للنحو، وإنما سبب العزوف هو التقليد الذي أوقعه في المكرور، فأغلب الأفكار النارية التي جمعها في كتاب "تجديد النحو" هي أفكار كان قد طرقها إبراهيم مصطفى في "الإحياء" منها إلغاء نظرية العامل ورفض التعليل والقياس، واكتفاء بقواعد مجردة، وهذا التقليد جرّه أن يقع في حماقات نحوية، كاقتراحه حذف "باب كان وأخواتها" من درس النحو العربي واعتباره اسمها فاعلا وخبرها حالا، إيمانا منه بمبدأ التجانس والتوافق بين أبواب النحو العربي.

<sup>1</sup> إن الناظر لما خلفه الدكتور شوقي ضيف ليكتشف أنه اجتمعت ينابيع الثقافة في عقله؛ فهو الأزهرى الذي تعمقت علاقته بالتراث العربي بينابيه وفيوضاته، وهو الدرعمي الذي عاش الأصالة والمعاصرة، وهو الآدبي الذي أتقن اللغات الأجنبية واطلع على معطيات الحضارة الغربية.. كل هذا أفرز عقلية موسوعية لا تكاد تجد فرعا من فروع الثقافة العربية إلا وله فيه مشاركة تحيّل للناظر أنه لم يتخصص إلا فيه.. فأرّخ للأدب والبلاغة والنحو، وكتب في فنون الأدب والنقد والترجمة الشخصية والرحلات والشعر والنثر، وحقق العديد من كتب التراث، وله أبحاث أخرى يستعصى حصرها . ومما يميز موسوعته تلك - كما تقول د.مي يوسف خليفة- "النظرة الموضوعية والدقة المنهجية، والعمق في طرق الخبر التاريخي بعد نقده وتمحيصه وتوثيقه من خلال التوقف عند مصادره واستبعاد ما حوله من شبهات، ثم ينتقل من التاريخ إلى الجغرافيا، ثم يتطرق إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأديان، ثم يتوقف عند اللغة وتاريخها، ثم يأتي دور المحقق والعالم المحاور والباحث المناقش لأطروحات الآخرين"، وهو فوق كل هذا يعيد النظر فيما كتبه من أحكام إذا ظهر له ما يجعله يغير وجهة نظره . انظر الرابط التالي: <http://shamela.ws/index>. (شوقي ضيف) تاريخ

وثالثة الأثافي إهمال الإعراب! لقد خالف د، شوقي ضيف في قوله ب: "إلغاء الإعراب" السواد

الأعظم من النحاة وهذا أمر جلال يجب أن يكون طلاب العربية على حذر منه، ولم يعلم د، شوقي

ضيف بأن فكرة "إلغاء الإعراب" مشروع تأمري غربي لأجل إفلاس الفكر النحوي العربي، وإسقاط

القيمة الرموزية للعربية<sup>1</sup>، والإعراب هو من أخصّ أسس نحو العربية فهو أمر عتيق قال به النحاة المتقدمين

العدول الكمل في الطبقتين الأولى والثانية من أمثال الخليل وسيوبه.

ومهما يكن فقد كان غرض د، شوقي ضيف هو إعادة ترتيب النحو يخالف هذا التنظيم ما كان

النحو عليه عند القدماء، وقدم خمسة كتبت وربما يزيد في سبيل هذه الغاية المنهجية غير أنه كان مضطربا

في تحديد الأسس التي يتم عليها هذا الترتيب، فمرة على أساس حركة الإعرابية، ومرة على أساس وظيفة

كلمة في الجملة، ومرة على أساس رفض التعليل والإعراب، وكما صنف الإغراء والتحذير في باب

المفعول به، والاختصاص في باب التمييز، وحذف شروط أفعال التفضيل والتعجب، وأعرّب خبر كان

حالا، واعتبر أخبار أفعال المقاربة مفعولات، وعرف الحال بأنه ا صفة لصاحبها نكرة مؤقتة منصوبة،

وعرف المفعول المطلق بأنه اسم منصوب يؤكد عامله أو يصفه أو يبينه وهو اسم مصدر<sup>2</sup>، إلى غير ذلك

من التعديلات النحوية التي لا نشفي العليل، ولا تروي الغليل.

<sup>1</sup> فإذا كانت اللغات الطبيعية الإنسانية الأخرى كالإنجليزية مثلا أو الفرنسية يعدّ علمائها بالعشرات والمئات، فإن العربية يعدّ علمائها بالآلاف، فهي اللغة الوحيدة التي تحوي أكبر ترسانة رموزية من العلماء، والمطلع على كتاب جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)

صاحب كتاب "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، يدرك صدق هذا، فقد عدد فيه أكثر من ألفي نحوي إلى زمانه فقط.

<sup>2</sup> انظر: تجديد النحو، ص: 40-170.

فمحمل أفكاره التي جمعها في "تجديد النحو" كانت ملاحظات شكلية بينت موقفه من النحو على طبعه العتيق، وأغلب الذين تعرّضوا لهذا الكتاب لم يقتنعوا بما جاء به، وأجدني أرى أن أكثر كتاب له انتفعت به الثقافة العربية هو كتاب "المدارس النحوية"، أما ما سواه فقد تجتني في أغلبها على القضية النحوية، ولم تلق اجتهاداته مقبولة في الساحات العلمية إلا نذرا قليلا قليلا.

إذن، فلقد كان د، شوقي ضيف ذو رؤية نقدية تستند إلى ما قاله رحلان في الثقافة العربية ابن مضاء من القدماء ومصطفى ابراهيم من المحدثين وأهمل الرصد التاريخي لما أنجزه الباحثون الآخرون من القدماء والمحدثين حول موضوعه، ولهذا فهو طبيعي جدا أن في بعض أحكامه الاستعجالية الخاويحي أحيانا من الاطلاع والتفكير والقلق والاستفهام، إذن فلا بدّ للبيان من أسّ متين يشرف عليه آمناء مختصون، لأنه إذا حدث غشّ في الأصول والقواعد فهو الهدم والعدم.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> لشيخ المعرّة أبي العلاء المعري التنوخي (ت: 449هـ) بيتان قويّان في هذا المعنى، يقول:

وفي الأصل غشّ والفروع توابع\*\*\* وكيف وفاء النحل والأب غادر

إذا اعتلت الأفعال جاءت عليه\*\*\* كحالاتها أسماءها والمصادر

للفائدة: يبدو المعري في هذين البيتين كوفي المذهب، لأن الكوفيين يرون أنّ المصدر يصح لصحة الفعل ويعتدلّ لاعتلاله، ألا ترى أنك تقول "قَؤَمَ قِوَامًا" فيصح المصدر؛ لصحة الفعل، وتقول: "قَامَ قِيَامًا" فيعتدلّ؛ لاعتلاله؛ فلما صح لصحته واعتدلّ لاعتلاله دلّ على أنه فرع عليه. فالمصدر عندهم مشتقّ من الفعل وفرع عليه، نحو "ضرب ضربًا، وقام قيامًا"، قالوا: ولا يجوز أن يقال "إن المصدر إنما مُمَيّ مصدرًا لصدور الفعل عنه، كما قالوا للموضع الذي تصدر عنه الإبل مصدرًا لصدورها عنه" لأننا نقول: لا نسلم، بل نُمَيّ مصدرًا لأنه مصدر عن الفعل، كما قالوا "مَرَكَبٌ قَارِه، ومشرب عذب" أي: مركوب فاره، ومشروب عذب، والمراد به المفعول، لا الموضوع، فلا تَمَسُّكْ لكم بتسميته مصدرًا. أما البصريون فقد ذهبوا أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه. واحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد، فكذلك المصدر أصل للفعل. أما موقف الأنباري (ت: 577هـ)، فقد قضى للبصريين في هذه المسألة ولم ينصف الكوفيين. انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: لأبي البركات الأنباري، تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط1، 2003، ج1، ص: 190.

تمام حسان<sup>1</sup> بين كتابيه: -"اللغة العربية معناها ومبناها"، نشره سنة (1973). و"الأصول: -النحو، فقه اللغة، البلاغة، -دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"، نشره سنة (1981).

لقد حسب بعض الباحثين المهتمين بالقضية اللغوية أن تمام حسان لما نشر كتابه "الأصول" سنة (1981)، قد تخلّى عن نظريته المتكاملة التي سعى لها سعيها في كتابه "العربية معناها ومبناها"، الذي نشره سنة (1973). لكن تمام حسان نفسه ردّ على هذا الزعم فقال: "أن المرء قد يعجب بفكرة ما لما يبدو فيها من أصالة وتماسك بين أجزائها وعلاقات عضوية داخلية بين عناصرها، ولكن ذلك لا يمنع أن يلتزم فكرة أخرى قد تمتاز عليها من جهة البساطة أو سهولة التطبيق، أو قدرتها على تفسير ما لم تفسره الفكرة الأولى من الظواهر."<sup>2</sup>

ولتوضيح هذا الأمر أكثر، وهو أنّ د، تمام حسان بدأ التدريس في الجامعة كان في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين وكان منتسبا لقسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم ، ومدة الانتساب إليه كانت ما بين 1953 و 1959 فكان يدرس علم الأصوات اللغوية وفي سنة 1959 تحول عن قسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم "، وهو القسم الذي يعنى أساسًا بالمنهج الحديثة في دراسة اللغة" إلى قسم النحو والصرف والعروض وهو المقابل التقليدي له.

<sup>1</sup> تمام حسان (1918-2011)، له رباديات نحوية يضيق المقام عن التعريف بها، لأن الرجل درس اللسانيات في لغتها الأصل عند جون فيرث(1890-1960) الفونولوجي الإنجليزي ، الذي أشرف على رسالته في الماجستير الموسومة ب: "دراسته الصوتية لهجة مدينة الكرنك"، والدكتوراه الموسومة ب: "دراسة صوتية لهجة مدينة عدن باليمن"، ومجمل القول فيه أنه يعتبر ثالث شخصية لسانية غيرت القناعات في تاريخ العربية بعد سيويه (ت:180هـ)، والجرجاني (ت:471هـ) بكتابه اللغة العربية معناها ومبناها.

<sup>2</sup> الأصول: دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: د، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2009، ص: من تقديم المؤلف.



بمعنى أنه كلما انتمى د، تمام حسان لقسم له خصوصيات منهجية، فرض هذا القسم سدوله

عليه، والدليل على ذلك أنه ألف كتابين مهمين جدا وهما القاعدة التي ظلّ طيلة حياته يدندن

حولها: "مناهج البحث اللغوي" <sup>1</sup>، الذي نشره سنة (1955)، وكتاب "اللغة العربية بين المعيارية

والوصفية" <sup>2</sup>، الذي نشره سنة (1958)، لما كان منتميا لقسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم، ومدة

الانتساب إليه كانت ما بين 1953 و1959، أي بما يقدر بست سنوات.

وفيهما يقول د، سعد عبد العزيز مصلوح بأنّ تمام حسان: "في هذين الكتابين تجد كمين البذور

الأولى لمذهبه النحوي، تلك التي آتت أكلها ضعفين في كتابه: "اللغة العربية معناها ومبناها" <sup>3</sup>. وهذان

الكتابان اللذان عرض فيهما أصول اللسانيات الوصفية، لولاهما ما كان ليصل إلى ما وصل إليه في "اللغة

العربية معناها ومبناها" من النظرية المتكاملة الناجزة في مستوياتها الأربع الصوتية والصرفية والنحوية

والدلالية، التي جدّد بها الطرح لنحو العربيّة.

<sup>1</sup> يقول د، تمام حسان عن هذا الكتاب بأنه قد جاء "ليقدّم إلى القارئ العربي ما اصطنعه الغربيون من منهج وصفي، وليعرض هذا المنهج عرضاً مفصّلاً، آخذاً أمثله ووسائل إيضاحه من الفصحى حيناً، ومن العاميات حيناً، ومن لغات أجنبية ثالثاً، فلم يكن بحثاً خالصاً للفصحى بقدر ما كان عرضاً للمنهج الوصفي، ولكنه مسّ موضوع هذا الكتاب (يقصد اللغة العربية معناها ومبناها) مسّاً خفيفاً على أي حال. "اللغة العربية معناها ومبناها، ص:7.

<sup>2</sup> هذا الكتاب هو تكملة لكتاب مناهج البحث اللغوي، لأن د، تمام حسان حين أخرج للناس "مناهج البحث اللغوي" نذر على نفسه أنه سوف تكون تكملة له، فكان بعد ثلاث سنوات كتاب: "اللغة العربية بين المعيارية والوصفية"، سنة 1958، يقول: "حين رأيت الناس يشكون داء في النحو العربي لا يستطيعون، فإذا أرادوا تشخيص هذا الداء انصرفوا دون قصد إلى سرد أعراضه، فتكلموا في جزئيات النحو، لا في صلب المنهج. وشتان بين من ينقد أجزاء المادة وبين من يريد علاج الفلسفة التي انبتت عليها دراستها. لهذا فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة، من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئاً بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة، فاستطعت أن أحدد لنفسني موطن الداء." اللغة العربية بين المعيارية والوصفية: د، تمام حسان، عالم الكتب، ط4، 2000، ص:11.

<sup>3</sup> في اللسانيات العربية المعاصرة: د، سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004، ص:207.

وفي سنة 1959 وهي سنة التحويل إلى "قسم النحو والصرف والعروض"، عاد د، تمام حسان

إلى دراسة كتب التراث يقول: "عندئذ عدت إلى الصلة القديمة التي ربطتني بيني وبين كتب التراث

النحوي، وأعطيتها من اهتمامي قسطا يعادل أو يفوق اهتمامي بالدراسات اللغوية الحديثة." <sup>1</sup> أما سبب

خروج كتاب "العربية معناها ومبناها"، نشره سنة (1973) قبل كتاب الأصول سنة 1981، فإن الشيخ تمام

حسان صدقنا في أعلى درجات في الصدق مع النفس، فقال: "والحق أقول خضعت لداووع الموازنة بين

جدوى الإعلان عن رأي جديد هو من أفكاري وإبداعي والإعلان عن رأي جديد يدور حول آراء

الأقدمين من النحاة فغلبت عندي عوامل الأثرة على عوامل الإيثار ..... فظهر ذلك الكتاب (يقصد العربية

معناها ومبناها)، وبقي هذا ينتظر الظهور (يقصد الأصول <sup>2</sup>). أضف إلى ذلك أن بعض العناصر

الأقدمين لم تكن في ذلك الوقت من الوضوح في ذهني على نحو ما هي عليه الآن فأريت عندئذ أنه قد

يكون من سوء التدبير أن أعلن للقراء أفكارا غير ناضجة تماما. <sup>3</sup>

أما إذا جئنا إلى معرفة مجال البحث في عمدة تأليف تمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها"

ف نجد أنه يبحث في اللغة العربية الفصحى بفروع دراستها المختلفة، ولقد كان المعنى هو الموضوع الأخص

لهذا الكتاب؛ لأن كل دراسة لغوية - لا في الفصحى فقط، بل في كل لغة من لغات العالم - لا بُدَّ أن

يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل

<sup>1</sup> الأصول، ص: من تقديم المؤلف.

<sup>2</sup> إذا كان كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" عرض فيه نظرية متكاملة جديدة ومبتكرة للغة العربية استعان فيها بفكر القدماء ومناهج اللسانيين المعاصرين، فإن كتابه: "الأصول" عرض فيه الصورة المتكاملة والهياكل العامة لأصول النحو والنحاة كما خلقت عند العرب، فهو كتاب نفيس شرح في منهج نحاة العرب القدامى في تعاملهم مع اللغة شرحا وافيا ومفهوما.

<sup>3</sup> الأصول، ص: من تقديم المؤلف.

والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى. وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة. كل أولئك هو مجال هذا البحث، ومن ثمَّ تصبح اللغة العربية كلها مجالاً له، ويصبح على ضالة حجمه قد جعل كل تفكير لغوي سبقه في متناول نقده، إما على صورة مباشرة أو غير مباشرة.<sup>1</sup>

أما ملخص موقفه من النحو العربي في كتابه -العربية معناها ومبناها-، "فإن رأس الملاحظ التي أوردتها على علم النحو؛ وهي أنه نحو تحليل لا نحو تركيب. وبيان ذلك أن النحو قد صرف جل الاهتمام إلى مفردات النحو من تقسيم للكلم مع بيان للعلاقات الدالة على كل قسم منها، والإعراب والبناء، وغير ذلك مما هو واقع في حيز الجملة النحوية."<sup>2</sup>

فالتحليل في مذهبه النحوي ينبغي أن يكون طريقاً للوصول إلى التركيب، وبهذا تعود المادة اللغوية سيرتها الأولى؛ إذ إنها لا تحقق في التواصل إلا على هيئتها المركبية. وليس الكل حاصلًا لجمه مفرداته وعناصره، وإنما هو هيئة مخصوصة لا تثبت فيها صفات العناصر المفردة والعلاقات القائمة بينها على حالها الأولى، بل إن صفاتها التي تثبت لها حال الأفراد كثيراً ما تعود عند التركيب بالضد وتحول إلى الخلاف. واعتبار التركيب بعد التحليل هو الذي أفضى في مذهبه إلى اقتراح البديل الراجح لذلك المبدول المرجوح، وإلى الانتقال بالنحو العربي من نحو المفردات إلى نحو التراكيب."<sup>3</sup> فهذا مجمل رؤيته النقدية

<sup>1</sup> اللغة العربية معناها ومبناها، ص:9.

<sup>2</sup> في اللسانيات العربية المعاصرة: د، سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، ط1، 2004، ص:208.

<sup>3</sup> في اللسانيات العربية المعاصرة، ص:208.

المؤسسة على ظاهرة المنهج الوصفي الحديث الذي أول ما نشأ في الغرب، وقد أحدث تحولا كبيرا في دراسة اللغات الطبيعيّة وبالغ في انتقاد النحو التقليدي إلى درجة الهجوم.

أما مميزات الهيكل النحوي كما قد قدّمه الدكتور تمام حسان، فإنه يتميز بـ: تصنيف للكلم

أجدي على التحليل النحوي من تقسيم النحاة الذي يجمع الأخطا المتباينة تحت القسم الواحد من

أقسام الكلم، وثانيها: إبراز دور القرائن<sup>1</sup> التي غمطها النحاة حقها من العناية بسبب انشغالهم بقرينة

واحدة من بينها هي علامة الإعراب. وثالثها: الكشف عن قيمة تضافر القرائن لبيان المعنى النحوي وتلك

فكرة تعصف بما تمسك به النحاة من فكرة العامل، ورابعها: القول بالترخص وإدخاله في البناء النظري

للنحو بحيث يخفف من استنكار للشذوذ في الاستعمال ويرد اعتبار القراءات القرآنية التي سموها شاذة.

وخامسها: بناء نظام زمني مفصل للصيغ العربية اتضح به ما لم يوضحه النحاة من ثراء النحو العربي

بالأزمنة المختلفة لانشغالهم بالزمن الصرفي عن الزمن النحوي. وسادسا: بيان مكان الظواهر السياقية من

بناء الهيكل النحوي وجمع هذه الظواهر معا وتفسير في ضوء الذوق السليقي العربي الذي يكره توالي

الأمثال وتوالي الأضداد ويألف توالي الأشتات.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> فنظرية تضافر القرائن منها المعنوية وهي: الإسناد، التعدية، الغائبة، المعية، الظرفية، التقوية، الملابس، التفسير، الإخراج، الخلاف، النسبة، التبعية، والقرائن اللفظية وهي: العلامة الإعرابية، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، التضام، الأداة، التنعيم. "هي التي أسقط بها نظرية العامل. وفي هذا يقول تمام حسان: "ولا أكاد أملّ ترديد القول: إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى، فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم "تضافر القرائن"، وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها، سواء أكانت معنوية أم لفظية، وبهذا يتضح أن "العامل النحوي"، وكل ما أثير حوله من ضجّة لم يكن أكثر من مبالغة أدّى إليها النظر السطحي والخضوع لتقليد السلف والأخذ بأقوالهم على علاقتها." انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 207.

<sup>2</sup> الأصول، ص: من تقديم المؤلف.

فهذا مجمل مميزات الخطاب النحوي عند تمام حسان مختزلة في ستة عناصر، مما يدلّ على أنّه أعاد صياغة النحو العربي وبنائه وفق اللسانيات الإنجليزية، وقد رجّح أحد الباحثين هذا الأمر، ورأى بأنّ تمام حسان ينتسب إلى مدرسة لغوية ذات منحى اجتماعي ما قد يكون المدرسة البريطانية وقد تكون مدرسة فيرث بالذات ومن التفّ حوله من تلامذه ك:مالينوفسكي<sup>1</sup>.

ومن أهم ما قدمته نظرية "تمام حسان" للدرس اللغوي بعامة، وللدرس النحوي بخاصة، أنّها نظرت إلى اللغة نظرة شاملة متكاملة، فكشفت عن العلاقات التي تربط تلك أنظمة اللغة الثلاثة: النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، وما ينتج عن تفاعلها من المعنى الوظيفي، ثم كشفت عن العلاقات التي تربط تلك العلاقات التي تربط تلك العلاقات في المعجم اللغوي للعربية، ثم ربطت معنى المقال المستخرج من كل هذا. بمعنى المقام، وهو مركز علم الدلالة، لتخرج بالمعنى الدلالي للجملة.

ومما قدمته أيضا أنّها حددت على المستوى الصرفي تصورا جديدا لأقسام الكلام، ودرست ظاهرة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، ثم درست على المستوى النحوي وبصورة تفصيلية ظاهرة تضافر القرائن لايضاح المعنى الدلالي للجملة، ثم أبعاد الدور الذي يقوم به كل من الزمن والجهة، وبيّنت أنّ مجال النظر في الزمن النحوي هو السياق وليس الصيغة المنعزلة، ثم قدمت على المستوى المعجمي، دراسة تحليلية لمفهوم المعنى المعجمي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر: المنوال النحوي العربي، ص:247. في الهامش.

<sup>2</sup> نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: د، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية، لونغمان، ط1، 1997، ص:67، 68.

أما في مجال الدلالة فقد وضعت المعنى المقامي (أو الإجتماعي) في موضعه الجدير به من دراسته بناء الجملة بعد أن كان الباحثون قد تعارفوا على درسه ضمن مباحث علم البلاغة. وإذا كانت هذه الدراسات تمثل مجتمعةً منعطفًا حادًا وخطيرًا في درس بناء الجملة، فإن أهم ما جاء فيها هو التفريق بين القرائن المعنوية والقرائن اللفظية، لأنه يمثل فصلاً بين مفهوم المعنى ومفهوم المبنى، وقد كانت معضلة تعوق الباحثين عن الوصول إلى الطريق الصحيح لدراسة الجملة.<sup>1</sup>

كيف تكونت فكرة نظرية تضافر القرائن؟ إنَّ بداية تمام حسان كانت بداية من التراث والدليل على ذلك قوله بأنه كان معترفاً: "طول الوقت بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدراسات اللغوية في الثقافة العربية، وهما سيويوه وعبد القاهر، ويبدو فضل أولهما في حقل التحليل، كما يبدو فضل ثانيهما في حقل التركيب."<sup>2</sup>

أما سيويوه قد فهمَ نحوه لأنه نحو تحليل خاصة أن أغلب فحول النظّر في النحو ظهوراً بعد سيويوه كالأخفش الأوسط (ت:215هـ)، و المبرد (ت:285هـ)، والزجاجي (ت:340هـ)، والسيرافي (ت:368هـ) وأبو علي الفارسي (ت:377هـ)، وخاصة ابن جني (ت:392هـ) أما العلماء الذين ظهوراً بعد عبد القاهر هم كثيرون جدا إلى عهد الأشموني (ت:929هـ) لكنهم قليلون جداً من فهموا عبد القاهر، باستثناء الزمخشري (ت:538هـ) وهو النحوي الوحيد الذي أحسن تطبيق نظرية النظم.

<sup>1</sup> نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 67، 68.

<sup>2</sup> اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 29.

والفرق كبير جدا بين منهج عبد القاهر ومنهج النحاة، فرغم الغاية المشتركة بينهما وهي خدمة

كتاب الله، بحيث كان هدف النحاة الحفاظ على النص القرآني من اللحن، وإعانة المتلقي اللاحق على

معرفة الضبط الصحيح في أواخر الكلمات، وهذا ما جعلهم يهتمون بالمتلقي لا المتكلم، ويبدؤن بالمبنى

للولوصول إلى المعنى، ويجعلون الإعراب والعلامات الإعرابية مقصدهم الأهم. أما عبد القاهر فقد دفعته

البيئة الفكرية في عصره<sup>1</sup> إلى الخوض في قضية القرآن الكريم أم مخلوق هو أم قديم؟ فتناول عبد القاهر

قضية الإعجاز القرآني من خلال فكرة الكلام النفسي، التي قادته إلى فكرة نظم المعاني في النفس، وهذا

ما جعله ينطلق من المعنى للوصول إلى المبنى فسار بذلك حسب المنهج الصحيح الذي تسير فيه عملية

الاتصال اللغوي، ذلك أن القرآن الكريم إعجاز للمتكلم لا للمتلقي<sup>2</sup> فجعل ذلك عبد القاهر يولي

المتكلم عنايته، فانطلاقه من قضية الإعجاز ومن خلال فكرة الكلام النفسي خاصة هو الذي وجّه

دراسته الوجهة الصحيحة التي خرج منه بنظرية التعليق.<sup>3</sup> وهذه النظرية يقول عنها د، تمام حسان

<sup>1</sup> وهم طائفة من أهل العلم من المعتزلة تصدّى لهم عبد القاهر الجرجاني، في بلدته جرجان في زمانه، كان لهم ولع في البحث في مسألة "إعجاز القرآن". وهم من أتباع القاضي عبد الجبار، يرى الأستاذ الكبير أبو فهر محمود محمد شاكر أن كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت: 474هـ) من أوله إلى آخره يردّ على قولين للقاضي عبد الجبار (ت: 415هـ) صاحب "المغني في أبواب التوحيد والعدل" والقولين هما: "إن المعاني لا تتزايد وإنما تتزايد الألفاظ."، القول الثاني: "إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، ولكن تظهر بالضم على طريقة مخصوصة." انظر: دلائل الإعجاز، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، مصر، ط3، 1992، ص: 9.

<sup>2</sup> والفرق بين المتكلم والمتلقي هو أن المتلقي هو الذي يستقبل عن فطنة وذكاء بالقبول الحسن وينتفع بما يقال فيتلقف كل شيء، فالنبي عليه الصلاوة والسلام كان متلقيا للقرآن الكريم قال تعالى: "وَإِنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ" (النمل: 06)، وكما قال الإمام القرطبي عن هذه الآية بأنها بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق من الأفاصيص، وما في ذلك من لطائف حكمته، ودقائق علمه. أما المتكلم وهو صاحب الكلام، فالعرب كانوا في الجاهلية أصحاب كلام بل أمره، ولهذا جاء القرآن متحديا لهم قال تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ" (البقرة: 23)، فتحدهم وبكتهم وأجم بلاغتهم.

<sup>3</sup> انظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 59، 60، 61.

أن "أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب، وإنما كان "التعليق"، وقد قصد به في زعمي: إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمّى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية."<sup>1</sup>

فعلى مدى تسعة قرون ونيف حدّد عبد القاهر الجرجاني المنهج الصحيح ثم تركه في انتظار من يمتحنه ويطبّقه على أبواب النحو المختلفة، أما النحاة الذين جاؤا بعده فلم يفهموه فعندما كان يتكلم في علم المعاني ظنّوه يتكلّم في علم هو قسيم لعلم البلاغة ، وحالوا بينه وبين علم النحو، بينما جعل تمام حسان علم المعاني قمة علم النحو كما عدّ علم البيان قمة علم المعجم، فعجز أغلب النحاة بعده في فهم النظام النحوي، لأنهم أغفلوا البداية الصحيحة التي انطلق منها عبد القاهر الجرجاني، حتى ظهرت تلك الدراسة المتكاملة التي قام بها الدكتور تمام حسان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" وهي التي ضمت نظرية شاملة أطلق عليها تلاميذه فيما بعد اسم تضافر القرائن ، تعد أهمّ المحاولات لفهم النظام اللغوي للعربية وأبعدها أثرا، ذلك لأنها أول دراسة في تاريخ النحو العربي كله تقيم منهجها على أساس فكرة التعليق."<sup>2</sup>

يقول د، تمام حسان في تفسير بواطن وخلفيات أفكاره "في رأبي - كما كان في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال - أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجهه كافٍ وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في

<sup>1</sup> اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 188.

<sup>2</sup> انظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 57، وما بعدها.



السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعاً في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية.<sup>1</sup> إذن؛ فيستحيل أن يكون الباحث موضوعياً بالمطلق، لأنه محكوما بالخلفيات والبواطن والمؤثرات.

هكذا كان العلماء يتراسلون عبر القرون الطوال في الفهم عن بعضهم بعضاً. فالفكرة المبنية المؤصلة وإن أهملت في أول الأمر، فإنه سيحيء من يقدرها ويفهمها ويواصل عليها، لأن كان ليس في مستطاع أهل زمانه أن يستوعبوا عمق الفكرة وما فيها من حكمة وعبرة حتى ولو قطع بلعومه في توضيحها، ولقد صدقت الصوفيّة عندما قالت: "طلب الحقّ غربة"، وعندها يظلّ هذا العلم في سراديب الدفاتر والأوراق إلى أن يأتي من هو أهل له ليحمله أو ينشره. فليس كلّ الذين يشتغلون بالعلم والمعرفة يرتقون إلى مستوى الحقيقة العلمية، ولقد صدق الكاتب الأمريكي مارك توين (1835-1910) عندما قال: "لا تقل الحقيقة لمن لا يرقى إلى مستواها."

فيا ربّ عالم يكتب لرجل لا يدري من هو؟ لم يولد بعد بل وليس من أبناء جيله ولا الجيل الذي يليه، فقد يسمع هذا العالم الذي اجتهد وتفصّد العرق على ما كتب وتصبب، رجل بعد ثمان قرون مثلما نجد عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) صاحب "الدلائل والأسرار" اللذان لم يستوعبهما علماء عصره إلى ظهر أبو هانئ تمام حسان من مصر بكتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" فانطلق مما انتهى منه عبد عبد القاهر الجرجانيّ لينخرج للناس نظرية تضافر القرائن التي جددت الفهم للعربية. وحتى

<sup>1</sup> اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 189.

كتابه لما خرج للناس لم يُفهم إلا بعد عشر سنين تقريبا، وقد صدق الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين -رضي الله عنه- وارث علم النبوة عندما قال:

إِنِّي لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوْاهِرُهُ\*\*\*كَيْلَا يَرَى الْحَقُّ دُوَّ جَهْلٍ فَيَقْتِنَنَا

يَا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوخَ بِهِ\*\*\*لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَتْنَا

وَلَا سَتَحَلَّ رِجَالُ مُسْلِمُونَ دَمِي\*\*\*يَيَّوْنَ أَقْبَحَ مَا يَجْرُونَهُ حَسَنًا

مثلا نجد ابن مضاء (ت:592هـ) صاحب الردّ على النحاة، وهو من القرن السادس الهجري

فأول من سمع صيحته رجل من العصر الحديث وهو مصطفى إبراهيم صاحب "الإحياء"، أي بعد سبعة

قرون. أما العالم الذي فُرضَ عليه أن يُسمع بعد ألف سنة فهو الخليل بن أحمد الفراهيديّ لأنه كان

صاحب تفكير رياضيّ تقني، فقد أحسن عبد الرحمن الحاج صالح سمعه، بل وكَرَّم الخليل عند طريق الحاج

صالح الذي نال بسببه جائزة الملك فيصل العالمية سنة 2012، حول النظرية الخليلية. يقول الحاج صالح

عن الخليل "قد أبدع في جميع ميادين اللغة والدراسات اللغوية العربية خاصة، فنحن مدينون له بجزء كبير

مما أثبتته العلماء المسلمون في علم الأصوات.. وكذلك الفكرة البديعة التي بنى عليها أول معجم أخرج

للناس وهي فكرة رياضية محضة سابقة لأوانها (وما يترتب عليها من المفاهيم الرياضية كمفهوم العملي

وقسمة التركيب، ومفهوم الزمرة...) ولا ننسى أيضا اختراعه للشكل وهو لا يزال مستعملا إلى يومنا هذا

في الكتابة العربية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> انظر: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، الرباط، 1987، دار الغرب، الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص:367.

أحمد المتوكل<sup>1</sup> في مشروعه: -"النحو الوظيفي" الذي يقوده منذ سنة (1985).

إن أصول نظرية النحو الوظيفي ترجع إلى مؤسسها الأول سيمون ديك<sup>2</sup>، من خلال أبحاثه التي رسم بها الإطار المنهجي العام للنظرية لأتباعه السائرين على نهجه، الذين أجروا دراسات لغوية متنوعة، تجاوزت عقدين من الزمن، مست مجال الدلالة والتداول والمعجم والتركيب في لغات مختلفة، تنتمي إلى فصائل متباينة نمطياً، كاللغة الهولندية والإنجليزية والفرنسية والعربية. تمكنت من خلالها أن تؤسس لنفسها مكانة علمية متميزة بين النظريات اللسانية المعاصرة بصفة عامة، والنظريات النحوية بصفة خاصة، حيث أصبحت الوريث الشرعي، للنظريات النحوية الوظيفية قبلها، وتطمح منذ الثمانينيات، أن تكون بديلاً للنظرية التوليدية التحويلية بكل نماذجها.<sup>3</sup>

أما كيف ظهر النحو الوظيفي في العالم العربي وخاصة في المغرب الأقصى؟ فلقد مرّ نقل نظرية النحو الوظيفي إلى المغرب عبر "المتوكل" بثلاث مراحل: مرحلة الاستنبات ومرحلة التأصيل ومرحلة الإسهام والتطوير، في مرحلة الاستنبات أخذت نظرية النحو الوظيفي، حين نقلت إلى المغرب، مكانها بين الاتجاهات اللسانية السائدة آنذاك كالاتجاه البنوي والاتجاه التوليدي التحويلي، والاتجاه التراث

<sup>1</sup> أحمد المتوكل (؟-194) لساني وظيفي من المغرب الأقصى، كان موضوع رسالة دكتوراه موسوم ب: reflection sur la theorie de la signification dans la pensee linguistique arabe بإشراف ج، غريماس، ناقشها في 1980/10/31، وطبعت سنة 1982، أما مؤلفاته فقد كان يكتب بثلاث لغات (العربية والفرنسية والإنجليزية)، كلها متمركزة حول مشروعه النحو الوظيفي، فيضيق المجال عن حصرها جميعاً، فقد جعل مشروعه رحلة عمر وأنفق عليه كل عزيز حتى هانت لمشروعه كل كلفة.

<sup>2</sup> سيمون ديك (1940-1995) لساني هولندي، أول مؤسس لنظرية النحو الوظيفي في كتابه الأول: Functional Grammar الذي نشره سنة 1978.

<sup>3</sup> نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، إعداد: د، يحيى بعبطيش، إشراف: عبد الله بوخالخال، السنة الجامعية، نوقشت في: 2006/12/07، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، ص: 69.

العربي القديم، ثم انتقل إلى مرحلة التأصيل حيث تم ربط نظرية النحو الوظيفي بالفكر اللغوي العربي القديم على أساس أن هذا الأخير هو أصل لمنحى وظيفي عربي يمتد بواسطة الدرس اللساني الوظيفي الحديث، وفي المرحلة الثالثة شرع المتوكل في تطوير نظرية النحو الوظيفي أي بدراسة اللغة العربية صرفاً وتركيباً ودلالةً وتداولاً من منظور وظيفي، أي ترابط البنية بالوظيفة، وتنميط اللغة العربية بمقارنتها مع غيرها من اللغات، ودراسة تطورها.<sup>1</sup>

أما الإطار النظري لمشروع النحو الوظيفي كما يراه "المتوكل" بأنه: النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابةً لشروط التنظير من جهة ولتقتضيات "النمذجة" للظواهر اللغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النحو الوظيفي على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره، فهو محاولة لصهر بعض مقترحات نظريات لغوية: (النحو العلاقي) (relational grammar)، نحو الأحوال (case grammar)، الوظيفة (functionalism)، ونظرية فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية) (speech actes theory) أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث.<sup>2</sup> إذن؛ فالنحو الوظيفي نحو موسوعي يستطيع أن يمكّننا من حصر أكبر عدد ممكن كل النصوص النحوية في لغة ما، ويستطيع أن يخلق لنا وصف جديد للبناءات اللسانية.

<sup>1</sup> انظر الرابط : <http://ar.wikipedia.org> (نظرية النحو الوظيفي) بتاريخ: 2014/09/21

<sup>2</sup> الوظائف التداولية في اللغة العربية: د، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص: 9.

وبفضل جهازها المفاهيمي (يعني النظرية الوظيفية) والمصطلحي وتماسكها العلمي، لأنها أحسنت

الاستيعاب في الجمع بين الأصالة والمعاصرة ف هي مرشحة أكثر من غيرها<sup>1</sup> لأن تكون بديلاً معاصراً

لنظرية النحو القديمة، بفضل كفاياتها التفسيرية والنفسية والنمطية والتطبيقية ، وبفضل بنية نحوها أو

جهازها الواصف الذي يتميز بالدقة والمرونة.<sup>2</sup>

وذلك لأن صاحبها آمن بقضية التأثير والتأثر بين العلوم والمعارف، وآمن بتوحد المفهوم بتعدد

العلوم، وهذا هو الأمر المنهجي الذي أعجبني وراق لي في نظرية النحو الوظيفي عند أحمد المتوكل، فلا

قطيعة معرفية تفصل التراث اللغوي العربي العتيق عن الدرس اللساني الحديث ، فللفكر اللغوي العربي

القديم كلٌّ لا يتجزأ، نحو وصرف وبلاغة وأصول فقه وتفسير... الخ.

فهذه العلوم كما يرى "أحمد المتوكل" تأوي إلى أساس معرفي وظيفي واحد، لأن اللغويين العرب

القدماء درسوا اللغة انطلاقاً من نصوص وليس من جمل صورية منفردة، وكانت هذه المقاربة مقارنة

وظيفية في أساسها تربط بنية اللغة معجماً وصرفاً وتركيباً بوظيفة التواصل.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> يرى د، يحيي يعيطيش أن كتابات الفهري التي طورها في إطار النظرية التوليدية، وطوعها للنحو العربي بأصالة واقتدار ليست بأفضل من نظرية النحو الوظيفي ل: "سيمون ديك"، التي طوعها المتوكل للنحو العربي فهي لا تستجيب لطموحات النظرية الوظيفية التي ندعو إليها، على الأقل لسببين: يتعلق أولهما باقتصار كفايتها الوصفية التفسيرية على الجملة، دون النص، ويتعلق ثانيهما بموقف صاحبها من التراث، فهو يرى أن الآلة الواصفة عند القدماء ليس لها أي امتياز في وصف العربية. انظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: من مقدمة المؤلف.

<sup>2</sup> انظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 69.

<sup>3</sup> انظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي-الأصول والامتداد-د: أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2006، ص: 205 وما بعدها. وص: 166، وما بعدها.

بل إنّ العلماء العرب القدماء أنفسهم كان لديهم إحساس بتوحد المفهوم بتعدد العلوم، مثال على ذلك: ابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) (وهو الفقيه الظاهري)<sup>1</sup>، وأبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) (وهو الأصولي والصوفي والفيلسوف)<sup>2</sup>، وعلي بن محمد الأمدي (ت: 631هـ) (وهو الأصولي الشافعي)<sup>3</sup> كانوا يقدرّون علم النحو حقّ قدره في معالجاتهم للنصوص وهم ليسوا بنحاة وإنما فقهاء، غير أن آراءهم النحوية ظلّت نظرات فردية لم يتح لها أن تجمعها نظرية محكمة تفصل عناصرها بالتحليل، وتجعلها ممكنة التطبيق بصورة منتجة.<sup>4</sup>

ولعلّ في نظرية النحو الوظيفي التي آمنت بفتح المعابر بين بابات العلوم والمعارف أن ترفع الحصار العلمي الذي ضرب عليها، لتحقيق التواصل المعرفي والتراسل الفكري والتكامل المنهجي داخل مجتمعات علوم العربيّة والدين الإنسان والإجماع بحسب طبيعة النصّ المدرّوس.

<sup>1</sup> يقول عن النحو بأنه: "ترتيب العرب لكلامهم الذي به نزل القرآن وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ." الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الظاهري، تحق: أحمد محمد شاكر، قدم له: د، إحسان عباس، دار الآفاق، بيروت، ج5، ص: 126.

<sup>2</sup> يقول عن النحو بأنه: "القدر الذي يفهم به خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعمامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيدته ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه." المستصفي: أبو حامد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، ص: 344.

<sup>3</sup> يقول عن النحو: "وأما علم العربية، فلتتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة: الحقيقة، والمجاز، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، والحذف، والإضمار، والمنطوق، والمفهوم، والاقتضاء، والإشارة، والتنبيه، والإيماء، وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية." الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الأمدي، تحق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ص: 8.

<sup>4</sup> النحو والدلالة -مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي-: د، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، تاريخ النشر: 2006، ص: 37.

أما مبادئ النحو الوظيفي، فسنكتفي بذكر بعضها لضيق المقام، منها مايلي:

- 1 - أدوات اللغة: لتحقيق أغراض متعددة كالتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات والتأثير في الغير ، إلا أن هذه الأغراض وإن تعددت آوية إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما.
- 2 - اللغة والاستعمال: بحيث يرتبط نسق اللغة ارتباطاً وثيقاً بنسق استعماله ، ويُقصد بنسق الاستعمال مجموعة القواعد والأعراف التي تحكم التعامل داخل مجتمع معين ، بحيث أن اختلاف خصائص العبارات اللغوية باختلاف الوسائط الاجتماعية كجنس المخاطب وسنّه وطبقته المجتمعية ، فالتكلم لا يستعمل نفس النمط من العبارات في مخاطبة الأشخاص ذوي أوضاع مجتمعية مختلفة.
- 3 - سياق الاستعمال يقتضي التواصل "الناجح" أن تطابق العبارة المنتقاة سياق استعمالها. وسياق الاستعمال سياقان: سياق مقالي وسياق مقامي.
- 4 - اللغة والمستعمل: يشكل حمولة العبارة اللغوية ثلاثة عناصر أساسية: أولاً، فحواها القضوي، وثانياً: القصد من إنتاجها (إخبار أو استفهام ..)، ثالثاً: موقف المتكلم من الفحوى القضوي.
- 5 - القدرة اللغوية: وهي المعرفة التي يحتزنها المتكلم-السامع عن طريق الاكتساب والتي تمكنه من إنتاج عدد غير متناهٍ من الجمل، وهناك فرق بين قدرة المتكلم المجردة وبين إنجاز هذه القدرة الفعلي أثناء الإنتاج أو الفهم وأن ما يجب أن يكون موضوعاً للوصف اللغوي هو القدرة دون الإنجاز.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> انظر التفصيل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 19-26.

6- الأدوات وبنية اللغة: هذا الأساس هو أهم مبادئ مبادئ النحو الوظيفي لما له صلة بعلاقة أدوات اللغة

وبنيته، بعلاقة وظيفة التواصل بالنسق اللغوي ، وهذا الأساس يبحث في أربعة أربعة مفاهيم: في

مشروعية الوظيفة، والبنية والتواصل الأمثل، والبنية وأهداف التواصل، والبنية وأتماط التواصل.

7- الأدوات وتطور اللغة: إذا ثبت أن وظيفة التواصل تتحكم بقسط وافر في بنية اللغة تزامنياً فإنه يُصبح

من المنطقي أن نتوقع أنها تسهم أيضاً في تطورها.

8- الأدوات والكليات اللغوية : إذا كانت الكليات اللغوية في النظريات اللسانية ذات المنحى الصوري

كليات صرفية - تركيبية ودلالية فإنها تجمع في النظريات اللسانية الوظيفية بين الوظيفة والصورة، بين

بنيات معينة وما تسخر هذه البنيات لتأديته من أغراض تواصلية.

9- الأدوات واكتساب اللغة: لا يكتسب الطفل قدرة لغوية محضة بل قدرة على التواصل مع محيطه

الاجتماعي، لا يتعلم أصوات لغته وقواعد صرفها وتركيبها بل يتعلم معها ما تؤديه من أغراض تواصلية،

بمعنى أن الطفل يكتسب في محيط اجتماعي معين نسقين مترابطين، نسق اللغة ونسق استعمالها معاً،

يستتضمّر الطفل أثناء عملية الاكتساب قواعد لغته ويستتضمّر في ذات الوقت ما يحكم استعمالها في

مقامات التواصل.<sup>1</sup> فهذه بعض الأطر العريضة التي رسمت لنا بعض خصائص النحو الوظيفي المنهجية

ليست بشكل فاقع، والأمر الملاحظ في هذه العناصر أنه يهتمّ بالقدرة التواصلية التداولية من خلال

علاقة المتكلم بالمستمع والكفاية اللغوية.

<sup>1</sup> انظر التفصيل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 27-35.



غير أنّ هناك من اللغويين العرب من ألفوا كتباً في النحو الوظيفي، مثل: "النحو الوظيفي" لإبراهيم عبد العليم نشره سنة 1970، و"قواعد النحو الوظيفي" لنايف معروف، نشره سنة 1992، والنحو الوظيفي لصالح بلعيد، نشره سنة 1994، وهؤلاء اعتبروا النحو العربي نحواً وظيفياً لأنه مثل للوظائف التركيبية، غير أنّ مهام النحو الوظيفي لا تقتصر على الوظائف النحوية وإنما ترتبط أساساً بالتمثيل للوظائف التداولية، وبالتالي فهذه الكتب لا تحمل من النحو الوظيفي بالمفهوم الحديث، فلنحو الوظيفي منهج لغوي وظيفي لا يربط البنية (كلمة، مركب، جملة، نص) بالوظيفة التبليغية ربطاً نظرياً فحسب، بل يمثل لتلك الوظيفة فعلاً بالوظائف التداولية والقوى الإنجازية المناسبة.<sup>1</sup> فنحو هذه الكتب هو نحو تطبيقي عمليّ ميدانيّ الذي يؤدي الوظيفة الأساسية في ضبط أواخر الكلمات، ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان نطقاً وقراءةً من اللحن والقلم تأليف وكتابةً من الخطأ.

بل يرى د، يحيى بعبطيش<sup>2</sup> أنّ حتى نظرية التركيب الوظيفي لأندرى مارتيني (1908-1998) ليست من النظريات النحوية الوظيفية وإنما هي من النظريات البنيوية، نظراً لطابعها الشكلي الصوري الذي يغفل كلية الوظائف الدلالية والتداولية، لأنه حتى فردينان دي سوسير عندما رأى من وظيفة اللغة الأساسية هي التبليغ، فهذا لا يعني أنّه من الوظيفيين، بل الوظيفة أوسع من ذلك وأشمل إذا نظرنا إليها كمنهج من عدّة زوايا ومستويات.

<sup>1</sup> انظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 491.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: ن.

وإن قال قائل ما فائدة النحو الوظيفي؟ هل يقيم لسانا أو يفيد بيانا؟ فكيف يكون جوابنا؟

فالجواب هو أن ارتباط البنية بالوظيفة هو العمود الفقري لنظرية النحو الوظيفي، فلا بنية بدون وظيفة ولا

وظيفة بدون بنية عاكسة لها، وبذلك يكون موضوعها هو وصف الملكة التبليغية للمتكلم. ومن شأن

هذا الربط أن يعيد للغة العربية حيويتها وصلتها بالحياة بصفة عامة.<sup>1</sup>

فمن فوائد نظرية النحو الوظيفي على العربية أنها تجمع بين العورية والعمولة، فلعورية هي فعالية

إبداعية، تعني الهوية العربية والرؤية الفكرية العربية للعالم والحياة من جهة، والتأثر والتأثير والتفاعل الإيجابي

مع الآخر، أخذاً وعطاءً من جهة أخرى، وهذا ما قام به "المتوكل" مع نظرية النحو الوظيفي، حيث

استعار مبادئها العامة، وكيفية مع أصول نظرية النحو والدلالة في الفكر العربي القديم، فأصبحت بذلك

نظرية عربية قلبا وقالبا. أما العمولة<sup>2</sup> فتتمثل في انفتاح هذه النظرية العربية، بكلياتها وطبقاتها وقوابلها

وظائفها وثرأ بنياتها الأساسية على اللغات الحية الحديثة، كالإنجليزية والفرنسية... بحيث تقف معها

<sup>1</sup> انظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 497.

<sup>2</sup> يرى الفاسي الفهري أنه قد تكون العمولة فرصة للعربية لتفرض وجودها كما كانت فرصة للغات أحر، فكما أن الدول الأوروبية استثمرت المنجز العمولي على الصعيد التكنولوجي، حين شرطت على شركات الإنتاج ألا تصدر منتجا من منتجاتها إلى بلدانها إلا مصحوبا بكتلوج مكتوب بلغة البلد الذي يُصدّر إليه المنتج، مما أتاح للغات تلك البلدان فرصا ثمينة لاستيعاب مصطلحات تقنية وتكنولوجية وأن تدرج في ضمن لغات العمولة على ذلك الصعيد، وأن تلج عالم التقنيات والتكنولوجيا وأن تصير من اللغات المتاحة في برامج الحاسبات التشغيلية والتطبيقية، وأن تتسع بذلك دائرة انتشارها، وأن تتاح فرص العمل للناطقين بها مترجمين في تلك الشركات إلى غير ذلك من الفرص، إن هذه الفرص - من فرص العمولة - متاحة للعربية على أوسع نطاق، لو اشترط أصحاب القرار من أهلها ما يشترطه غيرهم على الشركات التي تصدر منتجاتها إلى بلداننا العربية، أو التي ترغب في الاستثمار فيها . وكما يرى أيضا د، أحمد الملاح بأن للعمولة فضيلة تحسيس العرب بتحديات ورهانات التنمية والتحديث، وضرورة مضاعفة الجهود في الترجمة وتوطين المعارف الجديدة وبلورة سياسات تعليمية تشجع على الإنتاج والتميز والابتكار، وفق قناعة تتأسس على مسلمة مفادها أن الامتلاك الجيد للغة أو لغات الهوية مدخل لامتلاك لغة أو لغات العمولة تبعا لمنظور تتوازن وتتكافأ فيه وظائف اللغات وقيمها الإنتاجية ولا تتصارع.

موقف الند للند لإغارة وإعارة واستعارة، فتدخل بذلك إلى العولمة اللغوية من بابها العريض، دون خوف أو وجل.<sup>1</sup>

ومن فوائد نظرية النحو الوظيفي أنها في ميدان تعليمية اللغات<sup>2</sup> الحية تستجيب بعلمية إلى دعوات تيسير النحو وتعصيره، كما تستجيب لنتائج الدراسات النفسية الحديثة في مجال الإدراك والاكْتساب<sup>3</sup>، وللطرائق والمقاربات التعليمية كالمقاربة التبليغية والمقاربة بالكفاءات. وفي ميدان النقد الأدبي يستجيب جهازها المصطلحي والمفاهيمي لأحدث المناهج والنظريات النقدية، كالمنهج السيميائي ونظرية القراءة. وفي ميدان الترجمة البشرية أو الآلية تساعد مفاهيمها الكلية المتعددة على الانتقال من لغة المنبع إلى اللغة الهدف بسهولة. وفي ميدان الحوسبة، وذلك بفضل تحقيق جهازها الواصف لدرجة عالية من الضبط والصورنة، تؤهلها إلى حوسبة نماذجها النحوية، وإعداد مشاريع نحوية وظيفية آلية، لتزويد الحواسيب ببرامج مولدات لغوية متعددة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 498.

<sup>2</sup> ففي مجال تعليم اللغات قدم المتوكل فكرة لم يُسبق إليها وهي أن تعليم اللغات يجب أن يتم عن طريق الوظائف لا عن طريق البنيات، وبالنسبة للاضطرابات اللغوية فقد أشرف "المتوكل" على بحوث انتهى فيها الباحثون إلى أن النحو الوظيفي يمكن من رصد الاضطرابات الثابتة خلف الاضطرابات اللغوية وحلّ هذه الاضطرابات اضطرابات تداولية تمس الوظائف التداولية والقوة الإنجازية للعبارة اللغوية وتناسق الخطاب الذي يكون عن طريق المحافظة على نفس المحور إلى غير ذلك. وقد وصل الباحثون في هذا المجال إلى نتائج مرضية سيكون لها دور كبير في مساعدة الأطباء النفسيين في معالجتهم للأمراض العقلية والنفسية على السواء. انظر الرابط:

<http://ar.wikipedia.org> (نظرية النحو الوظيفي) بتاريخ: 2014/09/21

<sup>3</sup> انظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 59، وما بعدها.

<sup>4</sup> نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 499.

إذن؛ فالنحو الوظيفي ليس علما مضبوطا له قوانين صارمة، كما هو معهود في النحو العربي، فهو منهج بحث لغوي<sup>1</sup> له أطر تحكمه وحقول يمشي فيها ما دام أنه يحتوي مجموعة من العلوم (لغة ونحو وبلاغة ونقد وأصول...) ساعيا إلى تفسير الخصائص الصورية للغات الطبيعية بربط هذه الخصائص بالوظيفة التواصلية، غير أنه لا يزال نحوا في أغلب معالجه نحوا افتراضيا ما دام أنه يتوسل الأمثلة النثرية المصطنعة، ولم يتوسل أن يُمارس على النصوص اللغوية العالية التي تساهم في تربية الذوق وتهذيب الطبع وإيقاظ الحسّ وتفتيق الذهن، من الوحيين الشريفين، ومن كلام العرب القديم النبيل.

ثم إنّي لا أستغرب شيئا في مطامح نظرية النحو الوظيفي كما عددها د، يحيي بعيطش في دكتوراه، ما دام أن في زمن القلق المتزايد للعلم والمعرفة وحركيتهما الدائبة، غير أنه إذا كان النحو العربي الذي جهد العلماء الأوائل والأواخر قرونا طويلا من في تيسيره وتقريبه من مقدمة خلف الأحمر (ت: 180هـ) في تيسير النحو، إلى "الكفاف" ليوسف الصيداوي الذي نشره سنة 1999م، ومع ذلك يبقى "علم النحو صعب المرام، مستعص على الأفهام، لا ينفذ في معرفته إلا الدهنُ السليم، والفكر المرتاض المستقيم."<sup>2</sup> كما يقول أبو حيان الأندلسي، ف"للنحو نكتٌ وفقرٌ لمخها أولئك الصاغة في تراكيبيهم، لا ترفع وإن زال كل مستوٍ عن الإستواء، ولا تنتفض وإن انتقضت قواعدُ الأرض والسماء."<sup>3</sup> فإذا كان هكذا هو ناموس

<sup>1</sup> كالمنهج التاريخي، والمنهج المقارن والمنهج الوصفي، و" لا فضل لمنهج على منهج إلا بإفادته من التقدم العلمي بعامة، وبصلاحيته لمعالجة الظاهرة المدروسة، وباتساق مقولاته في ذاتها، وبقدرته على ضبط المادة اللغوية وبأنحسار دائرة الشذوذ بتطبيقه إلى أضيق مدى ممكن." في اللسانيات العربية المعاصرة: د، سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، ط1، 2004، ص: 99.

<sup>2</sup> ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي تحق: د، رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998، ص: مقدمة المؤلف.

<sup>3</sup> المفصل في صنعة الإعراب، الموسوم بالتخمير: للقاسم بن الحسين الخوارزمي (ت: 617هـ)، تحقيق: د، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ج، ص: 132.

النحو العربي، فكيف يكون ناموس النحو الوظيفي؟ والواقع المشهود في جامعاتنا أن النحو الوظيفي

يُدرّس لطلبة الماستر فقط ولكنه لا يزال غريب الوجه واللسان في جامعات العالم العربي. ثم إن أكثر

طبائع الطلاب من العوام، و"طبائع العوام تنفر في أكثر الأمر عن درك الحقائق." <sup>1</sup> وسترمي النحو

الوظيفي على الأقل بما رُمي به النحو العربي عبر قرونه الطوال من الغموض والاستغلاق والتعقيد

والكرازة، خاصة أنه يتوسّل الأمثلة النثرية المصطنعة ولم تؤلف بعد دراسات تطبيقية لتطبيق قواعد النحو

الوظيفي على الكلام الحيّ الخلاق من الوحيين وكلام العرب.

أعجبني إلزام عبد الرحمن الحاج صالح، حينما قال: "نعتقد أن من حقّ الباحث أن ينتمي إلى أيّ

مدرسة شاء مما يراه صواباً ولكن ليس من حقّ الباحث أن يتجاهل المدارس الأخرى وخاصة مدرسة

المبدعين من علمائنا القدامى." <sup>2</sup>

لأنّ هذه المدرسة فاضت من مشكاة الوحي، ولهذا فصعب جدا أن يحلّ النحو الوظيفي مكانة

النحو العربي ويسدّ مسدّه، وقديما كان العلماء يتعرّضون لرحمة الله ليفتح عليهم في علومهم، لرحمة منهج

بنيوي وصفي أو توليدي تحويليّ أو شكليّ تحليليّ أو غير ذلك، التي تعبد لها أكثر لغويينا يتودّدون إليها

لعلّها تقرّهم من الحقيقة اللسانية زلفى. <sup>3</sup>

<sup>1</sup> معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1988، ج1، ص:121.

<sup>2</sup> بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص:229.

<sup>3</sup> والسرّ في ذلك أنّ "النّاس مُؤكّلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الرّاهن، وفيما تحت قُدرتهم من الرّأي

والهوى، مثلُ الذي لهم في الغريب القليل، وفي النادر الشاذّ، وكلّ ما كان في ملك غيرهم، وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم،

والأصحاب في الفائدة من صاحبهم. وعلى هذا السبيل يستطرفون القادم عليهم، ويرحلون إلى النّازح عنهم، ويتركون من هو أعمّ نفعاً

وأكثر في وجوه العِلْم تَصُرُفاً." كما يقول الفيلسوف والأديب سهل بن هارون، انظر: البيان والتبيين، ج1، ص:93.

ولقد أصاب ابن خلدون (ت: 808هـ) عندما بيّن أنّ المنطق -وهو الآلة التي تعصم من الخطأ- لا

يُحتاج إليه كثيراً بل يمكن الاستغناء عنه، وفي هذا يقول: "فالمنطق إذا أمر صناعي مساق للطيبة

الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولكونه أمراً صناعياً استغني عنه في الأكثر. ولذلك تجد كثيراً من فحول

النظار في الخليفة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة علم المنطق ولا سيما مع صدق النية

والتعرض لرحمة الله تعالى<sup>1</sup> فإن ذلك أعظم معنى. ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيفضي

بالطبع إلى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه."<sup>2</sup>

ولعلّ في هذا المثال أحسن ردّ على اللسانيين المغالين المبالغين المنبطحين في الأخذ بالمنهج الغربية

حتى تحيّفوا الصواب لما فقدوا التوازن أمام ما قاله جابرة اللسانيات الغربية، من أمثال سوسير وبلومفيلد

وهلمسليف ومارتيني وتشومسكي وغيرهم.

<sup>1</sup> من يقرأ مقدمات وحواتيم كتب التراث اللغوية أو النحوية مثلاً، يتأكد لديه صدق مقالة أن العلم كان مرادف الصلاح قديماً عند العرب، هكذا كان دأب العلماء التعرض لرحمة الله "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ". (البقرة: 288)، وسأكتفي بذكر مثال واحد لابن مالك (ت: 672هـ) في خطبة كتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، يقول: "هذا كتاب في النحو جعلته بعون الله مستوفياً لأصوله مستولياً على أبوابه وفصوله فسميته لذلك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" فهو جدير بأن تلي دعوته الألباء وتجتنب منابذته النجباء. ويعترف العارفون برشد المغري بتحصيله. وتأتلف قلوبهم على تقديمه وتفضيله. فليثق متأملهُ ببلوغ أمله وليتلقي بالقبول ما يرد من قبله وليكن لحسن الظن آلفاً. ولدواعي الاستبعاد مخالفاً. فقلما خلي متحلٍ بالاستبعاد إلا بالخبيبة والإبعاد وإذا كانت العلوم منحة إلهية وموهاب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ماعسر على كثير من المتقدمين أعاذنا الله من حسدٍ يسدّ باب الانصاف ويصدّ عن جميل الأوصاف وألهمنا شكراً يقتضي توالي الآلاء ويقضي بانقضاء الآلاء..". تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك الطائي (ت: 672هـ)، تحق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، سنة النشر: 1967، ص: من خطبة المؤلف. أجدني أف عاجزاً أمام أستاذية ابن مالك العالية في هذه الخطبة، فما أجدر طلاب العربية أن يعرفوا أسباب تفوق النحاة القدماء على النحاة الحديثين.

<sup>2</sup> مقدمة ابن خلدون (ت: 808هـ)، تحق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988، ص: 736، 737.

لقد حقّ قول الباحثين حين أجمعوا أنّ النحو الوظيفي يراعي معايير إنجاز الكلام في طبقات مقامية معيّنة، غير أنّ ضبط المعايير اللازمة لإنجاز الكلام في مقام معيّن أمر عسير نظراً لكثرة المعطيات التي على المرء أن يلمّ بها في مقام معين، هذا إلى جانب أنّ هذه المعطيات عرضة للتغيّر من حين لآخر كما أنّ الملاحظ على هذا المنحى أنّ مهمة إسناد الحالات الإعرابية لا تتسم بالوضوح الذي يتّسم به النحو العربي التقليدي، إذا لا يكفي في هذا النحو مجرد تأمل موقع المكوّن الإعرابي ليحكم المرء على حالته الإعرابية، في حين أنّ المرء بحاجة إلى معرفة الوظائف المختلفة المسندة إلى المكوّن، تركيبة كانت أو دلالية أو دلالية ليتسنى له الحكم على حالته الإعرابية.<sup>1</sup>

أما في نظري فإنّ الرجل هذا مبلغه العلمي وقد اجتهد حتى بلغ حافة عقله ومستطاع فكره، ولكنه لا يستطيع أن يزحزح جبلاً فكرياً متماسكاً قارّاً في أذهان الناس وهي تغيير صورة النحو العربي واستبدالها بصورة النحو الوظيفي، فالنحو العربي يقين لغوي في مخيّلات الناس في العالم العربي، أما النحو الوظيفي فهو منهج وضعي مستحدث لم يبلغ ما بلغه النحو العربي من المنطقية الرياضية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص: 353.

<sup>2</sup> يعجبني قول محمد باقر الصدر، عندما فرّق بين قضايا الرياضة وقضايا العلوم الطبيعية، فقال: "هناك فرق كبير بين  $1 + 1 = 2$ ، أو أنّ المثلث له ثلاثة أضلاع، أو أنّ اثنين نصف الأربعة، وبين قضايا العلوم الطبيعية نظير: إنّ المغناطيس يجذب الحديد، والمعدن يتمدّد بالحرارة، والماء يغلي إذا صار حارّاً بدرجة مئة، وكلّ إنسان يموت. فإنّ القضايا الأولى لا تتصوّر إمكانيّة الشكّ فيها بحال، بينما يمكن أن نشكّ في القضايا الطبيعية من النوع الثاني. فلو أنّ عدداً كبيراً من الناس الموثوق بفهمهم وإدراكهم للتجارب العلميّة أخبرونا بوجود نوع من الماء لا يغلي بالحرارة، أو أنّ بعض المعادن لا تتمدّد بالحرارة، لتوقّف إيماننا بالقضيّة العامّة، بينما لا نستطيع أن نشكّ في الحقيقة الرياضية القائلة إنّ الاثنين نصف الأربعة، ولو أخبرنا أكبر عدد ممكن من الناس بأنّ الاثنين أحياناً يكون ثلث الأربعة." انظر مقال بعنوان: د. محمد باباعمي: "نظرية كلّ شيء" بين عجز الفيزياء وتألّق الوحي - الأستاذ فتح الله كولن نموذجاً -، ندوة "ونحن نبني حضارتنا" بجامعة محمد الخامس بالرباط - المغرب، الخميس 19 يناير 2012م

عبد الرحمان الحاج صالح<sup>1</sup>، في: -"النظرية الخليلية"، التي نال بها جائزة الملك فيصل سنة (2010).

في البداية يجب أن نعرف من هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ-175هـ) شيخ العربية الأول الذي عُرف أنه كان متمزق الثياب، كشف الهيئة، شاحب اللون، شعث الرأس، ولكن يجوي في هذا الرأس الأشعث الأغبر عقلا غير عادي. ولأنّ الخليل بن أحمد من القرن الثاني وهو من القرون الثلاثة المفضلة، التي كانت فيها الأمة أمة محتوى لا مكان للمظهرية الجوفاء فيها. وإذا جئنا إلى شهادات علماء في علمه وأخلاقه فعجب! وهي أكثر من تحصر في هذا المقام.

إن حجة الخليل بن أحمد الفراهيدي تتمثل في تلميذه سيويوه الذي اصطفاه من بين تلاميذه الذي كان يقول له حين يزوره "مرحبًا بزائرٍ لا يُملُّ"، قال أبو عمرو الخزومي - وكان كثيرَ المجالسة للخليل "ما سمعتُ الخليلَ يقولها لأحدٍ إلاّ لسيويوه". قال أبو فهر محمود محمد شاكر: "وأرجحُ الرّأي عندنا أنّ الذي عقّد النَّحو هذا العقّد الذي نراه في "الكتاب" ليس هو سيويوه، بل هو الخليل بن أحمد الذي عقّد علمَ العروض هذا العقّد الذي لم يُنقَضْ، وقد رأى الخليل في سيويوه رجلاً مُحكّم العقل، فاستصفاه بعلمه وأدبه، ومنحه وقتَه وراحته."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الحاج صالح (1927-؟) لساني جزيري عملاق، لا يزال يعيش لخدمة العربية وهو يدلّف إلى سنّ التسعين، في حياته العلمية حدثان هامان، أولهما: دراسته في المدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في وهران، وهذه الدراسة التي مكنت تعلّقه باللغة العربية، ثم إقامته في الأزهر الشريف التي تزود في أثنائها بالتراث العلمي العربي. وثانيهما: دراسته للسانيات الحديثة والرياضيات وهذا ما أداه إلى التعمّق في مفاهيم علم اللسان العربي حينها اكتشف أن الخليل بن أحمد سبق أوأناه 1000 سنة.

<sup>2</sup> انظر الرابط: <http://www.alukah.net> يوم: 2014/9/15، مقال بعنوان: مقدمة في نشأة اللغة والنحو.





و"الكتاب" لأنّ عامة الحكاية عنه، وقد تجاوزت اقتباسات سيويه من شيخه 600 اقتباس، عالم لا نظير له في اللغة والنحو والعروض، فسيويه حامل علم الخليل وراث ملكته في القياس والابتكار، فلولاه لضاع علم الخليل في النحو والصرف، فالخليل قد أحسن تربية وتعليم تلميذه البرّ، فقد "كانت تسمو به أنبل عاطفة من الوفاء لشيخه "الخليل بن أحمد"، والذي مات ولم يجمع علمه المستفيض في كتاب جامع. فبعد موت الخليل = كما حدثنا نصر بن عليّ بن نصر بن عليّ الجهضميّ راويةً عن أبيه = أن سيويه لقي أباه عليّ بن نصر بن عليّ الجهضميّ (ت:187هـ)، وهو قرين سيويه في الأخذ عن الخليل والاختصاص به، فقال له سيويه: "يا عليّ، تعال نتعاون على إحياء علم الخليل" = فتعاس عليّ، وخذل سيويه فيما أراده، فحمي قلب سيويه، وعزم على أن ينفرد بإحياء علم الخليل، فانبرى بكلّ ما في قلبه من الديانة، والأمانة والحبّ والإخلاص، مستقلاً وحده بالعبء، وحلّق وحده كالعقاب في جوّ العربية، يجلّي كلّ علم الخليل وغير الخليل.<sup>1</sup>

cyclic group وأقام لأول مرة في التاريخ أساليب الحساب للحصول على عدد التراكيب بالنسبة إلى الثلاثي والرباعي والخماسي

وذلك كالتالي:

$$2=2 \times 1=!2$$

$$6=3 \times 2= 3 \times 2 \times 1 =!3$$

$$24= 4 \times 6= 4 \times 3 \times 2 \times 1 =!4$$

$$120= 5 \times 24 = 5 \times 4 \times 3 \times 2 \times 1 =!5$$

ثم على عدد الكلمات التي يقتضيه هذا النوع من الحساب (من المستعمل والمهمل). انظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2،

ص:47. ومن أراد أن يعرف التفكير الرياضي بالتفصيل فعليه برسالة الدكتوراه للحاج صالح، الموسومة ب: "علم اللسان العربي وعلم

اللسان العام" (بالفرنسية) التي ناقشها سنة 1979، بإشراف جوليان غريماس (1917-1992)، الذي يعتبر مؤسس السيميائيات

البنبوية انطلافاً من لسانيات سوسير وهلمسليف. وكذلك كتاب: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، في 2 ج نشره سنة 2007.

<sup>1</sup> رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص:14.

والنظرية الخليلية نجدها ممتدة من صاحب "الكتاب" سيويه (ت:180هـ) إلى آخر نحوي عرفه التاريخ قد يكون الأشموني (ت:929هـ) وقد يكون الصبان (ت:1206هـ)، وخاصة في القرون الأربعة الأولى التي كان النحو فيها عربيا أصيلا خليليا، يقول الحاج صالح "لابد من ملاحظة هامة فإن الخليل ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين؛ فهناك من عاصره وكان عب قويا مثله ومن جاء بعده وكان عبقريا مثله وأكبر من هؤلاء الإمام الشافعي، فهو في أصول الفقه بمنزلة الخليل في النحو وعلوم اللسان."<sup>1</sup> قد أثرى سيويه ومن جاء بعده أفكار الخليل كالأخفش الأوسط، والمازني، وابن السراج، وأبي علي الفارسي والزجاجي وخاصة الرضيّ الاستربادي (ت:687هـ).

والنظرية الخليلية عند الحاج صالح مطروحة في دكتوراه دولة<sup>2</sup> الموسومة ب: "علم اللسان العربي وعلم اللسان العام" في مجلدين، تجاوزت الألف صفحة بحيث أنشأها بالفرنسية وناقشها سنة 1979 في السربون بإشراف جوليان غريماس، فقد دامت هذه الرسالة حولي عقدا كاملا أو ربما يزيد في ظل معهد العلوم اللسانية والصوتية، وهذا المعهد قد وقّرت عليه الكثير من الجهد فقد مدّ رسالته الكثير من التعمّق والاستقصاء والتفتح على ما أنتجته اللسانيات الغربية لأنه كان مجهّزا بأحدث الأجهزة.

<sup>1</sup> النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، الحاج صالح، معهد اللغة العربية، جامعة الجزائر، 10، 1996، ص: 85، 86.

<sup>2</sup> معلوم أن "دكتوراه الدولة في فرنسا، قلّ أن يقتدر على نيلها إلا كلّ من استحكمت أدواته، وبلغ مبلغا يؤهله أن يكون في صفة الصفوة في الممتازين. وهذه الدكتوراه هي التي تؤهل حاملها أن يدرج في مدرجة أساتذة الجامعات، أما دكتوراه الجامعة فلا تؤهل لشيء من هذا." أباطيل وأسما، ص: 338، 339. أما لفظ دكتور اليوم عند المثقفين العرب فأصبح لا يدل على الرصيد العلمي الذي يحمله صاحب هذا الاختصاص إلا من رحم ربك، وخاصة مع نظام (أ، م، د) فقد كثر دكاترة هذا النظام الذي حرق السفينة، "وإنّ مرارة التحوّل الخطير لتشتدّ حين يكون الحصول على هذا اللقب الغريب يزيد في ارتفاع القيمة الأدبية في الوسط الاجتماعي، ويكون مقياسا ومعيّار للتأهيل (..) بينما من هو أعلى منه في العلم كعبا، وأكثر رزانة وأرجح عقلا لا يكون كذلك لعدم نيل هذا اللقب، وعليه أصبح ثلّة من المسلمين يعيشون يوم التغابن على حساب هذه الورقة المقوّاة. ومن أبصر علم." كما يقول الشيخ بكر أبو زيد، انظر: المجموعة العلمية: بكر أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، م، ع، السعودية، ط1، 1416، ص: 313.

بحيث حلل النظرية الخليلية النحوية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة، ودافعت عن أصالة النحو العربي، وفيها يرى الحاج صالح أن العقل العربي انطلق انطلاقاً صحيحة حتى القرن الرابع الهجري، وانتكس يوم أن اعتمد فلسفة أرسطو، إذ كان من قبل معطاء متحرراً، يعتمد الملاحظة والتجربة، ومن أجل ذلك رجع لكتاب سيبويه، يفهمه على ضوء المعارف المعاصرة.

أما مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة التي استنبطها الحاج صالح، فهي كثيرة فأهمها: مفهوم اللسان وضع واستعمال، ومفهوم الاستقامة، ومفهوم الانفصام والابتداء، ومفهوم المثال، ومفهوما الموضع والعلامة العدمية، ومفهوم العامل ومفهوم القياس، ومفهوم الأصل والفرع... الخ.

أما مفهوم اللسان وضع واستعمال: فاللغة نظام من الدوال يختار منها المتعلم ما يحتاجه للتعبير عن أغراضه، وبالتالي يميّز بين ما هو راجع إلى القياس، وما هو راجع إلى الاستعمال، أي إجراء اللغة في أحوال خطابية معينة، بحكم أن قوانين الاستعمال غير قوانين النحو والقياس، فلكل من الوضع والاستعمال قوانين خاصة تخضع لها، ويترتب عن ذلك أن اللفظ والمعنى في الوضع غيرهما في الاستعمال<sup>1</sup>، أما الاستعمال فهو الإجراء الفعلي للكلام مؤدى وفق قانون اللغة بإيجاز.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر: اللغة العربية العلمية: د، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، ط4، 2009، ص: 106، 107.

<sup>2</sup> أما مفهوم الاستقامة: فأحسن ما يلخص مفهومها توصيف سيبويه، عندما يقول: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيك غداً، وسأتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل، وشربت ماء البحر" ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأنتضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكى زيداً يأتيتك، وأشبه هذا. وأما المحال الكذب فأنتقول: سوف أشرب ماء البحر أمس الكتاب، ج1، ص: 25، 26.

أما مفهوم الانفصام والابتداء: الانفصال ليس بعده شيء، والابتداء ليس قبله شيء وبهما يتحدد الكلام الأدبي، ومعنى ذلك أن كل وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها أو ما بعدها عن الوحدات، وكل وحدة يمكن الابتداء بها أو الوقوف عليها حسب موقعها من الكلام، وهناك أصناف ثلاثة في اللسان العربي: وحدات يبتدأ بها فتنفصل عما قبلها ولا يوقف عليها مثل (إلى). ووحدات لا يبتدأ بها ويوقف عليها، أي أنها تنفصل عما بعدها مثل الضمير المتصل بالاسم أو الفعل. ووحدات يبتدأ بها فتنفصل عما قبلها، ويوقف عليها فهي منفصلة عما بعدها مثل عبارة (سعيد) في جواب سؤال: من دخل.<sup>1</sup>

أما مفهوم المثال: فالنحو العربي كله مُثَّل؛ لأنها الصيغ والرسوم وهو شيء صوري التي تبنى عليه كل وحدات اللغة إفراداً وتركيباً. فهي تصوير وتمثيل لما تحدثه الحدود الإجرائية. وعلى هذا فمثال الكلمة هو بناؤها ووزنها؛ لأنه يمثل بكيفية صورية مجردة الهيئة التي يكون عليها هذا الجزء من اللفظة الذي يسمى الكلمة.<sup>2</sup> وهو مفهوم عربي لا مقابل له في اللسانيات الغربية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> اللغة العربية العلمية، ص: 110.

<sup>2</sup> المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها: د، التواتي بن التواتي، دار الوعي، بالجزائر، ط2، 2008، ص: 106.

<sup>3</sup> وكما يقول عنه عبد الرحمن الحاج صالح: "ولا بدّ من التنبيه على أنّ مثال الكلمة (ومثال اللفظة) هو شيء تجهله تماماً اللسانيات الغربية ولا يعرفه من اللسانيين إلا من اطلع على ما كتبه النحاة العرب، أو ما أثر عنهم. وكنا قد نبهنا إخواننا الباحثين العرب أنه من العبث أن يحاول المحلّل أن يكتشف في كلمة "أصحاب" ما هي القطعة الصوتية التي تدل على الجمع وذلك خضوعاً للتقطيع الذي تعود الغريبيون أن يسلطوه على لغاتهم. فالمجموعة من الهمزة الزائدة وسكون الصاد وزيادة الألف وترتيب كل ذلك أصولاً وزوائد هو الذي يدل معاً على الجمع أي مثال: أفعال، لا الهمزة وحدها ولا الهمزة مع الألف. وهذا خلافاً لكلمة "مسلمون" فزيادة الواو والنون هي وحدها تدل على الجمع وهذه الزيادة اللاحقة هي ميزة لأكثر اللغات الأروبية إلا أنّ اللغات الجرمانية - ومنها الإنجليزية - بعض تصاريفها هي من قبيل التصريف العربي. ولم يفكر أحد في استخراج مثلها على الطريقة العربية على ما علمناه. (وذلك مثل: sprechen sprach childen child). ويتضح من ذلك أنّ اللسانيات البنوية كلها والنحو التوليدي إلى حدّ ما تعقد

أما مفهوما الموضع والعلامة العدمية مفهوم الموضع جدّ "اعتباري إذ ليس مجرد موقع للوحدة اللغوية في مدرج الكلام، فقد يكون فارغا ولا فراغ في الكلام المنطوق العادي، فمجموعة المواضع المرتبة ترتيبا أفقيا خاصا تكون "مثال الاسم" أو الفعل، مثل بناء الكلمة، فالأصل فيها مع زوائده كل في موضعه يكون مثالها.<sup>1</sup> وللإشارة فإن المواضع التي هي حول النواة الاسمية يمينا ويسارا تدخلها الزوائد (العناصر اللغوية)، وتخرج منها بعمليات الوصل، وقد تكون فارغة، لأن الموضع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر. وهذا الخلو من العنصر مع بقاء أو ثبات الموضع هو ترك للعلامة وخلو منها. ويطلق الحاج صالح على هذا المفهوم العلامة العدمية، وتختفي هذه العلامة في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر، فعلاية المفرد العدمية تقابلها علامة ظاهرة في الثنية والجمع.. الخ.<sup>2</sup>

أما مفهوم العامل عند الحاج صالح فقد أعطى لها مفهوما لغويا تقنيا فهي عنده من أخطر النظريات التي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية، لأن لها مفهوما ديناميا على المستوى التركيبي للغة، ويرى كذلك إمكانية استغلال مفهوم العامل (وما يترتب عليه من عامل ومعمول أولا ومعمول ثان) في معالجة النصوص بالحاسب

الاعتقاد الراسخ (وهو عندهم عقيدة صماء لا يريدون بها بديلا) أنّ الوحدات اللغوية كلها قطع صوتية أو ظواهر نبرية على الرغم من أنهم يعرفون أنّ للترتيب أيضا دلالة. إلا أنهم لا يستغلونه كعنصر هام في استخراج المثل في كل مستوى من مستويات اللغة. فالنزعة السائدة عندهم ماتزال التقطيعية المفرطة. وكان سبب تحفظنا من هذه النظريات هو طغيان هذه التقطيعية التي تتراءى في جميع أقوالهم وتحليلاتهم. "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 252.

<sup>1</sup> بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 86.

<sup>2</sup> انظر الرابط: <http://almajma3.blogspot.com> يوم: 2014 /9/16، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة.

أما مفهوم الأصل والفرع فهو "منهج في ردّ كل مجموعة متجانسة إلى شيء واحد، فالنحو يرّد إلى شيء واحد وهو نصوص الاحتجاج (..) والأدوات المتعددة ترد إلى أداة واحدة هي أم الباب، وهكذا، تكون نظرية الأصل والفرع منهجا في ردّ الظواهر المتجانسة إلى شيء واحد، مع ما يستدعيه هذا الردّ من تأويل، أو تقدير (..) فكأن هذه الأساليب روابط تربط بين الأصل والفرع ليغدو النحو العربي منظومة متجانسة من القواعد لا أمت فيها ولا اعوجاج." <sup>1</sup> مثال على الأدوات (إن) الشرطية هي أصل أدوات الشرط، وباء القسم هي أصل أدوات القسم، وهكذا.

وأحسن ما أعجبني في الخليلية هو تفريق عبد الرحمن الحاج صالح بين النحو العربيّ الأصيل الذي نجده في القرون الأربعة الأولى إلى عهد ابن السراج وابن كيسان وغيرهما مما تأثروا بالمنطق ونحو المتأخرين ابتداء من القرن السادس الذي كان عبارة عن سكولاستيك. <sup>2</sup>

<sup>1</sup> نظرية الأصل والفرع في النحو العربي: د، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، ط1، 2001، ص: من مقدمة المؤلف.

<sup>2</sup> فالحرف مثلا عند الأولين هو العنصر أي الوحدة المؤلفة من قطعة صوتية وتنطبق كعنصر على الوحدة الصوتية (الفونيم) أو على المفردة أيا كانت، اسما أو فعلا أو أداة. وعندما يحدد سيبويه تقسيم الكلم العربية فإنه يقول: "اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل". ولم يقف عند كلمة "حرف" كما يفعله أكثر من جاء بعده. ومعناه الكلم اسم وفعل وعنصر آخر جاء لمعنى أي لم يأتي للدلالة على "ذات" كالاسم أو "حدث" كالفعل بل على معنى مثل الاستفهام أو النفي أو غير ذلك، مما يضاف إلى الاسم والفعل وليس ذلك اسما أو فعلا، لأن بعض الأسماء والأفعال تدل على هذه المعاني كالظروف وأسماء الاستفهام والأفعال الناسخة وغير ذلك. أما لفظة كلمة فهي عند سيبويه غير ما عند ابن مالك: فلفظة "كتاب" كلمة، والألف في "الزيدان خرج" كلمة، ولكن الهمزة في "أكتب" والناء في "اكتب" والميم في مكتب "مكتب" ليست كلما لأنها حروف بنيت عليها الكلمة ولا تنفصل. فالكلمة هي الحرف (=العنصر) المنفصل: إما بالتمام (تبتدأ وتوقف عليها) أو جزئيا كالحروف التي تدخل وتخرج إذا اقتترنت بكلمة أخرى ولم تبنَ عليها هذه الأخيرة. هذا هو مفهوم الخليل وسيبويه. أما عند ابن مالك فالكلمة لفظ مستقل دال بالوضع (تأثير علم الكلام). "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 241، 242، 243.

أما إمكانية استغلالها، فكما يرى الحاج صالح، "فحاصل بالفعل أولاً لأننا نعتقد أنه لا توجد لغاية الآن نظرية أخرى استخرجت من النظر في اللغة العربية أو على الأقل اعتدت اعتداداً كبيراً بها وبأحواتها اللهم إلا النظرية التوليدية<sup>1</sup> التي تجاوز فيها صاحبها التقطيعية والتصنيفية الساذج... والسبب الثاني هو من جهة اختبارنا لها عند صوغنا لها الصياغة الرياضية - وهي أطوع نظرية، في اعتقادنا، لهذا النوع من الصياغة ومن شم تشكيلها بالشكل الخوارزمي حتى يمكن استعمالها الحاسب الإلكتروني. ومن جهة أخرى استغلالها في الاكتشاف الآلي لصيغ العربية الإفرادية والتركيبية." <sup>2</sup> وهي تستغل الآن في المؤسسات اللغوية الجزائرية بالتعاون بين الباحثين في اللسانيات والمهندسين في الإعلام والإلكترونيك في تحسين تعليم العربية، وتنطيق الأجهزة الإلكترونية بالعربية و قد تم اختراع جهاز يحوّل آليا النصوص المكتوبة بالعربية إلى كلام منطوق اصطناعي الذي قام به باحثو قسم العلاج الآلي للكلام، وكما تستغل في علاج أمراض الكلام، والعلاج الآلي للكلام واللغة... الخ.

<sup>1</sup> معلوم عند أولي الاختصاص أن النحو العربي تأثر بالنحو العربي منذ ق 16، وذلك أنّ الآجرومية كانت من أوائل الكتب النحوية العربية التي ترجمت إلى اللاتينية أكثر من مرة منذ ق 16، ومعلوم أن تشومسكي قد درس الآجرومية (لابن آجروم (ت: 762هـ)) مع فرانز روزنتال، أما في نظري فأقوى دليل أن الآجرومية قد أثرت في النحو اللاتيني هو اشتقاق كلمة "Grammar" من اسم العلم "آجروم"، والآجرومية مستوحاة من النحو الخليلي، وقد يكون د، جاسم علي جاسم محققاً عندما، قال: "إن ثورة تشومسكي اللغوية هي ثورة نحوية خليلية أصلاً جرجانية تفصيلاً في النحو الإنجليزي؛ وذلك من خلال البنية العميقة والسطحية. وإن تشومسكي هو تلميذ الخليل الثاني بعد سيبويه في هذا العصر. وهو الذي أعاد للنحو العربي قوته ودوره في الحياة اللغوية وأحياه من جديد؛ وقلّده في هذه المرة العالم بأسره وفي جميع لغاته المختلفة. فالعلماء العرب هم أساتذة العالم في اللغة والنحو والعلوم وغيرها؛ وإن جحدهم الجاحدون." تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي "جاسم علي جاسم، التراث العربي، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن اتحاد كتاب العرب بدمشق، ع116، كانون الأول 2009، ص:80.

<sup>2</sup> بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص:226.



ومهما يكن، فهذه النظرية تستغل في "مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية" في التعليمات، وصناعة المعجمية، والترجمة، وتنطيق الأجهزة الالكترونية، والصوتيات، وعلاج أمراض الكلام، بل قد تم في هذا المركز اختراع جهاز يحوّل آليا النصوص المكتوبة بالعربية إلى كلام منطوق اصطناعي مفهوم الذي قام به قسم العلاج الآلي للكلام، وبفضل هذه النظرية مشروع القومي الذخيرة اللغوية (قول العريبي)، وهذا المشروع وصفه صالح بلعيد في أحد الندوات بأنه "أعجوبة الألفية الثالثة" أما في رأينا فنصفه ب: التطلّع السندبادي الدرامي الذي سيعيد للعربية شيئا من مجدها.

إذن؛ فهذه النظرية التي واصل فيها اللسانيّ الجزائريّ عبد الرحمن الحاج صالح إحياء علم الخليل تقنيًا، كما أحياء سيبويه منهجيا، لم يعترض عليها اللسانيون العرب ولا حتى الغرب في حدود اطلاعنا المتواضع على الرأي العام حولها، وإذا كان هناك اعتراض فسيكون من جهة غموض واستغلاق بعض مفاهيمها فحسب أما كنظرية فقد نجحت أمام الإمتحان واقتحمت العقبة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> وليس في مقدور أحد أن يعترض على النظرية الخليلية، لأنّ الحاج صالح كان منطلقه القرون الثلاثة الأولى المفضلة (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، فالخليل بن أحمد (ت: 175هـ)، هو تلميذ أبي عمر بن العلاء (ت: 150هـ)، وهذا الأخير هو تلميذ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت: 117هـ)، وهذا الأخير تلميذ نصر بن عاصم (ت: 89هـ)، وهذا الأخير تلميذ أبي الأسود الدؤلي (ت: 69هـ)، وهذا الأخير هو تلميذ الإمام علي كرم الله وجهه، والإمام علي هو تلميذ النبي صلى الله عليه وسلّم ووصيّه، الذي خصّه المولى سبحانه بعلم الوحيّ، قال تعالى: "فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ" (النجم: 10)، والنبيّ عليه الصلاة والسلام هو تلميذ جبريل الأمين عليه السلام، قال تعالى: "عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ" (النجم: 05) والعلم مرادف القوّة. والأمر الذي أردت أن أقوله أن النظرية الخليلية مستوحاة من مشكاة النبوة والوحي، والوحي هو العلم القينيّ الوحيد الذي لا يقبل أقلّ من مثقال ذرة لتعديله.

## الفصل الثالث: دراسات واجتهادات نحوية ولغوية أخرى جديدة بالتعريف والطرح.

1) عبد الرحمن أيوب، في كتابه: - "دراسات نقدية في النحو العربي"، نشره سنة (1957).

2) أحمد عبد الستار الجوارى: - نحو التيسير، نشره سنة (1962).

3) عبد الصبور شاهين في كتابه:

- "المنهج الصوتي للبنية العربية-رؤية جديدة في الصرف العربي"، نشره سنة (1980).

4) حماسة عبد اللطيف، في كتابه:

- "العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث"، نشره سنة (1984).

5) عز الدين مجدوب، في كتابه:

- "المنوال النحوي العربي -قراءة لسانية جديدة"، نشره سنة (1998).

"قد سمعنا لغات كثيرة من أهلها، أعني من أفاضلهم وبلغائهم، فعلى ما ظهر لنا وخبيل إيلنا لم نجد لغة كالعربية، وذلك لأنها أوسع مناهج، وألطف مخارج، وأعلى مدارج، وحروفها أتم، وأسمائها أعظم، ومعانيها أوغل، ومعارضها أشمل، ولها هذا النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل، وهذه حصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا وصحب أذهاننا من كلام أجناس الناس، وعلى ما تُرجم لنا أيضاً من ذلك؛ ولولا أن النقص من سوس هذا العالم وتوسه لكان علم المنطق ببيئة الطبيعة بالعربية، وكانت بسوق العربية إلى طبائع اليونانية، فكانت المعاني طباقاً للألفاظ والألفاظ طباقاً للمعاني، وحينئذ كان الكمال ينحط إليه عن كتب، والجمال يهادفه بلا رغب ولا رهب."

أبو سليمان (ت:391هـ) من أعظم علماء المنطق، وهو:

شيخ أبي حيان التوحيدي (ت:400هـ) -المقابسات-

عبد الرحمن أيوب<sup>1</sup> في كتابه: - دراسات نقدية في النحو العربي، نشره سنة (1957).

يقع كتاب "الدراسات" في 276 صفحة، ضمّ تقديمًا لإبراهيم مصطفى، ثم تلتها كلمة المؤلف

أشار فيها إلى منهج المدرسة الشكلية التحليلية الذي اعتمده كلفا به، فالرجل بكل صراحة كانت له

شخصية علمية لسانية نالت تقدير إبراهيم مصطفى، الذي يقول فيه بأنه "مُكّن لصاحبه ما لم يُهيأ

لكثير، غيره من الباحثين في علوم العربية، فقد نظر في مباحث نحاها العرب المتقدمين، وأطال النظر،

وتعمّق في البحث، وأحسن الإحاطة، وتمرّس بمناهج البحث اللغوي الحديث، كأتمّ ما يكون التمرّس،

وأوتي إلى ذلك ذوقا مُرهفا، ونقدا عادلا، ورأيا فاصلا.<sup>2</sup>

ورأى فيه أحمد مختار عمر نفس ما رأى فيه مصطفى إبراهيم، بحيث رآه "من المتخصّصين في الدرس

اللغوي، ومَن جمعوا بين الثقافتين العربية القديمة، والغربية الحديثة، وضربوا بسهمٍ وافرٍ في كل منهما..."<sup>3</sup>

وهاتان الشهاداتتان من هذين العلمين كافتيتان في شخصه وعلمه.

<sup>1</sup> (1919-؟) كان من أوائل المبتعثين إلى جامعة لندن، نال فيها درجة الماجستير سنة 1949، في رسالة موسومة ب: "الجزء الفعلي في اللهجة المصرية"، باللغة الإنكليزية، ثم الدكتوراه سنة 1952، في رسالة موسومة ب: (النظام الفعلي في اللهجة النوبية)، ينقسم إنتاجه العلمي بين الترجمة والتأليف، أما الترجمة، فقد نقل إلى العربية "اللغة بين الفرد والمجتمع، لأوتو جيسبرسن، عام 1954، و"دروس في علم اللغة": وهو ترجمة لفصلين، من كتاب (دروس في علم اللغة العام)، لدي سوسير، وقد نُشرت هذه الترجمة مستقلة، بمجلة (مواقف) في العدد (39) من سنة 1980، انظر: أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة، حيدر سعيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1996م. ص 105. أما أسلوبه في كتاب "الدراسات" فقد جمع فيه بين أسلوب التشريح إلى درجة التجريح وهذا ليس من الموضوعية في شيء، كما كان ينحو طرح المناطق في معالجته النحوية، كقوله مثلا: " وإذا تقرّر أنّ الإعراب أو البناء، أمرٌ لازمٌ للفظ بذاته لا ينفكُ عنه، وأتّه متوقفٌ على الموقع الإعرابي، فإنّه من غير الصحيح أن يقرّر النحاؤه أنّ المنادى العلم المفرد والنكرة المقصودة، وأنّ اسم (لا) النافية للجنس من المبتنيات." دراسات نقدية في النحو العربي، ص 45.

<sup>2</sup> دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1957م، ص: أ.

<sup>3</sup> من قضايا اللغة والنحو، أحمد مختار عمر، القاهرة، 1974، ص: 257.

إذا كانت ثوابت الفكر تقتضي أنّ لكلّ عمل ما يحركه، فإن دافع عبد الرحمن أيوب، في نقده للنحو العربيّ، كان خاضعا لهذا الناموس المطّرد، فبدأ دافعه في هذا الموضوع، هاجسًا، شكاه كثيرا حتى تبلور في صفة أكثر جدية في كتاب "دراسات نقدية" عام 1957، ولعلّ أول إشارة إلى ذلك الدافع، كانت قبل ذلك التاريخ، حينما ترجم كتاب أوتو جسبرسن، (اللغة بين الفرد والمجتمع) في عام 1954، وقد تضمّن هذا الكتاب تقديمًا للمترجم، وصف فيه أيوب الكتاب.<sup>1</sup>

بأنّه "يعالج ناحية من نواحي الثقافة الإنسانيّة، شغلنا عنها شكليّات ثقافيّة تقليديّة، مكّن لها من حياتنا العقليّة، كسل وخمول وشلل، في كلّ ما يتصل بثقافتنا اللغويّة، لقد سيطرت القاعدة على المهوبة، وتمكّن الشكليّ التافه من العبقريّ الأصيل، وأصبحنا في تفكيرنا اللغويّ، مردّدين لأبيات ابن مالك، أو مفسّرين لشروح هذه الأبيات."<sup>2</sup>

وقد بلغ هذا المعنى الأخير، عند عبد الرحمن أيوب، مبلغا مهما، بحيث جعله من أوليّات المسائل التي أثارها كتابه "دراسات نقدية في النحو العربي"، الذي حاول فيه أن يعالج مشكلة النحو العربيّ، فعبّر عنه بأنّه لا يعدو كونه "نوعا من الاجترار العقلي، لا يليق بعصرنا الذي نعيش فيه، ولا بنهضتنا العقليّة، في هذا الدور الحاسم من أدوار الثقافة العربيّة."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> انظر: الدراسات اللغويّة عند عبد الرحمن أيوب: حيدر محمّد جبر العبّودي، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، بإشراف: الأستاذ الدكتور محمّد ضاري حمادي، أيلول 2005، ص: 136.

<sup>2</sup> اللغة بين الفرد والمجتمع، أوتو جسبرسن، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، القاهرة، 1954، ص: من تقديم المترجم.

<sup>3</sup> دراسات نقدية في النحو العربيّ، ص: من مقدمة المؤلّف، د.

بدايةً، يقول عبد الرحمن أيوب: "لقد بلغت الشكوى من النحو العربيّ، مدى أصبح من غير الممكن أن يتجاهل، وكثر حديث الناس عن الحاجة إلى نحو جديد، وظنّ الكثير أنّ الأمر لا يعدو إعادة تدوين النظريّات النحويّة بأسلوب حديث، ولكنّ الأمر عندي أعمق من كلّ هذا." <sup>1</sup> فالأمر في نظر "أيوب"، يتعلّق بالمنهج، ولعلّ إصراره على هذا المبدأ، يمكن إرجاعه إلى أمرين:

أما أحدهما، فهو أنّ منهج التفكير النحوي العربيّ، يشتمل على عيوب وثغرات، تخرج البحث عن دائرة التفكير اللغوي. وأما الآخر، فهو أنّ أيوب، يؤمن إيماناً مطلقاً، بدراسة اللغة، على وفق أسس وصفية، وهاتان النقطتان دار في فلكهما كتاب "الدراسات". <sup>2</sup>

يقول عبد الرحمن أيوب: "فالنحو العربيّ، شأنه شأن ثقافتنا التقليديّة في عمومها، يقوم على نوع من التفكير الجزئيّ الذي يعنى بالمثال، قبل أن يعنى بالنظرية، ومن أجل هذا جهّد النحاة في تأويل ما أشكل على القاعدة، من أمثلة، أكثر ممّا جهدوا في مراجعة منطقتهم ونظريّاتهم على ضوء ما يشكل عليها." <sup>3</sup>

وإذا أردنا أن نفهم الخلفية الفكرية لـ"أيوب" التي جعلته يتخذ هذا الموقف الصارم من النحو العربيّ، فإن عبده الراجحي، قد فسّر الظرف العلمي الذي ضرب أسواره على فكر "أيوب"، بحيث يرى أنه: "حين انتقل المنهج الوصفيّ إلى الدرس العربيّ، بعد اتصال أساتذتنا بالغرب، بدأت هذه الانتقادات التي أخذها الوصفيّون على النحو التقليديّ الأوربيّ، تظهر في معظم المؤلّفات الحديثة التي تعرض للنحو

<sup>1</sup> دراسات نقدية في النحو العربيّ، ص: من مقدمة المؤلّف، د.

<sup>2</sup> الدراسات اللغويّة عند عبد الرحمن أيوب، ص: 138.

<sup>3</sup> دراسات نقدية في النحو العربيّ، ص: من مقدمة المؤلّف، د.

العربي، وأغلبها يتركز على أنّ النحو العربيّ قد تأثر بالمنطق الأرسطي منذ مراحلہ الأولى، وقد أدى ذلك إلى أن يكون النحو العربيّ "صوريًا" وليس "واقعيًا"، وأنّ النحو العربيّ لم يقعد للعربيّة كما يتحدثها أصحابها، وإتّما قعد لعربيّة مخصوصة، وأنّ النحو العربي مع تحديده لمستوى اللغة، التي يقعد لها، حدّد أيضا بيئة مكانية، وزمانية، لهذه اللغة، مما جعله نحوًا لا يمثّل العربيّة، وإتّما يمثّل جانبًا واحدًا منها، وأنّ النحو العربيّ لم يميز حدودًا واضحة لمستويات التحليل اللغويّ...<sup>1</sup>

وهذا الموقف العلمي من "أيوب" تجاه النحو العربي كان طبيعيًا جدًا في نظري، لأن الرجل كان يريد تغييرًا وإيجاد حل منهجي للبحث النحوي العربي التقليدي الذي لا تقتصر أزمته على تيسير مبانيه الرئيسيّة، وعرضها بالأسلوب العصريّ، وهو مصيب في هذا التفكير، ذلك أنّه وضع يده على نقطة المعالجة المثلى، لولا تلك التعميمات النظرية، التي اكتنفت طريقة نقده، وجعلته في مهبّ الأحكام العامّة، التي سببت له حرجًا كبيرًا في طبيعة التصوّر المعرفيّ للنظرية اللغوية العربيّة.<sup>2</sup>

ومن أهم نقوده المباشرة التي عيب فيها على نظرية النحو العربيّ، أنه يرى أنّه تقوم على أساس التفكير الجزئيّ الذي يعنى بالمثال، قبل أن تعنى بالنظرية، ولهذا النحاة أجهدوا أنفسهم في تأويل ما أشكل على القاعدة، من أمثلة، أكثر ممّا جهدوا في مراجعة منطقتهم، ونظريّاتهم على ضوء ما يشكل عليها. " وأنّ النحو العربيّ " لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل أنّه يبني القاعدة، على أساس من اعتبارات عقلية أخرى، ثمّ يعمد إلى المادة فيفرض عليها القاعدة التي يقول بها. " وأنّ النحاة قد عنوا

<sup>1</sup> انظر: النحو العربيّ والدرس الحديث، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية إسكندرية، 1988، ص: 48-52.

<sup>2</sup> الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أيوب، ص: 170.

بأخذ العربية من أفواه العرب، ولكن الذي لاشكّ فيه أنّهم خلطوا بين القبائل، ولم يمّحوا بين اللهجات، فيما عدا القليل ممّا حكوه عن قبيلة أو أخرى، ممّا هو أكثر علاقة بتفاصيل الموضوعات النحوية منه بأسسها.<sup>1</sup>

وهذه الانتقادات كلها تدور في فلك المدرسة التحليلية الشكلية<sup>2</sup>، التي عرضها عبد الرحمن أيوب، بديلاً عن المنهج التقليدي المتوارث عن الدارسين العرب، وتبين أنّ ما أخذه على النظرية النحوية العربية، لا يعدو كونه مبالغة، أملت ظروف قناعته المطلقّة بالمنهج البنيوي الوصفي، وهكذا يبقى عبد الرحمن أيوب، صاحب دعوة مجرّدة لتطبيق منهج، رأى فيه قمة التفكير اللغوي الحديث.<sup>3</sup> بعدما أن نقد النحو العربي نقداً زجرها ورأى أنه نحو تقليديّ قد عفى عليه الزمن، لأنه في نظره مبني على افتراضات عقلية نظرية معمّمة على نظرية النحو العربي.

<sup>1</sup> انظر: دراسات نقدية في النحو العربي، ص: من مقدمة المؤلف، د.

<sup>2</sup> التي تستنبط القاعدة من الأمثلة اللغوية، وتأتي أن تفلسف الظاهرة اللغوية، أما البديل الذي اقترحه عبد الرحمن أيوب هو تبني منهج التحليل الشكلي الذي وجدته في كتاب زليج هاريس مناهج اللسانيات البنيوية الذي يوضح فيه كيفية تصنيف الوحدات اللسانية في الجملة على أساس وظيفتها الشكلية. فشكل اللفظة هو الذي يساعد الدارس على تحديد قسمها الذي تندرج فيه بالإضافة إلى توزيعها داخل الجملة بين الأجزاء المؤلفة الأخرى دون العودة أصلاً إلى المعنى. ففكرتا التوزيع / التصنيف (distribution) والاستبدال/ المعاقبة (substitution) هما أساس تحليل الجملة لدى زليج هاريس ويبدأ التحليل لديه بالتجزئة، حيث تقسم الجمل التي يمكن ورودها في لغة ما على المستوى النحوي إلى مجموعة من الوحدات المتميزة وفقاً للسياق الذي ترد فيه كل منها، يطلق عليها وحدات التقسيم الكلامية: الأسماء، الأفعال، الصفات، الحروف.. وتتسم كل وحدة منها بالثبات، إذ يلزم ورودها في الجملة حين تتوفر شروط وجودها من جهة السياق، وتمثل العلاقات الأفقية في تلك العلاقات القائمة بين الوحدات النحوية، والعلاقات الرأسية في تعاقب أبنية / أشكال مختلفة داخل وحدة نحوية بعينها: (قائمة الأفعال، وقائمة الصفات، وقائمة الأسماء) انظر الرابط:

<http://www.lissaniat.net> تاريخ الإقتباس: 2015/04/26 (متدى اللسانيات العربية)

<sup>3</sup> الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أيوب، ص: 176.

ومجمل القول في كتاب "الدراسات"، الصادر سنة 1957، أنه كان هو الآخر صدمة لغوية لمعظم المشتغلين في علوم العربية آنذاك، ولهذا رغبوا عنه، لأن النقد له معايير التي تجعله مقبولاً عند الآخر، ولا سيما أنه وجّه إلى جذور النحو العربيّ في ظروف نشأته وعلاقته بالمنطق اليوناني وارتكازه على القياس والعمل، ويبدو أنّ هذا الكتاب كان ردّة فعل للمفارقة المنهجية بين معرفتين تحصّل عليها "أيوب"، الأولى تراثية عربيّة، والثانية لسانية أجنبية، انتهت المفارقة عند حدود هذا الكتاب بانتصار منهجيّة المعرفة اللسانية على منهجيات المعرفة التراثيّة في علوم اللغة.<sup>1</sup>

وحسب حوار دار بين د، أبو أوس إبراهيم الشمسان وسعد عبد العزيز مصلوح أن "أيوب" قد تراجع في السنوات الأخيرة من حياته عن أفكار كتابه "الدراسات" الذي نشره سنة 1957، الذي كتبه وهو في سنّ 37 سنة سنّ الشباب والحماسة، ومع هذا يبقى لهذا الأخير مزيّة تحريك الجمود السائد في تناول النحو، وتوجيه الأذهان إلى إمكان مراجعة المسلمات.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص: 313، 314.

<sup>2</sup> انظر الرابط: <http://www.al-jazirah.com> تاريخ الاقتباس يوم: 2014/10/17، أما عبد الرحمن أيّوب من منظور د، حسن خميس الملق: "إن عبد الرحمن أيّوب نموذج للطرح الحادّ الذي أدى إلى تأجيل تقبّل الثقافة العربية للسانيات إلى الجيل اللاحق في السبعينيات من القرن العشرين، لأننا نعد فوز تمام حسان بجائزة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في الرباط البداية الحقيقية لتقبل عمول الثقافة العربية للسانيات، ولا سيما أن بحثه كان عن القرائن النحوية وأطراح العامل والإعرابين التقدير والمحلي، أي أن نقد نظرية العامل في النحو العربي على أسس لسانية أصبح رأياً علمياً يحظى باحترام وتقدير بعد أن كان رأياً ثورياً غير مرضي عنه عند عبد الرحمن أيّوب." انظر: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص: 314.



أحمد عبد الستار الجوّاري<sup>1</sup>:- نحو التيسير -دراسة ونقد منهجي -، نشره سنة (1962).

في البداية هذا عنوان الكتاب تضم فيه واو (نحو) أو تفتح (نحو) مقصودا بذلك أن يدل العنوان على المعنيين كليهما، ومرادا به ضرب من التنبيه على مكان الإعراب في اللسان العربي المبين، المفصح عن المعنى، المعين على الفهم الدقيق للتراكيب، "ذلك أن الوجه الأول وهو ضم (نحو) يجعل هذه اللفظة اسما يقع في موقع اسناد، وهو حينئذ اسم الكتاب به يعرف وبه يسمّى، وقد يما قالوا: الكتاب يعرف من عنوانه. كأنه يعني "هذا نحو التيسير". أما الوجه الثاني فإنه يجعل هذه اللفظة (نحو) ظرفا يراد به معنى القصد أو الاتجاه، فكأنه جزء من جملة أو تركيب معناه التوجه أو القصد نحو التيسير في هذا العلم الذي هو محتاج إلى التيسير بلا ريب."<sup>2</sup>

أما سبب تأليف هذا الكتاب عند مؤلفه وهو أنه رأى عزوف طلاب العربية عن مادة النحو ويرمهم بها على نمط الكتاب القديم، فلم يستطيعوا أن يتذوقوها بأفكارهم. وأن أذهانهم تقتحمها فلا تقبلها ولا تمازجها. وإنما يحفظون منها ما يحفظون على يقطعوا بها مرحلة من مراحل الدراسة ويقضوا بها حاجة من حاجاتها.<sup>3</sup> فهذا الشعور النبيل بالمسؤولية تجاه تدريس النحو كان عن جلّ جيل المتون، لأنهم أدركوا أن النحو عند العرب قديما كان من المروءة، وبما أنّ الجوّاري من العراق وهي مهد اللغة والنحو، بقي راسب الوصاية على حبّ نحو العربية والتمكين له سارٍ في هذا البلد العتيق.

<sup>1</sup> (1924-1988) من أشهر نخاة العراق الذين جهدوا في خدمة العربية وعلومها وخاصة النحو الذي قدّم فيه سلسلة من التأليف.

<sup>2</sup> نحو التيسير -دراسة ونقد منهجي -:د، أحمد عبد الستار الجوّاري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ط2، 1984، ص:3.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص:6.

يقول د، الجواري: "وقد بدا لي من أول الأمر أنهم على حق، لأنهم يرفضوا حقائق أو نظريات أو أحكاماً لا يقتنعون بها، ولا يستطيعون أن يجروها في أفكارهم حتى يألفوا أساليب الاستنتاج والاستنباط فيها، وأنهم يحفظون أحكاماً وعللاً لتلك الأحكام لا تصدقها عقولهم ولا تنسجم معها طرائقهم في البحث والتفكير. ووجدت أن أول ما ينبغي أن يتوافر للدارس قناعته بالحقائق التي تقدم إليه وتصديقه للأسلوب الذي يتبع في الوصول إليه، وبدأ العمل من هذه النقطة."<sup>1</sup>

ولقد بدأ د، أحمد عبد الستار الجواري من النقطة التي عزم عليها وهي يجب أن يقتنع المتعلم بالنحو الذي يقدم إليه بأسلوب منطقي معقول، ولهذا جاء مفهومه للتيسير أن "يكون بالتخفيف من قواعد الإعراب، وبالعمل على دمج تلك القواعد الإعرابية بقواعد نظم الكلام وتركيبه ... فإذا عرف الدارس أن الاسم في موضع الاسناد، كفاه ذلك في معرفة موقعه من التركيب، ومكانه من المعنى، وحالة الإعراب التي يستحقها في وقت واحد. ومَرَدُّ ذلك كله إلى الطريقة التي تتبع وإلى الأسلوب الذي تعرض به المادة ويجلّي به الموضوع."<sup>2</sup>

وهذه العبارة الأخيرة مهمة جدا جدا، لأنه ليس كلّ عالم فيه صفات المعلم المتفنن، "فكم من عالم عالم يعجز أن ينقل إلى عقل طالب العلم، أقلّ مسائل العلم شأنًا، ومعلم علمه متواضع متواضع، يسحر الطالب بحسن تأتبه، فإذا المعرفة والبسمة وبهجة التلقّي مزيج، كما يترشّف عذب الماء. فإذا عجز المعلم عن إيصال العلم إلى عقل الطالب، وقعت الواقعة. فأما المعلم فيظنّ بالطالب الغباء. وأما الطالب

<sup>1</sup> نحو التيسير-دراسة ونقد منهجي-، ص:6.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:137.

فإما أن يصدّق رأي أستاذه فيه، وإما أن يكون قوي النفس، فيؤمن أنّ ما يلقيه أستاذه، شيء لا يفهم أصلاً. ولا بدّ من الإحباط في الأولى، وكره المادة ومعلمها في الثانية. (وإنّه) بين المعلم وعقل الطالب، ما بين الطائر والصياد: فغافل بريء يلهو، وجادّ صارم يتحيّن، وبين الإخفاق والنجاح نأمة، لطار الطائر، وأحرق الصياد الأرم. ويعرف (الصيادون !!) أن رجوع الطائر بعد فراره إلى موضعه من الغصن، وإصابة الصائد له، يدخل في حيّز المعجزات. ولذلك يوصون بـ(تحضير) سهامهم !!<sup>1</sup> فحسن التأني والكيس والترؤي والعقل فريضة منهجية على معلّم النحو، "وَلَيْتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا." (الكهف:19).

فإذا عرف الدارس أن الاسم في موضع الاسناد، كفاه ذلك في معرفة موقعه من التركيب، ومكانه من المعنى، وحالة الإعراب التي يستحقّها في وقت واحد، ثم يشير إلى "الحواري" إلى أهمية "العلاقة المعنوية التي تقوم بين أجزاء الكلام، فيعرف لكل جزء من تلك الأجزاء موقعه من المعنى وعلاقته بسائر الأجزاء الأخرى. وذلك يقتضي فهم الكلام وإدراك معناه قبل التعرّض لتحليله ... ولعل أهم ما ينبغي الالتفات إليه هو فقه العربية فقها يقوم على الذوق والفهم معاً، وإدراك وظيفه قواعد اللغة إدراكاً لا يخرج بها عن الغاية إلى الوسيلة."<sup>2</sup> فهذا هو جوهر النحو وهدفه الذي يبحث في معاني الأبنية والصيغ وعلاقات التراكيب وأغراض الأساليب، الذي ينبغي أن يستكثر منه طلاب العربية، لأنه يساهم في إيقاظ الذوق الذي عليه مدار التعلّم والتعليم ولبّئهمَا.

<sup>1</sup> الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)، ص:46.

<sup>2</sup> نحو التيسير-دراسة ونقد منهجي-، ص:139.

من الانتقادات التي وجهها لنظرية النحو العربي، قول النحاة بأنّ الرفع علم الفاعلية، بحيث يرى د، "الجواري" أنّ هذا القول تنقصه الدقة، لا " بل هو لا يصدّق على حقيقة الرفع كلّها، إذ إن من الأسماء ما يرفع دون أن يكون فيه معنى الفاعلية مهما توسعنا فيه، ومهما تسامحنا في تفسيره وتأويله. ذلك أن خبر المبتدأ مثلاً، وخبر إنّ لا يمكن أن يدخل في باب معنى الفاعلية بحال من الأحوال، فليس قائم في قولنا "زيد قائم"، و"إن زيدا قائم"، من الفاعلية في شيء. يضاف إلى ذلك أن معنى الفاعلية على وجه الدقة، قد لا يكون واضحاً حتى في الأسماء المرفوعة المسندة إليها الأفعال. كما هو الحال في أفعال السجايا وما هو بسبب منها كقولنا شرف مقام محمد. كما أنه غير مفهوم بالطبع في المبتدأ المتصرف بالخبر كقولنا محمد نبيل.<sup>1</sup>

فمعنى الفاعلية عنده، "لا يكون على حقيقته إلا في الأسماء التي تسند إليها أفعال دالة على أحداث مادية في الغالب، مثل خرج زيد وكتب محمد وقام خالد. فالاسم هنا هو فاعل للخروج وهو فاعل الكتابة وفاعل القيام. أما قولنا فرح عليّ، كرم أصله، نبه شأنه، فليس هذا من معنى الفاعلية في شيء وإنما هو اتصاف الاسم المرفوع بالفعل لا غير.<sup>2</sup> غير أنه يرى أنّ الصواب قد حالف ما ذهب إليه ابراهيم مصطفى حينما رأى أن الضمة علم الإسناد، ولكنه أغفل العلامات الفرعية كالواو والألف، ولولا أنه قال الرفع للإسناد لكان ذلك أولى وأقرب إلى الحقيقة.

<sup>1</sup> نحو التيسير-دراسة ونقد منهجي-، ص:73، 74.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص:74.

أما موقفه من العامل، فيراه أنه "السبب الأول الذي خرج بالإعراب عن حقيقة معناه، وعن

واقع وظيفته في النحو، وهو الذي خلق فيه أبواباً لا لزوم لها، ولا فائدة فيها، وعقد قواعد الإعراب

تعقيداً لا مزيد عليه.<sup>1</sup> فمعنى هذا أنه لا ينكر العامل كنظرية، بل ينكره في طرائق استعماله التي أساءت

لتعلم قواعد النحو، فهي مثار شكوى المعلمين والمتعلمين على حد سواء، ولا سبيل لتيسير النحو وتقريبه

من الأفهام وربطه بالمعاني والأفكار إلا بالتخفيف من سلطان هذه النظرية التي جمحت بالنحو عن

الطالب الناشئ الذي يريد بلغة وكفاية من علم النحو.

أما موقفه من التعليل، فيرى أن رفضه جملة وتفصيلاً لا يخدم المتعلم، فالدارس كما يرى "كثيراً ما

يصرف ذهنه إلى تعليل الظواهر التي يجدها قائمة بين يديه، ويتساءل (كذلك) عن الأسباب التي

سببتها، والعوامل التي عملت على وجودها"<sup>2</sup> والتعليل هو لبّ فلسفة النحو وأصوله فلا يمكن أن يرفض

لأنه يبحث في أسرار النحو وحكمة العرب في كلامها، ومن أشهر من النحاة الذي خصصوا لهذا الأمر

تأليفاً كاملاً أبو البقاء العكبري (ت: 616هـ) صاحب "اللباب في علل البناء والإعراب" بل هناك من هو

أسبق منه بقرون لم يرفض التعليل وهو الخليل بن أحمد (ت: 175هـ.)، بحيث أن الخليل بن أحمد، حين

سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقبل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: "إن

العرب نطقت على سجيته وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك

عنها، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمسست، وإن تكن

<sup>1</sup> نحو التيسير، ص: 46.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 45.

هناك علة أخرى له، فمثلي في ذلك رجل حكيم، دخل دارا محكمة البناء (...) فكلما وقف هذا الرجل

في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له

وخطرت بباله، محتملة لذلك. فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار، فعل ذلك للعلة، التي ذكرها هذا

الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أنّ ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون

علة لذلك. فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو، هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها.<sup>1</sup>

ومهما يكن، فقد استضاء د، الجوّاري بكثير من فهوم أستاذه مصطفى إبراهيم في "نحو التيسير"

ووافقه في بعضها كموقفه من سلطان نظرية العامل، ومن القضايا التي لم يوافقها فيها كإعراب خبر كان

حال، وأن التنوين علم التنكير، وأنّ إسم إن منصوب على التوهم... الخ، والحكم على هذه الدراسة هو

أنها تبقى "محاولة جادة في الدعوة إلى إعادة دراسة النحو العربي، على الرغم من كونها لا ترقى إلى

مستوى العمل المتكامل، كما أنها لم تتجاوز الإطار النظري إلى مجال التطبيق."<sup>2</sup>

وإذا أردنا إنصاف الرجل، فإنه يصعب تحديد موقفه من النحو وفكره من خلال كتاب "نحو

التيسير"، فحسب الذي نشره سنة 1962، في صفحات معدودات، وهو صاحب سلسلة "نحو الفعل"،

الذي نشره سنة 1974، و"نحو القرآن"، الذي نشره سنة 1974، و"نحو المعاني"، الذي نشره سنة

1987... الخ، وهي كتب في صلب قضايا النحو ومسائله ومتعلقاته.

<sup>1</sup> الإيضاح في علل النحو: لأبي القاسم للزجاجي، تحق: د، مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1989، ص:66. لست أدي

كيف أصف الخليل بن أحمد الفراهيديّ في هذا النصّ اللسانيّ الراقى؟ -فرحة الله على روحه الزاكية الماحدة- بفعفو خاطر والذهن

الحاضر يجيب على أعتى سؤال طرحته اللسانيات الإدراكية، وهو: كيف يعمل الدماغ البشري باللغة إدراكا وتوليدا؟، فيقول: "إن

العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها." انتهى الإشكال.

<sup>2</sup> مآخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها النظرية والتطبيقية، ص:291.

فأما كتاب "نحو الفعل"<sup>1</sup> فقد مس فيه جانباً مهماً في دراسة الفعل الذي لم يحظى عند النحاة القدماء بدراسة جامعة، ولقد درس فيه موقعية الفعل في التركيب وكيف يتميز به، وعلاقته بأجزاء التركيب وأثره فيها وتأثره بها، لأن دراسة الجملة كما يرى أجدى وأنفع وأضمن للفائدة فقد عكف في كتابه هذا على دراسة الجملة لأن فهم مفردات الجملة ومعرفة أحوال تلك المفردات ينبغي أن تأتي من خلال الإدراك الكلي لتركيب الجملة وهذا يعني دراسة ركني الجملة المسند إليه والمسند من حيث علاقة كل منهما بالآخر، ثم من حيث أثر كل منهما في صاحبه<sup>2</sup>.

أما "نحو القرآن"، وقد أشرنا إليه في الفصل الأول، فقد رأى فيه المفتاح الذي تنفتح به كثير من مغاليق النحو، فتراكيبه وأساليبه هي الأصل الذي يستأهل أن تقوم عليه دراسة التراكيب العربية والأساليب العربية. والقرآن بما اشتمل عليه من معالجات أدبية متنوعة متعددة، أسس للأساليب والتراكيب التي استطاعت، بعد أن قامت أركان الحضارة، أن تستوعب أفكارها ومعانيها، وأن تكون تلك الأساليب والتراكيب أداة للتعبير الأدبي البليغ المؤثر.

<sup>1</sup> حينما صدر كتاب "نحو الفعل" للدكتور الجوارى، اعترض المخزومي على عنوان هذا الكتاب، ورجح (المخزومي) أن يسمى بـ: (مبحث الفعل) وذلك لعدم صحة دراسة الفعل بمعزل عن فروع الدراسة النحوية الأخرى، ولأنه كتاب يبحث في أغلب فصوله عن جمود الفعل وتصرفه، وفي صيغة الفعل ودلالته على معناه، وبنائه للمجهول، وغير ذلك من المباحث التي تختص بالفعل دونما سواء، بينما د، محمد حسين الصغير يرى أن تسمية الجوارى لكتابه بـ: "نحو الفعل" صحيحة لا ضير عليها من وجوه، لأن الجوارى بحث في الفعل من خلال الجملة، والبحث في الجملة هو النحو بعينه، ثم إن الاتجاه (نحو الفعل) وقصد السبيل إليه (بفتحة على واو نحو) تغني عن الدفاع لإثبات صحة التسمية. انظر مقال: مهدي المخزومي في أنظار الدارسين: د، رياض السواد،  
<sup>2</sup> انظر: نحو الفعل: د، عبد الستار الجوارى، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، تاريخ النشر 2006، ص: مقدمة المؤلف.

ويرى أن القرآن في صورته الطليقة الحرّة من كل قيد، هو الذي خرج بالأساليب العربية من حدودها، وهو الذي أطلقها لتصبح أداة تعبير فنية عن الحياة والحضارة . وأن فيه من أساليب تعبير إبداعية، حيث هناك مواطن منه تحفل بشواهد على مسائل نحوية بعينها كأنها تعتمد إلى تعليم تلك المسائل أو الأساليب، مثال ذلك كثرة استعمال الوصف مكان المصدر في سورة الحاقة . ويوضح الجوّاري أنه في قصص القرآن، كما في سورة يوسف، أساليب رائعة للحوار، مما يؤكد أن عزل معاني النحو عن النحو يشكل إساءة بالغة للغة، وتجريد للنحو من روحه.<sup>1</sup>

أما "نحو المعاني" فقد رأى فيه أن استئثار البلاغة بعلم المعاني أضّر بعلم النحو كثيراً، كما بيّن فيه أهمية علم النحو ومعانيه من علوم العربية ورأى أنه أصل لا غنى عنه، كما تناول النظم وتركيب الكلام وتأليف الجملة وصلة ذلك بقواعد النحو ومعانيه، وتناول معاني الإعراب وحقيقة الإعراب، ورأى أنه أحد وجهي المعنى النحوي... الخ

وهي كتب نحوية ولغوية، ينعو فيها إلى دراسة النحو بربطه بللمعنى لفهم طبيعة اللغة واختراق كثافتها للوصول إلى تلاها الزمردية للعبّ من تجلياتها العجائبية ، ولا يكون هذا إلا بالعودة إلى دراسة النحو في نصوص الوحيين اللذان سيمنحان علم النحو عبقريةً على الكشف والمشاهدة للمدلولات اللغوية، والمقاصد البلاغية، والبواطن اللاشعورية والمرامي الفكرية.

<sup>1</sup> نحو القرآن، د، أحمد عبد الستار الجوّاري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط1، العراق، ص:6 وما بعدها.



عبد الصبور شاهين<sup>1</sup> في كتابه "المنهج الصوتي للبنية العربية"، نشره سنة (1980).

يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب وأشهرها على الإطلاق التي حاولت التجديد في علم

الصرف، والعنوان الفرعيّ له يُلخّص محتواه -رؤية جديدة في الصرف العربي - لأنّ صاحبه اعتقد أنّ النحو

والصرف لم ينضجا ولم يحترقا، عكس ما كان يظنّ بعض العلماء، بل ما زالوا يطلبان المزيد من البحث

والدرس، لتجديد شباهما، وتصحيح مفاهيمهما. ويرى كذلك أنه "لم تقدم المحاولات التي بذلت في

هذا الاتجاه حتى الآن سوى بضعة أمثلة. أبضع مصطلحات، أو تعديلات لطائفة أو أكثر من

المسائل النحوية، أو كتبا على ورق صقيل. أما المنهج العام، الذي يبدأ من أبسط أحوال المادة

اللغوية، ليصل إلى أعقد تراكيبها (..) إن وجد، فذلك شيء لم يظهر بعد."<sup>2</sup>

أما المنطلقات التي فرضت عليه التجديد أنه يرى أنّ الفصحى المعاصرة غير الفصحى التي قعد

لها النحاة القدامى، فلا مناص من الربط بين النحو والصرف وبين اللغة الجديدة، وأن في الأجيال

وهن الإيمان بالتراث، وميل إلى التملّص من قيوده. وثاني ما يفرض التجديد هو الحاجة إلى وضع

منهج متكامل للدرس اللغوي، ابتداء من الأصوات، إلى الصيغ، إلى التراكيب، ومرورا بكل مستويات

البحث، بدلا من الوضع الراهن، الذي يجعل من كل مادة مجالا قائما بذاته.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> (1929-2010) من كبار فقهاء اللغة في مصر، له العشرات من الكتب، من أكبرها حجما "مفصل آيات القرآن".

<sup>2</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية-رؤية جديدة في الصرف العربي-:د، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1980، ص:6، 7.

<sup>3</sup> انظر:المرجع نفسه، ص:8، 9.

أما المرجعية اللسانية لهذا الكتاب ف هناك مجموعة من الباحثين عرب وأجانب سبقوا د، عبد الصبور شاهين إلى التجديد في علم الصرف والصوت، منهم أنطوان ماييه<sup>1</sup> صاحب رسالة "منهج البحث في اللغة"، التي ترجمها محمد مندور سنة (1946)، وجان كانتينو صاحب "دروس في علم أصوات العربية"، ترجمه: صالح القرمادي، نشره سنة 1966، والطيب البكوش صاحب "التصريف العربي في ضوء علم اللغة الحديث"، تونس 1967.

وإن كان لم يضع في آخر كتابه قائمة للمراجع المعتمدة، فإن هذه المراجع لا أظنّ لم يطلع على بعضها وهي قد تكلمت في صلب موضوعه، والأمر الذي صرح به هو قوله: "لقد سبقني إلى بعض المخطوط في هذا المنهج العالم اللغوي الدكتور هنري فليش، وقد كنت ترجمت له كتابه (العربية الفصحى)<sup>2</sup>، كما أني بسبيل إنجاز ترجمة لكتابه الكبير: traité de phil. arabe وفي كلا الكتابين لمحة من استخدام المنهج الصوتي في تحليل الصيغ".<sup>3</sup> وما دام أنّ الرجل يحسن الفرنسية إحساناً أهله أن يترجم كلّ كتب "مالك بن نبي" التي تفت على خمسة عشر كتاباً، فإنه يكون قد اطلع على الأقلّ ما كتبه اللسانيون الفرنسيون في موضوعه.

<sup>1</sup> الذي يقول: "إن معظم الاختلافات في النطق، التي تتميز بها اللهجات المختلفة، والطبقات الاجتماعية المتباينة لا تظهر في الكتابة... والكتابة لا تملك ما يملكه المتكلمون من مناسبة، وحركات، ونغمة في الصوت، توضح الكلام الملفوظ... ونحن نكون فكرة خاطئة عن لغة ملفوظة عندما نحكم عليها بصيغتنا المكتوبة فقط... فاللغة المكتوبة كثيراً ما تكون لغة خاصة لا علاقة لها باللغة المنطوقة... الخ." نقلاً عن: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 10.

<sup>2</sup> تاريخ أو نشر له سنة 1966، بعنوان: "العربية الفصحى: نحو بناء لغوي جديد"، وصاحبه المستشرق هنري فليش الذي استقى مادته من أمهات كتب اللغة والنحو والأدب، وبمنهجه الوصفي القائم على الإحصاء، إضافة إلى المنهج التاريخي والمنهج المقارن.

<sup>3</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 16.

غير أن حماس الرجل إلى التطلع والتجديد والاستشراق حجب عليه كثيرا من التبصر بما قدمه القدماء في الصوتيات وخاصة سيويه، ومن أقواله الحماسية التي طاول فيها النحاة العرب القدماء، عندما قال: "ما أشبه القدم في هذا المضمار بمارد عملاق يقف على ساقين من حطب، ويوشك أن يتهاوى من أول لمسة. ولذلك وضع أرباب القدم أصابعهم في آذانهم، وأغمضوا أعينهم عن كل جديد. وهكذا تهدر وظيفة البحث العلمي الجامعي بين قصور المجددين، وتصوّر المتمسكين." <sup>1</sup> وقال أيضا: "ماذا ستقول الأجيال القادمة عنا، حين تجدنا مقلدين للسلف، حتى في الخطأ؟ بل حين تجدنا قد اعتنقنا هذا الخطأ مذهبا ندود عنه؟! <sup>2</sup> ولكنه في آخر كتابه كان كريما، وفتح قوس في خاتمه فقال: "وأخيرا فهذه رحلتنا في عالم منهجنا الصرفي الجديد الذي أرجو أن يتقبله الدارسون قبولا حسنا، وأن يمدوني، من استطاع منهم، بما قد يلحظونه من خلل أو هنة، هنا وهناك." <sup>3</sup>

فكان أن تعرّض له أحد الباحثين وهو سعد عبد العزيز مصلوح أحد أكبر القامات العلمية المتخصصة في اللسانيات العربية الحديثة، فنلقشه في مقال مطوّل له، نقاش النظر للنظير، فعندما قال، د، عبد الصبور "أن النظام القديم محشو بالأخطاء، وأن محاولة الدفاع عنه ليست إلا من قبيل الإبقاء على جثة مَحْنَطَة، مآلها التحلل. ولسنا -معشر اللغويين- هواة متحفيات، بل همّنا هو اللغة الحية الفصحى، من حيث هي استمرار ونظام." <sup>4</sup>

<sup>1</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 7.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 21.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 213.

<sup>4</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 21.

فإن د، سعد مصلوح يرى أنه لا حقّ له في هذا الرأي، يقول: "فالقدم والحداثة في المنهج شيء،

ومادة اللغة الحية الفصحى شيء آخر. وقد تعالج مراحل متقدمة من اللغة بمنهج حديث، وقد تعالج

مراحل متأخرة من أطوارها بمنهج قديم. ثم إن المؤلف أرادها كلمات ساخرة حين وصفنا، معشر

اللغويين، بأننا لسنا هواة المتحفيات. فهل تكون مفاجأة له إذا ذكرناه بأن بعض اللغويين يجدون متعة

عقلية وعلمية كبيرة في ممارسة هذه الهواية المتحفية، وإلا أيكون على المشتغلين باللسانيات المقارنة

واللسانيات التاريخية أن يلقوا ببحوثهم في سلال المهملات حتى لا تكون سبة يعيرون بها؟!<sup>1</sup>

بل قبل أن يناقشه في جدلية القدم والقدم والحداثة والأصالة والجدّة، ناقشه في عنوان الكتاب

"المنهج الصوتي للبنية العربية"، بحيث يرى د، مصلوح أن هذا العنوان وحده يثير أكثر من إشكال، فهل

ما يتضمنه الكتاب هو "المنهج" أم أنه مجرد "منهج"؟ إن تصدير الكلمة بأداة التعريف فيه جزم من

المؤلف بأنه المنهج الذي لا منهج غيره، أو الذي لا خلاف عليه، وذلك غير صحيح بلا ريب، وليس

في قدرة إنسان أن يدّعيه، وإلا انتفت الدواعي لمطالبة القراء بإبداء ما لديهم من نقد بناءً يقوم ما توقعه

المؤلف من مواطن الخلل، ويسهم بالإضافة أو التعديل في علاجها. هذه واحدة؛<sup>2</sup>

<sup>1</sup> في اللسانيات العربية المعاصرة، ص: 99.

<sup>2</sup> = وأخرى، أهو منهج للبنية العربية أم لدراسة البنية العربية؟ والفرق بين الأمرين كبير، وانتفاء التمييز بينهما هو خلط ظاهر بين المادة والتعديد، وعنوان الكتاب على ذلك أبلغ دليل، وإن كان هذا الخلط يتجاوز العنوان إلى تضاعيف الكتاب وتفصيلاته، حيث تداخلت الحدود بين المادة اللغوية من جهة، وضبطها وتفسيرها من جهة أخرى. وبدهي أن المادة اللغوية ظاهرة من ظواهر الاجتماع البشري، أما تعييدها والتماسها الضبط لنظمتها فهو الأمر الذي يتطلب منهجا، والمنهج هو رؤية علمية يطرحها الباحث لتحقيق باستخدامها الغاية من الضبط والتعديد والتفسير. ومن ثم تصبح عنوان الكتاب: بالمنهج الصوتي للبنية العربية" أمرا فيه نظر؛ إذ البنية في ذاتها لا منهج لها، وإنما المنهج أداة ووسيلة للدارس يستعين بها على التنظيم والتعديد والتبويب. " في اللسانيات العربية المعاصرة: د، سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004، ص: 96، 97.

أما كيف تكون هذا المنهج الصوتي لديه؟ فإنه لم يأتي دفعة واحدة بل بعد مراحل من التعايش معه، يقول: "لقد عشت جانبا منه في رسالتي للدكتوراه، وخرجت فيها بنظرية الهمز في العربية، ثم عشت جانبا آخر حين اضطلعت بتدريس مادة الصرف أربع سنوات في قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، وكنت كلما عاجلت مسألة صرفية وجدت لها تصورا آخر أقرب إلى العلم، وأكثر قبولا في ذهن الطالب، فأكد ذلك في نفسي ضرورة إعادة النظر في هذا العلم (..)

لقد أسفر المنهج الذي أقدمه اليوم إلى قراء العربية عن نتائج كثيرة، تتغير بها مفاهيم كثيرة، وتتصادم مع أفكار مقررة من قبل، ولذلك آثرت دائما أن أعرض الفكرة القديمة أولا، ثم أثني بنقدها، وتقديم البديل عنها، ومتابعة تطبيقها في معارضتها.<sup>1</sup>

وهنا يتساءل د، سعد مصلوح إذا كان الأمر أمر تلقين الصرف والنحو للناشئة، وكان الغرض من اقتراح هذا المنهج الصوتي غرضا تعليميا، فأيهما أيسر على الناشئة فهما، وأقرب إلى أذهانهم قبولاً: أن يقال في إعلال "قال" و"باع" وما جرى مجراهما تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، على طريقة القدماء؟ أم قول المؤلف: "سقط الإزدواج نتيجة الصعوبة المقطعية فطال المقطع قبلها على سبيل التعويض"؟ لا ريب عند د، سعد مصلوح أن المنهج التقليدي - إذا كان التيسير على الناشئة والأجيال القادمة هو المراد - لا يزال أصلح لهذا الغرض من المنهج المقترح.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 16.

<sup>2</sup> في اللسانيات العربية المعاصرة، ص: 119، 120.

والدكتور سعد عبد العزيز مصلوح ليس وحده في هذا التوجّه الذي ينحو فيه منحى القديم

ويعتَب فيه على تغييرات هذا الجديد، بل إن د، عبد الصبور شاهين يشاركه في الشعور بهذا المأزق

المنهجي بين رواسب القاعدة التقليدية وتطلّعات المنهج الصرّيّ الجديد.

وفي هذا يقول: "ومن المؤكّد أن جانباً من صعوبة المنهج الجديد يرجع إلى ما ترسّب في

الأذهان من قواعد قديمة لا يراد لها أن تتزحزح، وقد يرجع تاريخها في ذهن المثقف إلى عهد الطفولة

الأولى!! وإنها لمهمة عسيرة أن تقنع الكثيرين من دارسي العربية ومدرسيها بالفرق بين الحركة القصيرة

والطويلة، بما يترتب على ذلك من فصل بين مفهوم رمزي (و-ى)، كحرفي علة، أو كحركات طويلة، كلّ

في سياقه. وهي مهمة أعسر أن تقنع هؤلاء الكثيرين بأن الصوت الصامت (الساكن) يتحرك حيناً بحركة

قصيرة، ترسم برموز إضافية، فوقه أو تحته، ويتحرك حيناً آخر بحركة طويلة تأخذ صورة (الألف والواء

والياء)!!"<sup>1</sup>

أرادا د، عبد الصبور بهذا المؤلّف أن يكون بديلاً منهجياً في علم الصرف ينسي طلاب العربية

منهج القدماء، وهذا الكتاب بكل صراحة محاولة علمية عصرية بقرّ فيها منهجاً جديداً لعلم الصرف،

أيقظت حسّ النقد اللساني عند أكبر متعاطيه كالـدكتور سعد عبد العزيز مصلوح.

<sup>1</sup> المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 16، 17.

أما موقفي من هذا الكتاب، فلقد ذكرت حسنته، ولكنني لا آمن على علم الصرف من زحير

هذه المناهج اللسانية التي تبدأ بالتجريد قبل التجديد، وهذا لا يعني أنني أرفض التجديد كمنهج، بل

أرفضه لأن المقارب له لم يستكمل أدواته بعد، ومادام أنه علمٌ قسيم علم النحو في أغلب ظواهره،

فإنّي أقول كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه عندما أرادوا أخذ "بنيامين" أخوا يوسف ليزدادوا كيل بعير،

"هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ" (يوسف:64).<sup>1</sup>

ولنا كفاية في هذا العلم في حالة ما إذا أُسيء استخدام هذه المناهج، فلنا "شذا العرف في فنّ

الصرف": لأحمد الحملاوي، و"الكفاف" وما أدراك ما "الكفاف" ليوسف الصيداوي، و"دروس

التصريف": لمحمد محي الدين عبد الحميد، و"التطبيق الصرفي": للراجحي من أيسر الكتب الصرفية،

و"الخلاصة الصرفية": لإبراهيم حسين، وهو اسم على مسمى، و"معاني الأبنية": لفاضل صالح

السامرائي، من أمتع الكتب التي بحثت في أسرار علم الصرف.. الخ.

ثم إن لا ينبغي أن نقارب دائما بين النحو العربي والنحو الأجنبي الذي أغلبه خالي من الإعراب،

فالنحو العربي هو علم ازدوج فيه العقل والنقل وساهمت في فتوحاته عوامل سماوية من أبرزها القرآن

الكريم، والنحويُّ العربيُّ قديما كان يخضع للأعراب، أما النحو الأجنبي فالعكس فالمتكلم عندهم هو

الذي يخضع للنحويِّ الأجنبيُّ فهو نحو متغيّر ليس له مستوى ثبوتي.

<sup>1</sup> ولكنه أرسله معهم بعد موثيق وعهود، فكذلك هاهنا لا يمكن أن يجدد علم الصرف ولنا تجارب كثيرة في تجديد علم النحو وأغلبها لم ينجح إذا لم أقل كلها، ماذا فعلت تجربة مصطفى إبراهيم في إحيائه التي أحدثت زلزلا لغويا، وأين ثمارها!!!!؟

حماسة عبد اللطيف<sup>1</sup>، في: "العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث"<sup>2</sup>، نشره سنة (1984).

إن قضية الإعراب أو العلامة الإعرابية قضية قسيمة نظرية العامل شغلت النحاة في القديم

والحديث، فإذا كان ابن مضاء (ت:592هـ) أو من ثار على نظرية العامل في القديم فإن محمد بن المستنير قطرب (ت:206هـ) أول من أنكر الإعراب<sup>3</sup> في دلالاته على المعاني.

ومن الباحثين المحدثين الذين تناولوا قضية "العلامة الإعرابية"، د، حماسة عبد اللطيف أول ما

ناقش في هذا الكتاب، مفهوم النحاة القدماء للجملة، إيماناً بأن كل دراسة نحوية ينبغي أن تبدأ من

الجملة بوصفها أصغر وحدة من وحدات الكلام، ولأن الجملة هي المجال الذي يبين فيه دور العلامة

الإعرابية، وقد ارتضى بعض ما ذهبوا إليه، وأعاد النظر في بعضه الآخر.<sup>4</sup> وقد كان طموحه اللغوي في

هذا الكتاب هو تجديد الفهم لنحو العربية، وله ذلك ما دام أنّ شيوخ العربية أجازوا هذا.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> محمد حماسة عبد اللطيف (1941-؟) من أشهر تلامذة تمام حسان، له من تأليفه النحوية: النحو والدلالة، نشره سنة 1983، وفي بناء الجملة العربية، نشره سنة 1982، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، نشره سنة 1990، واللغة وبناء الشعر، نشره 1992، والبناء العروضي للقصيد العربية، نشره سنة 2000... الخ

<sup>2</sup> هذا الكتاب هو في الأصل رسالة دكتوراه ناقشها حماسة سنة 1976، وقد كان عنوانها: "قرينة العلامة الإعرابية في الجملة بين النحاة القدماء والدارسين المحدثين"، وبعد أن عدّل فيها أخرجها كتاباً بعنوان: "العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث".

<sup>3</sup> ولقد بيّن موقفه من الإعراب في ثلاثة أسطر، بحيث قال: "إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا ييطفون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقباً للإسكان، ليعتدل الكلام. ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة..". انظر: الإيضاح في علل النحو، ص: 70، 71.

<sup>4</sup> العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص: 395.

<sup>5</sup> منهم ابن جني الذي يقول: "فكل من فرق له عن علة صحيحة وطريق نحة كان خليل نفسه، وأبا عمرو فكره". الخصائص، ص: 191.



لقد سعى د، حماسة في جمع مادة كتابه من الفكر اللغوي القديم والنظر اللساني الحديث ثم استصفى منها أسسا لتقسيم جديد للجملة العربية. وقبل أن يشرع في تقسيم الجملة العربية، فرض عليه منهج البحث أن يرتضي تقسيم "تمام حسان" للكلم لوضوح الأسس التي استند عليها.<sup>1</sup> وهو تقسيم سباعي للكلمة العربية: الاسم، والصفة، والفعل، والضمير، والخوائف<sup>2</sup>، والظروف، والأداة. لأن النحاة رحمهم الله تعالى، لما قسّموا الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، الزموا أن يقسموا الجملة إلى اسمية وفعلية، وأما الحرف فلا تنسب إليه جملة لأنه يقوم بالربط في الجملة.

إذن؛ ففائدة التقسيم الجديد للكلم تظهر في تقسيم الجملة، إذ إن سلوك كل منها في الجملة مختلف عن الآخر، والنظر إليها مجزأة سوف يغنيها عن كثير من التأويل والالتواء رغبة في إظهار الاطراد.<sup>3</sup> ولا حرج في ارتجال د، حماسة تقسيم تمام حسان الذي رأى فيه قياسيًّا لا تسيء لحرم العربية، وقد ظهر أن التقسيم الثلاثي القديم للكلم يتفق مع التقسيم الثنائي للجملة، والتقسيم السباعي الحديث للكلم يناسب التقسيم الثلاثي للجملة، وذلك لأن النحو العربي كما يرى حسن خميس الملخ: "متساق في خطين: خط الثبات، ويمثله الوصف، وخط التغيّر، ويمثله التعليل."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، ص:77.

<sup>2</sup> يرى تمام حسان أن الخوائف كلمات تستعمل في أساليب إفصاحية، أي: في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه، فهي من حيث استعمالها قريبة الشبه بما يسمونه في اللغة الإنجليزية Exclamation وهذه الكلمات ذات أربعة أنواع: تشمل خالفة الإحالة (اسم الفعل)، وخالفة الصوت (أسماء الأصوات) وخالفة التعجب (صيغتنا التعجب) وخالفة المدح أو الذم ويسميتها النحاة: "فعلي المدح والذم". انظر: اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط5، 2006، ص:96، وما بعدها.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 77، 78.

<sup>4</sup> نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين: د حسن خميس سعيد الملخ، دار الشروق، عمان، ط1، 2000، ص:99.

لقد قسّم د، حماسة الجملة إلى ثلاث مجموعات، هي: **الجملة التامة**، وتحتها فروع: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والجملة الوصفية، والمجموعة الثانية هي **الجملة الموجزة**، وتحتها فروع، الجملة الاسمية الموجزة، والجملة الفعلية الموجزة، والجملة الجوابية الموجزة، والمجموعة الثالثة هي **الجملة غير الإسنادية** وتحتها فروع: جملة الخالفة، والجملة التعجبية، وجملة المدح والذم، وجملة خالفة الصوت، والجملة الندائية، والجملة القسمية، والجملة القسمية، والجملة التحذيرية والإغرائية.<sup>1</sup> أما فائدة هذا التقسيم فإنه "يعني الدارسين من تكلف الأسباب لحشد نماذج طائفة مختلفة الخصائص والسمات تحت طائفة أخرى، وما يقتضيه ذلك من عنق لا حاجة باللغة ودارسيها إلى كثير منه."<sup>2</sup>

أما موقفه من العلامة الإعرابية فرأى أنها لا تستطيع أن تفسر لنا كل ما حمل عليها، ولقد ألبسها النحاة ثوبا فضفاضاً، وإلا فما دور العلامة الإعرابية فيما في المبنيات وهي الضمائر وأسماء الإشارة والموصولة وأسماء الشرط والاستفهام (باستثناء أيّ) وهذه كلها تبنى بناء لازماً، وهناك مبنيات بناؤها عارض، كالمنادى المفرد المعين واسم لا النافية للجنس... الخ. فهل العلامة الإعرابية وحدها قادرة على التمييز بين هذه المعاني، أو أن تمييز المعاني آت من قرائن أخرى غير العلامة الإعرابية؟<sup>3</sup>

<sup>1</sup> العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص: 395، 396.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 396.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 227-230.

ف:د، "حماسة" لا ينكر الإعراب، إلا أنه غير كاف عنده في تفسير أسرار الجملة العربية،

يقول: "فنحن إذن نقر مع النحاة بأن العلامة الإعرابية تكشف عن المعنى النحوي ولكن في حدود كونها

قرينة واحدة تعمل مع قرائن أخرى من أجل قرائن أخرى من أجل غاية كبرى هي كشف اللبس عن المعنى،

فإذا ما تحققت هذه الغاية فإن النظام النحوي يترخص في استخدام قرينة الإعراب.<sup>1</sup>

ومن القضايا التي لفتت انتباهي تحقيقه في قضية موقف الخليل في إنكاره دلالة العلامات الإعرابية

التي تبناها بعض المحدثين<sup>2</sup>، الذين انطلقوا من نص لسيبويه في "الكتاب"، في "باب حروف البدل".

يقول سيبويه: "وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به.

والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه. فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكل

واحدة شيءٌ مما ذكرت لك."<sup>3</sup>

والنتيجة التي توصل إليها د، حماسة بعد التمحيص أن الخليل بن أحمد براءٌ من هذه التهمة العلمية التي

لصقت به، وأنه يجري في نظره للإعراب وعلاماته على رأي جمهور النحاة، ونسبة القول بإنكار الإعراب إليه

تهمة ظالمة جرّها عليه تسرع بعض الباحثين في الحكم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص:279.

<sup>2</sup> كإبراهيم أنيس في كتابه: "أسرار اللغة"، نشره سنة 1951، وإبراهيم السامرائي في: "دراسات في اللغة"، نشره سنة 1961، وعبد

الرحمن السيّد في: "مدرسة البصرة النحوية"، نشره سنة 1968، ومحمد الأنطاكي في: "الوجيز في فقه اللغة"، نشره سنة 1979.

<sup>3</sup> الكتاب، ج4، ص:242.

<sup>4</sup> انظر: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص:360.

ومادام أن الجملة نسيج محكم متشابك، وهي تمثل خلية حية من جسم "اللغة"، فالعلامة الإعرابية وهي قرينة لفظية غير كافية في تفسير المعنى، وبالتالي يلزمها قرائن نحوية أخرى كما يري د، حماسة، سواء قرائن لفظية كالرتبة والتضام والربط والمطابقة والبنية والأداة، أو قرائن معنوية كالإسناد والتخصيص والنسبة مع مراعاة التداخل بين هذه القرائن.<sup>1</sup>

فإذا أخذنا مثالا مع قرينة "الإسناد" المعنوية وهي التي تربط بين المبتدأ والخبر، والفاعل والفاعل، أو نائب فاعل، والعلامة الإعرابية قرينة لفظية، فرفع الاسم الذي تتوفر فيه قرائن أخرى دلالة على أنه مبتدأ، ورفع الوصف بعده، يدل على أنه هو الخبر، ويظهر ذلك عندما يكون في الجملة مجموعة صفات أخرى تصلح للخبرية، مثل: "محمدٌ واقفاً أخطبُ منه قاعداً" هنا نجد أن علامة الرفع متعاونة مع قرائن أخرى تحدد أن الخبر هو "أخطبُ"، وهنا نجد أننا لو نطقنا الكلمات في الجملة كلها مرفوعة لصارت جملتين "محمدٌ واقفٌ، أخطبُ منه قاعدٌ". كذلك نستطيع عن طريق العلامة الإعرابية تحديد الفاعل، حتى لو تأخر في الجملة مثل قوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماءُ" (فاطر:28)، وهكذا نجد أن العلامة الإعرابية تعين على تحديد المسند إليه والمسند في الجملة بحيث إذا فقدت العلامة التزم الكلام ضرباً واحداً لا يجوز فيه تقديم ولا تأخير.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، ص:306.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص:306، 307.

ومهما يكن، فإن د، حماسة في كتابه العلامة الإعرابية قد تمذهب بنظرية "تضافر القرائن"، وحاول من خلالها إعادة تقسيم الجملة العربية، والنظر في قضية الإعراب، فقد وُفق في تطبيقها إلى أبعد حدّ، خاصة عندما نجده يطبقها على النصوص الحية الراقية قرآناً وسنةً وفي كلام العرب شعراً ونثراً، فإذا استوعب المتعلّم مفهوم هذه النظرية وأحصى مصطلحاتها التي تعتبر الكلمات المفاتيح استطاع أن يفهم أن معنى "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ" في قوله تعالى: "وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ" (القصص:55). معناها مغاضبة، واسم القرينة التي حددت هذا المعنى هي قرينة "النعمة" وهي قرينة لفظية، وموقف جلّ المفسرين من معنى "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ" وهو تفسير عام وشامل باستثناء أبي محمد الحسين البغوي (ت:510هـ)، عندما قال: "لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ سَلَامٌ التَّحِيَّةَ وَلَكِنَّهُ سَلَامٌ الْمُتَارِكَةَ".<sup>1</sup> فقد كاد البغوي أن يظفر بالمعنى الذي ظفر به تمام حسان رحمهما الله جميعاً، وألحقنا بهم سالمين غانمين.

أما فائدة القول بالاعتماد على القرائن في فهم النحو فإنّ د، "تمام حسان" يرى أنها نتفي عن النحو العربي كل تفسير ظني لظواهر السياق، وكل جدل حجّ فيه النحاة حول العمل النحوي. ومن فوائد القرائن كذلك أنّها قد يغني عن بعض القرائن عند أمن اللبس. مثال ذلك قول العرب: "هذا حجرٌ ضبٌّ خربٌ" فأغنت عندهم قرينة التبعية وهي معنوية، عن قرينة المطابقة في العلامة الإعرابية وهي لظفية، وكان الداعي إلى ذلك داعياً موسيقياً جمالياً هو المناسبة بين المتجاورين في الحركة الإعرابية، وقد سماه النحاة "المجاورة". وفي قوله تعالى: "عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ" (الإنسان:21). بجر "خضر" على قراءة، وفي هذا

<sup>1</sup> معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، تحق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420هـ، ج3، ص:539.

يقال ما قيل في إعراب المجاورة من قبل، وهو إعراب تدعو إليه أسباب جمالية خالصة لا صلة بينها وبين

مطالب المعنى الوظيفي.<sup>1</sup>

ما دام أن الإعراب هو مقولة نحوية قسيمة مقولة العامل، فإنّ د، حماسة قد حدّد موقفه من

العامل، يقول: "وصفوة القول أنه في ضوء دراسة القرائن في الجملة من لفظية ومعنوية تنتفى الحاجة إلى

العامل النحوي وما جره من مشكلات في النحو العربي. وقد يعترض الغيورون على العامل النحوي بأن

يقولوا: كيف نعلم النحو للمبتدئين إذن؟

إن دراسة النحو في ضوء نظرية العامل، وهي غير متيسرة للشاادين في معرفة النحو وقواعد اللغة،

وإن صلحت هذه الطريقة في كشف أسرار التراكيب العربية فلن تصلح للبدء في دراسة النحو. والواقع أن

الإستجابة لهذا الاعتراض قد تلغي كل الجهود القائمة لإصلاح النحو (..)

ينبغي أن يبدأ دارس قواعد اللغة بنماذج تركيب الجملة في العربية ... وبعد أن تستقر هذه

النماذج في ذهن الدارس عن طريق النصوص اللغوية الصحيحة التي تمثل كل نموذج منها يبدأ في دراسة

القرائن في الجملة ليقف على أسرار التركيب وتآزر العلاقات وترابطها وتوافقها في السياق، وبهذا نخلص

اللغة من آثار العامل، ونعيد فهمنا لخصائص اللغة وسبر أغوارها من جديد.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 232، 233، 234.

<sup>2</sup> العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، ص: 202، 203.

ومهما يكن، فإن كتاب "العلامة الإعرابية"، يعدّ من الكتب التطبيقية لنظرية "تضافر القرائن"، وبالتالي فهو يدين كما يقول صاحبه "إلى التجربة الرائدة التي قدّمها تمام حسان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" بعد أن سبقها بكثير من البحوث المؤذنة بتكاملها ونضجها ومهد لها بالعكوف على الدرس والبحث سنين عددا، وأعانها عليها فكر ثاقب، ودربة فائقة جعلته يربط هذه النظرية بترائنا النحوي، ومن هنا كان لها ما استحقته من قيمة، ويمكن القول -عن حق- بأن الأستاذ تمام حسان التقط الخيط بمهارة بارعة وجذبه في رفق فانجذبت بقية الخيوط المتشابكة مع الخيط الدقيق الذي لم يحكم القدماء نسجه وأعاد نسجه من جديد فكانت نظرية تضافر القرائن.<sup>1</sup>

ف:د، حماسة قد كان ملزما بهذا الاعتراف العلمي لأستاذه تمام حسان الذي بنى بهذه النظرية للنحو نظاما متماسكا قوامه القرائن المعنوية واللفظية بعد أن كان النحو في نظر الدارسين تحليلا إعرابيا فحسب، وبتطبيق نظرية تضافر القرائن يصبح النحو نحو تركيب لا نحو تحليل.

وإذا أردنا توضيح أكثر نجد أن جملة: "جاء محمد" لماذا أعربت محمد فاعل أولا لأنه اسم، ولو لم يكن اسما لما كان فاعلا، وهذه قرينة البنية، وبعدها مرفوع وهذه قرينة الإعراب تدل على أنه فاعل، ولو لم يكن مرفوعا لما كان فاعلا، تقدمه فعل وهذه قرينة الرتبة ولو لم يتقدمه فعل لكان مبتدأ، مبني للمعلوم وهذه قرينة الصيغة، وأخيرا تأتي قرينة الإسناد بمعنى دل على من فعل الفعل. فهذه خمس قرائن كلّها دلت على أن محمد فاعل، هكذا كان يفكر تمام حسان رحمه الله تعالى.

<sup>1</sup> العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، ص:282.

عز الدين مجدوب، في كتابه: "المنوال النحوي العربي"<sup>1</sup> -قراءة لسانية جديدة-، نشره سنة (1998).

يعتبر "المنوال النحوي" من أرقن الدراسات اللسانية التي تنحو نحو الدقة والعمق نقد فيها أشهر

مقاربات المحدثين للتراث النحوي ، الذين سعوا لتجديد النحو ابتداءً من مصطفى ابراهيم صاحب

"الإحياء"، الذي نشره سنة 1937، إلى تمام حسان صاحب "اللغة العربية معناها ومبناها"، الذي نشره

سنة 1971<sup>2</sup>، فقد كان صارماً مع أطروحاتهم والتزم معهم نفس المسافة المنهجية في التحليل والنقد فقد

قرأها قراءة صريحة لا تسامح فيها.

أول ما بدا له منها كما يقول: " أن عيبها هو اتّصافها بالتجريبية. ونحن لا نقصد بالتجريبية تلك

النزعة في العلوم التي تقضي باعتماد التجربة قبل إصدار أحكام علمية فتلك من محاسن المنهج العلمي

وإنما الذي نقصده بالتجريبية (empirisme)، هو قلة التنظير للممارسة العلمية وعدم وعي الباحث

بالمسلمات التي ينطلق منها وعدم تفكيره فيما يقتضيه التسليم بها من مستلزمات ونتائج فرعية. غير أنه

يفتح قوس في هذا المآخذ فيقول: "قد يوهم أن التجريبية هي نتيجة تقصير من الباحث من الباحث

والحق أنها قد تكون نتيجة مرحلة تاريخية تكيف جهود الأفراد رغماً عنهم."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> هذا الكتاب هو في الأصل رسالة دكتوراه دولة في اللغة العربية، من كلية الآداب بمنوبة تونس، بإشراف عبد القادر المهيري، وقد نوقشت في: 95/06/24، من لجنة من كبار الأساتذة كعبد السلام المسدي، وحمادي صمود، والطيب البكوش، وصالح الكشو. وقد قال عنها عبد القادر المهيري: "هذا بحث جيد متماسك إلى حد الصرامة، وقد جاء مخالفاً لكل أو لجل ما كتب من التراث النحوي إلى حد الآن باعتباره يمثل نظرة شاملة تحاول إنصاف التراث والدفاع عنه بالإعتماد على إشكالية حددت عناصرها وجوانبها." المنوال النحوي العربي، ص:الواجهة الثانية من الكتاب.

<sup>2</sup> أشهر اللسانيين العرب الذين ظهروا بين هذين العلمين وتناولهم بالنقد، كإبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، ومهدي المخزومي.

<sup>3</sup> انظر: المنوال النحوي العربي، ص:12.



أما سبب هذه التجريبيّة<sup>1</sup> وهي أشهر عيب تلّفت به مقاربات المحدثين للتراث لأنها "عندما

كانت تنقد التراث النحوي وتقيّمه لم تكن تسند إلى نظرية واضحة لما ينبغي أن تكون عليه الدراسة

اللغوية العلمية ولما ينبغي أن تكون عليه الدراسة العلمية عموماً، ولم تكن واعية بكل الصعوبات

والإشكالات النظرية التي تقتضيها عمليّة التقييم هذه. ولهذا الوضع أسباب كَيْفِيَّة: منها يتعلّق بالدواعي

التاريخية والاجتماعية والحاجات الظرفية التي كانت وراء هذه المقاربات وهي أسباب عربية داخلية. ومنها

خاصّة ما يتعلّق بنشأة النظرية العلمية للدراسة اللغوية وتطوّرها وكيفية تقبّلها ومدى تمثّلها من قبل

اللغويين العرب ونعني بذلك علم اللسانيات.<sup>2</sup>

غير أنه لم يوضّح الأسباب العربية الداخليّة ولم يفسّر ما يتعلّق بنشأة النظرية العلمية للدراسة اللغوية

وتطوّرها وكيفية تقبّلها، وهذا أول خطأ منهجي وقع فيه د، عز الدين مجدوب الذي آل على نفسه في

التمهيد أنه لن يقع في قراءته لمقاربات المحدثين في خطأ يسيء فهمهم، ولو أتخفنا بذكر هذه الأسباب

لكان أفضل وخاصة ما يتعلّق بالجانب النفسي الذي تشكّله عدّة ظروف غير لغوية لـ"أن التجريبية قد

تكون في بعض الأحيان قدراً تاريخياً محتوماً يتجاوز إرادة الأفراد."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> يعجبني كثيراً قول المتنبي في إحدى مطالع قصائده، عندما يقول:

كدعواك كلُّ يدعي صحّة العقل \*\*\* ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

فداء وهم المعرفة حدّر منه أغلب المفكرين على مستوى العالم، بل رأوا أنّ وهم المعرفة أشدّ خطراً من الجهل، يقول جورج برنارد ش:

"انتبه إدعاء المعرفة أشدّ خطراً من الجهل"، ويقول ميخائيل نعيمة: "احذر من العلم الزائف، فهو أخطر من الجهل"، وكما يقول سيفن

هوكينغ (فيزيائي إنجليزي): "أكبر عدوّ للمعلم ليس هو الجهل بل هو وهم المعرفة." فلو سُئلت ما هو البلاء الذي حاق بالمفكرين

العرب فهو داء وهم المعرفة، الذي قادهم إلى وهم ادعاء العلمية؟

<sup>2</sup> المنوال النحوي العربي، ص: 12.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 358.

أما مظاهر التجريبية في مقاربات التراث التي لا تنتسب إلى علم اللسانيات كما يراها: فإنه يمثل هذا الاتجاه إبراهيم مصطفى، ومهدي مخزومي غير أن هذا الأخير تأثره باللسانيات أقوى منه.<sup>1</sup> أما إبراهيم مصطفى فتتجلى التجريبية عنده في مستويين: فالأول غياب تصوّر واضح للعلم، بحيث لم يميز بين البحوث النظرية والتطبيقية للنحو، كما لم يهتم بعلاقة المعطيات والوقائع بالفرضيات ضمن الممارسة العلمية، بحيث أن اعتباره نظام العوامل جملة من المسلمات الماقبلية التي سُلطت قسراً على العربية نتيجة عدم تقديره أنّ كلّ ممارسة علمية تقتضي بناء أصول نظرية. وقد عاب على النحاة أن يحتكموا إلى هذه الأصول في جدلهم والحال أن هذه الأصول هي التي تنظّم نقاشهم وتحفظ وحدة صناعتهم. ولا يمكن أن ندعو إلى طرح هذه الأصول إلا إذا عوّضناها بأصول نظرية أفضل حسب مقتضيات الصياغة النظرية. وقد منعت هذه التجريبية إبراهيم مصطفى من الانتباه ما يسديه نظام العوامل من فائدة معرفية في ترتيب المادة اللغوية ووصفها.

أما الثاني: غياب تصوّر واضح لعلم اللغة، بحيث لم يميز مصطفى إبراهيم بين اللسان والكلام فيتمثل في في مطالبة النحاة بالجمع بين دراسة الأساليب وعلم المعاني وبين نظرية الإعراب دون أن ينتبه إلى فائدة الفصل الذي أقامه النحاة العرب والذي مكنهم من حصر مجال دراستهم.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> قد أشار د، حلمي خليل إلى هذه الفكرة في كتابه الجادّ "العربية وعلم اللغة البنيوي"، في ص: 80. عندما تناول المخزومي، غير أن د، مجدوب في كتابه هذا، لم يذكر كتاب حلمي في قائمة المراجع، لست أدري كيف تجاوزته؟ وهو من هو في نقد المقاربات!  
<sup>2</sup> المنوال النحوي العربي، ص: 13، وما بعدها.

أما مظاهر التجريبية في مقاربات التراث التي تنتسب إلى علم اللسانيات: فيقسمها إلى اتجاه التاريخي المقارن فأحسن من يمثله إبراهيم أنيس الذي رسّخ الاعتقاد بأن العربية يجب تنزيلها وتنزيل ظواهرها ضمن الألسنة خاصة التي تشبهها، واتجاه الوصفي فأحسن من يمثّلها تمام حسان الذي يعتبر أول اللغويين العرب في المناداة بضرورة استقلال البحث اللغوي بخصائص تميزه عن غيره من البحوث، أما الضعف المركزي في أعمال تمام " فسببه عدم الانتفاع من تمييز ابستمولوجي في النظرية العلمية بين الفرضيات العامة والمناولات. لأن في هذا التمييز وقاية من الوقوع في التجريبية التي طبعت قراء التراث النحوي وناقديه بأشكال متعددة على اختلاف ثقافتهم ومواقعهم التاريخية، وهو الكفيل بصياغة مشروع قراءة التراث النحوي صياغة صحيحة.<sup>1</sup>

ومهما يكن؛ فلقد رأى د، مجدوب أن تفسير التجريبية كان "هينا عند أصحاب الاتجاه التاريخي

المقارن مثل إبراهيم أنيس لعدم ملاءمة فرضيات هذا الاتجاه لتقييم التراث، فإن تفسيرها عند الاتجاه

الوصفي كان أعقد، لتمكّن أصحابه مبدئياً من المفاهيم الملائمة لتقييم التراث.<sup>2</sup>

أما تمام حسان فصعب نعت مقارنته بالتجريبية (لماذا؟ لأنه) "أول من نادى بضرورة بناء الدراسة

اللغوية على منهج لغوي واضح المعالم.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> انظر: المنوال النحوي العربي، ص:28، وما بعدها.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:359.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص:41.

إذن أهم ما يستفاد من هذه الدراسة مصطلح "التجريبية" التي قصد بها معناها التهجين وهو مساو لعدم التأسيس للممارسة العلمية ورفض التنظير الذي يضع المسلمات موضع بحث وتساؤل. وأهم مظاهرها أمرين: عدم الوعي بمحددات النظرية العلمية بصفة عامة وهو ما سمّاه "المستوى

الإيستمولوجي". وعدم الوعي بمحددات النظرية اللغوية بصفة خاصة.<sup>1</sup>

وكما قد بدا معترفاً بمنجزات النحويين العرب القدامى بما قدموه من وصف علمي تجرّدي للعربية، يقول: "يمكن أن نزعّم أن نظرية الإعراب والبناء ونظام العوامل الذي افترضه القدماء وضبطوا بمقتضاه الوظائف النحوية وميّزوا بينها وبين غيرها من فضلات وتوابع تبدو بمقتضى فرض راجح ذات كفاية وصفية لا تنكر وأتّما ملائمة لشكل المضمون في اللسان العربي. ولعل هذا السبب هو الذي يفسّر عجز ناقد التراث عن استبدال نظام العوامل بجهاز تفسيريّ يعوضه رغم شدّة نقدهم له." <sup>2</sup> فلم يقنعه لا مصطفى إبراهيم في كتابه "الإحياء"، ولا مهدي المخزومي في كتابيه النظري والتطبيقي التجديدين، ولا عبد الرحمن أيوب في نقده للنحو.

أما تمام حسان، فظلّ د، مجدوب يعضّ يديه على ما أخطأ فيه طيلة معالجته له، يقول: "أما عدم فهم تمام حسان للتراث النحوي فهو لافت للانتباه أكثر لما أسلفناه في شأن الرجل، ولعلّ أكثر ما منعه من فهم نظرية الإعراب وكون العلامات الإعرابية أعلاماً على معان، أمران، أما الأول فهو عدم تمثّله لتضامن صعيدي الوظيفة السيميائية وإصراره على أن النظام اللغوي والنظام النحوي بصفة خاصة يتكون

<sup>1</sup> المنوال النحوي العربي، ص: 358.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 323.

من مجموعة من المعاني على حدة ومجموعة من المباني على حدة. أما الثاني فيتمثل في غموض مصطلح مبنى عند تمام حسان.. واستعماله بمضامين مختلفة.<sup>1</sup>

ومن أهم ما استنتجه من دراساته هذه، وهو أنه "مهما كان احتفاؤنا بالنصوص النظرية التي خلفها القدماء فهي لا تمثل نظرية علمية بالمعنى الدقيق.. ونحن نستأنس في هذا الحكم بالشاهد الذي

صدّر به الأستاذ المهيري أطروحته وهو عن لويس هيلمسليف<sup>2</sup> (Louis Hjelmslev): "ينبغي قبل كل شيء أن نفهم أن النحو القديم لا يمثل نظرية علمية بنى عليها النحاة ممارسة. بل العكس هو الصحيح.

فالنحو القديم ممارسة لا غير. إنما هو مجرد ممارسة حاول النحاة تبريرها بعد أن اكتملت نظرية بعضها على جانب كبير من البساطة."<sup>3</sup>

وهذا لكي لا ترفض الحداثة ولا تطلعائها وكما يرمي هذا الطرح "من الانتفاع من كل تطوّر

نظري حقيقي في دراسة اللغة لأنه ينفي صفة التقديس المميت للتراث.. ومن أوضح سبل الانتفاع

هذه: تدقيق الشبكة الاصطلاحية للمنوال النحوي العربي. وإعادة صياغة المنوال النحوي وتعقيد مكوناته ومضاعفة مستوياته وإضافة محلات نحوية جديدة له.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المنوال النحوي العربي، ص: 324، 325.

<sup>2</sup> لويس هيلمسليف لساني الدانماركي من أهم إنجازاته إدخال المفهومين المائزين إلى البحث اللساني أ/ اللغة والكلام، ب/ الشكل والمادة، ج/ الكفاءة والأداء، د/ التعبير والمحتوى. وهو الذي اخترع مفهوم غلوسيماتيك (glossématique) باشتقاقه من الإغريقية غلوسة يعني اللغة لتعيين النظرية المستخلصة من نظرية دي سوسير التي تجعل من اللغة غاية لذاتها لا وسيلة لتحقيق الغاية المقصودة بالكلام.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 360، 361.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص: 361.

ومهما يكن، فلقد سعى د، المجدوب في "منواله" إلى تدارك هفوات ونقص القراءات النقدية للتراث النحوي العربي، اعتماداً على إطار نظري، بدون أن يمكن صناعة تأويل مثيل للتراث النحوي، وتوضيح علاقته باللسانيات، وعلاقتنا به ، وقد انطلق، في نقده من التمييز بين مفهومين: الفرضيات العامة، المنوالات وهو تمييز معهود في فلسفة العلوم Epistémologie والمنطق، والعلوم الصحيحة، و يمكن اعتماده من إدراك دقيق لما يميز التفكير العلمي الحديث من الممارسة العلمية التي سبقته.<sup>1</sup>

ومجمل القول في هذه الدراسة، وكما يرى عبد السلام المسدي، بأنها: "مرافعة للدفاع عن وجهة النحو العربي، وهي مرافعة تتوسل باللسانيات لدفع تهم الشكوك التي جاء بها من هم محسوبون على البحث المعاصر بين صفوف الباحثين العرب."<sup>2</sup>

ومن هنا يجب أن نتخلص من عقدة التبعية التي سادت عند بعض كوادر اللسانيات العربية الحديثة للأسف حتى كادت أن تصبح عند بعضهم معتقد (dogma) لأننا وجدنا من تأثر بالتفكير اللساني الغربي حتى ولو كان إلحاداً لغوياً ، فقد وجدنا محمد رشاد الحمزاوي اللساني التونسي وهو من هو في الدراسات المعجمية، يؤطرّ للعامة فقد استعمل اللغة الدراجة في كتابين له وهما: "بودودة مات" و"طرُنُو"، بحجة إحياء الذاكرة الشعبية وقد غلب اللهجة المحليّة على اللغة الفصحى ، على الرغم أنّه أصبح من خصائص هذه النظريات اللسانية الغربية القابليّة للسقوط في أيّ فترة، ومثال ذلك أن نظرية تشومسكي وأعوانه في "المشترك" في لغات العالم قد تلقت ضربة موجعة أخيراً ، فقد نشرت جريدة

<sup>1</sup> المنوال النحوي العربي، ص: 6.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: واجهة الكتاب الأخير.

Independent (6-5-2006) ما وجدته اللغوي "دانيال ايفريجت"، من جامعة مانشستر البريطانية، في لغة قوم معروفين في أدغال الأمازون، فلغتهم مزيج من الصغير والطين، ليس فيها مفهوم العدد، ولا توجد تعابير في لغتهم أو تمييز للألوان، ولغتهم هذه غير مكتوبة، ولا ذاكرة لها أبعد من جيلين، كما لا يدرك من اللغة إحساس بالزمن أو بمفاهيم مجردة، أو بصيغة الماضي.<sup>1</sup>

فيا ليتنا بحثنا ونقّبنا عن الكنوز المدفونة في آبار التراث اللغوي العربي، فمن يستطيع اليوم أن يؤلّف لنا كتاباً، ك: "الكتاب"، أو ك: "الخصائص"، أو ك: "أسرار العربية"؟ فإننا وجدنا ابن سيّده (ت: 458هـ)، قد استعمل مصطلح اللسانيات قبل أن يستعمله دي سوسور بقرون في معجمه "المحكم والمحيط الأعظم"<sup>2</sup>، بل أكثر من هذا، عرّف علم اللسان في معجمه الثاني "المخصص"<sup>3</sup>. ألا يعتبر ابن سيّده العالم الضريّر من المؤسّسين الأوائل لمفهوم علم اللسان، لماذا تجاوزته الثقافة العربية الحديثة؟ الجواب عندي فاقع، وهو لأن الثقافة الغربية تجاوزته!!!؟

<sup>1</sup> الفجوة الرقمية في اللغة العربية: د، عبد المجيد نصير، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، الثلاثاء 3 جمادى الأولى 1427هـ - 30 أيار 2006م، ملتقى اللسانيين واللغويين والأدباء والمثقفين والفلاسفة،

<sup>2</sup> حيث قال في خطبته: "وَدَلِيكَ أَنَّهُ مَا جَمَعَ الْعُلُومَ النَّافِعَةَ، مِنَ الدِّيَانَاتِ وَ اللِّسَانِيَّاتِ، فَسَلِكْ مَنَاهِجَهَا، وَشَهَّرْ بِمُقَدِّمَاتِهَا نَتَائِجَهَا..... الخ." المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن بن سيده (ت: 458هـ)، تحقق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص: من خطبة المؤلف.

<sup>3</sup> وأعطى له مفهوماً (concept) فقال في خطبته: "فَعَلِمَ اللِّسَانَ فِي الجُمْلَةِ ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا حِفْظُ الأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ فِي كُلِّ لِسَانٍ وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لِشَيْءٍ مِنْهَا وَذَلِكَ كَقَوْلِنَا طَوِيلٌ وَقَصِيرٌ وَعَامِلٌ وَعَالِمٌ وَجَاهِلٌ وَالتَّائِي فِي عِلْمِ قَوَانِينِ تِلْكَ الأَلْفَاظِ." المخصص: لأبي الحسن بن سيده، تحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ص: من خطبة المؤلف.

## الفصل الرابع : سفراء النحو العربي في النظريات اللسانية الغربية المعاصرة.

1) نهاد الموسى في كتابه:

- "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث"، نشره سنة (1980).

2) ميشال زكريا في كتابه:

- "الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، نشره سنة (1982).

- "الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، نشره سنة (1983).

3) عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه:

- "اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية"، نشره سنة (1985).

4) مازن الوعر في كتابه:

- "نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية"، نشره سنة (1987).

5) حسن خميس الملخ في كتابه:

- "التفكير العلمي في النحو العربي-الاستقراء، التحليل، التفسير-"، نشره سنة (2002).

- "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي"، نشره سنة (2007).

"النحو شيء واللغة شيء آخر، والصرف شيء واللغة شيء آخر، لأن اللغة العربية حقيقة لكن النحو والصرف علمان بآليات وصف هذه الحقيقة وتقنينها وتفسيرها وتعليمها، إذا أخذنا بهذه الحقيقة فسنعرف أن اللسانيات تحمل وعداً صادقاً بإعادة وصف اللغة نحواً وصرفاً وصوتاً ومعجماً لا إعادة اللغة نفسها، فلغتنا باقية ببقاء مركزها اللغوي وهو القرآن الكريم، فلا خوف عليها من منهج يقننها أو يقسرها ما دام لا يلغي وجودها، واللسانيات تقوم على وجود اللغات فكيف تلغيها؟"

حسن خميس الملخ



نهاد الموسى<sup>1</sup> في كتابه: "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث"، نشره سنة (1980).

يحاول هذا الكتاب مقارنة النحو العربي بلدرس اللساني الحديث الذي بلغ آفاقاً كبيرة، حيث عمد د، "نهاد الموسى" تسليط الضوء على ما جاء في النظريات اللسانية المعاصرة خاصة منها النظرية التوليدية التحويلية ومقايستها ببعض مسائل النحو العربي علّه يجد توارداً لسانياً ما دام أن هناك بما يسمى ب:الكليات اللغوية بين اللغات الإنسانية جمعاء.

ولقد انطلق البحث في هذا "الكتاب" يتوكّأ على الحدس بأنّ بين مناهج النظر اللغوي على

اختلاف الزمان والمكان، قدراً مشتركاً يقع بالضرورة، بين مختلف اللغات الإنسانية في العالم. وكان مضمون ذلك الحدس بديلاً راجحاً عن القول بتأثير تلك المناهج بعضها في بعض.<sup>2</sup> وهذا منهج

موضوعيّ أراد أن يلتزم نفس المسافة المنهجية مع أيّة نظرية لسانية لإثبات مظاهر التوافق، وإن كان هذا

الأمر يحتاج إلى تأهيل كبير.<sup>3</sup> لأنه يتحدّث في الأنساب العلمية للنظريات اللسانية وجذورها وإما أن

يفتح قوساً للتعزيز والاستحقاق أو قوساً للشكّ والضرب في الموثوقيات، وهو طريق وعمر لا تثبت فيه

الأقدام إلا لمن له ملكة منهجيّة في التعامل مع تشابه الأنظار وتوارد الأفكار.

<sup>1</sup> نهاد الموسى(1942- ؟) لساني أكاديمي جاد، له العشرات من الدراسات اللسانية العصرية الجادة خدمت العربية ونحوها.

<sup>2</sup> انظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: د نهاد الموسى، المؤسسة العربية، الأردن، ط1، 1980، ص:9.

<sup>3</sup> غير أن د، نهاد الموسى كان متفهّماً لهذا الأمر، يقول: "أنا عارف بالمقارنة المستهجنة الناجمة عن المقابلة بين منهج النظر النحوي عند العرب، ومناهج النظر اللغوي الحديث، لما اكتنف كل منهما من ظروف مغايرة وسياق تاريخي ثقافي خاص، ولكن لي في منهج التحليل التقابلي الذي يجازف بالمقابلة بين لغات لا تربطها علاقات الأسر اللغوية مستأنسا." المرجع نفسه ص:19.

إذن، فالباحث يؤمن بـ: "مبدأ القول بالمشترك بين لغات البشر أنّ الناس جميعاً يتفقون في أنّهم، على اختلاف لغاتهم، يمكن لهم خلال بضع سنوات من التعرّض لها في محيط الإكتساب، أن يميزوا نظاماً مجرداً يصدر عن اللسان في استعمال اللغة استعمالاً خلاقاً متجدداً لا ينحصر، إذ يستطيع كل واحد من أبناء اللغة، كل لغة، أن يتلقّى في الموقف المناسب، على وجه الفهم، ما لا ينحصر من جمل جديدة لم يكن سمعها من قبل.<sup>1</sup>

بمعنى أنّه كما توجد موازٍ وفرادات بين الإنسان والإنسان واللغة واللغة، فكذلك يوجد مشتركاً بينهما، وهذا المشترك اللغوي بين بني الإنسان هو الذي يسمح للنظائر النحويين أن يتلمسوا خطى أنظارهم في أبحاث الفلاسفة والمفكرين والعلماء القدماء، ولا يستطيع الباحث أن ينقطع عن جذوره. فإذا كانت اللسانيات البنيوية أسست على أنقاض النحو التاريخي والمقارن، فإن النظرية التوليدية التحويلية بنت أسسها النظرية على ما كتبه ديكرت ومدرسة بور رويال. ولا غرابة أن نجد تشومسكي يكتب كتاباً موسوماً بـ: اللسانيات الديكارتيّة. وعلى المستوى الإجرائي نجد أنها اعتمدت تحليل بور رويال للجملة من موضوع ومحمول، وهو من إرث أرسطو المنطقي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> كما يستطيع أن يصوغ، في الموقف المناسب ما لا ينحصر من جمل جديدة لم يكن قالها أو سمعها أو وقف عليها من قبل. ويستطيع أن يفرز بتلقائية مكتسبة مواتية، الجمل الجائزة في مقاييسه ومقاييس بيئته اللغوية من الجمل غير الجائزة أو الجمل المتحفظ عليها. "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص: 10.

<sup>2</sup> آفاق اللسانيات - دراسات، مراجعات، شهادات - تكريماً للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011، ص: 424.

غير أنّ هناك أمراً منهجياً يجدر تبييناه وهو أن نظرية تشومسكي عندما "ظفرت بمنزلة متميزة فذة بين مناهج النظر اللغوي في العالم قديماً وحديثاً، وأصبحت كل نظرية لغوية أخرى تحاول أن تحدد موقعها وفقاً لدرجة علاقتها بأنظار تشومسكي في مسائل بأعيانها."<sup>1</sup>

بمعنى آخر، أنه قد تشخّصت بعض المقاربات اللسانية، لا شيء إلا لأنها تعبّدت بمقولات تشومسكي في نظريته، فانظر كيف تنتقل الموضوعية في معالجة قضايا علم اللسان والعلم من الروح العلمية إلى روح الهزيمة ونفي صفة الابداع عن رموز العربية العرب من غير وعي، على الرغم أنّ نظرية تشومسكي كباقي النظريات من حيث هي فرضيات وليست حقائق مطلقة.

ثم إن تاريخ النحو العربي، بمعزل عن الأنحاء الغربية، ليس شكلاً واحداً في حدّ ذاته، وإنما هو سلسلة من الرؤى، كل حلقة في هذه السلسلة تتأثر بالمنظومة الثقافية التي تحتضنها. ولا غرابة في أن يكتب باحث في تاريخ النحو "الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي"، فهل ما كتبه سيبويه يماثل ما كتبه ابن السراج في الأصول أو ما كتبه المبرد في المقتضب أو ما كتبه ابن جني في الخصائص أو ما كتبه ابن مضاء في الردّ على النحاة أو ما كتبه ابن رشد في الضروري في صناعة النحو.<sup>2</sup>

فلو استطعنا أن نؤرّخ لهذه الحلقات لوجدنا أن كل حلقة تتداخل نظرياً ومنهجياً مع علوم أخرى تعاصرها... ولكن سدنة الحفظ والاستظهار هم الذين يتصدون لكل جديد ولكل فكر يتسلح بروح الاجتهاد ويتهمونهم بالبدعة، وكل بدعة ضلالة. فالنحو العربي هيكل قائم بذاته، وهو عبارة عن سلسلة

<sup>1</sup> نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص: 16.

<sup>2</sup> انظر: آفاق اللسانيات - دراسات، مراجعات، شهادات - تكريماً للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، ص 429، 430.

من مظاهر الاجتهاد والتطور، ولا يحتاج إلى مشروعيته من خارجه، فلا ننتظر من الدرس اللساني المعاصر

أن يقدم شهادة حسن الجودة للنحو العربي.<sup>1</sup>

ومهما يكن، ولكي لا نقع في المكرور والحاصل، فالكتاب قد تعرّض له بالنقد الأستاذ، عبد

الله الجهاد أحد الباحثين المغاربة، ودرسه على نار هادئة، وحدد موقفه العلمي منه . فقال: "إني تتبعت

كتاب أ. نهاد الموسى ولم أعرف في آخر المطاف هل النحو العربي بنيوي وصفي أم توزيعي أم توليدي؟

وهل هو على مستوى علم النفس سلوكي أم شعوري. ولعلّ أ. الموسى لو قرأ ما يكتب حاليا في النحو

الوظيفي لقال هناك بعض التماثل بين النحو العربي والنحو الوظيفي. ونحن نعلم في الدراسات اللسانية

أن الاتجاه الوظيفي أُسس على التعارض بينه وبين النحو التوليدي على المستوى الإجرائي والهدف،

ونتيجة لهذا التعارض، قد أساير أ. الموسى في طريقة عرضه لأقول إن ابن هشام كان تداوليا أو وظيفيا أو

صوريا، من خلال قوله في مغني اللبيب: ("وَكَذَا قَوْلُهُمْ يَحْذِفُ الْقَاعِلَ لِعَظَمَتِهِ وَحَقَارَةِ الْمَفْعُولِ أَوْ

بِالْعَكْسِ أَوْ لِلْجَهْلِ بِهِ أَوْ لِلْخَوْفِ عَلَيْهِ أَوْ مِنْهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ تَطْفُلُ مِنْهُمْ عَلَى صِنَاعَةِ الْبَيَانِ").<sup>2</sup>

فهل يكفي أن ترى ملاحظة عابرة في مؤلف نحوي لنقول إن هذا الشخص ينتمي إلى مدرسة

لسانية لها أسسها ومبادئها وروادها ونقادها؟ وهل يرضى نحوي من القدماء أن ينتسب إلى مدرسة خارج

منظومته الثقافية؟ فما أحوجنا نحن في الوطن العربي إلى مثل هذه الثورة العلمية والثقافية. فالنحو العربي

هو عربي صرف، له تاريخه ورواده ونقاداه ومؤرخوه قديما وحديثا، ويحتاج إلى من يطوّره باستمرار، لا على

<sup>1</sup> انظر: آفاق اللسانيات - دراسات، مراجعات، شهادات - تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، ص 429، 430.

<sup>2</sup> انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: 853.

المستوى النظري فحسب، بل على المستوى الإجرائي أيضا، علاوة على تعميم هذا التطور في المدارس والجامعات.<sup>1</sup>

وهذا لا يعنى أنّ موقفه هذا يحرم الاستفادة، بل موقفه هذا متفهم جدا، فـ"الاستفادة يجب أن تكون في المستوى الإبتيمولوجي، أي نبحت في مفهوم العلم ومفهوم النظرية ومفهوم التجريب ومفهوم القانون... وذلك على المستوى التجريدي لا على المستوى الإجرائي، ونخضع منهج النحو العربي التجريدي إلى هذه المفاهيم النظرية التي أظهرت كفايتها الوصفية والتفسيرية، وألا يبقى الباحث اللساني العربي ضحية التطبيقات الغربية للسانيات والسياسة والإقتصاد والاجتماع... فجلّ هذه العلوم تستند، على المستوى التجريدي، إلى نظرية واحدة ومنهج واحد رياضي.<sup>2</sup>

وللعروض الخليلي ومعجمه نظر تجريدي كان في الإمكان الاستفادة منه، ولعل سيويه في نظري

كان المستفيد الأول من هذا العلم، وما تقسيمه للجمل العربية من الجيد إلى الأجود ومن الحسن إلى

المستقيم المقبول والمستقيم المحال والقيح... إلا نموذج على هذا التطبيق التجريدي.<sup>3</sup> وبهذه المنهجية

يتحدد الضوء من العتمة ولا نفع في شرك المغالطات اللغوية التي وقع فيها أ، "نهاد" التي جعل من خلالها

أن كلّ الصيد في جوف النحو العربي، وعلم اللسان العام عالم الخلية للغات لا يزال صندوقا أسودا

مبهما غامضا في كثير من مسأله، رغم كلّ الدراسات التي قدمت في سبيل الكشف عنه ولا تزال

مطبوعة بطابع عدم الاكتمال.

<sup>1</sup> آفاق اللسانيات - دراسات، مراجعات، شهادات - تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، ص: 431.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 432.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 432.

إذن، فـ"مشروع أ. نهاد الموسى، فى هذا الكتاب، هو نتاج مرحلة تاريخية اصطدم فيها النحو العربى بالدرس اللسانى الغربى كما يصطدم عادة الأصيل بالدخيل، فيقع الصراع ويحتدم، والغلبة للأبقى والأصلح؛ فكثير من الباحثين انبهروا فى بدايات دراساتهم بالغبى الجديء... وسرعان ما يستفيقون من غفوتهم ويغيرون وجهة نظرهم عندما يطلعون على هذا التراث ويفكّون ألبازه.<sup>1</sup>"

وهذه الحيرة المنهجية وقع فيها أغلب المقارنين فلم تسكن أفكارهم بين أوهاد الفكر اللسانى الغربى، ولكنهم عندما يآبون لمراجعة أفكارهم مرة أخرى وعرضها على لطائف صنع النحاة العرب القدامى، تجمع أفكارهم رابية القاعدة النحوية العربية الخالصة، حينها يدركوا أن دراساتهم كانت ضربا من التفريق ترخّصوا فى مقاربتها رغم شحط المزار بين المنجزين.

ثم إنّ اللغة ظاهرة إنسانية معقدة متغيرة تتداخل فيها الذات مع الموضوع، ولهذا يصعب إخضاع اللغة للدراسة العلمية التذريية الصارمة الدقيقة، فى علوم المادة تحتفظ الظاهرة المدروسة بانسجامها، بينما فى العلوم اللغوية والإجتماعية، فمبدأ الثبات والنسقية نسبي، فالباحث فى العلوم اللغوية لا يستطيع أن يتخلص من إملاءات اللاشعورية الثابوية فى عمق بنيتها النفسية والفكرية والجموعية، وإن كان الفكر اللسانى الحديث قد حقق آخر الفتوحات العلمية لما تخّص من الميتافيزيقا والفلسفة، وطردها من البحث اللغوى، ولكن الأمر الذى لم يستطع الفكر اللسانى أن إخضاع البحث اللغوى لمنهج علمى صارم ومرهف الحدّ.

<sup>1</sup> آفاق اللسانيات - دراسات، مراجعات، شهادات - تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، ص 432.

ميشال زكريا<sup>1</sup> في: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، نشره سنة (1982).

– "الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، نشره سنة (1983).

في البداية تنقسم الكتابة التوليدية العربية إلى موقفين متغايرين من التراث النحوي، موقف توفيق

يتجلى في كتابات مازن الوعر، وموقف القطيعة المعرفية بين التراث والحداثة وهو موقف ميشال زكريا

الذي يرى بعدم صلاحية الدراسات النحوية لدراسة اللغة، ويرى أنّ النظريات اللسانية يمكن أن تشكّل

بديلاً عن النحو العربي (..) وأنّ معطيات اللغة العربية الحالية، ليست هي المعطيات التي وصفها النحاة،

لأنّ تحليلاتهم تجعل المعطيات الأكثر دلالة بالنسبة إلى افتراضات التوليديين غائبة، أو تشوهها أو

تتكربها، وأنّ البديل هو اللسانيات الحديثة، وعلى وجه التحديد اللسانيات التوليدية.<sup>2</sup>

والدليل على ذلك قوله: "لا بد من أن نقول هنا بمنتهى الصراحة والموضوعية إنّ لا نفع، بعد الآن،

في أن تردّد، بصورة متواصلة الدراسات التي قامت بها الأجيال السابقة والمفاهيم التي تبناها في المجالات

اللغوية، وإن أضفينا عليها بعض التعديلات السطحية من حيث الشكل والعرض." <sup>3</sup> فلا توجد في نظره

كفاية واصفة في النحو العربي، وأجدني أرى أنّ هذا التوجّه لا ينسلك في ذهن من له قدراً معتبراً من

الاطّلاع على المدرسة التقليدية التراثية.

<sup>1</sup> لساني لبناني حمل شهادة الدكتوراه من جامعة باريس في الألسنية، له عدة بحوث لسانية جادة، أولها: الألسنية (مبادئها وأعلامها).

<sup>2</sup> اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص: 320.

<sup>3</sup> الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة): د، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2،

1986، ص: مقدمة المؤلف.

وبعد أن حاول د، ميشال زكريا أن يقرب الألسنية من القارئ العربي في كتابه: "الألسنية (علم اللغة الحديث): مبادئها وأعلامها، الذي نشره سنة 1980، والتعريف بأطرها العامة وأبرز مشاهدها اللسانية وأشهر رموزها وانتماءتهم اللسانية. يحاول في هذين الكتابين توطين المعرفة اللسانية وجعلها جزءا من الثقافة العربية الحديثة، أما الكتاب الأول يساهم في تعميق دراسة قواعد اللغة العربية على ضوء النظرية التوليدية، فقد عرّف بهذه النظرية وأبرز قواعدها، ومكوناتها ومصطلحاتها. وطموح هذا الكتاب يتخطى مجال عرض هذه النظرية وتطبيقها على اللغة العربية باتجاه السعي إلى أن يعم هذا العلم الألسني المدارس والجامعات العربية لكي تصبح لنا ألسنتنا العربية الذاتية والقادرة على معالجة قضايا اللغة العربية بكل ما تطرحه من أبعاد نفسية ومجتمعية.<sup>1</sup>

ففي الكتاب الأول النظري اعتمد د، ميشال على مرجعين ألفهما نفسه وهما: مقال بعنوان "نمو الطفل اللغوي" الذي نشره سنة 1980، وكتاب "الألسنية: مبادئها وأعلامها، أما المراجع الأجنبية فقد اعتمد على ثمان وعشرين كتابا لنعوم تشومسكي، وبعض الكتب الأجنبية الأخرى وهذا يدلّ دلالة قويّة على ما قلناه وما صرّح به في الدعوة إلى التدابر المعرفي بين القديم العربي والحديث الأجنبي، من خلال أنه تجاوز كل مصادر اللغة والنحو التي ألفها شيوخ العربية العرب.

<sup>1</sup> انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية): د، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986، ص: مقدمة المؤلف.



يرى د، "مصطفى غلفان" أنّ كل اللسانيين العرب بمختلف اتجاهاتهم الذين يعتبرون اللسانيات تفكير لغويًا جديدًا لا علاقة بالفكر اللغوي القديم، بأنهم لم يقدموا بدورهم أيّ دليل لسانيّ حديث للانتقادات التي وجهوها للفكر اللغوي القديم، فضلًا عن أنهم لم يتقيّدوا كليًا ببعض مبادئ الدرس اللساني الحديث. ولم يتجاوزوا في تعاملهم مع اللغة العربية حدود معطيات النحو العربي القديم نفسها. ولم يتمكّن الفكر اللساني العربي الحديث من خلق ثقافة لسانية حديثة فاعلة في المحيط العربي فكريًا واجتماعيًا على غرار ما فعل النحو العربي قديمًا وحديثًا ومن ثمّ لم يتمكّن الفكر اللسانيّ الحديث من ملء الحيز الفكريّ الهام الذي كان وما يزال الفكر اللغوي العربي القديم يتمتع به في ثقافتنا العامة والخاصّة.<sup>1</sup> بل ما زال غريب الوجه واللسان حتى في بعض ساحاته العلمية العربية.

أما د، حافظ علوي، فيرى أن الحديث عن اتجاه توليدي في الثقافة العربية يبقى مفتقدًا إلى الشروط الحضارية والتاريخية (التراكم) التي على أساسها ظهر الاتجاه التوليدي في الغرب. وبذلك يمكن أن نقول إن ظهور اللسانيات التوليدية في الثقافة العربية كان طفرةً ، مما يجعله مفتقدًا إلى الأسس التي يفرضها تطور الاتجاهات اللسانية؛ وكل ذلك يعبر عن خور في المنهج.<sup>2</sup> بمعنى أن الكتابات اللسانية التمهيدية كانت غائبة تمامًا، وهذا الخلل المبدئي هو الذي أحدث صدعا في تلقي اللسانيات التوليدية من لدن المثقفين العرب في الشأن اللغوي.

<sup>1</sup> في اللسانيات العامة: د، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، بيروت، لبنان، ص: 105.

<sup>2</sup> اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص: 317.

ثم إنه من الحكمة أن نبدأ من النقطة التي منها انطلقوا لنرسي هذا العلم الذي نريده عصريا متطورا على أسسه الطبيعية السليمة. لاشك أن النقطة التي منها بدأوا وهي قواعد port royal التي وضعها الرهبان سنة 1660 والتي تعرف بـ: "القواعد اللغوية العامة والمعللة تعليلا عقليا". فإن بدأنا من هنا ثم تدرجنا مع التيارات والمذاهب التي تلاحقت دون انقطاع ما بين 1660 و1977، نفهمها حقّ الفهم أولا، ثم نعرب مصطلحاتها بعد ذلك مطبقين ما يمكن تطبيقه على ما يمكن تطبيقه منها على لغتنا، وذلك بوضع الأمثلة الملائمة لكل قاعدة.<sup>1</sup> وبهذا الترتيب تتكون لدينا استطاعة منهجية وعلمية نستطيع أن نفهم كل ما يجدر في ساحات علم اللسان العام المعاصر، نوافق منه ما وافق لغتنا ونتخلى عن ما جانب لغتنا.

وللأسف؛ أن كثيرا من الباحثين يرون أن اللسانيات لم تظهر إلا في سنة 1916، زمن ظهور محاضرات في اللسانيات العامة لدي سوسير، وينفون مصطلح اللسانيات عما كتب قبل هذا التاريخ، ولكن تشومسكي بعنوان كتابه اللسانيات الديكارتية<sup>2</sup> (cartesian linguistics) الذي نشره سنة 1966، يفتد هذه الأطروحة، ويرى أن هناك لسانيات تقليدية ولسانيات معاصرة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> توطئة في علم اللغة: التهامي الراجي الهاشمي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1977، ص:66.

<sup>2</sup> يتناول نعوم تشومسكي في هذا الكتاب (فصل في تاريخ الفكر العقلاني) الفرضيات المتعلقة بميزات الفكر والمخططات الذهنية الأساسية التي يفرضها العقل على عملية تحليل المعاني وعلى عملية اكتساب اللغة من خلال المعطيات المتوفرة للتحليل. فيظهر تقارب نظريته مع الآراء الفلسفية العقلانية: آراء المدرسة الديكارتية وآراء الألماني هومبولد، فمفهوم الكفاية اللغوية على إنتاج عدد لا متناه من الجمل بواسطة عدد محدود من القواعد ومن المفردات اللغوية يظهر بوضوح عند كل من ديكرت (1596-1650) وهومبولد (1767-1835: من أصل روسي). "انظر: الألسنية التوليدية التحولية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص20.

<sup>3</sup> آفاق اللسانيات، ص:424.

وإذا أردنا أن نُخرج بنتيجة لسانية موضوعية بعد هذا التحليل، لقلنا مع د، عبد السلام المسديّ

"أن أهل الغرب لو انتبهوا إلى نظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة

لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ماهي عليه اليوم، بل لعلّها كانت تكون قد أدركت ما قد لا تدركه

إلا بعد أمد.<sup>1</sup> وهذا هي الحقيقة التي نفر منها كثير من اللسانيين.

ومجمل القول فيما تناوله د، ميشال زكريا في كتابه التطبيقي الألسنية التوليدية وقواعد اللغة

العربية(الجملة البسيطة)، "أنه أضاف إلى النحو العربي صعوبات جديدة تمثلت في هذا السفر الذي

تناول فيه الجملة البسيطة من خلال التطبيق على باب النعت، فقد أطل زكريا في تناول الموضوع، في

حين أن تناوله في كتب النحو اتّسم باليسر والإيجاز، والأصل في الدراسات النحوية تيسّر على الباحثين

والمتعلمين، وهو هدف يجب أن نصدر عنه في تناولنا النحو، إلى جانب هدف آخر فقد وقع "ميشال" في

أخطاء في المفهومات النحوية حين اعتدّ الوصف نعتا (أي ينتظم المشتقات كاسم المفعول واسم الفاعل...)،

ومعلوم أن هناك فرقا كبيرا بين المركبين. ومن هذه المخالفات أنه جعل الفعل مشتقا من النعت، أي الوصف في

ضوء تصوره، متكئا على دعاوى غير دقيقة، والدليل أن الوصف لم يكن طرفا في خلاف النحاة في باب

الاشتقاق، ذلك الخلاف الذي تمحور حول الفعل والمصدر: أيهما أصل المشتقات، وهذا ما يجعل التصور

الذي ينادي بتحديث النحو العربي بمنهج مستصفي تصورا سليما. وقد بنى أحكامه أحيانا على شواهد

مصطنعة والأصل أن يتم تععيد الأحكام على شواهد كثيرة أو حتى قليلة الدوران.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> التفكير اللساني في الحضارة العربية: د، عبد السلام المسديّ، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986، ص: 23.

<sup>2</sup> مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص: 256، 257.

ومن نتائج عدم الإيمان بالتراث (التخليط وعدم الفهم): بحيث قَوْل سيبويه ما لم يخطر له ببال عندما رأى أنه استعمل مصطلح الجملة في قوله: "وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها. وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا، لأنّ هذا موضع جُمَلٍ، وسنبيّن ذلك فيما نَسْتَقْبِلُ إن شاء الله".<sup>1</sup> فالمقصود ب: جُمَلٍ بمعنى ليس بموضع تفصيل وتفسير فهو أراد الاستعمال اللغوي لا الاصطلاحي.

أما نص ميشال زكريا فهو قوله: "لا بد من أن نقف مليا هنا عند قوله "هذا موضع جمل"، واضح في رأينا أن سيبويه ينظر إلى قواعده من حيث هي قواعد جمل، أي قواعد تنطلق من تحليل الجملة وعناصرها، فالوحدة الأساسية التي يعتمدها في الكلام هي الجملة، والبحث اللغوي في الكتاب يتناول سلوك العناصر اللغوية ضمن الجملة، وعلاقة الجمل بعضها ببعض، كما أن الأمثلة التي يضعها أو يستشهد بها هي جمل".<sup>2</sup> ومعروف أن سيبويه لم يستعمل مصطلح الجملة عند كلّ الذين شابت قروئهم في النظر في "الكتاب" وخاصة عبد الرحمن الحاج صالح الذي قتل هذه القضية بحثا، نفى نفيا مطلقا أن يكون قد استعمل سيبويه مصطلح جملة.

<sup>1</sup> الكتاب: لسبويه (ت: 180هـ)، تحق: عبد السلام محمد هارن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص: 32.

<sup>2</sup> بحوث ألسنية عربية: د، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992، ص 46.

ويقول د، محمد حماسة عبد اللطيف "قرأت كتاب سيويه بحثا عن كلمة "جملة" سواء بالمعنى

الاصطلاحي، أو بالمعنى اللغوي فلم أهتد إليها قط، ولم أعر على كلمة الجملة في كتاب سيويه إلا مرة

واحدة بصيغة الجمع، ولم ترد بوصفها مصطلحا نحويا، بل بمعناها اللغوي."<sup>1</sup>

إذن؛ فأغلب مقاربات ميشال اللسانية حلّت بواد غير ذي زرع لأنها جهلت في البداية ، الخلفيات

الإبستمولوجية لكل منجز لساني، فكانت مقارباته جديدة ولكن لا يتطعمها الطبع اللغوي السليم، فلما

غاب عنه التصور الواضح جاءت النتيجة غامضة وهنا حيل بين العير والنزوان بين القديم والحديث ،

وأظنّ أنه مهما حصلنا من علم اللسانيات فإنه يظلّ كل اللسانيين البارزين في هذا العلم عيال على

رجال اللغة والنحو الأوائل أهل اللّعة حمّلتها وحماؤها ونقلتها ورواتها.

بل كلّ الذي قدّمه اللسانيون العرب المحدثون ليس خلقا جديدا في الفكر اللغوي الحديث، بل هي

إعادة صياغات فيها نسبة معيّنة من الاجتهادات، لأنّ من خصائص العلم "التراكميّة"، واللسانيات بما

أنّه علم ناجز اليوم فليس له شهادة ميلاد في زمان ومكان محددين ، ومحاوله علمنة اللسانيات ليست

حديثه الولادة، فليس دي سوسير من أتى باللسانيات اختراعا من لدن نفسه،<sup>2</sup> فتاريخ العلم جدّ

معقّد، فالعلم نقطة كثّرها الجاهلون، كما يقول الإمام علي -رضي الله عنه-

<sup>1</sup> بناء الجملة العربية: د، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، تاريخ النشر 2003، ص: 18.

<sup>2</sup> يرى نهاد الموسى أنّ "المسافة بين تاريخ لغوي وحاضر لغوي تكاد تنعدم فالتاريخ والحاضر منصهرين: ليس تاريخا وحاضرا وإنما هما "التاريخ الحاضر". أو الحاضر التاريخي. " انظر: اللغة العربية في العصر الحديث: د، نهاد الموسى، دار الشروق، عمان، ط 1، 2007، ص: 53.

عبد القادر الفاسي الفهري<sup>1</sup> في كتابه: -"اللسانيات واللغة العربية"، نشره سنة (1985).

يبحث هذا الكتاب في همّ الباحث اللساني العربي في تصوّره في طبيعة اللغة العربية وخصائصها والمناهج الكفيلة بمعالجتها، الذي هو مُطالب استعجالياً برسم الأدوات اللائقة بتنميتها وتطويرها حسب متطلبات العصر الحديث. ومن القضايا التي عالجها الفاسي ظاهرة الانغلاق في البحث اللساني العربي الحديث (بحيث تنغلق المادة على المبتدئ والمتقدم في ذات الوقت) "وهذا الانغلاق يبرز في عدة مستويات، لما يستلزمه النمط الخطابي عند الذات المخاطبة من شركة في المعتقدات، وأقسام المسلمات والاقتضات والتضمنات والاستلزمات".<sup>2</sup>

والانغلاق يهم الأبعاد المرجعية والمعرفية والمنطقية، وكما يتعلق بتعدد النماذج الصورية والتمثيلية وتراكمها وقدرة المبتدئ على الإحاطة بهذا العدد الهائل منها وتمثلها، واختيار النموذج الأكفى وتأويله، ويخص الجهاز الاستدلالي الذي يوظفه اللغوي للربط بين المبادئ والأفكار الموجهة وبين تحقيق هذه الأفكار في نماذج افتراضية-استنباطية واضحة. وهو يهم كذلك الأسلوب اللساني الذي لا يألفه القارئ العربي العادي.<sup>3</sup> أما جوهر الانغلاق مردّه إلى مستهلك اللسانيات من تخزين لأدوات معرفية واكتساب لجهاز مناظرة قد لا يتوافر بسهولة، خصوصا أن عناصر هذه الأجهزة ليست صريحة.

<sup>1</sup> (1947-؟) خبير لساني دولي مغربي بامتياز، له من المؤلفات اللسانية الشيء الكثير وثلاث لغات: العربية والإنجليزية والفرنسية.

<sup>2</sup> انظر: اللسانيات واللغة العربية: د، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985 ص: 12.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 12.

ومن المشاكل اللسانية التي عاجلها "الفهري" كذلك التصور الخاطئ بين التجربة (empirie) والنظرية (théorie) بحيث عدّ بعض اللسانيين أن النظريات اللسانية الحالية نظريات "غربية" تم بناؤها على اللغات الهندأوروبية، وهي لم توضع لوصف لغات غريبة على الغرب، ولذلك نحتاج إلى مزج النماذج الغربية بنموذج ينطلق من العربية، بغية الوصول إلى نموذج "مرمم" يصف العربية وغيرها من اللغات. ولكن "الفاسي" يرى أن مثل هذا الموقف لا يخطئ فقط في تصور العلاقة بين النظرية والتجربة ولكن يجهل أو يتجاهل واقع دراسة العربية في الغرب، ودراسة هاته اللغات، وما يخصصه الغرب من اعتمادات لهذا الغرض.<sup>1</sup>

وجملة موقفه من الخطاب اللساني العربي الحديث فهو موقف سلبي متشائم نعته بأنه خطاب لساني هزيل يفتقد لمقومات الخطاب العلمي، وهذا الهزال في نظره يرجع إلى عدة مغالطات منها: ادعاء العلمية، والتجروبيوية الساذجة، والتصوّر الخاطئ للتراث واللغة العربية.<sup>2</sup>

وقد سُئل مرة في حوار معه حول نعته ما يُكتب في مجال اللسانيات في الثقافة العربية "بالخطاب اللساني الهزيل"، هل تغيّر موقفه بعد عقدين من الزمن أم لا ؟ فأجاب بأن قال: "عندما قلت إن ما يكتب في اللسانيات العربية هو من قبيل الخطاب اللساني الهزيل بطبيعة الحال كانت هناك مجهودات، ولكن هذا الحكم مازال قائماً، بحيث لا نجد مواكبة في المستوى المطلوب لا في اللسانيات الحاسوبية ولا في اللسانيات التاريخية ولا في اللسانيات الوصفية ولا في لسانيات المتون".<sup>3</sup> ولأنه لاحظ بأن عينه ما

<sup>1</sup> اللسانيات واللغة العربية، ص: 57.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 33-61.

<sup>3</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص: 105، 106.

يكتب فى الثمانينيات لسانيات إنشائية لا تستند على مناهج علمية، وخاصة أنه رجل مختص عاين رواد

اللسانيات الغربية وفهم عنهم، فلمّا لم يجد وجها للمقارنة بين ما يكتب فى الثقافة العربية والثقافة

الأجنبية، استحقّ عنده أن يوصف الخطاب اللساني العربي آنذاك بـ: "الهزيل".

أما الأخطاء التى وقع فيها، فأولها موقفه السلبيّ من التراث اللغوي ، الذى تصوّره إما معطيات

اللغة الموصوفة، وإما مفاهيم وصفية، أو أصول وتأمّلات. وعلى هذا نضطرّ إلى التفريق بين النسق

الفكري وبين المعطيات. ودراسة المعطيات الموجودة فى هذا التراث يمكن أن تستعمل لبناء نحو اللغة

العربية القديمة. ودراسة النسق المفاهيمي النحوي/اللغوي يهدف إلى التأريخ للفكر.<sup>1</sup>

أما النتيجة لهذا التصوّر أنه ليس هناك ضرورة منطقية أو منهجية تفرض علينا توظيف هذا التراث.

فبناء نحو اللغة القديمة مثلا لا يحتاج ضرورة إلى المعطيات الموجودة فى النحو القديم، بل لا يمكن أن

يستغني عنها باستعمال النصوص القديمة. وعلى كل حال، لا يمكن أن يكتفي بها، علاوة على أنه يجب

استعمال المنهج النقدي لغربة ما هو معطى فعلي وما هو منتحل.<sup>2</sup> والخطأ الأول فى نظره فى تصور

التراث هو اعتقاد أن لابد من توظيفه فى بناء نحو يصف اللغة العربية، وحين يتم هذا التوظيف لا يمكن

أبدا أن يكون توظيفاً فى نحو اللغة الحالية، لأن هذا يؤدى إلى خلط بين نسقين مختلفين وهذا خطأ ثان.

أما الخطأ الثالث، فهو اعتقاد أن الآلة الواصفة للغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم

القدماء وأصولهم، أو بعبارة أخرى إلى الفكر النحوي العربي القديم.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> اللسانيات واللغة العربية، ص: 60،

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 60، 61.

<sup>3</sup> اللسانيات واللغة العربية، ص: 60، 61.



وبكل صراحة لقد غاب وجه الصواب عند "الفاسي الفهري" حينما رأى بعدم جدوى التراث

اللغوي وإمكانية تحويله إلى عملة لسانية حضارية حيّة خلاقّة، وهنا مكمن العلة في الفكر اللساني

الفاسي عندما أقصى القسمة العقلية اللغوية العربية وآمن بالإيديولوجية اللسانية، فالعودة إلى التراث

فريضة منهجية ولا يمكن الاستقالة منه مهما على كعب اللسانيّ العربيّ في اختصاصه، ولقد وقع

"الفاسي الفهري" هو الآخر في الاستلاب الفكري<sup>1</sup> ربّما لأنّه لم يحظى بسياسة العلم ولم يفقه جيّدا معنى

قانون التراكم المعرفيّ ولو فهمه لما وقع في وهم المعرفة؟! وكما يقول سيفن هوكينغ (فيزيائي إنجليزي): "أكبر

عدوّ للمعلم ليس هو الجهل بل هو وهم المعرفة."

فبعدها دعا "الفاسي الفهري" إلى القطيعة المعرفية بين التراث والحداثة لأنه استشعر خطأ في فهم

التراث النحوي لدى المحدثين، تولّد لديه في الوقت ذاته شعور قوي بضرورة وصف العربية بالمناهج الغربية

الحديثة، التي قرر أنها تمتلك الكفاية التفسيرية للقيام بهذا العمل. ومن هذا المنطلق فقد تبني النظرية

المعجمية الوظيفية التي طورتها الباحثة الأمريكية، برزنان، عن نظرية تشومسكي وذلك بإضافة المكون

الوظيفي إلى صلب النظرية. إلى جانب ذلك يتبنى الفهري استراتيجية جديدة تتمثل في البحث من خلال

ما أسماه "لسانيات الظواهر" كالعامل على إيجاد نظرية في الإعراب.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> لعبد السلام لمسدي كلمة رائعة في هذا الباب عندما يقول: "ما الذي يحدث للأفكار عندما تهاجر من بيئة إلى بيئة أخرى لا يحكمها نسق ثقافي واحد؟ هو سؤال رحلة العلم عبر المكان، وقد قضى العرف يصطلح عليه أهل الدراية بالبيئة. وكيف تتلون حقائق العلم كلّما أخذها الرحيل عبر الزمان؟ إذ لا مناص عندئذ من المعادة، فما يسميه أهل الذكر بالتحيين هو المراجعة المتجددة التي تتمثل لقانون التراكم المعرفيّ. وأيّهما أدعى للاعتبار وأوقع لفعل التاريخ: العلم أم استراتيجية تسويق العلم؟ وماهي الخطوط الفاصلة بين الإعجاب بالعلم إلى حدّ الانتصار له، والانبهار بمنجزه إلى حدّ الوقوع في الاستلاب الفكري؟ ثم هل باستطاعة الموضوعية العلمية التي تغني كليّا عن حضور الذات الثقافية ولا سيما إذا تخصصت من خلال الذات اللغوية؟" العربية والإعراب، ص: 7.

<sup>2</sup> مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص: 275.

أما البديل الذي اقترحه: فإن الفاسي يؤمن بأن النماذج الغربية الحديثة الواصفة قد أثبتت كفايتها في وصف اللغة، وتفسير ظواهرها، فهناك روابط وثيقة بين القواعد التركيبية، والصرفية، والصوتية، والدلالية، وبين المعجم، ومن هذه المنطلقات، فقد اختار: (النظرية المعجمية الوظيفية) التي طورتها الباحثة الأمريكية (برزان) عام 1978 عن نظرية العالم الأمريكي تشومسكي؛ لتكون المنهج الذي تبناه في تفسير قواعد اللغة العربية.<sup>1</sup>

فالنظرية اللسانية عند الفهري تتجاوز الوصف، والتقارير إلى التفسير، والتفسير مفهوم شامل يفسر النظام اللغوي من حيث المفاهيم النحوية كالحالة الإعرابية، والتطابق، والتقدير، والحذف، والزمن ومن حيث اللوازم المعجمية، كالمعنى، والتعددية، واللزوم، وصيغة الفعل.<sup>2</sup> إذن، فالنظرية اللسانية عنده "بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة تكوّن مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير، ويمكن كمجموعة من المفاهيم الأساسية، ومجموعة من المسلمات تستنتج منها النتائج التفسيرية للنظرية."<sup>3</sup>

غير أن هناك قضايا التي تجاوز فيها وخالف فيه إجماع علماء اللغة العرب القدامى أن العربية "كسائر اللغات البشرية. فاللغة العربية بصفقتها "لغة" تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشارك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبية والدلالية)... وبصفقتها "عربية" تختص بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كل اللغات، وإنما توجد في بعض اللغات، وكونها "عربية" لا يعني أنها تنفرد بخصائص لا

<sup>1</sup> اللسانيات واللغة العربية، ص: 80، 81.

<sup>2</sup> نظرية التعليل بين القدماء والمحدثين، ص: 252.

<sup>3</sup> اللسانيات واللغة العربية، ص: 13.

توجد في أية لغة من اللغات. بل لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا ونجد لها مثيلاً في لغة أو لغات أخرى، هندأروبية كانت أو غير هندأروبية.<sup>1</sup> وفي هذا التوجّه اللساني خالف شيوخ العربية وفقهائها كطبن فارس (ت:395هـ) مثلاً.<sup>2</sup> ثم إن هناك واقعا مشهودا معيوشا وهو إقبال الأجانب بمختلف أجناسهم ولغاتهم على تعلّم العربية، أليس هذا الإقبال شهادة واعتراف على قوة اللغة العربية وأهميتها وتميزها على سائر اللغات.

ومن الإشارات الضرورية هنا أن الفهري اتّكأ أحيانا على الدارجة المغربية في التقييد، الأمر الذي يحول دون أن تتخذ تعميماته صبغة التعميم الشامل، كما أن التقييد في النحو يتم للغة الفصحى وليس للهجة من اللهجات.<sup>3</sup> ومنذ متى كانت الدارجة حلاً أو نوعاً من العلاج في البحث اللساني الخاص أو العام، فهذا من التهافت اللساني الذي وقع فيه.

<sup>1</sup> اللسانيات واللغة العربية، ص:56.

<sup>2</sup> الذي يرى بأفضلية اللسان العربي على سائر اللغات، قال جلّ ثناؤه: "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" (الشعراء: 192) فوصفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان. قال جلّ ثناؤه: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ." (الرحمن: 04) فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توخّد بخلقه وتفرد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكّمة والنشاي المتقّنة. فلمّا خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان علّم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه. انظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص:19.

<sup>3</sup> مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص:276.

ومع ذلك يبقى الفاسي الفهري "ذو كفاية عالية، وأنّ ما قام به -مهما بلغ الاختلاف معه- يعد خطوة من خطوات العمل الجاد في إثراء الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، وتقريبها من البحث اللساني العالمي، كما أن محاولته من أهم المحاولات الشمولية المتكاملة في الكتابة اللسانية التوليدية العربية." <sup>1</sup>

ويبقى طرحه ينمّ عن أصالة في البحث تتسم بالدقة والموضوعية والعمق، وتظهر أن صاحبها ذو كفاية عالية في هذا الميدان الذي ولجه من أوسع من أوسع أبوابه. ولا شك أن ما قام به هو خطوة جادة على طريق السير نحو نظرية عربية حديثة. <sup>2</sup>

ومهما يكن يبقى لقد وجدنا الرجل ذو عقل لساني مدرّب على المقاربات والاجتهاد والنقض لتحديد المفاهيم والتصورات، وقد وفق في قضايا جدّد فيها الفهم وعمق فيها الطرح والحوار، لولا مبالغته في التعبّد لمقولات التوليدية التحويلية التي أوقعته في شرك التقليد.

بمعنى آخر أن ما كتبه الفاسي هو كما وصفت قبل قليل، ولكن تبقى كتاباته تفتقر إلى الأصالة، التي كما يراها الحاج صالح أنّها تقابل "التقليد أيّا كان المقلد المحتذى به سواء كان العلماء القدامى أو العلماء الغربيين إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره... والأصالة في زماننا هذا وعلى هذا الأساس هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصة." <sup>3</sup>

<sup>1</sup> مآخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها النظرية والتطبيقية، ص: 337.

<sup>2</sup> مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص: 277.

<sup>3</sup> بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 11.

وسأكون صادقا مع نفسي مع كتاب "اللسانيات واللغة العربية" الذي كان صاحبه صادقا في خدمة العربية، وهو أتي ما فهمت منه إلا الفصل الأول الذي استطاع فيه تشخيص أدواء الكتابة اللسانية العربية ووصفها بالخطاب الهزيل، أما باقي الفصول، فلم أكن بمستوى فكر الرجل لأفهم عنه ، فقد احترمت ضعفي واحترمت الاختصاص الضيق للرجل.

فقد وجدته يغوص في ال لسانيات التذرية (التي تبحث في ذرات اللغة) واستعمل فيه بعض المصطلحات والتراكيب لسانية منحوتة أظن أنه لا يفهمها أحد سواه مثل: الخفق، التبئير، الافتراض الرباطي، حيز التسوير، البنية المكوّنة، الفضلات الحملية، التبويض، المراقبة العائدية، ميثامتغيرات الاشراف... الخ، أما النتائج التي توصل إليها في هذا المقال فهي في نظري غوامض منها قوله: "تبرز هندسة اللغة بنية الجملة العربية إما جّ ذات ررض إلى اليمين، أو ررض إلى اليسار. والربضية إلى اليمين، والربضية إلى اليمين تولد تفكيكا إلى اليمين، أو تبئيرا، حسب الخصائص التأولية للتركيب، والربضية إلى اليسار في جّ تولد التفكيك إلى اليسار." <sup>1</sup> وأظن أن هذا الكتاب ماعدا الفصل الأول لا يفهمه خواص الخواص من اللسانيين إن وجدوا، فهو إذن؛ إما فكرا لسانيا مركزا لم تلد الثقافة العربية بعد من يناقشه، وإما منكرا لسانيا لا ينفع!!؟ فيجب أن يكون لعلم اللسان خطابين خطاب تمهيدي مفهوم وخطاب نخبوي للنخبة، لأنّ من خصائص العلوم قاطبة أن تكون على مستوىين على الأقل، مستوى قريب من المثقف البسيط، ومستوى يكون من رصيد النخبويين ونصيبيهم.

<sup>1</sup> اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص: 413.

مازن الوعر<sup>1</sup> في كتابه: "نحو نظرية لسانية عربية حديثة"، نشره سنة (1987).

هذا الكتاب هو في الأصل رسالة دكتوراه قدّمها في جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية باللغة الإنجليزية سنة 1983، وترجمها إلى العربية ونشرها سنة 1987. قرأ هذه الرسالة وعلّق عليها نعوم تشومسكي وأثنى عليها ثناءً حسناً، فقال: "لقد دهشت بشكل خاص من تلك التعليقات اللغوية التي وردت في ثنايا هذه الرسالة والتي كان قد قالها العرب القدامى. إن هذا وحده يجعل هذه الدراسة إسهاماً قيماً جداً لتطوير الدراسات اللسانية الغربية بغض النظر عن العمل اللساني المطبق على التراكيب العربية والذي يبدو مهماً جداً."<sup>2</sup>

وفي تعليق عام كان قد قاله العالم اللساني الأمريكي ولتر كوك حول رسالة الدكتوراه جاء فيه: "إننا لا نعرف بأن العرب النحويين القدامى قد توصلوا إلى ما ذكرته في رسالتك لذلك ينبغي أن نترجم أكثر أعمالهم من العربية إلى الإنجليزية."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> (1952 - 2008) لساني سوري تحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في اللسانيات الحديثة من جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية الأولى سنة 1980، والثانية سنة 1983، يعتبر من أشهر تلامذة الحاج صالح وفي ذلك يقول في إهداء هذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسته: "وأحبُّ أن أشكر البروفسور عبد الرحمن الحاج صالح الأستاذ في معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر، الذي فتح عيوني على علم اللسانيات في وقتٍ كنتُ فيه منغمساً تماماً في دراسة الأدب." نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية: د، مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987، ص: 12.

<sup>2</sup> نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص: 9.

<sup>3</sup> قضايا أساسية في علم اللسان الحديث (مدخل): د، مازن الوعر، دار طلاس، سوريا، ط1، 1987، ص: 360.

تتعيًا أطروحة هذا الكتاب إلى تطبيق بعض التقنيات اللسانية الحديثة الغربية على التراكيب الأساسية في اللغة العربية؛ وتعدّ هذه الدراسة من خلال تحقيق هدفين محاولة لتقديم تحليل لساني حديث ودقيق للتراكيب الأساسية في اللغة العربية، وفي الوقت نفسه، تسعى لتوسيع النظرية العامة للتراكيب الأساسية في النحو العالمي.<sup>1</sup>

أما الإطار النظري لهذا الكتاب فمن ثلاثة مصادر: المصدر الأول: نظرية القواعد التوليدية والتحويلية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي، والمصدر الثاني النظرية الدلالية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي ولتر كوك، والمصدر الثالث النظرية العربية اللغوية التي وضعها العرب القدامى في القرن الثامن الميلادي . وهكذا فإن الإطار الجديد للنظرية اللسانية الحديثة سيطبق على التراكيب العربية التالية: التراكيب الفعلية، والتراكيب الاسمية، والتراكيب الاستفهامية، لأنه من المفترض بأنّ المكوّن التوليدي المركبي سيولّد كلّ هذه التراكيب على نحو متساوٍ، وبعدها فإنّ المكوّن التحويلي يعمل على هذه التراكيب الأساسية بشكل مختلف.<sup>2</sup>

يرى د، مازن الوعر أنه بالإمكان إيجاد وصف شامل للتراكيب العربية، وذلك بدمج النموذج الدلالي التصنيفي الذي وضعه عالم الدلاليات الأمريكي "ولتر كوك" مع القواعد التوليدية التحويلية لعالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي، وذلك من أجل وصف التراكيب العربية، وشرحها نحويًا ودلاليًا. وقد

<sup>1</sup> نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص:13.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:14.

مثل هذه التراكيب الأساسية في العربية بالمعادلة التالية: ك (التركيب)، ثم: أد (أداة) ثم إس (إسناد) إس (إسناد) { م (مسند) م إ (مسند إليه) ف (فضلة) }<sup>1</sup>

■ تبنى رأي النحاة العرب من أمثال الزمخشري (ت: 538هـ)، وابن هشام (ت: 761هـ) في تمييزهم الأنواع الجمل العربية؛ فأرى رأيهم أن الجملة إما أن تكون اسمية نحو: زيد شاعر، أو فعلية نحو: جاء زيد، وهما النمطان الأساسيان في العربية، أو ظرفية: تتكون من مبتدأ وخبر شبه جملة، أو شرطية (تتكون من تركيبين اثنين يعملان كتركيب واحد) نحو: إذا أنت أكرمت الكريم ملكته، وهما متفرعان عما سلف.<sup>2</sup> ثم انطلق الوعر بعد ذلك مطبقاً معاييرهِ في التحويل في وصف البنية العميقة للتراكيب العربية الأساسية، (باب الإستفهام)؛ مستخدماً في ذلك الأدوار الدلالية التي اقترحها ولتركوك في منهجه الدلالي التصنيفي.<sup>3</sup>

أما نتيجة الكتاب فكانت عبارة عن تطّلع بحيث أنه إذا أحسنت مقارنة العربية من تكنولوجيا اللسانيات الحديثة فهذا سيفتح آفاقاً لفهم النظام اللساني العربي وحتى لفهم ذهنية الإنسان العربي، وهذا صحيح، لأن الإنسان يتكون كيان معقّد من القارّات من لغة وفكر وروح وقلب ونفس وعقل.

وتحسب أنّك جرم صغير\*\*\* وفيك انطوى العالم الأكبر

<sup>1</sup> انظر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ص: 93، 94.

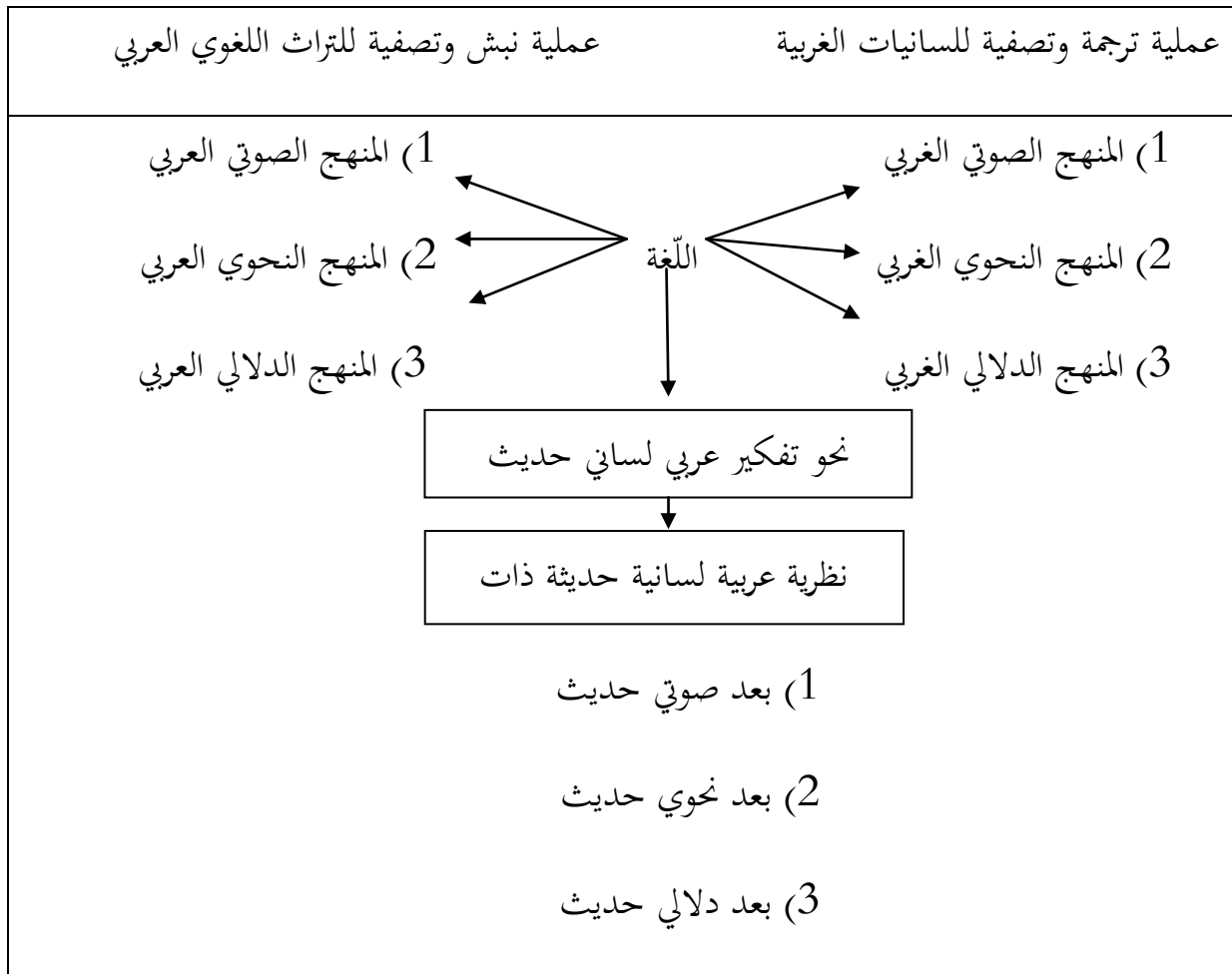
<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 27، 32.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 167.



ومحمل القول، فإنّ مازن الوعر لخص نظريته اللسانية بشكل فاقع فى كتابه " قضايا أساسية فى علم اللسان الحديث" الذى نشره سنة 1987، والى انطلق فىها من التراث اللغوى العربى، فإنها تقع فى ثلاث مستويات: المستوى الصوتى ، والمستوى النحوى، والمستوى الدلالى ، وهى تظهر بوضوح فى هذا

الجدول:<sup>1</sup>



<sup>1</sup> قضايا أساسية فى علم اللسان الحديث (مدخل)، ص: 352.

إذاً، فتحديده لهذه المستويات يُعدُّ خطوة منهجيّة لا غبار عليها يستسيغها المنطق العقلي ويتقبّلها

الواقع العلمي بقبول حسن مادام أن اللسانيات من أركان أضلاعها هذه الثلاثة، ثم يقترح بعد هذه

الخطوة وهذا قبل فتح نافذة حوار لتهجير المصطلحات والقوالب وتركيبها في مقارّها.<sup>1</sup>

غير أنّ الأمر المحيّر في مازن الوعر نفسه أنّ له موقفاً في ما قدّمه في: "نحو نظرية لسانية عربية

حديثه"، التي ناقشها سنة (1982)، فبعد عقدين من الزمن سئل حول ما قدّمه في هذه الرسالة سئل

من طرف الاخصائيين بإمكانية وجود نظرية لسانية عربية حديثة؟

فأجاب بقوله: أستطيع أن أقول وبكل ثقة: لا وجود لنظرية لسانية حديثة في العالم العربي. ما فعلته

أنا هو هو جهد ضئيل جدا في نقل معرفة جزئية جدا تتعلق بالجانب التركيبي والجانب الدلالي عند

العرب القدماء، وفي النظرية اللسانية الغربية، وعلى مستوى المناهج والمواد اللغوية عند كل طرف، ثم

حاولت بناء نموذج لساني متواضع يمكنه أن يصف ويشرح التراكيب الأساسية في اللغة العربية.. لقد

زواجت بين نحو تشومسكي ودلالات كوك العالمين اللذين هما على نقيض تام.<sup>2</sup>

وسئل مرة ثانية حول كتابه "نحو نظرية لسانية عربية حديثة"، بأنه راهن على نظرية لسانية عربية.

فكيف تقيمون تلك الأطروحة بعد مرور أكثر من عقدين من الزمن على طرحها؟

<sup>1</sup> وذلك عندما يقول: "وهكذا عندما ننتهي من عملية الجمع الصوتي والنحوي والدلالي ينبغي علينا أن نفكر بإعادة صياغة المنهج العربي اللغوي الذي انطلق العرب القدامى منه لدراسة اللغة العربية كلغة عالمية طبقاً للمفهوم الفلسفي الإسلامي. فإذا انتهينا من إعادة صياغة المنهج العربي اللغوي القديم فإنه يمكننا عندها أن نفتتح نوافذ ثقافتنا اللسانية على مصراعيها للثقافة اللسانية الغربية ثم استيراد المناهج الغربية الحديثة على نحو ما كان العرب القدامى يفعلون، فقد كانوا يستوردون المناهج والنظريات الغربية." قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث (مدخل)، ص: 350، 351.

<sup>2</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص 136.

فأجاب بقوله: "في كل نظرية لابد أن يكون هناك منهج كأمودج لهذه النظرية، المنهج الذي اتبعته منذ عقدين من الزمن أصبح قديماً، ولكنني من جهة أخرى لم أتوقف عند هذا المنهج، فقد استفدت من الملاحظات والأفكار التي كان طلاب الدراسات العليا يسدونّها إلى، لذلك كنت أضمنها في المنهج القديم، حتى إذا تفاعلت هذه الأفكار كلها مجتمعة حاولت أن أضعها في منهج آخر كالذي قد قدمته من خلال أمودجين جديدين، يتجلى الأمودج الأول في كتابي: "جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي" الصادر عام 1999، والأمودج الثاني يتجلى من خلال كتابي: "دراسات نحوية دلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة الصادر عام 2001، انطلاقاً من أن النظرية لا ينبغي أن تكتفي بأمودج واحد وإلا فإنها ستعلن إفلاسها الفكري، النماذج المتعددة والمختلفة هي التي تعطي النظرية البقاء والحياة.<sup>1</sup>

هل لأنه انقذ في ذهنه أن كتابه مقارنة سطحية ليس إلا ولا تستجيب لشروط العلم والمعرفة اللسانية؟ ولهذا ضعفت صلته بموضوعه لأنه تاه<sup>2</sup>، فغيّر طريقه إلى نهج آخر علّه يجد مسلكاً يهديه إلى نقطة الوصول بين حزون اللسانيات وشعاب النحو.

<sup>1</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص: 123.

<sup>2</sup> لقد كتبت على باحث الحقيقة أن يعاني الحدّ المعبر من التيه، وكأنّ التيه يجب أن يسبق الوصول إلى الحقيقة، ومعاناة التيه تكون بحسب درجة عشق الحقيقة والهيام بها، ولهذا وجدنا أبا حامد الغزالي من أعظم فلاسفة العرب الذين عانوا مرحلة التيه، وقصة هذا التيه قد حكاها في كتابه المتاع: "المنقذ من الضلال"، وهو كتاب واجب دراسته على كل باحث عن الحقيقة، يقول في مقدمته: "أحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق، وما استجرت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد، إلى يفاع الاستبصار، وما استفدته، أولاً من علم الكلام، وما اجتويته، ثانياً من طرق أهل التعليم، القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام وما ازدريته، ثالثاً من طرق التفلسف وما ارتخيته، آخراً من طريقة التصوف وما انجلي لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق، من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما رديني إلى معاودتي بنيسابور بعد طول المدة". "المنقذ من الضلال: أبو حامد الغزالي، تحق: د، عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر (د، ط)، ص: مقدمة المؤلف.

المهم أن الرجل بدا غير قانع حول ما قدمه في كتابه: "نحو نظرية لسانية عربية"، وهذا دأب جلّ

اللسانيين المقارنين بين التراث اللغوي العربي والدرس اللساني الحديث، أما سرّ في ذلك هو أن عزم

لسانيات التراث على المقارنة على الرغم من إدراكها لفسادها يؤكد أن الدافع إلى هذا النوع من المقارنة

دافع نفسي بالدرجة الأولى، هدفه الاطمئنان إلى عصريّة التراث اللغوي العربي، ومحاولة ربطه بالتيار

اللساني العالمي.<sup>1</sup> أما في رأيي أجد أن الرجل وهو لسانيّ مختص عندما أجفل عن ما كتب، لأنه وجد

نفسه آنذاك في مطلع الثمانينات قد نحى منحى الفيلولوجيين ولم ينحو منحى اللسانيين المتخصصين

الذي فهموا اللسانيات التوليدية في توصيفها الأصل عند تشومسكي.

ثم إنه كثير من المقارنين تغافلوا بطريقة أو بأخرى وعضّوا الطرف عن الاختلافات الزمنية والفوارق

الحضارية والثقافية وتجريد النتاج الفكري عن زمانه وعن الحضارة التي أنتجته، هو تجريد له عن جزء من

معناه ومغزاه. وهذا ما يقود إلى فهم جزئي إن لم نقل إنه يقود إلى سوء فهم كلي له.<sup>2</sup>

يبقى د، مازن الوعر من أندر اللسانيين الذين أوتوا سياسة علم اللسانيات والأمر الذي يحدد

لهذا الكتاب أنه أنزل الدرس اللساني من سامريته النخبوية ليكون في متناول القارئ العادي للعربية، فلقد

عانى فكرته اللسانية حقّ المعاناة وعاش المأزوم اللساني العربي الحديث وجالس أكبر شيوخها في أمريكا

وأراد تنوير الفكر اللغوي العربي لكن لما اخترمه الأجل انقطع الأمل. لأنه في كتابه: "قضايا أساسية في

علم اللسانيات"، الذي نشره سنة 1988، كان يطمح إلى مشروع جمعي كبير، عندما يقول "والحقيقة

<sup>1</sup> اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص: 189.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 189.

إن ما يدور بذهني بشأن هذه النظرية العربية اللسانية هو مشروع كبير وضخم لا يمكن أن يتم في سنوات قليلة بل يحتاج إلى جهد وعمل وخطط متواصلة أساسها العمل الجماعي العربي ولكن قبل هذا المشروع اللساني ينبغي أن تسبقه خطوة مهمة جدا، وذلك للاتكاء على أرضية صلبة، تلك هي الانطلاق من التراث العربي.<sup>1</sup> ومادام أن أحكام اللغة العربية وسعت كل مذاهب النحاة وتخرجاتهم الكثيرة، فهي مؤهلة أن تتسع كل ما كتب في اللسانيات ابتداءً من دي سوسير إلى آخر ما قاله تشومسكي في التوليدية التحولية.

إذن؛ فإذا كان من خصائص العلوم الطبيعية عموماً، و خصوصاً الفيزياء، ما سماه "كارل بوبر"، "القابلية للتنفيذ"؛ فكلمًا كانت نظرية أكثر قابلية للتنفيذ كانت أكثر علمية، وكلما كانت أكثر قابلية للتصديق تحوّلت إلى معتقد (dogma)، قد أصبح من خصائص العربية "القابلية للتقارب"، فكلمًا كانت العربية أكثر قابلية للتقارب بينها وبين تطورات علم اللسان العام، أصبحت لغة الحداثة (modernism)، ولغة المعاصرة (modernity)، ولغة التحديث (modernization) وإمكانية أن تحمل لواء العلم والحضارة، وكلما حُصرت في وظيفة التواصل تخلفت عن الركب وأصبحت لغة الشعائر الدينية أو المجالس الرسمية فحسب.

<sup>1</sup> قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث (مدخل)، ص: 347.

حسن خميس الملخ<sup>1</sup> في كتابه: -"التفكير العلمي في النحو العربي"، نشره سنة (2002).

- "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي"، نشره سنة (2007).

نحى د، حسن خميس الملخ في كتابه " التفكير العلمي في النحو العربي " إلى التجرد في التفكير العلمي وخصائصه كالتخلي عن المعلومات السابقة والملاحظة والقياس والروح العلمية المتمثلة في التحلي بللموضوعية وإقصاء الذات، وغير ذلك من المميزات، بحيث قرأ أفكار نظرية النحو العربي المتمثلة في مقولات السماع والقياس والتعليل أو التفسير على ضوء المنهج العلمي الحديث مستعينا بالرياضيات والتاريخ واللسانيات؛ بغية تبيين أن النحو العربي مشروع علمي من أول خطواته، ولكنه مشروع لم يكتمل لأنه تحول فيما بعد إلى عادات معرفية، فتوقف أو كاد.<sup>2</sup>

ومن الأسئلة القوية التي طرحها في هذا "الكتاب" لماذا استطاعت الحضارة الغربية بناء علم للغة يوطر جوانبها النظرية من غير أن يكون جزءا من الدرس الصربي أو النحو في أقل من أربعة قرون من نهضتها الأخيرة، ولم تستطع الحضارة العربية الإسلامية طوال ما يقرب من اثني عشر قرنا أن تقدم تأطيرا واضحا للنظرية اللغوية بجوانبها كلها؟ الإجابة هي أنه عندما ظهر كتاب سيبويه قبيل أفول ق<sup>2</sup>هـ تجربة عملاقة في التفكير النحوي والصربي والصوتي أدرك النحاة آنذاك أنه كتاب في تعليم التفكير العلمي في

<sup>1</sup> لساني أردني متميز، رسالته في الماجستير كانت بعنوان: "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي"، بإشراف: محمد حسن عواد، تقع في 200 صفحة وتيف، نوقشت سنة 1995، ونشرت سنة 2001، أما رسالة دكتوراه موسومة ب: "نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين"، تقع في: 290 صفحة، بإشراف الدكتور: جعفر نايف عبابنة، نوقشت ونشرت سنة 2000.

<sup>2</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص: 333.

اللغة عدا تعليم قواعد اللغة؛ لهذا قال المازني: من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه

فليستحي.<sup>1</sup> بل هناك إجماع بين النحاة في تسمية "الكتاب"، ب:قرآن النحو؟

إذن؛ فتأخر الحضارة العربية الإسلامية في تأطير نظرية لغوية متكاملة هو عقدة الانبهار من

"الكتاب" التي رافقت نحاة العربية الذين تجاوزوا ألفي نحويّ إلى عهد جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)،

"وقد منع هذا الانبهار النحاة من أداء واجب كانت الضرورة العلمية تدعو إليه، فبقيت كتب النحو علة

وجه الإجمال تجارب تعليمية، ولو تجاوز بعض النحاة الغاية التعليمية وحالة الانبهار لكانوا قد قدموا

لل بشرية هيكلًا نظريًا لعلم اللغة من أمة أفرغت جل طاقتها في خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى، ثم لغته

الخالدة بخلوده.<sup>2</sup> ولكنّ "الملخ" قد سبق في هذه الرؤية العلمية، عندما يقول د، مختار عمر: "وقد كان

من سوء حظ النحو العربي أن جاء سيبويه في وقت مبكر جدًا لا يتجاوز النصف الثاني من القرن الثاني

الهجري، إذ نتج عن تفوقه وشدة إعجاب النحاة به أن أصيب التفكير النحوي بشلل، ودار الجميع في

فلك سيبويه، واتخذوه أساسًا لدراستهم، ولذا لم يطوروا هذه الدراسة بالقدر الكافي، وتحولت كثير من

الدراسات النحوية إلى مجرد شروح له أو اختصارات... الخ"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> التفكير العلمي النحو العربي-الاستقراء، التحليل، التفسير-، ص:38.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:38.

<sup>3</sup> البحث اللغوي عند العرب: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، ط8، 2003، ص:124.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها في هذه "الكتاب" أن النحو منه ماهو متغيّر: وهو النظام الذي تستجيب قواعده لما يطرأ من تغيّر في استعمال اللغة من الناحية النحوية، فتخضع القاعدة فيه إلى التطوّر والتعديل والزيادة والإلغاء وغيرها من نتائج إعادة النظر في مصداقية ما تنتجه القاعدة النحوية،<sup>1</sup> وأما النحو الثابت: وهو النظام النحوي الذي يكون الأصل في قواعده المبنية على الوصف والاستقراء عدم الاستجابة لما يطرأ من تغيّر في استعمال اللغة النحوية، فتخضع القاعدة فيه إلى إعادة النظر في أساليب تعييدها لا في ذاتها، كما في قواعد النحو العربي، ذلك أنها مرتبطة بثابت يقوم عليه كيان الأمة، وهو القرآن الكريم لهذا ما تزال القواعد النحوية تؤدي وظيفتها في إنتاج كلمات وجمل صحيحة لا تختلف عما يألفه المرء في القرآن أو الكتابات المعاصرة في الشعر والنثر، فما يزال الفاعل مرفوعا والمفعول منصوبا، والمضاف إليه مجرورا.<sup>2</sup>

أما مفهوم المتغيرات والثوابت من منظور تمام حسان، فمتغيرات اللغة هي مفردات المعجم، أما متغيرات اللغة فهي مناط التبويب والتقسيم والتجريد والتعديد، أو هي نظام اللغة وهي أيضا الذي تكلم عنه عبد القاهر في دلائل الإعجاز.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> فاللغة الإنجليزية المستعملة في أيامنا هذه تختلف نوعا ما عن اللغة الإنجليزية التي كانت سائدة قبل ستة قرون في الدلالة والنحو وربما في شيء من الأصوات، نستدل عليه بما يسمى بالأحرف المهملة صوتيا في اللغة الإنجليزية مثل حرف (T) في كلمة (listen) فهو لا يلفظ، لكن الذي يغلب على الظن أنه كان في الأصل ملفوظا مكتوبا، فحصل تطوّر في اللفظ من غير أن يوازيه تطور في الكتابة. انظر: التفكير العلمي النحو العربي-الاستقراء، التحليل، التفسير، ص: 41، 42.

<sup>2</sup> التفكير العلمي النحو العربي-الاستقراء، التحليل، التفسير، 2002، ص: 42.

<sup>3</sup> من أرد التفصيل فليُنظر: اجتهادات لغوية: د، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007، ص: 130، 131.



ومن أغرب النتائج التي توصل إليها كذلك، أنه لا فرق في القدرات الدماغية بين سيويه وابن

هشام وتشومسكي، فلا بس العمامة ولا بس البذلة عندما يعملان على دراسة أنظمة اللغات لا بد أن

يلتقيا أو يتكاملا، وما الاختلاف بينهما إلا اختلاف في منجزات الزمان، فلو كان ابن هشام حيًا بيننا

لكان لسانيا يفخر بمعرفة اللسانيات الحديثة ويفيد منها في دراساته كافة؟<sup>1</sup>

إذن؛ ما هذا الكتاب إلا برهان علمي على أم النحو العربي قد استكمل شروط التفكير العلمي،

وصفاته في منهج الاستقراء، ومنهج التحليل، ومنهج التفسير، وليس المراد الدفاع عن النحو العربي - وإن

كان هذا الهدف قد تحقق ضمنا- لأن التجربة التاريخية أثبتت نجاح علم النحو ومثانته في قواعده أي

الجزء الثابت منه.<sup>2</sup>

ومهما يكن، فأفكار هذا الكتاب مهمة وكثيرة لا يتسع المقام لذكرها، فقد بدا د، حسن خميس

الملخ في هذا الكتاب باحثا قد استوعب نظرية النحو العربي وذلك من خلال أدوات التحليل والنقد،

بحيث استطاع الإيغال في فك التصورات وتحليل الأفكار وربطها، وأثبت لنا النحاة القدامى قد امتلكوا

بوصلة التفكير بحق في معالجتهم لنظام اللغة بطريقة علمية تجريدية. وهذا الكتاب صراحة أعجبنى طرحه

حتى كاد أن يزحزح من مكانة كتاب "الأصول" لتمام حسان وهو من هو!!!

<sup>1</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص:333.

<sup>2</sup> التفكير العلمي النحو العربي-الاستقراء، التحليل، التفسير، ص: مقدمة المؤلف.

أما كتاب "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي" فقد هدف منه إلى دراسة بعض ظواهر النحو العربي وفق رؤى اللسانيات الرياضية، والمعجمية، والإجتماعية، والصوتية؛ لأنّ هذه الأنحاء اللسانية تحمل وعدا بتطوير المنجز النحوي في اللغة العربية لتجاوز بعض مشكلات العربية في التعليم والتعلّم والتحديث وإعادة هيكلة المنظومة النحوية للغة العربية، من غير إهمال لجوهر المنطلقات المؤسسة للنحو العربي في السماع والقياس والتحليل والتعليل والتبويب، ومن هنا ضمّ الكتاب الرؤى اللسانية الحديثة إلى الرؤى اللسانية القديمة المتوارثة؛<sup>1</sup>

ومن المسائل النحوية الرياضية التي عاجلها "نظرية الاحتمالات ركن أساس من أركان الرياضيات التقليدية والحديثة، استفاد منها علماء فلسفة العلوم واللسانيات الحاسوبية، لتكون بديلا عن التعميم، لأنّها تعبر عن نسبة الصواب أكثر دقة من التعميم، وهي قائمة على مبدأ العامل المشترك أي الصفة المشتركة التي تجمع بين اثنين فأكثر، يمكن أن يكون بينهما اختلاف في غير تلك الصفة، والصفة المشتركة في غير ما يخضع للتجربة العلمية كالأصوات شكليّة؛ لهذا يمكن الحديث عن البنية المشتركة واحتمالاتها، مثل البنية (فعل) فقد تكون مصدرا، نحو (صهيل) أو صفة مشبهة، نحو: (كريم) أو صيغة مبالغة، نحو (عليم) ضمن محددات من السياق والمعنى."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> بدل الانزواء في أحد الزمانين، وفقدان سمة الاستمرارية والتراكمية في العلم؛ ذلك أنّ استمرار الدرس العلمي لأيّ علم يؤدي إلى تطويره بشرط أن يكون في الاستمرار ابتداء في الأساليب والوسائل، يؤدي إلى تحديد الابتداء في النتائج. "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي: د، حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص: من مقدمة المؤلف.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 47.

مثلا في قوله تعالى: "وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَالْأَلَّةِ"<sup>1</sup> (النساء:12)، يجوز في "كان" وجهان أحدهما: أن تكون ناقصة، و "رجل" اسمها، وفي الخبر احتمالا، أحدهما: أنه "كالالة" إن قيل: إنها الميت، وإن قيل إنها الوارث أو غير ذلك فتُقدَّر حذف مضاف أي: ذاك الالة، و "يُورثُ" حينئذٍ في محل رفع صفة لـ "رجل" ... الاحتمال الثاني: أن يكون الخبرُ الجملةُ من "يُورثُ"، وفي نصب "كالالة" حينئذٍ أربعة أوجه، أحدها: أنها حال من الضمير في "يُورثُ" إن أريد بها الميتُ أو الوارثُ ... الثاني: أنها مفعولٌ من أجله إن قيل: إنها بمعنى القرابة أي: يورثُ لأجل الكالالة. الثالث: أنه مفعول ثانٍ لـ: "يورثُ" إن قيل إنها بمعنى المال الموروث. الرابع: أنها نعتٌ لمصدر محذوف إن قيل: إنها بمعنى الوراثة أي يورث وراثته كالالة. . والوجه الثاني من وجهي "كان": أن تكون تامة فيكتفى بالمرفوع أي: وإن وجد رجل، و "يُورثُ" في محل رفع صفةً لـ: "رجل" و "كالالة" منصوبة على ما تقدّم من الحال أو المفعول من أجله أو المفعول به أو النعت لمصدر محذوف على حسب ما قرّر من معانيها. ويخص هذا وجه آخر ذكره مكّي: وهو أن تكون "كالالة" منصوبة على التفسير (التمييز)."<sup>2</sup> هذا ملخص ما كان يراه السمين الحلبي (ت:756هـ)، في إعراب كلمة كالالة في موقعها القرآني.

<sup>1</sup> اختلفَ في معنى الكالالة فقال جمهور اللغويين وغيرهم: إنه الميت الذي لا ولد له ولا والد، وقيل: الذي لا والد له فقط، وقيل: هو مَنْ لا يرثه أب ولا أم، وعلى هذه الأقوال كلّها فالكالالة واقعة على الميت. وقيل: الكالالة: الورثة ما عدا الأبوين والولد، ومثما بذلك لأن الميت بذهاب طرفيه تُكلله الورثة أي: أحاطوا به من جميع نواحيه، ويؤيد هذا القول بأن الآية نزلت في جابر، ولم يكن له يوم أنزلت أب ولا ابن. وقيل: الكالالة: المال الموروث. وقيل: الكالالة: القرابة، وقيل: هي الوراثة. انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس السمين الحلبي (ت:756هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د، ت)، ج3، ص:606، وما بعدها.

<sup>2</sup> انظر المصدر نفسه، ج3، ص:607، وما بعدها.

فإعراب (كان) كان له احتمالان حسب أنواع (كان) الثلاث: التامة، والناقصة، والزائدة، وإعراب (يورث) كان له احتمالان من احتمالات إعراب الجمل التي لها محل من الإعراب، وإعراب (كلالة) كان له خمسة احتمالات من احتمالات إعراب الصورة الإسمية المنصوبة، وكان مسوغ تعدد الاحتمالات الاختلاف في فهم معنى اللفظ مثل (كان) و(كلالة)، وقد نتج عنه اختلاف في مدى انطباق شروط القاعدة النحوية على الصورة كما في إعراب (كلالة) تمييزاً، فمحلّ الخلاف تصنيف (كلالة) بين المصدر والاسم.<sup>1</sup>

وهذه الاحتمالات تدلّ على أمرين: فالأول: أنّ الاحتمال يعبر عن خاصية محددة تنماز بها الظاهرة أو الكلمة، تشير إلى وجود علاقة بين صورة الكلمة وإعرابها. أما الأمر الثاني: أنّ تعدد الاحتمالات الإعرابية ادعاء غني بالمضمون، لكنّه يحتاج إلى إسناد نحوي ومعنوي، يعقبه فحص واختبار، لأنه من غير شرح أو تفسير أو تدليل فرضية؛ ذلك أنّها من آثار تعدد القراءات للجملة أو النص. وهذان الأمران هما عماد فلسفة نظرية الاحتمالات في العلوم المختلفة.<sup>2</sup> إذن؛ فنظرية الاحتمالات وهي نظرية رياضية بحتة، ومع هذا الشاهد النحوي الخلاق نستطيع أن نقول أنّها هي الأخرى نظرية رحب الذراع في النحو العربي، كيف لا؟ وقد صحّ تخريج هذه الآية إلى وجوه عدّة وكلها صحيحة قواعدلي grammaticalité ودلالة، أو من الناحية المقبولية acceptabilité.

<sup>1</sup> رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، ص: 48.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 48.

وهذا الكتاب الثاني لحسن خميس الملح يشجع البحث اللساني بإمكانية بناء نظرية لسانية علمية عربية ذات أطر ومستويات وبناءات إذا نحن عدنا إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي القديم، فلم يعد النحو في زمن العلم واللسانيات ذلك المفهوم المحصور بأن فائدته هو التكلّم بكلام العرب ليستطيع المتكلّم أن يقيم لسانه في صفحة يقرؤها أو خطبة يلقيها، أو خاطرة يسجلها، أو قضية يفصل فيها ، بل أصبح النحو يشارك في صناعة الحياة.

عندما نجد الأصول الفيزيائية في أحكام العربية ، فالمعادلة الفيزيائية قطبا المغناطيس المتماثلان يتنافران والمختلفان يتجاذبان لها وجود شامل في نظرية النحو العربي ، فعدم تقدم خبر "إن" وأخواتها عليهن مطلقاً، فلا يجوز "قائمٌ إن زيدا"، بل يجب أن يتأخر الخبر، فيقال: "إن زيدا قائمٌ" لأن الخبر قد يأتي فعلاً: (جملة فعلية)، وإن في طبيعتها حرف مشبه بالفعل ، فلو جاز تقدم الخبر لتعاقب فعلاّن في جملة، وكان الفعلين قطبا مغناطيس متماثلان فيتنافران<sup>1</sup> فهذا مثال من أمثلة كثيرة في لغة العرب، وكيف يكون الأمر إذا بحثنا في لغة القرآن الكريم الذي يمور بالعجائب اللغوية والذي تحكمت العناية الإلهية في صياغة لغته، إذا قال النحاة أن لغة العرب استجابت للسليقة العربية في نمذجتها.

<sup>1</sup> أما أخبار كان وأخواتها عليها، فيجوز نحو: "قائما كان زيدٌ و"إن" في حقيقة أمرها فرغ على كان، وكان تعمل عمل الفعل، فتقدم الخبر عليها محمول على مفعول قدم على الفعل كما في قوله تعالى: "فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون"، فكيف جاز لكان ولم يجز ل: "إن"؟! ولا علة سوى وجود علة التنافر وبخاصة إن، "كان" فعل ناقص، لا يرقى إلى الفعلية إلا في الدلالة على الزمن. وبكلمة إن الفعلية ضعيفة في "كان" وقوية في "إن" كأن "إن، قطب مغنطيس متماثل مع الخبر، فيتنافران. مقال مخطوط: الفيزياء وأحكام اللغة العربية - التعليل و الاستدلال-: د. محمد كشاش: أ، بكلية الآداب الجامعة اللبنانية.

## الفصل الخامس: بعض الاجتهادات لبعض دعاة الأصالة والتوسط بين الترديد والاستشراف.

1 عباس حسن في كتابه: -"النحو الوافي"، نشره سنة (1960).

-"اللغة والنحو بين القديم والحديث"، نشره سنة (1966).

2 أحمد سليمان ياقوت في كتابه:

-"ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم"، نشره سنة (1981).

3 فاضل صالح السامرائي في كتابه: -"معاني النحو"، نشره سنة (1989).

4 يوسف الصيداوي في كتابه:

-"الكفاف" (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)، نشره سنة (1999).

5 فخر الدين قباوة في كتابه:

-"مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء"، نشره سنة (2001).

"من المعلوم والثابت أن نهضات الأمم إنما تقوم على أساسين، الأول: النظر فيما سلف لها من تراث وإحياءه. والثاني: الإفادة من منابع الفكر الخارجي واستصفاء ما يتناسب منه مع فكرنا وتاريخنا. وينهض بهذين الأمرين أناس اختصهم الله بسعة العقل وصفاء الذهن، وعلو الهمة، وقوة النفس ومضاء العزيمة، والجلد التحصيل، وتحمل أمانة العمل والصبر على تكاليفه وأعبائه."

محمود محمد الطناحي، في اللغة والأدب -دراسات وبحوث-، ص: 825.

عباس حسن<sup>1</sup> في كتبه الثلاثة: - "النحو الوافي"، نشره سنة (1960).

- "اللغة والنحو بين القديم والحديث"، نشره سنة (1966).

لقد كان كتاب "اللغة والنحو بين القديم والحديث" أسبق وجود من كتاب "النحو الوافي" لأن الكتاب الأول هو في الأصل مجموعة مقالات كان قد نشرها في رسالة الإسلام ما بين سنة 1957، 1959، ثم جمعها في كتابه (اللغة والنحو بين القديم والحديث) الذي نشره سنة 1966، الذي يمثل الأول الجانب النظري لمحاولاته في تيسير النحو ومعالجة مشكلاته التي يُعاني منها.

أما "النحو الوافي" فيمثل الجانب التطبيقي، وهو يعدّ من عمَدِ المراجع النحوية الحديثة لدى طلاب العربية وباحثيها، فهو مشروع إحيائي مضمون كبير توسّل فيه خطأ النحاة القدماء، على الرغم من اعتماده على الحواشي النحوية ومع هذا فقد "أكمل العناية بلغة الكتاب، وضوحاً وإشراقاً، وإحكاماً، وإسترسالاً، فلا تعقيد ولا غموض، ولا حشو، ولا فضول."<sup>2</sup>

إذن؛ فهو دعامة علوم العربية أراد مؤلّفه أن يجمع مادة كلّ النحو ومادة كلّ الصرف في كتاب واحد في أربعة أجزاء يغني عن ما سواه من المطوّلات أو الملخّصات، سواء الحديثة منها أو القديمة التي قيلت في هذان العلمان المتماسكان، ولقد بلغ الغاية التي أمّتها.

<sup>1</sup> عباس حسن (1906-1979)، قال عنه: د، عدنان الخطيب "كان الفقيه، رحمه الله، من أركان الدفاع عن لغة القرآن، الدائدين عن الفصحى وسلامتها؛ (..) كان رحمه الله، من أثبت علماء العربية جناحاً في الدفاع عن قدسية المتن - وقد آمن بها- وتدرّ نفسه لخدمتها، وتجديد عرضها على من يطلبها؛ شديد الكُرّه للنظريات المستحدثة باسم "علم اللسانيات"، يدحض آراء أصحابها ومحاولاتهم تلبسها باللغة العربية، ولا يُحجّم أحياناً عن وصف ادعاءات بعضهم الغيرّة على العربية بأنها سُتور للتغريب والتهدم" انظر الرابط:

<http://www.majma.org.jo/majma/index> تاريخ الاقتباس: يوم: 2014/09/03.

<sup>2</sup> النحو الوافي: د، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط15، ج1، ص: من مقدمة المؤلف.

كما أنه دافع عن نظرية العامل بحدوء وعن النحاة الأوائل بحيث رأى أن النحاة أبرياء مما اتهموا به، بل هم أذكياء، بارعون فيما قرروه بشأن: نظرية العامل، فقد قامت على أساس يوافق خير أسس التربية الحديثة لتعليم اللغة، وضبط قواعدها، وتيسير استعمالها.

ويرى كذلك أن العوامل بنوعها - اللفظية والمعنوية - ليست مخلوقات حيّة، تجري فيها الروح فتعمل ما تزيد، وتحس ما يقع عليها، وتؤثر بنفسها، وتتأثر حقًا مما يصيبها، وتحدث حركات الإعراب المختلفة، إنما الذي يحدث حركات الإعراب هو المتكلم، وليست هي ، ولكن النحاة نسبوا إليها العمل لأنها المرشد إلى المعاني والرموز، وهي نسبة مجزية على أصح الاستعمالات العربية وأبلغها، إذ هي السبب في الاهتمام إلى كشف المعنى المراد من الكلمة وإذا ثبت لها هذا فليس في اللغة مانع من نسبة العمل إليها، وتسميتها: "عاملا".

إذن؛ فلا عيب في أن نقول مثلا: "كان" ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، و"إن" تنصب المبتدأ وترفع الخبر... الخ. يتبين أيضا النفع الأكبر، للعلامات الإعرابية، فلولاها لاختلطت المعاني، بل فسدت، وحسبك أن ترى جملة خالية من العلامات الإعرابية مثل قولنا: "ما أحسن القادم" فإنها بغير ضبط كلماتها تصلح للاستفهام، وللتعجب، وللنفي... الخ، وكل معنى من هذه يخالف الآخر مخالفة واضحة واسعة. لهذا كان من الخطل وفساد الرأي أن ترتفع بعض الأصوات والحمقاء بإلغاء علامات الإعراب - لصعوبة تعلمها - والاقتنار على تسكين آخر الكلمات.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> انظر في الهامش: النحو الوافي، ج1، ص: 73، 74.



يعتبر عباس حسن من بين النحاة المحدثين الذين انفردوا بهذا الرأي، وهو أنّ العامل الإعرابي سببه المتكلم (الإنسان)، غير أنه إذا رجعنا إلى الوراء وجدنا أنّ هذا القول هو من فكر المعتزلة الذين يرون أنّ الإنسان له قدرة ومشیئة واستقلالية في أفعاله.

أما موقفي كباحث من نسبة العامل فأجديني ملزماً أن أأخذ بنظرية ابن مضاء القرطبيّ الذي ردّ العمل إلى الله وحده، وقد سبق أن أشرنا في المدخل أن علم التوحيد كان له أثر قويّ على النحو العربي، فلا مكان للعبثية وجزافية في نظرية العامل، يقول ابن مالك:

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل قبل، فللواحد منهما العمل

أُمرى بالإغراب إن قال: إن قوله: "لِلواحد منهما العمل"، هو أثر من آثار علم التوحيد، عن عمّدٍ من هذا الإمام أو غير عمّد؟<sup>1</sup> فالله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي، فأنت حين تشرب وتشعر بالريّ

ليس الماء هو الذي أوجد فيك الشعور بالريّ، بل الله تبارك وتعالى لأنه هو الذي خلق الشارب

والمشروب وخلق الشعور بالارتواء، فالله هو خالق الثلاثة، فدوام الاقتران في مجرى العادة أوقع في وهم

الإنسان أنّ السابق هو السبب هو المنشأ والمحدث لللاحق وليس الأمر كذلك.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية، ص: 11).

<sup>2</sup> كما يرى عدنان ابراهيم، أما أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ)، فله التفاتة عجيبة في هذا الأمر، يقول: "فالأكمه إذا بصر فجأة ورأى الألوان لا يعلم أن نور الشمس هو السبب في انطباعها في بصره بل نبين هذا بمثال، وهو أن الأكمه لو كان في عينه غشاوة ولم يسمع من الناس الفرق بين الليل والنهار لو انكشفت الغشاوة عن عينه نهاراً وفتح أجفانه فرأى الألوان ظنّ أن الإدراك الحاصل في عينه لصور الألوان فاعله فتح البصر وأنه مهما كان بصره سليماً ومفتوحاً والحجاب مرتفعاً والشخص المقابل متلوناً فيلزم لا محالة أن يبصر ولا يعقل أن لا يبصر، حتى إذا غربت الشمس وأظلم الهواء علم أن نور الشمس هو السبب في انطباع الألوان في بصره. فمن أين يأمن الخصم أن يكون في المبادئ للوجود علل وأسباب يفيض منها الحوادث عند حصول ملاقاتة بينها؟ إلا أنها ثابتة ليست تنعدم ولا هي أجسام متحركة فتغيب، ولو انعدمت أو غابت لأدركنا التفرقة وفهمنا أن ثم سبباً وراء ما شاهدناه، وهذا لا

وإذا أردنا الصدق مع النفس مع كتاب "النحو الوافي" والذي كان اسماً على مسمى فإنه جمع كل أصول البحث الثمانية (الاختراع، الجمع، التكميل، التفصيل، التهذيب، الترتيب، التعيين، التبيين) فقد جاء كما وصف أبو حيان الأندلسي (ت:745هـ)، شرحه لكتاب التسهيل لابن مالك ، فقال بأنه "اجتمعت فيه المعاني الثمانية، وهي التي يصنّف فيها العلماء، ويتطلبها من التأليف الفهماء: معدوم قد اخترع، ومفترق قد جُمع، وناقص قد كُمّل، ومجمل قد فُصّل، ومسهب قد هُذّب، ومُخلط قد رُتّب، ومُبهّم قد عُيّن، وخطأ قد بُيّن".<sup>1</sup>

وهذه الشروط البحثية كلّها قد اجتمعت في "النحو الوافي" بنسب متفاوتة، وقد أحصى أحد الباحثين الآراء النحوية في "النحو الوافي"، فوجد لعباس حسن ما يهو على 700 رأي نحوي، وكان أكثر تلك الآراء يدور في فلك تيسير النحو.<sup>2</sup>

مخرج منه على قياس أصلهم. " تهافت الفلاسفة: لأبي حامد الغزالي، تحق: د، سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط 6، (د، ت)، ص: 238، 239. علق العلامة عدنان ابراهيم أنّ في هذا النص للغزالي يُصوّر استبداد الله لا إله إلا هو بالخلق والفعل، وهو الدائم الذي لا يغيب والموجود الذي لا يرى ويلمس، وهو المسؤول عن كل هذه الأشياء. فالمبادئ هذه التي لا ترى على أنها ثابتة لا تحوّل ولا تغيب وهي السبب في كلّ هذه الأشياء هي ما سماه العلم الذرّات والكائنات الدقيقة داخل الذرة يا حبيبي!! فالمسألة حسب التركيب الذري للمادة المسؤول عن اعتلاق الجزئيات بطريقة معيّنة وهذه الجزئيات تتبع طبيعة الذرّات وطبيعة تكوينها وطبيعة الثوابت الذرية داخل هذا العالم الصغروي، وهذا كلّ لا يرى ولا يلمس ولكنه موجود ويفعل بنفس الطريقة وهو السبب في ما ترى أنت، وليست الأشياء الكبيرة التي تراها فأبو حامد كان يفكر كأنه عالم فيزيائي في العصر هذا. " من حلقة تلفزيونية الغزالي والفلسفة، حلقة خمسة، سلسلة الغزالي... الباحث عن الحقيقة.

<sup>1</sup> التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: لأبي حيان الأندلسي (ت:745هـ)، تحق: د، حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ط1، 1997، ص: مقدمة الشارح.

<sup>2</sup> تيسير النحو عند عباس حسن في كتابه النحو الوافي -دراسة وتقوم- عبد الله بن حمد بن عبد الله الحسين، إشراف: رياض خوام، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1431، ص: 04.

وإذا عدنا إلى الكتاب النظري "اللغة والنحو بين القديم والجديد" فقد وضح فيه جهود ما بذله

الأقدمون في جمع اللغة، وتدوينها، وإقامة بنائها شامخاً، واجتهادهم العقلي الرياضي البارع، كما قد ردّ

فيه على تلك الدعوات المتهاكمة التي تكالبت في عصره، والتي تدعو إلى ترك الإعراب، والترحيب

بالعامية والكتابة بالحروف اللاتينية، ولقد كان مفهوم التيسير النحوي عنده في هذا الكتاب هو تهذيب

النحو "والقضاء على ما داخله من مشكلات رغم اختصاره بحذف الفضول وإدماج بعضه ببعضه

الآخر، واختصاره للشادين ثم عرضه عرضاً شائقاً جذاباً بإحدى الطرائق المستحدثة الناجحة"<sup>1</sup>. فالتغلغل

في التقسيمات والتدقيقات في الجزئيات التي لا يفهمها إلا المختصون لا تفيد في شيئاً في استجابة الناس

للنحو، لأن النحو بات في العصر التراكم عصياً على العقول.

أما تجديد المعتدل فهو يرحب به يقول: "التجديد الحميد مرغوب فيه في كل أمر، بل مطلوب ممن

يحسنه ويقدر عليه بغير عبث ولا إفساد، فلولا التجديد النافع لوقفت مظاهر الحضارة عند حدّ لا

تتجاوزه... غير أنّ هذا التجديد لا يكون إلا على يد رجل قادر مكتمل"<sup>2</sup>. وشرط آخر وهو "بعد أن

تكشف النفوس والعقول معاً جمال تركيب هذه اللغة؛ في بناء كلماتها، وفي جرس حروفها، وفي تركيب

جملها، وفي صور بيانها المختلفة. ولن يتم ذلك إلا لنفوس مستوية بلا آفة، وعقول مضيئة بلا عاهة، ثم تأتي

ساعة الميلاد على غير استكراه أو زحير."<sup>3</sup> كما يقول أبو فهر رحمه الله تعالى.

<sup>1</sup> اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ط2، دار المعارف بمصر 1971، ص:219

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:299.

<sup>3</sup> نمط صعب ونمط مخيف: لأبي فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط1، 1996، ص:110.

وكما يشترط في هذا التيسير اتخاذ لغة القرآن الكريم اللغة الأثيرة، بحيث يكون "عرض النحو على كلام الله فما وافقه أبقيناه وإلا أهملناه مبتعدين عمّا يسمونه القليل والشاذ والكثير، فإن لم نجد شواهد من القرآن الكريم، رجعنا الى كلام عربي نال من الشهرة والذيع موافقاً لأكثر القبائل مشتركاً فصيحاً... وإن رأينا ظواهر القراءة القرآنية الموحدة ما يصلح لاستنباط حكمين مختلفين أخذنا بهما ولا نرجح واحداً على الآخر، وبذلك النحو نأمن من الوقوع في الخلط والإفساد."<sup>1</sup>

لأن من مشكلات النحو التي كان يراها أن "اللغة التي صيغ بها والطريقة التي أُلّف بها، لا يناسبان ناشئة اليوم، لأنها ملتوية معقدة يعجزون أمامها، بحيث لا بدّ للمتن من شرح يفك رموزه، ويوضح إبهامه، ويفصل مجمله، ويزيده بعض المسائل وللشرح حاشية تزيل غموضه ، وللحاشية (تقرير) هو بمثابة حاشية للحاشية، وكل أولئك موسوم بالسمة الخاصة التي تبعد أسلوبه عن أسلوب البلغاء وتنفر من أمثله المرددة المبتذلة، وتفقده حظه المحمود من البيان الأدبي الذي لا تستغني عنه لغة العلم."<sup>2</sup>

كما رفض عباس حسن تخليطات الأوهام المتمثلة في الافتراض والتقدير المبالغ فيه، ورفض خاصّة الإعراب على التوهّم الذي كثر فيه تمهات النحاة، تسهيلاً للنحو وإبعادا للّغو، وتأليفا لقلوب الطلاب على حبّ نحو العربية حبّاً يجعل النحو يلدّ به السمع وتقرّ به العين ويطرب له الجنان وإذا حصل هذا لأيّ طالب للعربية فلا خوف عليه من أيّ رأي مدخول.

<sup>1</sup> اللغة والنحو، ص: 117-154.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 223، 224.

لقد بدا عباس حسن في كتابه رجلاً يحمل همّ العربية وعلومها، وذلك لأنه انطلق من أصولية إسلامية، وذلك عندما يقول: "واحسرتاه!! يعجز العاجز عن الرسم والتصوير والموسيقى، فيجاهر بإلغاء قيودها، ويعجز العبيّ عن بلاغة القول وفصاحة البيان فينادي بإلغاء (علوم البلاغة) ويصفها بأنها عبء ثقيل، وتضييق لا خير فيه ويلتوي لسان الجاهل بالكلام الملحون، والضبط الخاطيء والأسلوب المشوّه فيجأ بالشكوى من النحو، وإنه تعجيز وإرهاق لا طائل وراءه، ولا ضير في إهماله وإلغائه. وهكذا نجد لكل علم أو فن عدواً من جهاله، العاجزين عن تحصيله مع تلهفهم عليه، المقصرين في ميدانه، لا يرون لدائمهم بُرءاً إلا في إلغائه ما عجزوا عنه وتخلّفوا فيه . ولو استجاب القدر لصراخهم لانقضى عهد العلم والفن، وتقوضت دعائم الحضارة، واختفت مظاهر الإنسانية.<sup>1</sup>

وهذا الحسّ القومي السامي والشعور بالمسؤولية تجاه العربية لم نجده إلا عند خيار رموز العربية

قديمًا<sup>2</sup>، أما حديثاً فصار كالشيء الممتنع وجوده عند المحدثين، وإن كانت هناك حشودٌ وزحوفٌ من

الكتابات اللغوية والنحوية ولكن قليل منها من انصهر في معاناة العربية.

<sup>1</sup> اللغة والنحو، ص: 298.

<sup>2</sup> والدليل على أنّ القدماء كانوا يحملون همّ العربية، قول ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، في خطبة كتابه أدب الكاتب، "فإني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين، ولأهله كارهين : أما النَّاشئ منهم فراغب عن التعليم، والشّادي تاركٌ للزدياد، والمتأدّب في عنفوان الشباب ناسٍ أو متناسٍ؛ ليدخل في جملة المحدودين، ويخرج عن جملة المحدودين فالعلماء مغمورون... " أدب الكاتب: لابن قتيبة الدينوري، تحقق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، (د، ط)، (د، ت)، ص: من خطبة المؤلف. فإذا كان، هذا حاصل في زمانه وهو من القرون الثلاثة الأولى، فماذا نقول نحن في زمن تكسّرت فيه الحدود!!

ومهما يكن؛ فإنّ هذان الكتابان "النحو الوافي"، و"اللغة والنحو"، لعباس حسن قليل من كثير مما قدّمه، في خدمة العربية، بحيث لم يكن بمقدور أحد أن يقدمها- كماً ونوعاً- إلا المؤسسات الدولية الكبيرة المعنية باللغة العربية كالمجامع اللغوية والمنظمات العربية. فلقد وقف عباس حسن موقفاً وسطاً بين المحافظة والتجديد، وكانت محاولته أوسع محاولات التيسير الحديثة شمولاً، وأكثرها مقترحات وأدقها في تحديد المشكلات التي يعاني منها النحو العربي، وأحرصها على معالجته في ضوء التراث النحوي الخالد، وأعمقها فهماً للتراث، والتصاقاً به.<sup>1</sup>

إذن؛ فالرجل رحمه الله رحمة واسعة، كان قد حمل همّ العربية عندما وهب نفسه لخدمة أجلّ علومها وهو علم النحو في كتابه "النحو الوافي"، فقد فرّج على طلاب العربية وباحثيها كُربَ العناء، وهو كتاب بلغ من عدد الطباعات ما لم يبلغه كتاب نحويّ آخر، وهو كتاب تجلّى فيه جهد عنيف الذي لا يطيقه إلا أفاضال الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في مهنتهم<sup>2</sup>، أما في الكتاب الثاني "اللغة والنحو" فقد سلب فيه الأعداء للذين أرادوا نقض علم النحو، وأوفى فيه النذر وقضى فيه النحب في الدفاع عن النظرية النحوية العربية الخالصة.

<sup>1</sup> تيسير النحو العربي بين المحافظة والتجديد (الأستاذ عباس حسن أنموذجاً): د، حسن منديل حسن العقيلي، جامعة بغداد، ص:  
<sup>2</sup> لأن الباحثين اليوم ينقسمون إلى قسمين في أغراض الكتابة، فمنهم من يكتب ابتغاء حرث الآخرة وهؤلاء قليلون جداً، ومنهم من يجهد للتأليف يريد حرث الدنيا وما أكثرهم! وقليل منهم من يستحضر معنى العبادة في العمل، قال الإمام مالك لصاحبه الذي قام إلى الصلاة وكان في طلب العلم، "ما الذي قمت إليه بأفضل ممّا كنت فيه إذا صلحت النيّة".

أحمد سليمان ياقوت<sup>1</sup> في كتابه: -"ظاهرة الإعراب في النحو العربي"، نشره سنة (1976).

يسعى هذا الكتاب في البحث في ظاهرة الإعراب التي هي من أشهر موائز العربية<sup>2</sup>، ولقد بحث

في ماهيتها حتى تعمق إلى كيفية نشوؤها وتطورها من خلال النقوش واللغات السامية الأخرى إلى أن

اكتملت في الشعر الجاهلي، ثم بحث في كلّ القضايا التي تتعلق بالإعراب تنظيراً وتطبيقاً.

وأهم ما أعجبني في هذا الكتاب أنه بحث في عوارض الصناعة النحوية، التي تحدث أثناء إعراب

الكلام من الزيادة والحذف والتقدير والتأويل وال عوض. فالنحويّ القديم إذا أراد أن يعلم الإعراب

لتلاميذه، فلا يستعرض معهم كل شواهد اللغة بقرآنها، بل يعتمد إلى الشواهد المألوفة فيستنتج منها ما

يريد استنتاجه من قواعد، فإذا أراد أن يبين الخبر وأن لا بد له من مبتدأ، جاء بمثل الآية "والله عزيز

حكيم" فهذا مبتدأ ثم خبران. فإذا وجد خبراً دون مبتدأ، فلا يقول: هكذا جاءت اللغة، ثم يستعرض

من الشواهد ما حوت الخبر دون المبتدأ، لا، إنه لا يفعل ذلك، بل يقدر مبتدأ، حتى يسهل على

التلاميذ فهم القاعدة دون لبس. فهذا التقدير وما جرى مجراه من حذف وزيادة وتأويل -عوارض

الإعراب، لأنّ كلاً من المعلم والمتعلم محتاج إليها ولا يستغني عنها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أحمد سليمان ياقوت (1936-؟) لغوي ونحويّ مصري جاد، له دراسات لغوية ونحوية، على ممرّ أربعة عقود من التأليف الجاد.

<sup>2</sup> يرى "المسدي" أنّ العربية من اللغات الإعرابية، واللغات الإعرابية لغات تأليفية وغير الإعرابية (كالإنجليزية والفرنسية مثلاً) لغات تحليلية، وإن كان "المسدي" لم يوافق في أنّ اللغة التأليفية أقدر على تخليص المتشابهات وتجريد المحسوسات، ولم يوافق بأن اللغات التحليلية أميل إلى تفكيك الظواهر، وأقرب إلى تجزئة الأشياء ويحصل لأهلها قصور عن استيعاب الكليات. انظر: العربية والإعراب، ص: 47-49. ولكنني أجدني مرتاحاً لهذا الطرح وهو ملاحظ ومعيش، فالعربية في نظري لغة تأليفية استيعابية أميل للكليّة والعالمية، والإنجليزية لغة تحليلية تدريرية نسبة الحسن فيها ضئيلة جداً، وقد يجوز للعربية مزية الإنجليزية والعكس صحيح.

<sup>3</sup> ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم: د، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000،

بل إن القواعد التقنينية – وهي قواعد تعليمية بلا شك – من أن لكل عامل معمولاً، وأنه لا

يجتمع عاملان على معمول واحد، وأن المعمول لا يتقدم على عامله، هذه القواعد ما كان لها أن تستقيم

وتصبح مفهومة لدى التلاميذ إلا بتلك العوارض الإعرابية. فما بنا نعيب على النحاة القدامى هذا

التقدير والحذف والزيادة... وهم قد أفنوا زهرة العمر في البحث والتنقيب.<sup>1</sup>

ثم إن هذه القواعد التقنينية وبتداعياتها المفاجئة المتمثلة في الحذف والتقدير .. حسب هيئة

الكلام، استجابت لها طبائع طلاب العربية آنذاك، فهي قواعد لا تضاد الطبع السليم ولا يتوتر منها

العقل الحكيم. ف: "هل هناك إخلال بالقرآن إذا قدرنا مبتدئين في قوله تعالى: "من عمل صالحاً فلنفسه

ومن أساء فعليها." (فصلت: 49). أي: من عمل صالحاً فعمله لنفسه، ومن أساء فإساءته عليها؟ لا: ليس

هناك أي إخلال لأننا عندما قدرنا المبتدئين لم نقل: "كان الواجب على الله أن يقول كذا" حاشا لله،

ولكننا قدرنا هذا التقدير، لأننا نعرب (لنفسه) جارا ومجرورا متعلقا بمحذوف خبر، فسوف يسألنا من

يتعلم الإعراب: هذا هو الخبر فأين المبتدأ إذن، وقد قلت لنا إن الخبر لا بد له من مبتدأ؟ فهذا التقدير

ليس ناتجا عن النظرة الوصفية للغة، ولكن هدفه التعليم ليس غير.<sup>2</sup>

إذن، هناك منطقية نحوية في الإعراب فرضها المنهج المعياري كان يستسيغها عقل المتعلم قديما،

وإذا لم يقبلها عقل الباحث حديثا فهذا منكر! وإذا بدأ يحاجج في بطلانها وأنها ليست من المنطق

اللغوي في شيء فالمنكر أعظم!!

<sup>1</sup> ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ص: 90، 91.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: ن.



فالمنهج المعياري كمنهج ليس فيه أيّ تعسّف على تعلّم النحو أو الصرف وفهمهما يمكن أن نرفضه

لأجله، ولنتناول تقديرا إعرابيا آخر لا يمس النظم البياني، ولا ماهية البلاغة في التعبير وهو في ذات

الوقت لازم كل اللزوم لتسوية صنعة الإعراب، وذلك في قوله تعالى: "ودّوا لو تدهن فيدهنون" (القلم:9)

فالقاعدة حذف النون من الفعل (يدهنون) لنصبه، إذ أنه واقع بعد فاء السببية، التي هي في جواب

التمني، لأن الحرف (لو) تضمن معنى (ليت) فماذا يصنع النحاة لتسوية الصنعة الإعرابية؟ إنهم يقدرّون

مبتدأ محذوفا قبل الفعل (يدهنون) أي (فهم يدهنون) فخرجت الجملة من الفعلية إلى الأسمية. تغيّر

صناعي بحت، لا علاقة له بنواحي النظم والبيان.<sup>1</sup> وتداعيات هذه القواعد مقبولة لأنها معقولة ولا يوجد

تعسّف لغوي على البيان القرآني في هذا المثال.

ولنأخذ مثالا آخر في عوارض الصناعة النحوية المقبولة المعقولة، وذلك في الفرق بين الحرف

الجر الزائد وغير الزائد" في قولنا (انتظرتك ساعة) الظرف هنا متعلّق بالفعل (انتظر) ومعنى ذلك أن

الحيز الزماني لهذا الفعل كان (ساعة). وفي قولنا (لعب الأولاد في الحديقة) الجار والمجرور هنا متعلقان

بالفعل (لعب) ومعنى ذلك أيضا أنّ الحيز المكاني للعب كان (في الحديقة) وإذن فالتعليق إنما هو بيان

لمدة الزمان التي استغرقها الفعل أو بيان للحيز المكاني للعب كان (في الحديقة) وإذن فالتعليق إنما هو

بيان لمدة الزمان التي استغرقها الفعل أو بيان للحيز المكاني الذي وقع فيه الفعل. ويقتصر تحديد هذين

الحيزين -الزمان والمكان- على الجار والمجرور وعلى الظرف بنوعيه، لذلك فقد كان تعليقهما بمشتق

واجبا في الإعراب حتى نبين الحدث الذي وقع فيهما، وهذا التعليق إن دلّ على شيء فإنما يدل على

<sup>1</sup> ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ص:92.

دقة المعربين الأوائل وتصورهم لفكرة الزمان والمكان. والجار والمجرور في المثال السابق دل على حيز من المكان ولذلك فهو حرف جر (غير زائد).<sup>1</sup>

أما حرف الجر الزائد فهو الذي لا يدل على حيز المكان كقوله تعالى: "ما من إله إلا الله"

(ص:19). فالجار والمجرور هنا لم يدل على حيز المكان، بل إن (من) تدل هنا على استغراق الجنس،

أي نفي وجود الآلهة بعامة إلا الله سبحانه، ومن هنا كان تسمية (لا) النافية للجنس، أي لجنس اسمها

كله. هذا، إلا أننا يجب أن نلاحظ أن الزيادة هنا في التركيب النحوي، فحرف الجر (من) في الآية

السابقة ليس له وظيفة نحوية، تخص الإعراب، بل وظيفته معنوية وهي استغراق النفي للجنس كله ،

والمنهج المعياري يهتم بالشكليات اهتماما كبيرا، بل إن أنماط التعبير عنده ليست إلا قوالب تصب فيها

المعاني أيا كانت هذه المعاني.<sup>2</sup>

إذن، فهذه عوارض نحو الصناعة مقبولة لا تجاوز فيها لم تؤثر على النظم البياني ولا على الإرسال

البلاغي، ولا ينكر هذه العوارض إلا من أراد أن يصدّ طلاب العربية عن فهم بنية الجملة العربية التي

هي نقطة الارتكاز المحوري للنحو، ومن كان هذا ديدنه فهذا هو الإفلاس الفكر النحوي بعينه الذي

يسعى له المتآمرون على العربية الذين يسوّغون إلى الاهتمام باللهجات ولا يكون ذلك إلا بطرح النحو

الذي هو من أشمخ رموز الحضارة العربية.

<sup>1</sup> ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ص:93.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:ن.

أما عوارض الصناعة النحوية الغير المقبولة: فهي التي تجنّت على النظم البياني والتركيب البلاغي

بالتمحل الإعرابي والتقدير المفتعل، فنكتفي بهذا المثال لابن العريف (ت: 367هـ)<sup>1</sup>: الذي أثبتته جلال

الدين السيوطي في سفره الممتع "الأشبا والنظائر في النحو"، بحيث بلغ إعراب جملة (ضرب الضارب

الشاتم القاتل محبك وادك قاصدك معجبا خالدا في داره يوم عيد) 2721600، فترفع الضارب بالفعل،

والشاتم نعته، والقاتل نعت ثان، ومحبك نصب بالقاتل، ووادك نعته، وقاصدك نعت ثالث،.. إلى آخر

النص الذي يضل يعدد وجوه الإعراب كل كلمة باقية، ثم يضرب هذه الوجوه في عدد الكلمات التي

سبق إعرابها حتى ينتج له العدد الذي ذكره في أول كلامه وهو 2721600.<sup>2</sup>

مع أن د، "أحمد ياقوت" رأى أن مثل هذا النص عملية حسابية لا علاقة لها باللغة وأنه ثقيل

ومستكره على المتخصص والمبتدئ، ولا يفيد اللغة في شيء، وأنه استعراض لقدراته العقلية الرياضية

فحسب، فهذا كله صحيح، ولكنني لا أخفي القارئ الكريم أنني أعجبت بمهارة ابن العريف النحوي، في

هذا المثال الذي قدح في ذهني أنّ حتى علم الرياضيات له أصول في أحكام اللغة العربية. ولقد صدق

أحد الفقهاء عندما قال "لا يحيط باللغة إلا نبي". أما أنا فأقول يجب على اللغويّ لكي يفهم بعض

العربية أن لا يكون نحوياً فقط، بل بات عليه أن يكون له طموح فيلسوف أو خيال فنان لكي يعرف أنّ

للعربية بُعد رياضيّ قابع في تراكيبها مستكّن في أساليبها.

<sup>1</sup> هو الحسن بن الوليد بن نصر أبو بكر القرطبي المعروف بابن العريف النحوي (ت: 367هـ)، قيل أنه كان بارعا في النحو، وقد صنع لولد أبي عامر المنصور مسألة فيها من العربية مائتا ألف وجه واثنان وسبعون ألف وجه وثمانية وستون وجها. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ج 1، ص: 527.

<sup>2</sup> نقلا عن: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ص 98.

أما أسباب العوارض الصناعة النحوية الغير المقبولة فقد حصرها د، "أحمد ياقوت" في أربعة أمور:

الخلافات المذهبية، والخلافات والأهواء الشخصية كالتي كانت بين النحاة والشعراء مثلاً، وطلب الرزق<sup>1</sup>،

وعدم الالتفات إلى اختلاف اللهجات الذي أدى هو إلى التكلف والتمحّل في الإعراب حتى يخضعوا

شواهد هذه اللهجات للقواعد العامة التي وضعوها، دون أن يريحوا أنفسهم فيقولوا إنّ هذه لهجة من

لهجات العرب.<sup>2</sup>

هذه بعض القضايا والأمثلة التي ساقها د، أحمد سليمان ياقوت في كتابه "الظاهرة"، الذي كان بحق

ظاهرة نحوية عندما طوّف في آفاق كتب النحو ودواوينه بغية إصلاح الأفهام حول ما شاع عن النحو

والإعراب، وأحسن ما أعجبنى فيه أنّه فرّق بين عوارض الصناعة النحوية المقبولة المعقولة وعوارض

الصناعة النحوية غير المقبولة بأمثلة تطبيقية من الوحيين وكلام العرب.

<sup>1</sup> من أخبار أبي عثمان المازني وقد كان أشخص إلى الواثق (الخليفة) وكان السبب في ذلك أن جارية غنت.

أظلم إن مصابكم رجلاً \*\*\* أهدى السلام تحية ظلم

فرد بعض الناس عليها نصب رجلاً وظنّ أنّه خير إنّ وإنما هو مفعول المصدر ومصابكم في معنى إصابتكم وظلم خير إنّ فقالت:

لا أقبل هذا أو لا أغيّره وقد قرأته كذى على أعلم الناس بالبصرة أبي عثمان المازني فتقدم بإحضاره. قال أبو العباس محمد بن يزيد

حدثني المازني قال: لما قدمت سر من رأى دخلت على الخليفة فقال لي: يا مازني من خلفت وراءك؟ فقلت: خلفت يا أمير المؤمنين

أخية لي أصغر مني أقيمها مقام الوالد. فقال لي: فما قالت حين خرجت. قلت: طافت حولي وقالت وهي تبكي أقول لك يا أخي

كما قالت بنت الأعشى لأبيها:

تقول ابنتي حين جد الرحيل \*\*\* أرانا سواءً ومن قد يتم

أبانا فلا رمت من عندنا \*\*\* فإننا بخير إذا لم ترم

قال لي: فما قلت لها؟ قال قلت: أقول لك أخية كما قال جرير لابنته:

ثقي بالله ليس له شريك \*\*\* ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: لا حرم إنّها ستنجح، وأمر لي بثلاثين ألف درهم. انظر: أخبار النحويين البصريين: أبو سعيد السيرافي، (ت: 368هـ)، تحق: طه

محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مصطفى الباوي الحلبي، طبعة: 1966، ص: 58، 59.

<sup>2</sup> ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ص: 107 وما بعدها.

فاضل صالح السامرائي<sup>1</sup> في كتابه: - "معاني النحو"، نشره سنة (1989).

لقد اشتهر بين الناس أن علم النحو يُعنى بالنظر في أواخر الكلم، وما يعتريها من إعراب وبناء، ولكنه لم يشتهر بينهم أنه يعنى بأمور أخرى كتفسير الثنائيات المتغايرة التي ألف الناس أن تدرس إلا في علم البلاغة، كالفصل والوصل والحذف والذكر والتقديم والتأخير، وغير ذلك.

فلقد جاء كتاب "معاني النحو" مطرقة برهان لكسر النمطيّ والسائد حول ما شاع عن النحو، وتوجيه هذا العلم العظيم الوجهة الصحيحة لتفسير بعض التعبيرات والتراكيب التي لا تقل أهمية عن كل ما بحثه النحاة الأوائل وحتى الأواخر، "من ذلك على سبيل المثال: ما الفرق في المعنى بين قولك: (لا

رجل - بالفتح - في الدار)، و(ما من رجل في الدار) مع أن كلتا العبارتين لنفي الجنس على سبيل

الاستغراق؟ ما الفرق بين قوله تعالى: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" (محمد:19)، وقوله: "وما من إله إلا الله" (آل

عمران:62). لم نفى العبارة الأولى ب(لا) والثانية ب(ما)؟ ما الفرق في المعنى بين قولك (ليس محمد حاضرا)

و(ما محمد حاضرا) و(إن محمد حاضرا) أقول ما الفرق في المعنى، وليس في الإعراب؟ ما الفرق بين قوله

تعالى: "قل لست عليكم بوكيل" (الأنعام:66)، وقوله: "وما أنا عليكم بوكيل" (يونس:108). لما نفى

العبارة الأولى بليس، والثانية ب(ما)؟<sup>2</sup>

<sup>1</sup> (1933-ما زال على قيد الحياة) نحوي وبياني عراقي رسالته في الماجستير موسومة ب: ابن جني النحوي، ناقشها في جامعة بغداد سنة 1964، بإشراف: د، مصطفى جواد، أما الدكتوراه موسومة ب: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ناقشها سنة 1971، بإشراف: أحمد مطلوب، من تأليفه النحوية والبيانية الرصينة والجدادة الشيء الكثير.

<sup>2</sup> معاني النحو: د، فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2007، ص:5.

يرى د، فاضل صالح السامرائي أنّ "الجهل بالمعنى أدى إلى أن تختفي، وتموت ظواهر لغوية كانت شائعة مستعملة ومن ذلك على سبيل المثال، ظاهرة القطع الجميلة الدلالة، التي كانت شائعة شيوعاً كبيراً في الشعر، والنثر، في القرآن وغيره، وذلك نحو قولك "مررت بمحمد الكريم أو الكريم"، واكتفى بالاتباع، علماً بأن دلالة القطع، تختلف عن دلالة الاتباع، وإن دلالة القطع إلى الرفع، تختلف عن دلالة القطع إلى النصب.<sup>1</sup> بل إنّ أي ظاهرة نحوية لم تتقرّر في القلب وتمثّل في اللسان وتمارس في الخطابات اللغوية وتستظهر في التطبيقات النحوية فهي مهددة بالانقراض، فهجر الحد الأدنى من الاستعمال اللغوي يسبب في الإلحاد النحوي والانتحار اللغوي، فدراسة النحو على أساس المعنى هو إحياء بطريقة أو بأخرى لسنن لغة العرب في كلامها بطريقة أو بأخرى.

وإنه ليس من السهل على النحوي أن يدرس المعنى النحوي الذي هو أهم شيء في أحكام العربية على الإطلاق وأصعبه دراسة، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ)، "لو بقينا الدهر الأطول نُصَعِدُ ونصوّبُ ونَبْحَثُ ونُنَقِّبُ، نبتغي كلمةً قد اتصلت بصاحبة لها، ولفظةً قد انتظمت مع أختها، من غير أن نتوخى فيما بينهما معنى من معاني النحو، طلبنا ممتنعاً، وثنيينا مطايا الفكر ظلماً."<sup>2</sup> لأن هذا الرجل وهو من كبار فقهاء النحو ومفتيه جهد في البحث في موضوع المعنى النحوي الذي أخذ منه تأليفه كاملاً وهو السفر الجليل "دلائل الإعجاز في علم المعاني".

<sup>1</sup> معاني النحو، ص:8.

<sup>2</sup> دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، ط1، (د، ت)، ص:348.

إذن، فكتاب معاني النحو للدكتور "فاضل"، هو محاولة في فقه النحو يبحث في التمييز بين التراكيب المختلفة وشرح معنى كل تركيب، فهو يدور على المعنى أساساً وبناءً، وموضوع المعنى موضوع جليل، وحسبك من جلالته أنّ اللغة ما وُجدتْ إلا للإفصاح عنه، إن تأليف أيّ كتاب في النحو أيسر من موضوع هذا الكتاب بكثير، وذلك لأنّ الأحكام النحوية المذكورة مبينة في كتب النحو لا تكلفك إلا استخراجها، وجمعها في كتاب واحد على حسب الخطة التي تريدها.<sup>1</sup>

ومن دون تنقّص ولا تزيد يقول د، فاضل "لقد أمضيت في هذا البحث أكثر من عشرة أعوام<sup>2</sup>، وكان شغلي الشاغل في الليل والنهار أتأمل النصوص، وأديم النظر فيها، وأوازن بينها، وأدقق فيما تحتمله من معان، وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول لهذا البحث، أفهرس آياته بحسب الموضوعات، وانظر في الفروق التعبيرية، وفي السياق الذي ورد فيه كل تعبير، إضافة إلى المظانّ الأخرى من كتب النحو، والبلاغة، واللغة، والتفسير، وعلوم القرآن وغيرها."<sup>3</sup>

ولأن الرجل قد أشرب حبّ العربية و استهواه المعنى النحوي فإنه صعّد وصوّب وأنجد وأغار يدرس معاني الأصوات ومعاني الحروف ومعاني الأسماء والأفعال والجمل ، حتى أذاقنا خمرة العربية معتّقة من خلال كشفه عن معانيها الظاهرة والمغروزة فقد يكون المعنى على مسافة حبل الذراع، وقد يكون ليس قاع من شدّة عمقه، وسنقف عند هذا بمثال بعد قليل.

<sup>1</sup> معاني النحو، ص:09.

<sup>2</sup> سُئل مرّةً في حوار، ما هو أقرب كتبك إليك؟ فقال: في العقيدة أفرحها (نبوة محمد من الشكّ إلى اليقين) ، وفي اللغة (معاني النحو) إذ عكفت عشر سنوات على تأليفه، وقد شغلي ليلاً ونهاراً، وكنت أفكر فيه حتى عندما أسوق السيارة، ولن أبالغ إن قلت حتى في النوم.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص:9، 10.

وإذا أردنا أن نضرب مثالا على الفروق المعنوية في جملة واحدة بتراكيب مختلفة، فإننا نجد:

- أعطى محمدٌ خالدا كتابا.	- كتابا خالدا أعطى محمد.
- محمدٌ أعطى خالدا كتابا.	- أعطى خالدا كتابا محمد.
- خالدا أعطى محمدٌ كتابا	- أعطى خالدا محمدٌ كتابا.
- كتابا أعطى محمدٌ خالدا	- ..... الخ. <sup>1</sup>

فجملة (أعطى محمدٌ خالدا كتابا) نجد أنّ لكل صورة ذكرناها معنى جديدا لا نجده في الجملة الأخرى،

مع أنّ المعنى العام واحد. وتوضيح هذا الأمر بصورة مختصرة أنّك تقول:

1 - أعطى محمدٌ خالدا كتابا - هذه الجملة الفعلية تقال، والمخاطب خالي الذهن عن الموضوع، فهو

إخبار بما لا يعلم عنه المخاطب شيئا.

2 - محمدٌ أعطى خالدا كتابا - المخاطب يعلم أنّ شخصا ما أعطى خالدا كتابا، ولكنه لا يعلم المعطي أو

يظن أنه غير محمد، فهو يعتقد أنّه سعيد مثلا فتقدم المسند إليه لإزالة الوهم من ذهنه.

3 - خالدا أعطى محمدٌ كتابا - المخاطب يعلم أنّ محمدا أعطى كتابا شخصا ما، ولكنه يجهل هذا

الشخص، أو يظن أنه غير خالد فتقدم (خالدا) لإزالة هذا الوهم من ذهنه.

4 - كتابا أعطى محمدٌ خالدا - المخاطب يعلم أنّ محمد أعطى خالدا شيئا ما ولكنه لا يعلم هذا الشيء

الذي أعطي، فقدمنا الكتاب لإزالة هذا الوهم، أي أعطاه كتابا لا شيء آخر.

<sup>1</sup> إلى غير ذلك من الصور الأخرى دون أن يحصل لبس بين المعطي والآخذ، فالمعطي في كل هذه الجمل هو محمد والآخذ خالد، وهو معلوم من حركة الاثنين فالرفع يشير إلى الفاعل، والنصب إلى المفعول، في حين أنّك لا تستطيع مثل هذا في اللغات المبنية بل أنت مقيد بصورة واحدة ضيقة لا تتعداها. فهذه الجملة يقابلها في الإنجليزية: Mohammad gave khalid a book ولا نستطيع أن نضوغ لها صورة ثانية، إلا بتغيير أساسي في الجملة، أو بتغيير في المعنى في حين أننا ذكرنا لهذا التعبير، سبع صور في العربية. فالإعراب كما ترى يعطي المتكلم حرية وسعة بعكس البناء." انظر: معاني النحو، ص 34، 35.



5 - كتابا خالدا أعطى محمدًا - المخاطب يعلم أن محمدا أعطى شيئا ما شخصا ما ولكنه لا يعلم

الشيء، ولا الشخص أو يظنّ أنهما غير المذكورين، فقدما المفعولين لإزالة الوهم.

6 - أعطى خالدا كتابا محمدًا - هنا أحرنا الفاعل وقدمنا المفعولين، ذلك لأن المفعولين أهم من الفاعل عند

المخاطب، وذلك لأن محمدا من شأنه أن يعطي، فليس في الإخبار بأنه (أعطى) كبير فائدة، لكن الغرابة

أو المهم أنه أعطى خالدا كتابا، فهو ليس من شأنه أن يعطي خالدا كتابا، أما لأنه لا علاقة بينهما تؤدي

إلى مثل هذا، أو لأمر آخر، فقدم المفعولان لأنهما المهمان.<sup>1</sup> فالمعنى العام واحد لهذه الجمل وهو أن

محمد أعطى الكتاب لخالدا، بينما دلالة كل جملة لها اختلاف خفي عن أختها ولها موقف في الحياة

وهذا الأمر لا يظهر إلا راض اللغة ومارس النحو وتذوّقهما

إذن؛ فليس من أغراض الإعراب الإبانة والإفصاح فحسب كما هو مشهور عند مثقفي العربية، بل من

أغراض الإعراب كذلك السعة في التعبير، ومن أغراض الإعراب الدقة في تحديد المعنى، كل أولئك من مهام

الإعراب فللإعراب دور لغوي خالص، ودور اجتماعي تواصلية تفاهمي، وكما قال عبد القاهر الجرجاني

(ت: 471هـ): "قد علم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض

كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يُبيّن نقصان كلامٍ ورجحانه حتى يُعرض عليه

والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه. ولا يُنكر ذلك إلا من نكر حسنه وإلا من غلط في

الحقائق نفسه.<sup>2</sup> فهذا كلام من الإمام، صريح المبني ظاهري المعنى لا يقبل التأويلات

<sup>1</sup> معاني النحو، ص: 34، 35.

<sup>2</sup> دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود شاكر، دار المدني، مصر، ط3، 1992، ص: 28.

لقد استهوى المعنى النحوي الدكتور "فاضل" منذ أن كان طالبا في جامعة بغداد التي كانت عاصمة اللغة العربية بامتياز، حتى لما سُئِلَ عن موقفه قضية "تيسير النحو"، أعطى حلاً لم يقله أحد من المحدثين، فقال: "يجب أن نفهم بأن المقصود بتيسير اللغة هو التيسير في طريقة تدريس النحو وليس في المادة نفسها، فالمادة العلمية هي نفسها لا تتغير، وكل ما في الأمر إنه يجب أن نعرف ماذا يحتاج الطالب لتُوصَل إليه بأسلوب واضح مادة جيدة رصينة، مع ربطها بالمعنى، فالمعنى أساسي، وربط النحو بالمعنى سيجعل الطالب يحبّ النحو، وهذه مسألة لاحظتها أنا في تجربتي فعندما أربط النحو بالمعنى أجد الطلبة يستمتعون ويستلذون بالنحو، فكان الطلاب يقولون لي : أستاذ كلمنا عن النحو أربعاً وعشرين ساعة ولكن لا تمتحنّا . أمّا من يظن أن التيسير مقصود به هنا تغيير المعلومة فهذا سيترتب عليه تغيير اللغة كلها، وبالنتيجة سينشأ جيل لا يعرف اللغة أصلاً."<sup>1</sup>

وهذه الإجابة تجربة حية منه، وكأنّه يوحي بتدوّق علم النحو لا بتجرّعه على مريض لكي نفهم لطائف العربية وأسرارها واتّساقها وانسجامها، وبهذا التدوّق الذي هو لبّ تعلّم أيّ علم سيخامر حبّ العربية قلب المتعلّم، وهذا ليس مجرد رأي (L'opinion) منه، ونظرة من خلف الزجاج بل هو اعتقاد (Croyance)، قابع في كل سطر كتبه حول النحو . وفي هذه النقطة بالذات أجدني أرى حجّية رؤية د، يوسف الصيدأوي عندما رأى في كتابه الماتع "الكفاف"، أنّ النحو شيء والقواعد شيء آخر، فالنحو لا ييسر، وأزيد عليه فأقول: النحو يُتدوّق.

<sup>1</sup> انظر الرابط: <http://www.alraeed.net> لقاء مع د. فاضل السامرائي، (2013/13/09)، تاريخ الاقتباس، يوم: 2014/09/12.

فالرجل ظهر في كتابه "معاني النحو" فحلا نظاراً مبتكراً مؤصلاً، يستهويه اكتشاف لطيف المعاني

في أبسط تركيب فكثيرة هي التراكيب القرآنية المتشابهة التي كشف سرّها ونجواها، كل ذلك بألة النحو

الذي أدرك مفهومه الفضفاض الواسع لا تعريفه الضيق الرادع. لقد فقه د: "فاضل" النحو وتدوّقه،

وأعطى له بعداً بيانياً رائعاً. فبالنحو وضّح الكثير من المسائل الغوامض والقضايا المغاليق.<sup>1</sup>

فكتاب معاني النحو هو كتاب بحق تشدّد له رجال الباحثين الدارسين اللغويين والنحويين وخاصة

منهم البيهقيين فإذا كان أبو هلال العسكري قد عالج في كتابه "الفروق اللغوية" كالفروق بين السؤال

والاستخبار، والفروق بين الدعاء والمسألة.. الخ، فإنّ كتاب "معاني النحو" يبحث في الفروق النحوية بين

الأحرف<sup>2</sup> والجمل والتراكيب والأساليب... الخ.

<sup>1</sup> انظر هذه اللفت العجيبة المذهلة عندما "يوضّح الفرق بين قوله تعالى (فتحت أبوابها) في النار و(وفتحت أبوابها) في الجنة في سورة الزمر، الفرق بين وصف دخول الكفار إلى النار ودخول المؤمنين إلى الجنة والفرق بينهما حرف واحد غير معنى الآيتين وهو حرف (الواو). في وصف دخول الكفار قال تعالى (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها) وفي دخول المؤمنين الجنة قال: (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) والفرق أن جهنم هي كالمسجن أبوابها مغلقة لا تفتح إلا لداخل أو خارج فالأصل أن تكون الأبواب مغلقة ولا تفتح إلا لإدخال العصاة إليها وفي هذا الوصف تهويل ومفاجأة للكفار الذين يساقون ثم فجأة وهم لا يدرون أين يذهبون تفتح أبواب النار فيفاجأوا ويصابوا بالهلع. أما في حال المؤمنين فالجنة أبوابها مفتوحة على الدوام كما في قوله (جنتات عدن مفتحة لهم الأبواب) وأهلها ينتقلون فيها من مكان إلى آخر في يسر وسرور وهم في طريقهم إليها يرونها من بعيد فيسعدون ويسرّون بالجزاء والنعيم الذي ينتظرهم وكأن الله تعالى يريد أن يعجل لهم شعورهم بالرضا والسعادة بجزائهم والنعيم المقيم الذي ينتظرهم. ومن الناحية البيانية أن جواب الشرط في حال جهنم (إذا جاؤوها) مذكور وهو: (فتحت أبوابها).

أما في حال الجنة فلا يوجد جواب للشرط لأنه يضيق ذكر النعمة التي سيحدها المؤمنون في الجنة فكل ما يقال في اللغة يضيق بما في الجنة والجواب يكون في الجنة نفسها. فسيحانه جلّ جلاله". . الله أكبر فهذا هو الرحيق المختوم من علم النحو الذي تحتاجه ثقافتنا العربية الحديثة التي جنت على فطرتها وعقليتها وجنت على فطرتي اللغة وفطرية النحو.

<sup>2</sup> ف: "ما" مثلا قد تأتي استفهامية، ومرة نافية، ومرة مشبهة بليس ومرة مصدرية ومرة زائدة ومرة زائدة تلغي عمل إنّ (إنما)... الخ.

يوسف الصيداوي<sup>1</sup> في كتابه: - الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية) نشره سنة 1999.

لقد وقفتُ في حيرةٍ من أمري كيف أقدم كتاب "الكفاف" وهو من أعنف الدراسات النحوية الجادّة، وحسبك ما يقول عنه صاحبه د، يوسف الصيداوي: "لقد أنفقت من العمر مصعداً نحو هذه الغاية، فلو صوّت إنسانٌ لكدت أطيّر!! معرضاً عن كل شيء في الحياة، ملازماً الكتاب والحاسوب، ثلاث عشرة ساعة كل يوم في الأقلّ حتى لقد أساء ذلك إلى صحي"<sup>2</sup> على مدّة ستّ سنوات.

وسمّاه الكفاف،<sup>3</sup> فكان اسماً على مسمى في الاكتفاء بالقواعد النحوية المهمّة التي لا تنقص من الحقيقة اللغوية ولما صدر الكتاب عن "دار الفكر" بدمشق سنة 1999، كان لصدوره صدّى واسعاً وقويّاً، فقد كتبت عنه الصحف السورية بأقلام سورية وأردنية، وتحدثت عنه إذاعة دمشق وإذاعة لندن وعُقدت لأجله ندوة في إحدى المراكز الثقافية.

ولكن الكتاب وللأسف! لا يزال مغموراً ربّما حتى عند بعض الباحثين المتخصصين، وهذا الأمر معانٍ في ثقافتنا، وهذا ما يفسّر ظاهرة الاستماتة الثقافية المقصودة ضدّ العربية، فالدعاية الإعلامية الثقافية لها دور مهمّ في التمكين للعربية، فكتاب "الكفاف" الذي جمع أطراف القواعد ونظّم أصنافها في بابات، ووقف على حقائق معانيها بالمثل الحيّ الخلاق جدير أن يُتخذ عمدةً في التعليم.

<sup>1</sup> يوسف الصيداوي (1930-2003): لغوي وأديب كبير من سوريا، وهو من تلامذة سعيد الأفغاني، من كتبه: "بيضة الديك"، وهو رد على كتاب: "القرآن قراءة معاصرة"، لمحمد شحرور، وقد سبقت الإشارة إليه، و"العربية بين خراكوفسكي ودك الباب": وهي رسالة في الرد على د. جعفر دك الباب، و"على هامش اللغة في القرآن": وهو دراسة لغوية معمقة لألفاظ القرآن الكريم... الخ.

<sup>2</sup> الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية): د، يوسف الصيداوي، دار الفكر، سوريا، ط1، 1999، ص: 19.

<sup>3</sup> مسترشداً في ذلك بقول الأبيد البربوعي:

ألا ليت حظّي من غدانة أنّهُ يكونُ كفافاً: لا عليّ ولا ليّا

معلوم أن قانون المضادة في الحياة هو الذي يثبت حسن الشيء وقبحه<sup>1</sup>، فلن نستطيع أن نعرف

فضل كتاب "الكفاف"، إلا إذا قارناه بالكتب النحوية الميسرة التي ألفت حديثاً، وأنا متأكد أن الذين

شهدوا بالحسن في سلسلة "الدروس النحوية"، أو سلسلة "النحو الواضح"، أو "النحو الوافي"، من أمثال

الطنطاوي وسعيد الأفغاني ومصطفى إبراهيم... الخ، فلو عاشوا إلى زمن ظهور "الكفاف" لغيروا من

اعترافاتهم، وأجمعوا على "الكفاف" بأنه سيكون كتاب الآلاف، وهنا تظهر أهمية الدعاية الثقافية لصالح

العربية لتحسين من نوعيّة التعليم النوعي الهادف.

وإذا أردنا أن نعرف أهمية "الكفاف" يجدر تبين الفرق بين أسلوبه وأسلوب كتب النحو فإذا

أخذنا باب الاستثناء وجدناه في كتب الصناعة خاصة منها القديمة، فواجب على الدارس أن يستعين

بالرّوحة والغدوة وشيء من الدّلبة علّه أن يفهم بعض الاستثناء.<sup>2</sup>

أما الاستثناء في "الكفاف" فهو: اسمٌ يذكر بعد إلّا، مخالفاً ما قبلها، نحو: "جاء الطلابُ إلّا

خالداً." وهو منصوب قولاً واحداً، غير أنه إذا سبقه نفي أو شبهه، جاز مع النصب، إتباعه على البدليّة

مما قبله. وله حكمين، الأول: قد يتقدّم المستثنى على المستثنى منه. نحو: "لم يسافر إلّا خالداً أحدٌ"،

والثاني: قد يأتي المستثنى ولا صلة له بجنس ما قبله، نحو: "وصل المسافر إلّا أمتعتّه."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ولقد لخص المتنبّي هذا المعنى بقوله:

ونذمّهم وبهم عرفنا فضله\*\*\* وبضدّها تبيّن الأشياء

<sup>2</sup> فهو في كتبهم: "متّصل ومنقطع، ومفترغ أو ناقص وتامّ، ومثبت ومنفيّ، ثم إن المنفيّ يُحمل عليه النهي والاستفهام الإنكاريّ. ثم من المستثنيات ما ينصب وما يتبع على البدلية. ثم هناك تقدّم المستثنى على المستثنى منه. ثم للاستثناء أدوات تسع، لا بدّ من البحث في كلّ منها. وقبل جميع ذلك، ما الذي نصب المستثنى؟.. الخ" الكفاف، ص: 22.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 26.

ومن أهم نتائج هذا "الكفاف" التي خرج بها : أن النحو شيء والقواعد شيء آخر، يقول د،

يوسف الصيداوي: "فلقد انقضى اثنا عشر قرناً، والناس يظنون أن النحو هو قواعد اللغة!!... خذ

الفاعل مثلاً، فالقارئ لا يصل إلى أحكام استعماله، حتى يمر بشيء من النحو كثير. فمدرسة الكوفة لا

ترى في تقدّم الفاعل على فعله بأساً...ولكنّ مدرسة البصرة تأتي ذلك إباءً مطلقاً... وبين رضا الكوفة

وإباء البصرة بحجّ من آراء النحاة لا بدّ للمرء أن يخوضه.<sup>1</sup> "يسافر زيد" و"زيدٌ يسافر"، وجهان من وجوه

التركيب في العربية، وأما ما وراء هذين الوجهين، من مذاهب تصطّرع وتختلف، وآراء تمنع وتجزئ، فهذا

من النحو. ولا بد من الاعتراف بهذا لأنّه حقيقة.<sup>2</sup>

ثم إن هناك آثاراً من علماء اللغة القدماء تدلّ على أن القواعد شيء والنحو شيء كما يرى د،

الصيداوي منها: أن ما رواه الجاحظ (ت:255هـ) فقال: "قلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس

بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها، وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها، وما بالك تقدّم بعض

العويص وتؤخّر بعض المفهوم؟! قال: أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو

وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلّت حاجاتهم إليّ فيها، وإتّما كانت غايتي المنالة، فأنا أضع

بعضها هذا الوضع المفهوم، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا، وإتّما قد كسبت في

هذا التدبير، إذ كنت إلى التكبّب ذهبت.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الكفاف(كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)،ص:26.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:13.

<sup>3</sup> الحيوان: للجاحظ، تحق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ، ج1، ص:62، 63.

علّق د، يوسف الصيداوي على ردّ الأخفش فقال: "هاهنا نصّ نفيس يكاد لا يعدله نصّ آخر

يبين أن النحو غير القواعد. إذ ليس من المعقول، ولا من المتخيّل المتوهّم، أن يكون الجاحظ لا يفهم -

كما قال - أكثر قواعد العربية. وإنما الذي يفهم بعضه، ولا يفهم أكثره، هو تلك الأمور المستحدثة التي

أجال النحاة فيها عقولهم وتفكيرهم، من قياسٍ وتأويلٍ ورأيٍ وإعمالٍ الخ... فضلا على لغتهم

الخاصة ومصطلحاتهم وأساليبهم في التعبير.<sup>1</sup>

بل إن هناك آثرا من شيخ العربية الأول يثبت أن النحو شيء والقواعد شيء آخر، وهو الخليل

بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـ)، عندما يقول: "لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه. حتى

يتعلّم ما لا يحتاج إليه، قال أبو شمر: إذا كان لا يتوصّل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه، فقد صار

ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه.<sup>2</sup>

يعلّق د، الصيداوي: "لقد أراد الخليل أن علم النحو - لا القواعد - من علّة وعامل ورأي

وقياس....؛ وما يحيط بذلك من أحكام، ويتّصل به من أقوال، قد كثر فيه التفريع والتشعيب، وطغى فيه

الخلاف والنزاع، واختلط ما لا فائدة فيه، بما لا غنى عنه. فمن طلب علم النحو، مرّ - بالضرورة - على

ذلك كلّ. سواء منه ما احتيج إليه وما لم يحتج. ولعمري، إن هذا النصّ الخليلي وحده، كاف في البرهنة

على أن النحو شيء والقواعد شيء آخر، فليت من يعارضنا ينعم النظر.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)،

<sup>2</sup> الحيوان، ج1، ص: 31.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص: 50، 51.

ونتيجة مقولة أنّ القواعد شيء والنحو شيء آخر، فإنّ النحو عنده لا يُيسَّر، وفي هذا

يقول: "وبعد فقد أنفقنا من العمر نحواً من سبعين سنة، علمتنا تجارب الحياة خلالها، أن ليس كلّ قول

فعالاً، فما أكثر من يقول وأقلّ من يفعل!! فمن كان يزعم أن النحو ييسَّر، فما انتظاره وقد بلغت الروح

الحلقوم؟! وليته إذا فعل، يهدي إلينا -مشكوراً- نسخة من كتابه؛ فنصحح قولاً قلناه، ورأياً رأيناه؛ وإلى

أن يكون ذلك، سنظلّ نقول: النحو لا ييسَّر، فخلصوا القاعدة من النحو، وأعيدوا صوغها، فهذا الذي

يستطيع.<sup>1</sup> وهذا الرأي الذي قال به د، الصيدأويّ هو انفراداً اجتهاديّ لم يقل به أحدٌ من اللغويين

المحدثين الذين تناولوا القضية النحوية بالمعالجة.

وملخص الفرق بين القواعد والنحو هو قوله: "أنّ القواعد شيء، والنحو شيء آخر، وما أبعد

الشقة بينهما! القواعد تنطلق من (هكذا قالت العرب) وتقف عند (هذا لم تُقله العرب). وأما النحو

فجولان فكريّ في هذه القواعد. والتفكير في الشيء ليس هو الشيء، فهل التفكير في الحرب هو الحرب

أو اختلاف الرأي في الزلزال هو الزلزال؟"<sup>2</sup>

بمعنى أن القواعد هي منهج معياريّ قل ولا تقل، بينما النحو فكر وإبداع، وكأنيّ بهذا الرجل أراد

بهذا -الرأي- أن يقول أنّ القواعد ثبوتية لا تستجيب للتطور، فالفاعل مرفوع أبداً والمفعول منصوب

أبداً والمضاف إليه مجرور أبداً، وهكذا مع سائر القواعد، بينما النحو الذي يجول فيه الفكر فإنه متغيّر

ويستجيب للحوافز والاستدعاءات والتحوّلات واختلاف الرؤى والأنظار.

<sup>1</sup> الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)، ص: 21.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 17، 18.



ومن آرائه الناضجة الناجزة المكتملة في هذا الكتاب الراقي، أنه يرى أنّ النحو لا يعلم إلا النحو وشيئا من القواعد، وأما إحسان اللغة، فسبيله ملازمة فصيح الكلام واستظهاره ومعاودته، لا قراءة النحو واستظهار مسائله! كل كتب النحو، كلها كلها، من كتاب سيبويه فنازلاً، لا تعدل في موازين إحسان اللغة مثقال ذرة من<sup>1</sup>: وَهِيَ بَجْرِيٍّ يَمُّ فِي مَوْجٍ كَالجَبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ. " (هود:42)

إذن، فإحسان اللغة، إنما يكون في مصاحبة القرآن والحديث ونهج البلاغة، وديوان زهير وجرير والفرزدق والأخطل، وبشار وأبي العتاهية، وأبي تمام والبحري والمتني، وفي ملازمة الجاحظ، وأسألك بالله أن تستمسك بكتب الجاحظ، فإنها ينبوع لغة وأدب لا ينضب، وفي ملازمة الأغاني فإنه مدرسة لطوعية المفردات، في مواضعها من جزل التراكيب. فاستظهر الروائع من كل ذلك، واحفظها عن ظهر قلب كما تحفظ اسمك. وأما النحو فيعلمك النحو، وشيئا من القواعد دونه السير على الشوك حافيا. فاعرف سبيلك تصل إلى غايتك!! فإذا وصلت، علمت آذاك في أيّ بيداء كنت تسير، وفي أيّ روضة الآن.<sup>2</sup> فهذا رأيي رائع ما أحوج طلاب العربية أن يتعلموه ويدرسوه، ولكنه وللأسف جاء متأخرا جدا بعدما تراكت الساحات العلمية بالآراء النحوية التي أغلبها متهافت غير مؤصل لم يبنى على روابي ثابتة وصلبة.

<sup>1</sup> انظر: الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)، ص: 56، و54.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 56.

ومهما يكن؛ لقد أبدع د، الصيداوي في هذا الكتاب الذي حمل قضية النحو، وخالف السائد والنمطي الذي ألفه الناس، أما سرّ هذا الإبداع هو أنه عُرف أنه خبيرٌ بالموسيقا والأنغام، ولهذا استطاع أن يتذوق النحو بفنية رائعة وفرق بينه وبين القواعد، والأكثر من خبرته في الموسيقى والأنغام، موهبته في ترتيل القرآن الكريم، فالحدق والإحسان في الترتيل والخبرة والذوق للموسيقى قاداه أن يجدد الفهم لنحو العربية، فلقد جدّد الطرح لعلم النحو بحجّ فنان.

فالنحو عنده فكر ومعرفة وفلسفة، والنحو عنده علم متطرّف ناعم، وليس شواظ جدل وغمّ سادم، والقواعد عنده قوانين وضوابط، واللغة عنده فصاحة وبيان وتطرّف وكياسة، وأنغام وألحان وتطرّب وغناء ومن فهم هذه الثلاثة (النحو والقواعد واللغة) بهذا الخيال العلمي فحريّ به أن يذهب عنه التكلس الذهني والخمود الروحي وجفوة الطبع ويصبح عنده شغف للمعرفة زائد، وميل لحبّ العلم رائد، عندها يستطيع أن يستولي فهمه على أصعب المسائل.

ومجمل القول؛ فإنه قد جاء كتاب "الكفاف" للصيداوي "ليس موجزا في قواعد العربية بل هو قواعد العربية تامة غير منقوصة".<sup>1</sup> وقد كاد في نظري كتاب "الكفاف" أن ينسخ كلّ ما كُتب وقيل في قضية تيسير النحو وتعليمه تنظيرا وتطبيقا. وإني أعدّه بحق من غير تزديد ولا تنقص مرجعا أساسيا لدراسي قواعد العربية للمتخصصين وغير المتخصصين، ولا أخفي القارئ الكريم أيّ اتخذته عمدة في تدريس قواعد العربية في الجامعة، وبسببه استقطبت جماهير الطلاب لحبّ العربية

<sup>1</sup> الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)، ص: 27.

فخر الدين قباوة<sup>1</sup> في كتابه: -"مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء"، نشره سنة (2001).

لقد طُمر أكثر اللغويين العرب المحدثين في مشكلات نظرية العامل حتى آضت فيها عقولهم إلى التهافت، فمنهم من جهد في إسقاطها، ومنهم من كشف بعض عوارها، ومنهم من رأى أنه ما كان للعربية علم لولا سلطانها. أما د، فخر الدين قباوة فيرى في هذا "الكتاب"، أن القدماء أغفلوا تفسير مفهوم العامل بدقة، وألقوا في معارضة عبارات متداخلة، لا يضمها مذهب واضح السبيل، كما أنه قد تنازعت أقلام الباحثين وأفهامهم، في رصد الأحياز التي تتحرك فيها توجهات النحاة، من نظرية العامل. بحيث تلقى العامل أنه مشكلة تخوض فيها الدراسات الموضوعية، من جميع المستويات العلمية والثقافية، محاولا إيجاد السبيل القويم والحل اللغوي العربي الخالص في "نظرية الاقتضاء".<sup>2</sup>

ومن القضايا التي تطرق إليها الفوضوية و التفاعل التي تكاد تحضر في كل شيء، ففي ميدان الحياة، يلتقي الناس بعضهم وبعض، فيكون بينهم تواصل وتعاون ووثام، أو خلاف وتنافر وخصام، وعن هاتين الحالتين المتناقضتين، تنتج تفاعلات مادية ومعنوية، منها الظاهر الملموس، ومنها الخفي داخل النفوس.<sup>3</sup> وهذا التفاعل يمكن أن نلخصه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً).

<sup>1</sup> (1933-؟) شيخ من شيوخ العربية المصريين الأخيار الذين خدموا العربية خدمة جليلة، أما إنتاجه فيضيق المقام عن حصره.

<sup>2</sup> مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء: د، فخر الدين قباوة، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001، ص: مقدمة المؤلف.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 15.

كما أنّ هذا التأثير والتأثر يحضر في الطبيعة والحياة ، في طبائع وأشكال مختلفة، تتفرق وتلتقي

وتتماس وتمتزج وتختلط، وتتبادل صوراً من التفاعلات لا تحصى، ليتحقق استمرار الحياة وإنك لترى

وتحسس ضروب هذه التفاعلات في كثير من مظاهر الكائنات: فالأشكال الهندسية تتبادل التأثير، حين

تلتقي أو تتداخل أو يقرب بعضها من بعض حتى ليكتسب كل منها صفات، تخالف صورته الأصلية

فيما تدركه الأبصار. وقريب من ذلك ما يكون في الحركات المختلفة، والطعوم والملامس والروائح

والأصوات... حتى الظلال يتدخل فيها مثل هذه التبادلات.<sup>1</sup>

أما إذا جئنا إلى اللغة فيرى أن التواصل اللغوي "ظاهرة فيزيائية، ذلك لأن التكلم ضرب من

المادة المتحركة، فسبب حدوث الصوت، كما يقول ابن سينا (ت:428هـ)، تموج الهواء دُفعاَتٍ بسرعة

وقوة، لاصطدام بعض أجزاء الأجرام ببعض. إنه التموجات الهوائية المتشكلة من تحركات جهاز

التصويت، بالتقلص والاهتزاز والاحتكاك والاحتباس والانطلاق، ممتزجاً بعضها ببعض، لينتج ما يقرع

الآذان، ويصل إلى المدارك والوجدان ... وعلى هذا، فإن صوت الحرف الواحد يتأثر بالحركات التي

تجاوره، إذ تمتص بعض خصائصه ومميزاته، فيكون له صورة مغايرة لما هو عليه في الأصل. بل إن كل

حركة تلونه بما يناسبها، فيصير ذا أشكال مختلفة، يوحد بينها صوت منه أساسي، ممتزجاً بطوابعها

المتمايزة. ثم هو يلونها أيضاً بلمسات من خصائصه وصفاته، فتظهر بأشكال متميزة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، ص:16.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:17.

أما في الفصل الأول، حيث وقف ملياً عند ظاهرة الانفعال اللغوي الذي هو من قنوات الاتصال العاطفية في اللغات الإنسانية، لكنه يوجد في العربية بخصوصية متميزة، في العلاقات الحميمة بين المفردات في التركيب، كما عرض لأنواع الإعراب، فكان الإعراب التعبيري، والإعراب التركيبي، وإعراب البنية، والإعراب التحليلي، والإعراب الصوتي.<sup>1</sup>

وفي الفصل الثاني، استقصى نظريات تفسير هذا العمل، فكانت: النظرية اللفظية وهي تردّ القيام بالعمل إلى الألفاظ. وتقابلها النظرية المعنوية، التي تنص على أن الوظائف الإعرابية هي مركز العمل، ثم ترد نظرية التعليق وهي تعني أن الكلمة التي لها معنى في أخرى تشبث بها، ويتطلب هذا المعنى أثره المعبر عنه، فتقوم الكلمة المذكورة بالعمل اللازم له.

أما النظرية الصوتية فتنسب إلى الخليل أنه فرغ حركات الإعراب، من كل دلالة نحوية، وجعلها للتخلص من الثقل حين وصل الكلام بعضه ببعض. وأما النظرية الخلافية فزعيمها قطرب الذي حصر وظيفة الحركات هذه في تمييز الإدراج من الوقف، وفي المساعدة على اعتدال الكلام. والنظرية الإنسانية، وزعمائها معتزلة النحاة الذين يرون أن الإنسان هو العامل الإعرابي. والسابعة هي النظرية الإلهية، وزعيمها ابن مضاء الذي ردّ العمل إلى الله وحده. وال ثامنة النظرية الاجتماعية بحيث ولدت في بيئات تنسب إلى المجتمع كل نشاط إنساني، وتفسره بالأعراف والضوابط السلوكية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، ص: الفصل الأول.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 68-106.

أما في الفصل الثالث، حيث تناول مسألة الاقتضاء الذي توسم فيه حل المشكلة المتأزمة منذ قرون، مستعينا بمفهوم العامل في ميادين العلوم الطبيعية والتطبيقية والإنسانية، فكان لدي هتقارب ملحوظ، يحدّد غصير النشاط المباشر في تلك الظاهرة العربية المتميّزة. ولأن التعبير اللغوي فكر وصوت وشكل، كان التفكير والصياغة أبرز ما يحدد شخصية العامل، وكان توزع النحاة القدماء بين مظاهر اللفظ ومؤيد للمعنى، فبأى أنّ العامل ذا طبيعة إزدواجية، لأن المادة والمعنى هما العنصران المتفاعلان في التركيب. وعليه فإن العامل هو المقتضي، أي: الرمز اللغوي الذي يدل على معان تركيبية، ويقتضي بلفظه ومضمونه في المقام والسياق ومقصد المتكلم ما يعبر عن ذلك. ومن هنا كان للفظ الواحد حاجات وآثار مختلفة، بحسب نمطه ومضمونه وموقعه ومقاصده ودلالاته ووظائفه.<sup>1</sup>

إذن؛ فملخص نظرية الاقتضاء أنّها بحث له مفهوم لغوي ومفهوم نحوي أما الأول: فالأخ يستدعي في الذهن أخوا أو أختا، والابن يقتضي أبا وأما، والتلميذ لا بد له من معلم وعلم.... ثم لا بد أن يكون بين المقتضي والمقتضى تأثير وانفعال، يتمّع بأولهما الأقوى أو المتقدم، ويستجيب لثانيهما الأضعف أو المتأخر. أما الثاني: فالضرب والقتل يقتضيان مضروبا ومقتولا؟... وكل واحد من أفعال الحواس يقتضي مفعولا، مما تقتضيه تلك الحاسة. فالبصر يقتضي مبصرا، والشم يقتضي مشموما، والسمع يقتضي مسموعا... الخ.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، ص: 113 وما بعدها

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 121.

فالمقتضي هو العامل الإعرابي وهو يصدر عن نظرية التعليق لأن أصحاب هذه النظرية يرون أنّ

المقتضي للإعراب هو توارد المعاني المختلفة على الكلام، بسبب التركيب. ف"المقتضي هو ما يصاحب

الشيء ويطلبه ويمنع تركه، فيكون كالموجب، وقد يجيز تركه فيكون كالنائب. والأول منهما يشمل

الباعث المتقدم على ذلك الشيء والغاية المتأخرة عنه معاً. أو يخص كلاً منهما على حدة، في حين أن

الثاني يكون خاصاً بالغاية، فيقتصر على ما يهدف إليه.<sup>1</sup>

إذن؛ فظاهرة الإعراب تتحد فيها عدة عوامل<sup>2</sup>، وهي الله تعالى، والمجتمع الإنساني، والعرف

التعبيري، واللفظ اللغوي، والوظيفة التركيبية. ثم إن العمليات اللغوية ظاهرة إنسانية، لا بد لها من عدة

عوامل تتفاوت في درجة فاعليتها أيضاً. فكل هذه النظريات لها مساهمات في التأثير، فالنظرية الإلهية

تقصد السبب الأول الميسر، والاجتماعية تتوجه إلى العلة الفاعلة للنظام الموجه، والإنسانية تتردد بين

اللفظ والمتكلم، والمعنوية تحدد وظيفة الإعراب، والخلافية تعتمد ضرورات التركيب، واللفظية تتوهم المؤثر

المنتج، ونظرية التعليق توسّط الوظائف بين اللفظ المؤثر والعمل الناجز.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، ص: 125.

<sup>2</sup> وقد ضرب مثلاً حياً من الواقع للبرهنة على صحة أنّ ظاهرة الإعراب تتحد فيها عدّة عوامل، يقول: "فعوامل الصحة مثلاً بعد تقدير الله تعالى هي: وراثه وغذاء ورياضة ونشاط ومأوى ولباس وخلق وتربية... وعلى الرغم من التفاوت في درجة الفاعلية، بين ما عددنا من العوامل، فليس لك الزعم أن أحدها هو العنصر الوحيد المؤثر. وكذلك الشأن في موضوعنا المطروح: العامل الإعرابي" انظر: المرجع نفسه، ص: 126.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 127.

إن تحليل د، فخر الدين قباوة لمشكلة العامل ونظرية الاقتضاء وربط هذا التحليل بواقع الحياة ودروبها ليقدم في ذهني أنّ الرجل كان له اطلاع على أكبر الظنّ والتقدير -أم هو توارد أفكار لايهمنا- على "نظرية الفوضى" التي شغلت علم الرياضيات والفيزياء، التي ترى أنّ هذه الفوضوية في الوجود يسودها نظام عجيب لا يستوعبه إلا الذي آمن بالله سبحانه وتعالى، فلا يوجد شيء عبثي في الطبيعة لا أثر له. فنظرية الفوضى تثبت أن إطلاق منبه سيارتك في نفق قد يؤدي إلى انهيار أح د الجبال المتماسكة؟! ومن أفكار هذه النظرية بما يسمى تأثير الفراشة: (Butterfly effect)، بحيث أن "رفة جناح الفراشة في مكان ما قد تُسبب إعصارًا في مكان آخر من الأرض بعد عدّة سنين".<sup>1</sup>

قد يقول لي قائل إذا أنت ترى بأن نظرية الفوضى قد تسللت إلى البحث اللغوي وأثرت فيه، فأقول أنا لا أرى بل أوّمن بأن هذه النظرية منذ أن خرجت واشتهر أمرها وتداولها الفكر الإنساني منذ نصف قرن قد أحدثت أثرا غائرا في البحث اللغوي ولكن أغلب الباحثين لا يشعرون، ومن أراد أن ينكر أثر هذه النظرية على البحث اللغوي، إذن؛ فلينكر أثر نظرية داروين على البحث اللغوي<sup>2</sup> التي سيطرت على جميع العلوم والمعارف. فالعلوم غير محصنة بسيارات معرفية خصوصية وإن بدت في ظاهرها، وخاصة أنّ "العلم ليس جسما من المعرفة". كما يقول (كارل بوبر)، بمعنى آخر أنه لا توجد هناك ثبوتية مجسمة مطلقة في العلم، ولهذا ينبغي أن نؤمن بالتداعيات المفاجئة لكي لا نصدم.

<sup>1</sup> وملخص هذه النظرية المرعبة في آية المفاتيح، قوله تعالى: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" (الأنعام: 59).

<sup>2</sup> ومن أراد الاقتناع أكثر فعليه يبحث لعبد الله أحمد خليل، الموسوم ب: أثر الفكر الدارويني في البحث اللغوي العربي الحديث.



قد تصيب الحاسة السادسة في الإنسان وهي "الحدس" الصواب ما لا تصيبه طموحات

الرياضيات والفيزياء ورد في الأمثال الإسبانية بسبب ضياع مسمار ضاعت الحدوة، وضياع الحدوة ضاع

الحصان، وضياع الحصان ضاع الفارس، وضياع الفارس، خسرنا المعركة، وضياع المعركة ضاعت

المملكة. " انظر كيف أن مسمارا له مسؤولية وتأثير ولو بعد حين على النتائج.<sup>1</sup>

إذن عود على بدء، رغم أن د، فخر الدين قباوة صرح في الكتاب بأنه اطلع على جميع المراجع

المهمة التي كتبت في هذه القضية، فقال: " قد تتبعث تلك الأفلام والأفهام، أرصد مراكزها وتشعباتها،

وأجمع ما سجله شيوخ النحاة القدماء والمتأخرين والزملاء المعاصرون، لعلني أجد في المحصلة وجهة تحقق

الاستقرار، وتحل المشكلة حلاً لغوياً عربياً خالصاً.<sup>2</sup>

لكنه لم يضع قائمةً للمراجع التي اقتبس منها بعض الأفكار والرؤى، ذلك أن خليل أحمد

عمارة، قد مسّ نظرية الاقتضاء مسّاً خفيفاً عندما تناول النحو الأجنبي عند تشومسكي، فأصحاب

المدرسة التوزيعية ينطلقون في وصف الجملة من فكرة الاقتضاء، بحيث "أن المورفيم يقتضي المورفيم الذي

يليه في الجملة الواحدة، يقتضيه فيحدده ويأخذه، بعد أن ينطق المتكلم بالمورفيم الأول، ففي الجملة

العربية التالية، مثلاً: إنّ الطالبين يدرسان.

<sup>1</sup> وربما أن الكلمة الواحدة من ثلاثة أحرف في سياقها اللغوي من مسؤول قد يلقيها الرجل ولا يلقي لها بالا، قد تكون سببا في هلاك

دولة! ما رأيك؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأسا، يهوي بها سبعين خريفا في النار."

<sup>2</sup> مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، ص: من مقدمة المؤلف.

فإن المرفيم الأول (إن) يقتضي مورفيما آخر يليه، فيأخذ (الطالبين) وليس (يدرسان)، وهذا (الطالبين) يكون في حالة إعرابية معينة طبقا لقواعد الكفاية اللغوية، ويقتضي مورفيما آخر ليتم التعبير عن الصورة في ذهن المتكلم، ويجب أن يكون هذا في حالة معينة من حالات الإعراب تحقيقا لقواعد الكفاية، فبذا تتم الجملة وتخرج على ما هي عليه. وإذا اقتضى المعنى زيادة في عدد الكلمات في الجملة، فإن الجملة ذاتها، فنقول مثلا: إن الطالبين المجتهدين الصادقين... يدرسان.<sup>1</sup>

نظرية الاقتضاء فكرة لغوية علمية لا بأس بها غير أن د، قباوة تخايلت له كثير من الأفكار وتراءت له العديد من الأنظار حول هذه النظرية، فلم يستطع أن يجليها في ملخص نستطيع أن نفهم جزئياتها، فالفكرة على العموم واضحة ولكنها على مستوى التفصيل والتدوير غير واضحة.

ما دام أن النحو العربي يدرس العلاقات، فإنه بالضرورة سيكون الاقتضاء والتلازم من أسس مميزاته،

نحو قولنا: أكرم زيدُ عمرا، فالفعل متعدي يحتاج إلى مفعول به، ولا يكون هناك مفعولا به إلا إذا كان هناك فاعل، وغير ذلك كثير فإذا قلنا أن هناك خيرا في الجملة فإما أن يكون خيرا لمبتدأ أو خيرا لناسخ من النواسخ، وهكذا. بل إن هذا الاقتضاء يوجد في جميع اللغات الطبيعية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق): خليل أحمد عمارة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، م/ع السعودية، ط 1، 1984، ص: 60، 61.

<sup>2</sup> لنأخذ مثلا في اللغة الإنجليزية: (I met a tall man who works in the school in the morning) فعند التحليل نجد أن (I) المبتدأ، تقتضي (morning.....met) الخبر، و (met) تقتضي فاعلا وهو ضمير (man) + (I) المفعول، و (man) تقتضي (tall+ (who)، و (who) تقتضي (works)، و (works) تقتضي (in the school in the morning).

## الفصل السادس: آفاق المصاهرة بين النحو العربي والدرس اللساني الحديث "آراء ومواقف".

### 1) موقف المجوّزين:

- عبده الراجحي في كتابه: "النحو العربي والدرس الحديث"، نشره سنة (1979).
- حمزة المزيني في بحثه: "مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة"، نشره سنة (1997).

### 2) موقف المانعين:

- محمد محمد حسين في كتابه: "مقالات في الأدب واللغة"، نشره سنة (1986).
- رشيد العبيدي من خلال بحثه: "الألسنية المعاصرة والعربية"، نشره سنة (2000).

### 3) موقف المتوسطين:

- إبراهيم السامرائي في كتابه: "النحو العربي في مواجهة العصر"، نشره سنة (1995).
- عبد السلام المسدي في كتابه: "العربية والإعراب"، نشره سنة (2010).

### ❖ موقفي من معادلة النحو ≠ اللسانيات؟

"إنّ النضج الذي أدركته اللسانيات يعدّ كسبا معرفيًا شاملاً، ليس ثقافةً ما بأولى به من سائر الثقافات الإنسانيّة، ولكن أبرز سمات هذا النضج أن تتضاءل الحواجز التي كانت بين البحث النحوي في مفهومه الفيلولوجي والبحث اللغوي الحديث كما سنّته اللسانيات بمختلف تياراتها (..) والسرّ في ذلك أنّ النحو واللسانيات يقفان على مصادرتين لا تتماهيان ولا تترافضان فليس الإقرار بإحدهما بمقتض إغناء الأخرى، وبناء على ذلك تيسّر تناول اللغة بدرسها من خلال المنظورين سواء بالتعاقب أو بالتوافق."

عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص: 05.

رأي عبده الراجحي<sup>1</sup> في كتابه: -"النحو العربي والدرس الحديث"، نشره سنة (1979).

يعتبر د، عبده الراجحي من أشهر اللسانيين العرب الداعين إلى مقارنة النحو العربي مع اللسانيات وإسقاطها على عراضه وسواريه قصد تحديثه وفق متطلبات العصر، ولقد حوى هذا الكتاب على بحث ينظر في أصول المنهج النحوي عند العرب، وذلك على ضوء المناهج الحديثة، كما تمّ التعرّض فيه للمناخ العام الذي تأسس فيه النحو العربي في التمهيدي، أما في الباب الأوّل فتّم التوقّف عند المنهج الوصفي من حيث موقفه من هذا النحو، كما تمّ التعرّض لقضية المنهج الأرسطي، وتمّ التحدّث في الباب الثاني عن المنهج التحويلي، وذلك من خلال التعرّض لأصوله النظرية، ثم لطريقته في التحليل، ثم للجوانب التحويلية في النحو العربي. يقول د، عبده الراجحي: "إن الدعوة إلى رفض المناهج اللغوية، دعوة غير صحيحة بل هي دعوة غير إنسانية، ولا أشك لحظة في أنّها ضارّة بالعربية نفسها. ومن الضروري أن نفيد

<sup>1</sup> عبده الراجحي لساني مصري عاش ما بين سنتي (1937-2010)، وهو طويل الباع فسيحة الخطوة في علم اللسان العربي وعلم اللسان العام، ومن أهمّ بحوثه التي أعجبتني طرحها كتاب "علم اللّغة التطبيقي وتعليم العربية"، الذي نشره سنة 1990.

بحيث يرى أنّ علم اللغة ليس هو المقابل النظري لعلم اللغة التطبيقي، فعلم اللغة ذو طابع تجريدي، يدرس اللغة لذاتها وفي ذاتها، والتجريد أدى إلى التعميم، وعزل اللغة عن سياقها، وانتهى إلى معادلات رياضية، فعلم اللغة يبعد الكثير من القضايا المتصلة بالإنسان: الاكتساب اللغوي، ودور اللغة في المجتمع.

أما علم اللغة النفسي فمجاله السلوك اللغوي للفرد ومحوراه الأساسيان هما: الاكتساب اللغوي والأداء اللغوي تجمعهما الأنظمة المعرفية عند الإنسان، كما أنّ هناك فرق بين اكتساب اللغة وتعلم اللغة، فالأكتساب يحدث في الطفولة والتعلم في مرحلة متأخرة، أما الأداء فهو المجال الثاني لعلم اللغة النفسي: كيف يؤدي الإنسان الفرد لغته؟ وما العمليات التي تكمن وراء ذلك؟ وهو على ضريين: أداء إنتاجي أو نشط أو فاعل، أي حين ينتج الإنسان اللغة: الكلام أو الكتابة، وأداء استقبالي، أو الأداء السلبي، وهو حين يستقبل الإنسان اللغة أو يقرأها. والعلم اليوم يكاد يتوجه اليوم الأداء الاستقبالي للغة: ماذا يحدث بالضبط عندما يستقبل الإنسان لغة ما؟ هل يراجعها على قوائم مخزونة لديه (أصوات ومفردات وجمل) أم أن لديه مخزوناً نظرياً آخر يمثل قواعد كلية عامة يجري على أساسها العمليات اللغوية؟ وكما يدخل ضمن الأداء دراسة الأخطاء: إنتاجية واستقبالية مع البحث عن العوامل النفسية التي أدت إلى ارتكابها. انظر التفصيل: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية: د، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995، ص: 17، وما بعدها.

مما يطرده الناس وأن نشارك نحن في هذا التطوير. ولا أشك لحظة أيضا في أن المناهج الحديثة — مع

إدراكنا أصول النحو العربي - تقدم فهم أفضل للعربية<sup>1</sup>

ومن أبرز الجوانب التحويلية التي رآها في النحو العربي: قضية العامل، وقواعد الحذف، وقواعد

الزيادة، وقواعد إعادة الترتيب، وقضية الأصلية والفرعية، وهذه الأخيرة شغلت نحاة العربية منذ مرحلة

النشأة، فقررروا أن النكرة أصل والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل للجمع وأن المذكر أصل للمؤنث... وأن

التصغير والتكسير يردان الأشياء إلى أصولها، وهكذا.<sup>2</sup>

وكان الوصفيون يرون في ذلك بحثا ميتافيزيقيا لا يعتمد على مبدأ علمي سليم. غير أن المنهج

التحويلي رأي أن قضية الأصلية والفرعية قضية أساسية في فهم "البنية العميقة" وتحولها إلى "بنية السطح"

وفي العربية مثلا لا نستطيع أن ننظر إلى الفعل (قال) على أن أصله (قال) وأن الفعل (باع) أصله (باع)

مع وجود (يقول) و(يبيع)، بل علينا أن نعرف (أصل) الألف فيهما. وقد عرض التحويليون لقضية

الأصلية والفرعية، وقررروا أن الألفاظ "غير المعلمة" هي الأصل وأقرب إلى "البنية العميقة"، فالفعل في

الزمن الحاضر في الإنجليزية مثلا غير معلم (jum-love)، والجمع تلحقه علامة (s) = books = bys

وعليه فإن الزمن الحاضر أصل والماضي فرع، والمفرد أصل والجمع فرعا.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، ص: 160.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 143، 144.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 144.

ولقد سُئِلَ "الراجحي" ذات مرّة عن ماهي نقطة الاختلاف والافتراق التي توصلتم إلى ملاحظتها في كتاب "النحو العربي والدرس الحديث"؟ فأجاب بأن قال: "حاولت أن أقدم هذا النوع من المقارنة لا من أجل المقارنة، ولكن لأؤكد أن الحياة الإنسانية لا بدّ أن تعتمد على ما عندها أولاً، وعليها أيضاً ألا تغمض عينها على كل ما يحدث في العالم."<sup>1</sup>

فالرجل يبدو مفتتحة على ثقافة الآخر ولا يرى أيّة غضاضة في أن نستفيد من اللسانيات الغربية المعاصرة، ويرى بأنّ "الدعوة إلى استقلال علم اللغة وشكليته أثبتت عجزها عن فهم طبيعة اللغة فهما صحيحا، ولا مناص من الاعتراف بضرورة الاستعانة بعدد من العلوم استعانة أساسية، وبخاصة علم النفس والرياضة والفلسفة والنقد الأدبي، ولقد يكون مفيدا أن نؤكد تأثر سوسير بدور كايم، وتأثر ساير بفرانز بوعز، وتأثر بلومفيلد بالسلوكيين، وتأثر تشومسكي بديكارت، وهذه الظاهرة كافية في الدلالة على صحة الاتجاه العربي القديم حين اتصل بالفقه والكلام والمنطق."<sup>2</sup>

وهذا الزعم من المتانة بمكان، فلا أحد يستطيع أن يلغي سنة التأثير والتأثر، فتشومسكي لم يتأثر بديكارت فحسب بل تأثر بأب علم الفيزياء الحديثة "جاليليو"، وسوسير ليس دور كايم الذي اقتبس من فكره فحسب، بل بعدة مفكرين في اختصاصات متعددة من أمثال "بيرس"، و"دفيد ويتناي"، و"دي كورتناي"، فقد استفاد منهم في أفكار كثير خدمت مشروعه اللساني الذي خلّص به البحث اللغوي من براثن الأدبيات وسطوة خيال الفلسفة ومتافيزيقيتها.

<sup>1</sup> مقالات الأستاذ الدكتور عبده الراجحي، ط1، 2011، ص:157.

<sup>2</sup> النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، ص:161.

ولا يفوتني أن أناقش موقف "حافظ إسماعيلي" عندما هاجم الراجحي وقال: "ولا يخلو النقد

اللساني في ثقافتنا من النفاق العلمي، الذي ينطلق أحيانا من اعتبار "المناسبة شرط"، فتأتي الأحكام

متباينة بتباين المناسبات، هذا ما لاحظناه في مهاجمة الراجحي لللساني المغربي العربي، وخاصة التوليديين

منهم، وهو نقد يعبر عن آراء مناقضة لما سبق أن عبر عنه في مناسبة أخرى.<sup>1</sup>

وهذا الاتهام العلمي الذي بناه "د، حافظ" على أن للراجحي محاضرة معنونة بـ"النظريات اللغوية

المعاصرة وموقفها من اللغة العربية ألقيت بالنادي الأدبي في جدة في 1408/02/42، وهي محاضرة

تتناقض كلياً مع ما ذهب إليه في المحاضرة التي ألقاها في الرباط: "النحو العربي واللسانيات المعاصرة"،

منشورة ضمن أعمال البحث اللساني والسيماي منشورات كلية الآداب الرباط 1984.<sup>2</sup>

أما موقعي من هذا الاتهام أجدني أراه افتراءً على حضرة المرحوم "عبده الراجحي" وهو عالم

جليل يمشي على هدى البصيرة والضمير، ولأنّ هذا الرجل تشهد له أفعاله قبل أن يشهد فيه أيّ باحث

على إخلاصه لاختصاصه، وكما يقال بأن "شهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال".

فالباحث الجادّ المخلص يحتاج إلى الدوران مع الحقيقة العلمية حيثما دارت، والخلاف اللغوي

يجب أن يكون، وأيّ قضية لا يوجد فيها الحدّ الأدنى من الخلاف المعتبر فقد أصبحت معتقد ديني ما

ورائي، ولم تصبح علما قابل عرضه على محكّ العقل والتجربة. والباحث النظّار وهو الذي يتعد عن

الجزميّة في البحث اللغوي، ويفتح بابا الاحتمالات.

<sup>1</sup> انظر الرابط: <http://www.voiceofarabic.net> إستيمولوجيا اللسانيات: حافظ علوي (2015/01/28)

<sup>2</sup> انظر المرجع نفسه، في الهامش.

ومجمل القول في موقف د، عبد الراجحي فهو يمثل موقف اللسانيّ الفاهم المتفتح إلى أقصى

اليمين الذي لا يخشى على علم العربية من تراكمات علم اللسان العام، ووجدناه يرى أنّ رفض

النظريات اللسانية بغضّ النظر أنّها دعوة غير علمية، فهي دعوة غير إنسانية بالأساس!؟

فالسانيات كما يتصوّرها في مفهومه - وإن كان هو يستعمل مصطلح علم اللغة- هي علم وصفي

يدرس الظاهرة اللغوية بما هي عليه وليس بما ينبغي أن تكون عليه، وعلم اللغة تفرع في نظره إلى

نظريتين: الأولى: **النظرية البنوية** وهي تدرس الظواهر الملموسة على أساس سلوكي: المثير والاستجابة،

فالبنوية نظرية استقرائية: من جمع المادة إلى القاعدة.

أما النظرية الثانية: فهي **التوليدية التحويلية**، وهي في رأيه: تعالج اللغة لأنها أكبر نشاط يقوم به

الإنسان، ويجب الوصول إلى طبيعة هذه الخصيصة عن طريق القدرات الكامنة في الإنسان التي تظهر

على السطح، وهي تدرس الكفاية اللغوية عند الإنسان وهي موحدة عند جميع الناس، وكما أنّ اللغة

ليست مجرد استجابة بل إبداع، وكما أنّ اللغة تتكون من قواعد محدودة لكنها قادرة على إنتاج ما لا

نهاية له من الجمل، وبعد الكفاية اللغوية يأتي في الدرجة الثانية اهتمامها بالأداء: وهو الجانب المتحقق

من اللغة (البنية العميقة والبنية السطحية)، إذاً فالتوليدية هي نظرية استدلالية عقلية تبدأ بالبحث عن

طبيعة اللغة ثم تشرع في التقعيد، والخلاصة: أنّ التوليدية تسير في الاتجاه المعاكس للتيار البنوي.<sup>1</sup> ولو

جئنا إلى لساني آخر من المحدثين العرب لأعطى لنا تصورا آخر للسانيات ربما غير لاحب ولا مفهوم.

<sup>1</sup> انظر التفصيل: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، ص: 17، وما بعدها.



أما المشكل المنهجي الذي يبقى دائما قائما، فيتمثل في كيفية التعامل مع القسمة العقلية الغزيرة

التي ورثناها، فلم نعرف لحدّ الآن كيف نتعامل معها؟ إذاً فهي تحتاج إلى خبراء لسانيين وليس إجراء

لسانيين يحسنون التعامل معها، وكما يرى عبد القادر الفاسي الفهري " أن مشكل التراث والحاضر العربي

يرجع بالأساس إلى عدم القدرة على إيجاد المراكمة، فالدول التي تستطيع أن تتقدم هي التي تستطيع أن

تراكم، وهذه ثغرة في ثقافتنا العربية، فالعناية بتراثنا داخل أوساطنا هي من قبيل الإطراء والمجاملة وليست

هناك دراسات عميقة تحاول قراءة هذا التراث وتوظيفه التوظيف المطلوب، وهذه خصوصية ثقافية. هذا

هو الواقع، وكل ثقافة غير جادة تبقى ثقافة غير مواكبة.<sup>1</sup>

فهذا كلام خبير لسانيّ خبير المناهج شرقها وغربها ورائد من رواد اللسانيات التوليدية العربية، وكما

تقول العرب "إنّ الرائد لا يكذبُ أهله"، فيجب أن نأخذ بكلام عبد القادر الفاسي الفهري، وكما يقول

علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته"<sup>2</sup>، وإذا أخذنا بكلامه نستطيع

تأسيس معرفة لسانية حديثة وفق ما تقتضيه الضرورة المنهجية التي تتحكّم فيها هي الأخرى عوالم

ومقتضيات من الأفكار والرؤى حسب القضية المعالجة وحسب زمنها أيضا.

<sup>1</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية)، ص 99.

<sup>2</sup> نهج البلاغة: جمعه ونسق أبوايه: العلامة الشّريف الرّضيّ، شرحه وضبط نصوصه: الإمام محمد عبده، مؤسسة المعارف، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص: 454.

حمزة المزيني في بحثه: "مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة"، نشره سنة (1997).

بعضنا يعلم أن من خصائص الثقافة الغربية النرجسية العلمية بمعنى أنها لا ترى العالم إلا من خلال ذاتها، فلا تعبير كبير اهتمام لما حولها، بل يجب أن تمنح كل العلوم من علمها، وإذا كانت هناك علوم عند العرب فهي نتاج الثقافة الهلينية، فالعرب في نظرهم قومٌ مستهلكون حتى في العلم!! من قدم الزمان إلى يوم الناس هذا، فإذا جئنا إلى دراسة حضور علماء العرب في علم اللسان العام، وجدناهم أرتخوا لتاريخ اللسانيات ولكنهم تجاوزوا مساهمات العرب فيها،<sup>1</sup> كجورج مونان مثلاً في كتابيه: تاريخ علم اللغة، وعلم اللغة في القرن العشرين.

وهناك كتابان مهمّان للبحثين أجنبيين كشف أسباب التحيز اللغوي ضدّ اللغة العربية، فالكتاب الأول: محاسن العربية في المرأة الغربية: لديفيد جستس الأمريكي<sup>2</sup>، نشره سنة 1987، وترجمه: د. حمزة بن قبلان المزيني، سنة 2005، والثاني "لغات الجنّة"، لموريس أولندر الفرنسي، نشره سنة 1989، فقد كشف "أولندر" فيه التفكير الأوروبي الغير العلمي التعصبي العنصري.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> انظر: آفاق اللسانيات - دراسات، مراجعات، شهادات -، ص: 425.

<sup>2</sup> لقد تعاطف ديفيد جستس مع اللغة العربية، وردّ كثير من الاتهامات والتحيزات الغير العلمية ضدّ العربية، وأبرز ما يميّز هذا الكتاب كما يرى المزيني أنّ الأسلوب الذي تغلب عليه السخرية حين يورد مأخذاً على العربية، ويكشف بهذا الأسلوب مدى جهل القائلين بهذا المآخذ أو تحاملهم مع أن ما يأخذونه على اللغة العربية موجود في اللغات التي يعرفون. ويبين أن مصدر هذه المآخذ العداة السياسي أو الحضاري لأهل هذه اللغة. انظر: مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة: د. حمزة المزيني، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع53، السنة الحادية والعشرون، ذو القعدة 1417هـ، ربيع الآخر 1418هـ، ص: 63.

<sup>3</sup> من المفكرين العرب الذين اقتنعوا بهذا التفكير المنتكس سلامة موسى في كتابه "البلاغة العصرية"، أما رافائيل بتاي فهو كاتب إسرائيلي، صاحب كتاب "العقل العربي"، وقد درس فيه لغة العرب وكان عنصرياً حتى النخاع فيه.

وإذا أردنا الإنصاف فهل صحيح أنّ الغرب تجاوزنا لسانيًا؟ فإنّ د، حمزة المزيني أثبت لنا في هذا

البحث الرائع الناجز أنّ هناك العشرات من الأبحاث تستحقّ الاحترام والتقدير تنجز في الغرب عن اللغة العربية، ولا يعلمها أكثر لسانييننا للأسف!!

ولقد شاع عند الباحثين العرب منهم ف: " غلفان" مثلا الذي يرى بأن تاريخ الفكر اللساني

الإنساني الذي كتبه الغربيون لا يعطي للفكر اللغوي العربي حقه التاريخي ، فلبومفيلد في كتابه "اللغة" لم

يكن نصيب الفكر اللغوي العربي منه إلا سطرين أشار فيهما إلى تأثير الهنود واليونان على العرب. أما

موريس لوروا في كتابه: Les grands courants de la linguistique الصادر بباريس 1963 لا يشير

للفكر اللغوي العربي اطلاقا. ورغم أن كتاب "اتجاهات البحث اللساني" لميلكا إيفيتش<sup>1</sup> يعتبر من أهم

الكتب التي رصدت مسار الفكر اللغوي في مختلف الثقافات قبل ظهور اللسانيات، فإنه لم يخرج عن

الجاهزيّ في كون العرب قد ساروا في تقاليدهم النحوية على خطى النحاة الإغريق.<sup>2</sup>

ولكنّ هذا البحث للمزيني أثبت عكس هذه الرؤية تماما، ف من الأ جانب الكثير الذين اهتموا

باللغة العربية<sup>3</sup>: رومان جاكسون في مقال له عن الأصوات المفخمة في اللغة العربية ، نشره سنة 1978،

وجوزف جرينبرج له مقال عن نمط "الصرفيّات الأصول" في اللغات السامية اتخذ فيه العربية ممثلاً لهذه

اللغات بسبب وفرة المعلومات المعجمية ومحافظتها النسبية في نظامها الصوتي.

<sup>1</sup> صدر سنة 1963 بالصربية، وترجم إلى الإنجليزية عام 1965، وترجمه من الإنجليزية إلى العربية، سعد مصلوح ووفاء فايد عام 1968.

<sup>2</sup> انظر الرابط: <http://aslimnet.free.fr> أفق اللسانيات: لمصطفى غلفان، تاريخ الإقتباس: 2014/01/28

<sup>3</sup> انظر التفصيل في: مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، ص: 17-52.

وزيلك هاريس أستاذ تشومسكي له مقال عن "الصوتيات في اللهجة المغربية"، و"مايكل بريم" له رسالة دكتوراه في معهد ماساتشوستس في سنة 1970. وقد اعتبرها الباحثون عملاً بارزاً استخدم فيه بريم دراسة التركيب الصوتي للغة العربية حجةً لتطبيق النظرية الصوتية التي اقترحها تشومسكي وهاله في كتابهما "نمط الأصوات في اللغة الإنجليزية". وفي سنة 1979 أنهى جون مكارثي رسالته للدكتوراه في معهد ماساتشوستس وكانت بعنوان "قضايا شكلية في الصوتيات والصرف الساميين"<sup>1</sup>.<sup>2</sup> واعتمد تحليل العربية والعربية الفصحى ولهجتى دمشق والقاهرة في التدليل على بعض المقولات النظرية التي اقترحها . وتشارلز فرجسون اللساني الأمريكي له مقال بعنوان: "فأتوا بسورة من مثله: اللغة العربية مقياساً للمجتمع العربي". يقارن فيه بين وضع الدراسة عن اللغة العربية قبل أربعين سنة ووضعها في سنة 1988م، فيلاحظ كثرة المقالات والكتب التي نُشرت عنها... الخ.

ومن المبرزين في الإسهام بدراسة النحو العربي كذلك جوناثان أوينز له كتابين حديثين الأول هو "مقدمة للنظرية العربية النحوية في القرون الوسطى". ويقع في 361 صفحة، نشره سنة 1988، وكتابه الثاني هو "النظرية العربية النحوية المبكرة: التنوع والتوحد". ويقع في 295 صفحة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> اسم الكتاب باللغة الإنجليزية: (Formal Problems in Semitic Phonology. and Morphology)

<sup>2</sup> وفي هذه الرسالة أسس مكارثي نظريةً جديدة في التحليل الصوتي وبسبب هذه النظرية وغيرها من النظريات اللسانية المعاصرة انتشر الاهتمام باللغة العربية مما نتج عنه تأسيس بعض المجالات المتخصصة في الدراسات اللسانية عن اللغة العربية مثل *Journal of Arabic Linguistics* في سنة 1978، وإنشاء جمعية اللسانيات العربية سنة 1988 في مدينة سولت ليك بولاية يوتا الأمريكية، فقامت بعقد ندوات سنوية تُجمع الأبحاث التي تلقى فيها في مجموعات وتشرها دار نشر جون بنجامين. انظر: مكانة اللغة العربية، ص: 23، 24.

<sup>3</sup> انظر التفصيل: مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، ص: 23، وما بعدها.

وكتب بيير لارشير عن "عناصر المقامية في النظرية العربية النحوية فيما بعد الفترة الكلاسيكية .  
وناقش ما ورد في كتاب "شرح الكافية" للاسترابادي ، وكتب مونيك برناردز عن "النحوي البصري أبي عمرو الجرمي: موقعه بين سيبويه والمبر د." والأكثر من هذا ، أنّ نعوم تشومسكي اعترف لعبد القادر الفاسي الفهري واثني على كتابه: "السمات والوسائط المفاتيح في نحو اللغة العربية " الذي صدر سنة 2012 باللغة الإنجليزية، عن دار النشر جون بنجامنز بأمستردام.<sup>1</sup>

ولا يفوتني أن أتوه بكتاب: "اللغة العربية في مرآة الآخر :-مثل من صورة العربية في اللسانيات الأمريكية -، نشره سنة 2005، ل نهاد الموسى الذي استقرأ فيه موارد العربية في أعمال اللسانيين الأمريكيين وأجاب فيه عن سؤال ما صورة العربية في اللسانيات الأمريكية ؟ بحيث أنّ اللساني الاسكتلندي (مايكل كارتو<sup>2</sup>) له بحث "منهج التحليل النحوي عند سيبويه " ، رأى فيه أنّ سيبويه لو عاش في هذا العصر لاحتلّ منزلة وسطا بي (دي سوسير) و(بلومفيلد) ، فهذا شاهدٌ من غير أهل العربية على رموزيتها وحضور علمائها في ميدان التفكير اللساني العالمي.

<sup>1</sup> وفيه يقول تشومسكي: "هذه الدراسة الرائعة مساهمة كبرى في اللسانيات العربية واللسانيات العامة النظرية، وهي متجذرة في العلم الممتد من التراث اللغوي العربي الغني إلى الأسئلة الطليعية للبحث الحالي. فالمؤلف يقدم تحاليل دقيقة ودامغة للسمات المركزية للغات السامية، ويموقعها في إطار مقارن ملهم، ويطور أفكارا جديدة جذابة في الدلالة والتركيب لها نتائج واسعة ثاقبة. إنه إنجاز هام جدا يستحق الترحيب." انظر الرابط: <http://www.wijhatnadar.com> ، "السمات والوسائط المفاتيح في نحو اللغة العربية " ، تاريخ الاقتباس: 2015/01/06. وبل قال عنه أستاذ اللغويات في جامعة تريستا إيطاليا جوسيب لنجوباردي: "حسب علمي، لم يتم أحد في التاريخ الحديث بنشر المعرفة بالنظرية اللغوية العربية وحلب الاحترام لها يمثل ما قام به هذا الزميل المتميز عبد القادر الفهري" ، <http://blog.fikrconferences.org> ، زاوية فكر: مدونة مؤسسة الفكر العربي، تاريخ الاقتباس: 2015/01/06

<sup>2</sup> وله بحث أيضا بعنوان: "قاضي، قاضٍ، قاضٍ: ما العنصر الغريب بينها؟" ويرى أن الشكل غير الممكن منها هو (قاض) وذلك اعتمادًا على فحصه لكتاب سيبويه. ويرى أن وجود (قاض) في كتاب سيبويه كان نتيجة خطأ من الناسخ والمحققين . انظر: مكانة اللغة العربية، ص: 38.

أما من خلال هذه الأفكار اللسانية المزينة الناجزة، فإنّ موقفه من معادلة النحو واللسانية فقد برّرها بشكل فاقع، بحيث حدّد في البداية معوقات النهضة اللغوية العربية المعاصرة المتمثلة في شيوع في الثقافة العربية أن النظريات اللسانية المعاصرة لا يصلح تطبيقها على العربية لأن هذه النظريات أقيمت على لغات غريبة، وأنها هي تععيد للهجات وإحلالها محل اللغة الفصحى، أو أن الدراسة اللسانية المعاصرة تريد أن تكون بديلاً للنحو العربي بعد إزاحته من مركز الصدارة، وهذه كلّها شائعات غير علمية تعرقل من تطور العربية<sup>1</sup>

أما السبب الجوهرى في نظره هو ف: "يتمثل في القول بأن الأجنبي لا يمكن أن يفهموا اللغة العربية كفهم أبنائها لها. فهذا قولٌ ينقصه الدليل، وذلك أنّ أوتو جيسبرسن الذي كتب عن نحو اللغة الإنجليزية وهو دانماركي الأصل واللغة. وعلى الرغم من ذلك فإن كتاباته عنها لا تزال تتمتع بمنزلة عالية في الدراسات الإنجليزية.<sup>2</sup>

ويرى المزيني كذلك أنّ الأجنبي ربما يكون في بعض الأحيان أكثر قدرة على الفهم وقد حدث هذا فعلاً في دراسة بعض المجتمعات، وقد استدللّ برأي ديل إيكلمان، عندما يقول: "يعد الكتابان اللذان ألفهما باحثان أجنيان عن المجتمع الأمريكي، في كثير من الجوانب، من أهم وأجود ما كتب في دراسة المجتمع الأمريكي وتأويل قيمه الأساسية. ونعني بهما كتاب الأرسقراطي الفرنسي أليكسيس دوتوكفيل "الديمقراطية في أمريكا" الذي صدر في سنة 1835، وكتاب السويدي المعاصر كونار ميردال "مأزق

<sup>1</sup> مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، ص: 63.

<sup>2</sup> مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، ص: 60.

أمريكا" الذي صدر سنة 1944، ويمكن للمرء أن يُحاجَّ في هذا الباب فيقول: إن هذين الملاحظين، وإن كانا أجنبيين عن المجتمع الأمريكي، إلا أنهما كانا أكثر وعياً بالجوانب الأساسية والثابتة من الأمريكيين الذين يأخذون تلك الجوانب على أساس أنها بديهيات<sup>1</sup>. وهذا استدلال رائع من المزني في حاقٍ موضعه ينم عن شخصيّة لسانيّة قلقة ببحّثة عن الحقيقة.

ومن الدعاوى اللسانية التي فتّدها مقولة أن النحو العربي لا يمكن الزيادة فيه على ما كتبه النحويون العرب القدماء فهي مقولة مغلوطة في نظره، وذلك أنّ الأبحاث كشفت أن هناك جوانب عديدة لا تزال بحاجة إلى دراسة، فلدراسة اللسانية الحديثة قادرة على مدّنا بالأدوات المنهجية والأطر النظرية التي نستطيع بها فهم النحو العربي فهماً دقيقاً. فقد بيّنت كثير من الأبحاث أن هناك قاسماً مشتركاً في المنطلقات والأهداف والتقنيات بين اللسانيات والنحو العربي<sup>2</sup>.

فلا بد أن يكون الهدف إقامة الصلة بين منجزات اللسانيات المعاصرة والنحو العربي والبناء على ذلك مساهمين في وصف اللغة العربية وصفاً وافياً ومطوّرين للنظرية اللسانية المعاصرة نفسها. ويعني هذا أن الفصل الحاد بين النحويين واللسانيين في الثقافة العربية يجب أن يحل محله الاتصال لخير الفريقين. ومن مقتضيات هذه الصلة أن ينخرط دارس اللسانيات المعاصرة في قراءة النحو العربي قراءة قصدتها الأول فهم هذا النحو ومن بعد ذلك نقده وتمحيصه. أما النحو فيجب عليه الاطلاع على منهجيات اللسانيات الحديثة، وهذا ما سيجعله قادراً على الإسهام فيها بما يعرفه معرفة حقّة من منهجيات النحو.

<sup>1</sup> الإسلام في المغرب: دليل إيكلمان، ترجمة: محمد أعفيف، الدار البيضاء: دار توبقال، 1989، ج1، ص:11.

<sup>2</sup> انظر: مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، ص:61.

وقصد هذه الدعوة للاتصال بين الفريقين إزالة الجفاء بينهما وتوحيد الجهود بقصد تحقيق نهضة لغوية ليست غربية على الثقافة العربية.<sup>1</sup>

أمور كثيرة نستفيدها في بحثه هذا منها لا بدّ أن تجسّر الهوة بين النحويّ الأصولي النصوصي الاستنباطي والمفكر اللساني الاستقرائي لتحقيق الموازنة المنهجية بين النحو واللسانيات، والصراع بين النحو واللسانيات صراع موهوم لا حقيقة له.

إذن؛ فلا يصلح أن نقاطع اللسانيات وهي قاطرة العلوم الإنسانية وهي تسعى سعياً حثيثاً في البحث عن الحقائق المتعلقة باللغة والإنسان والمجتمعات، وخاصة أنّ في مطلع القرن 21 وهو قرن تكنولوجي تقنيّ بامتياز، وأنا أعدّ هذا الموقف الداعي إلى هذا التقاطع الصارخ، هو من مخلفات استحكام رواسب البداوة الجافة الغافلة عن الوعي الحضاري وحضوره.

كالعيس في البيداء يقتلها الظّما \*\*\* والماء فوق ظهورها محمولٌ

وهذه الرواسب هي من أكبر معيقات حركة التطور والتقدم في العلم والتحرّر، فحيث البداوة اليوم<sup>2</sup> حيث الجهل والانغلاق، وإذا لم ترفد هذه البداوة في سوق الحضارة في جانبها الإيجابي لتتعلم وتتطوّر وتتلف وتتروّى، فإنّ الغرب سيزيدنا قرناً ثالثاً كضريبة حضارية ليهيمن علينا!!؟

<sup>1</sup> انظر: مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، ص: 61، 62.

<sup>2</sup> فالبداوة قديماً كانت مرادف العلم والأدب والشعر وكل القيم السامية، أما اليوم فالعكس تماماً، فعلماء اللغة العرب قديماً كان يرتحلون إلى أعماق البوادي لمشاهدة أرياب الفصاحة البيان لتسجيل كلامهم، فمن العلماء من تاه في البوادي أربعين سنة لمشاهدة الأعراب، وتذكر كتب التاريخ والسير أن بيت أبي عمرو بن العلاء وصلت فيه الصحف حتى السقف وكلها من كلام الأعراب.



رأي محمد محمد حسين في كتابه: "مقالات في الأدب واللغة"، نشره سنة 1986)

من أوئل الباحثين العرب الذين عارضوا دخول اللسانيات إلى العالم العربي محمد محمد حسين في كتابه: "مقالات في الأدب واللغة" وذلك أن اللسانيات تهتم باللغات بحجة أنّها من أهمّ المستويات البحث اللساني، وهذه حجة واهية في نظره بل إنّ الاهتمام باللغات هي من مكايد الاستشراق الاستعماري، وذلك حينما يقول: "اقتربت الدراسات اللغوية الحديثة على الطريقة الغربية - والصوتية منها بنوع خاص - بالدعوة إلى العناية باللغات العامية وآدابها، أو ما يسمونه "الأدب الشعبي"، والدعوة بشكلها هذا جديدة على الدراسات العربية، لم يسمع لداع بها صوت قبل القرن الأخير، وقد نشأت أول ما نشأت باقتراح بعض المستشرقين من رجال الاستعمار."<sup>1</sup>

فهذا من أوائل المواقف السلبية التي عارضت ولوج اللسانيات بحجة الاكتفاء، وزادت في تأزيم تلقي هذا العلم الجديد الوافد علينا من وراء البحار، ورضي للغة أن تعيش في عزلة علمية رغم ما يحيط بها من معارف وعلوم متطورة، سوى لأنّ علومها لا تحتاج إلى إضافة، وفي هذا يقول: "اللغة العربية - بحمد الله - غنيّة بهذه الدراسات عريقة فيها، وقياسها على الدراسات اللغوية في أوربا، التي لا يزيد عمرها عن ثلاثة قرون، والتي ليس لها مثيل هذا التراث العريق المعن في العراق طولا وعرضا خطأ فادح لا يكون إلا عن جهل أو سوء قصد."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مقالات في الأدب واللغة: د، محمد محمد حسين، مؤسسة الرساليتوت، ط1، 1986، ص:48.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:48.

والأكثر من هذا أنه يرى في اللسانيات من مكاييد الصهيونية الحاقدة على كل ما يمت للعرب

بصلة، ويرى أن "الدعوى التي ينادي بها دعاة التطوير على نمط الدراسات اللغوية الحديثة عند

الغريين باطلة (..) لأنها تتجاهل سنة الله حين خلق الناس شعوباً وقبائل، وكان من آياته وسننه فيهم

اختلاف ألسنتهم. وطبيعي حين تختلف الألسنة أن تختلف قواعدها، لأن القواعد التي تنظم كل لغة

-بل كل مجتمع -تنبع من واقعها وتلائم طبيعتها ونظامها. ومحاولة توحيد القواعد والنظم في اللغات

أو في الجماعات البشرية على وجه العموم -من حيث يعلم الداعون بها أو لا يعلمون- فرع من

محاولات متعددة تتجه كلها إلى هدف واحد هو طمس الفوارق المميزة بين الأجناس والجماعات

البشرية، دينية كانت هذه الفوارق أو فنية جمالية أو لغوية، مما تسعى إليه الصهيونية العالمية، حتى

تنحل الروابط التي تقوم عليها المجتمعات البشرية المختلفة فلا يبقى على وجه الأرض مجتمع متماسك

غير المجتمع الإسرائيلي.<sup>1</sup>

وهذا الموقف السلبي من الدكتور محمد حسين تجاه اللسانيات ليس غريباً، لأننا وجدنا الموقف ذاته

في قضية تجديد النحو، وذلك عندما رأى: أن أصحابه من الفرق المؤكدة بهدم تراثنا وقطع كل صلة تربطنا

به، فهم لا يهدمون لأن الهدم هو وسيلتهم إلى البناء من جديد، وهم بهذا الهدم يمهدون الأرض

ويسوونها لبناء جديد ولكنه للأجنبي لا لنا.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مقالات في الأدب واللغة، ص 43 - 44.

<sup>2</sup> انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، جمع وترتيب: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، ط1، 2004، ج1، ص: 468.

خاصة وأنهم قد زعموا أن قواعد النحو التي صنعتها اثنا عشر قرناً سخيصة معقدة ، ولكنهم لا يقدرون مصير كتب التفسير والحديث والفقہ وشروح دواوين الشعر التي تمتلئ صفحاتها باصطلاحات النحو المتبادلة والتي حكموا عليها بالإعدام، وبقي أن نسألهم: هل استشرتم العرب جميعاً فيما صنعتموه بل وهل استشرتم المسلمين الذين لا يستغني فقهاؤهم عن هذه اللغة التي لا تستعمل غير اصطلاحات النحو الذي يريدون أن يلحقوه بكل ما يريدون إعدامه والقضاء عليه من قدم.<sup>1</sup>

وهو يقصد بهذا " طه حسين " الرأس المدبر في هذه القضية التي نالت مساحة كبيرة من النقاش، ويرى في " إحياء النحو " الصورة التنفيذية لمذكرة طه حسين، ومذكرة طه حسين صريحة في أنّ الخطوط الأولى ليست إلا تمهيداً لما يجيء بعد من التطور الذي سيأتي وستحقق شيئاً فشيئاً. فهي صريحة في الكشف عن نية صاحبها وعن أسلوبه في استدراج الناس والبدء بالهين اليسير؛ ولأنه لا يسقيهم السم الزعاف القاتل لساعته؛ لأنه يلفت النظر ويشير الشكوك، ولكنه يسقيهم سمّاً بطيئاً يصل إلى غرضه دون أن يكشف عن الجريمة، فليعرف الناس إذن أن " تيسير النحو " ليس هو منتهى ما يريدون ولكنه أول طريق طويل يدفعون الناس فيه إلى قرار سحيق.<sup>2</sup>

فلغرض الذي يرمي إليه طه حسين ومن على شاكلته كإبراهيم مصطفى يستهدف إلى إخراج اللغة العربية من أيدي حملتها إلى أيدي خصومها، بل إلى انتزاع الدراسات العربية من حصانة الدين والقرآن وقطع الصلات التي تربطها الدراسات العربية بالدراسات الإسلامية أو على حد تعبير الدكتور

<sup>1</sup> انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ص: 469.

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: ن.

محمد محمد حسين بما ينزع عن العربية قداستها ويحرمها من حصانة الدين ليكشفها أمام أعدائها ويعينهم على الإجهاز عليها بعد أن يفردتها من كل نصير أو معين.<sup>1</sup>

ومهما يكن، لقد كان موقف محمد حسين موقفاً سلبياً تشكيكياً في جدوى اللسانيات ورأها "ذلك المجهول الذي يثير فينا ريباً وشكاً، وتوجساً وخوفاً، أكثر مما يثير فينا نزعة -ولو فضولية - لمعرفة موقفنا من واقع الثقافة، والعلم، والمعرفة في العالم."<sup>2</sup>

قد أتفق مع محمد حسين في جدوى اللسانيات من جانب التدرّج، ألا وهو أنه قد تدرّج بعض المحدثين باسم حقوق الإنسان اللغوية التي تقرّها اللسانيات الإجتماعية إلى تعدّي الحرم اللغوي الفصيح، وإلى الكتابة باللهجة الإقليمية وهو رشاد الحمزوي، في كتابين له وهما: "بودودة مات"، و"طرننو"<sup>3</sup>، وهما كتابان صاحبت العربية تحت وطأتهما فليسا فيهما لا ملبحاً من القول ولا متيراً من العلم، وكان الأولى به أولويات أخرى وما أكثرها لخدمة العربية ومثقفها، وكما قال المتنبي:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالَ \*\*\* فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ؟

<sup>1</sup> انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ص: 470.

<sup>2</sup> قضايا لسانية وحضارية، ص: 11.

<sup>3</sup> وهو في هذان الكتابان متّوّل للمقولة الجاحظية، عندما يقول: "ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع أعرابها ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطغام، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظاً حسناً، أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً، فإن ذلك يفسد الامتاع بها." البيان والتبيين: للجاحظ (ت: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423هـ، ج1، ص: 136.

رأي رشيد العبيدي من خلال بحثه:- "الألسنية المعاصرة والعربية"، نشره سنة (2000).

من أبرز الباحثين الذين يؤمنون بفكرة الاكتفاء بعلوم العربية د، رشيد العبيدي، ولا يرى بأنّها تحتاج إلى تبرّج من علم اللسانيات الذي يعتبر تحدياً سيعاقب نحو العربية إذا قبلنا بالمقاربة بينهما، وفي هذا رأيه عندما يقول: "ولعلني لا أبالغ إذا قلت: إن ثمة غلوا محمومًا ينهد به نفر من المغرمين بالبحث الألسني الأوربي في هذا القرن، يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولا سيما المعنيين بالعربية، ممن تعلّموا شيئًا عند الغربيين، أو اطّلعوا على ما جاءت به الترجمات من كتب البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوربا بعد سوسير، وهو بحث مقحم على العربية، بعيد عن أنفاسها وخصائصها، وإدخال أهلها في ميدان غير مناسب لها، ولا متلائم مع طبيعتها، في الوقت الذي كانت الدراسات العربية الأصيلة قد آتت أكلها، وخدمت الحرف العربي خدمة لا مثيل لها، وأبرزت خصائص هذه اللغة إبرازًا متكاملًا، لا يحتاج معه أبنائها إلى مزيد من المداخلات والتعقيدات التي يتسم بها البحث الأوربي الحديث."<sup>1</sup>

وهذا الاستغناء العلمي لا معنى له مبدئيًا، ويعتبر هذا الكلام تهويم خيالي غير معيوش في الواقع، فلو عرف معنى علميّة علم اللسان وعاشه في قاعات الدرس وساجل كبار المختصّين فيه، في الندوات العلميّة والمهتقيات الوطنيّة والدوليّة، لاستجلت له أهميّة توصيفات علم اللسان للشبكات العضوية بين أجزاء الظاهرة اللغوية قصد تنمية سوق البحث فيها وتطويره.

<sup>1</sup> الألسنية المعاصرة والعربية: د، رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة الذخائر، العدد الأول، السنة الأولى، 2000، ص: 22.

وهذه الرؤية الانفرادية في النظر إلى اللسانيات بأنها وسيلة تشويش و إضعاف للغة ، خاصة أنّ

الدراسات النحوية واللغوية العربية بكل أنواعها بلغت غاية حظّها (فكراً وإبداعاً وتيسيراً) مع رجالها

الذين يعدّون بالعشرات في القرن العشرين، ويعدّون بالآلاف في الزمان الغابر، وأجدني أرى هذه الرؤية أمر

طبيعي في البحث اللغوي، وذلك لتحكّم المنطلقات -التي تأسس عليها- في أفقه الفكري، فالواجب

اللغوي في نظر "العبيدي" هو حماية علوم العربية من هذا العلم الوافد!؟

وقبل أن أتابع في مناقشة موقف "العبيدي" في موقفه السلبي من اللسانيات، تحضرنى كلمة

لـلـجـرجـاني في ردّه على الذين أنكروا فضل "علم البيان والشعر"، وذلك عندما يقول في باب فضل

العلم: "فأما المفاضلة بين بعضه وبعض .. فإنك ترى الناس فيه على آراء مختلفة .. ترى كلا منهم لحبه

لنفسه، وإيثاره أن يدفع النقص عنها، يقدم ما يحسن من أنواع العلم على ما لا يحسن ... منهم ثم

تتفاوت أحوالهم في ذلك، فمن مغمور قد استهلكه هواه، وبعد في الجور مداه، ومن مترجّح فيه بين

الإنصاف والظلم، يجور تارة ويعدل أخرى في الحكم، فأما من يخلص في هذا المعنى من الحيف حتى لا

يقضي إلا بالعدل، وحتى يصدر في كل أمره عن العقل، فكالشيء الممتنع وجوده."<sup>1</sup>

فإذا كان الإنصاف العلمي يكاد يكون ممتنعاً في أخلاق علماء العرب قديماً وهم ومن هم في النبيل

العلمي والنزوع الموضوعي، فكيف يكون في أخلاق باحثينا اليوم وقد أترّ التراكم الحضاري الزاحم على

استكشاف مواضع اللطافة والجوهر، ولذلك قيل: "من جهل علماً عاداه".

<sup>1</sup> دلائل الإعجاز، ص:5.

و"رشيد العبيدي" في موقفه هذا يبدو كما قال الجرجاني في توصيف لمواقف العلماء من العلم " قد استهلكه هَوَاهُ، وَبُعْدَ فِي الْجَوْرِ مَدَاهُ "، وذلك عندما يلحّ ويصرّ على عدم إقحام العربية من علم اللسانيات، وفي هذا يقول: " ينبغي لها أن تكون بمنأى عن أن يقحمها الباحثون العرب في تلك المآزق والمجاهل التي لا تخرج منها إلا بتناحرات وتناقضات مذهبية، ليست العربية بحاجة إليها، ولا هي بماتة بصلة إليها، فكيان العربية وشخصيتها، وأصولها، وضوابطها، ونصوصها الأصلية وآثارها الواصلة إلينا، قد اكتسبت درجة الاكتفاء الذاتي، وحملت معها عناصر بقائها(..) ببقاء كتاب الله العزيز، وبهذا التراث العظيم الواصل إلى أبنائها مدوّنا ومحفوظا ومدروسا"<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس فإن البحث اللساني في نظره لا يمت بصلة إلى اللغة العربية و ثقافتها؛ لأنّه

"بحث أوجدته ظروف اللغات الأوربية التي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلمة بها

وتأريخها عن العربية وظروفها، اختلافا كبيرا، يجعلنا في موقف رافض لكل ما يراد من الباحثين المعاصرين

العرب أن يسلكوه، أو يتعاملوا به مع العربية."<sup>2</sup>

إذن؛ فاللسانيات في نظر د، رشيد العبيدي سبب شقاء للعربية لخصوصية نشأتها وتكوينها و غرابة

محتوياتها، ولا يرى فيها تلك المفاتيح والوسائط لاختراق الغموض وكشط العتم وغزو المجهول الذي يعانيه

الباحث العربي في مشكلاته اللغوية والثقافية.

<sup>1</sup> الألسنية المعاصرة والعربية، ص: 25 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 31.

أما إذا توسّلنا الاعتدال والاتّزان والاتّصاف والإنصاف من هذه القسمة الضيّقة، فإنّ الصراع بين

اللسانيات والتراث اللغوي العربي صراع زائف، وهو مظهر من مظاهر تخلف ثقافتنا، ينبغي ألا يكون

هناك صراع بين وضع النحو والاشتغال في اللسانيات مثل هذا الصراع يرجع بالأساس إلى أسباب واهية

ترتبط بأسباب سطحية وإجرائية. فهناك أناس يتقنون النحو القديم ولا يفقهون شيئاً في اللسانيات

الحديثة، وهناك أناس يتحدثون عن اللسانيات بسطحية وهذا ما يجعل العارفين بالقديم يتقوون، فيكون

بذلك رفضهم مشروعاً على الأقل شكلياً.<sup>1</sup>

وهذا الموقف الانفرادي الاعتدادي من رشيد العبيدي ومن نحّاءه الذي قدّس العربية وعلومها

ومنحها مهابة وسامريّة لا ينفعها في شيء، ولا أحد يأخذ به لأنه لم يفتح قوساً للمسموح به في الإفادة

من اللسانيات، وذلك لفرط حبّه للعربية على طبعها القديم العتيق، وجهله بفوائد الدراسات اللغوية

الحديثة في بعدها العميق، ويشعرنا هذا الموقف بأنّ من رضي بالمقاربة فقد رضي بضياح العربية وإذا

ضاعت العربية ضاعت معها أجيال متلاحقة وليس جيل واحد الذين هم نحن؟!

وفي رأيي أجد أنّ العربية اليوم تعيش حالة طوارئ في ظلّ تطورات الحياة في مختلف المجالات، فهي لا

تحتاج مثل هذه التوصيفات المريضة التي نشفت من معاني الحياة والمسؤولية ، فهي بحاجة من يأخذ بها

ليعايشها لكي تعيش، لا من يجرمها لتطيش.

<sup>1</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص: 99. الفاسي



إبراهيم السامرائي<sup>1</sup> في كتابه: "النحو العربي في مواجهة العصر"، نشره سنة (1995).

يعتبر د، ابراهيم السامرائي من دعاة التوسّط والاعتدال في موقفه من تجربة الإسقاط والمقاربة بين النحو واللسانيات، فللنحو العربي موائز يتفرد بها فليس كلّ ممكن في الدرس اللساني ممكن في النحو العربي، ولقد ردّ في هذا الكتاب على عبده الراجحي في كتابه: "النحو العربي والدرس الحديث"، الذي نشره سنة (1979)، فيقول: "ما بال الدارسين الآخرين الذين سبقوا الراجحي في الزمن، والذين اطّلعوا بالدرس اللغوي ولاسيما في كلية دار العلوم، لم يكتبوا في "النحو العربي والدرس الحديث"، وقد كانت بدايته موطدة الأركان في حقبة عشر الخمسين وعشر الستين من هذا القرن. ولا أدري ما هم صانعون اليوم، وقد تجاوزهم التيار، وأنصار هذا النظر الجديد ملء السمع والبصر، بل إن هؤلاء الجدد قد تجاوزوا الحد فراحوا يتشبثون بشيء لا وجود له زاعمين أن كتب اللغة القديمة اشتملت على جذور الألسنية."<sup>2</sup> لقد وجد الأستاذ الراجحي ضالّته فيما أثبتته عبد القاهر من مسألة "النظم"، وقد ذهب مثله نفر آخر من الدارسين، وأرادوا، بل فطنوا إلى أنّ الجرجانيّ هذا عظيم "مبتكر" لأنّ شيئا ممّا سطره في مسألة "النظم" وافق على زعمهم وفهمهم ما قاله الأستاذ تشومسكي."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> (1923-2001) لغوي عراقي كبير له سجل حافل في البحث اللغوي الأكاديمي تأليفاً وتحقيقاً وترجمة، خدمت اللغة العربية.

<sup>2</sup> النحو العربي في مواجهة العصر: د، ابراهيم السامرائي، دار الجيل، بيروت، ط1، ط1، 1995، ص: 14.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 16.

فهذا الاهتزاز المعرفي والنفسي عانى منه كثير من لغويينا، ثم إنّه شاقُّ جدا الانجراد من حاديات

الذاتية وتوسّل الموضوعية المطلقة فهو أمر يكلف طاقة وهذه الطاقة تتمثل في الرسوخ والتأصيل! ذاهل

يضير تشومسكي ألا نجد شيئا في تراثنا اللغوي يؤيد أقواله؟ لندع تشومسكي يجتهد ويدع ويقول ما

يقول، ويجد من غير شك من يؤيده من الغربيين ومن لا يؤيده<sup>1</sup>، بل يردّ عليه أقواله. ولنترك تراثنا في

حيّزه التاريخي بخير وشره.<sup>2</sup>

أما موقف د، إبراهيم السامرائي في هذا "الكتاب" مما جاء به د، نهاد الموسى في كتابه: "نظرية

النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث"، الذي نشره سنة (1980)، فقد التزم معه نفس

مسافة الحوار العلمي، يقول: "إن القارئ يحسّ أن المؤلف د، نهاد الموسى قد ذهب في تقويم ما جاء به

أولئك الدارسون العرب القدماء لأنهم وافقوا ما جاء تشومسكي كما خيل إليه أنهم وافقوه."<sup>3</sup>

وهذا صحيح وملموس فيه كتابه، وليس تشومسكي فقط من عقد معه "د، نهاد" المقارنة، بل

النحو العربي يتشابه عندهم مع البنيوية التوزيعية، وذلك عندما يقول: "إن معطيات هذا المنهج في التحليل

هي بعض ما استشعره النحويون العرب في الإعراب وصدروا عنه، حتى إنها لتعد من قبيل تحصيل

<sup>1</sup> ومن هؤلاء claud hagege الفرنسي الذي ردّ على تشومسكي أقواله في كتابه: introduction la grammaire generative

وذهب فيه إلى أن النحو التوليدي قد ساهمت فيه ظروف غير علمية، وخدمته "الدعاية"، وهو يعتمد على مستوى من مستويات اللغة الانكليزية، وهو المستوى الأدبي، وهو يعرض لمواد من لغات أخرى ليرى فيها الكليات اللغوية. انظر: النحو العربي في مواجهة العصر، ص:16، في الهامش.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:16.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص:72.

الحاصل لدى المشتغلين بالعربية ومتعلميها.<sup>1</sup> ويقول عن مبدأ "التوزيع" في هذه المدرسة: "وقد وقف النحويون العرب على هذا المبدأ في حقيقته"<sup>2</sup>، ويقول أيضا: "إن هذا الإرهاص بمبدأ التوزيع ظاهر في كثير من وجوه التحليل النحوي عند العرب، ولكن النحويين كانوا يكتفون إليه بقدر ما يكون مسعفا دون قصر"<sup>3</sup> وكما يرى د، "نهاد" أن هناك اتفاقا بين النحو العربي والمدرسة اللسانية المسماة بـ : Tagmemics، فيقول: "إن مجموع هذه العناصر بالإجمال متحصل ضمنا في معطيات النحو العربي."<sup>4</sup>

أما عندما وصل "د، نهاد" إلى التوليدية فقد تجاوز القول بتشابه النحو العربي مع معطياته إلى التفتيش في إمكانية اقتباس تشومسكي من النحو العربي، ولقد كان حذرا في هذه المسألة إلى أبعد حدّ ممكن، لأنها مسألة تتعلق بسمعة العلم.

يقول<sup>5</sup>: "إن التشابه يغري بالتأمل، ويقوى معه الهاجس بأن هذه المسألة قد تكون بعض ما ورد على الغرب من العرب في إطار "انتقال العلم العربي إلى الغرب اللاتيني". وذلك أن سلفستر دي ساسي "كان متضلعا. . . من علوم اللغة العربية". و"ما أنتجه من الدراسات في نحو العربية وما ترجمه إلى الفرنسية من كتب النحو والتجويد القديمة يدل بوضوح على أنه أدرك إدراكا لا بأس به مفاهيم ومناهج النحاة العرب". ودي ساسي "هو الذي كوّن فون هومبولت" وغيره. "وأهم شيء اكتسبه هؤلاء من

<sup>1</sup> نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص.29.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:33.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص:38.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص:43.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص:ن.

دروس دي ساسي هو اطلاعهم من خلال دراستهم للعربية واللغات السامية الأخرى على المفاهيم اللغوية والنحوية العربي التي كانت تنقصهم في ثقافتهم الفيلولوجية التقليدية، وكذلك كان الأمر بالنسبة للنحو والصوتيات.."وتلا دي ساسي في العمل بهذه المبادئ تلميذه فون هومبولت.<sup>1</sup>

ولكنّ كلّ الذي قام به "د، نهاد" من عقد المقارنات وفتح باب الشكّ في توليدية تشومسكي، لم يرقّ "د، السامرائي"، في هذا يقول: "ولم كلّ هذا العناء؟ ولو أنّ آخرين من الأعاجم كالفرس والأترک والهنود وغيرهم سعوا سعي أصحابنا اللغويين العرب وتحذلقوا قليلا وحاولوا أن يثبوا العلم عن سماحته لكان لهم أن يثبتوا شيئا نظير ما ذهب إليه أصحابنا الدارسون العرب."<sup>2</sup>

ثم إنّ النحو التحويلي في نظر السامرائي "لم يصل إلى الدرجة التي يكون فيها علما يدخل في الكتب التعليمية عندهم، غير أنّ أصحابنا العرب وصلوا في هذا الجديد إلى أنه نهاية العلم فصنّفوا فيه (..) نرى أحد هؤلاء يذهب إلى أنّ "التذكير" بنية عميقة، و"التأنيث" بنية سطحية لافتقاره إلى علامة التأنيث، وشيء من هذا يدّعي فيه ما لا يعيه بأية حال."<sup>3</sup> قد يكون ل: إبراهيم السامرائي الحقّ في هذه الكلمة، إذا عمّموا هذه المقاربات بصفة إعتباطية واعتبروها أساسا لنظرهم، أما إذا كانت تجارب استقرائية جزئية فلا حرج في هذا، فإنّ هذا مما يساعد في فهم نظرية العلم.

<sup>1</sup> وقد اعتمد في هذه الأفكار بدرجة أولى على مقال للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، الموسوم ب: "مدخل إلى علم اللسان الحديث"، منشور في مجلة اللسانيات، التي كانت تصدر في الجزائر، 2، 1972، ع1، ص: 09، 10.

<sup>2</sup> النحو العربي في مواجهة العصر، ص: 108.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 238.

فالموقف النهائي "لإبراهيم السامرائي" من معادلة النحو واللسانيات اللذان يدرسان كلاهما اللغة

ابتداءً وانتهاءً، هو موقف توسّط ولكنّه كان أميل إلى المدرسة التقليدية للنحو العربي أكثر من ميله

للمناهج الحديثة، وذلك لأنه من جيل المتون الذين لا يتنازلون بسهولة وسكون.

وفي هذا الموقف، يرى "أن النحو العربي القديم لا يمكن إلا أن يدرس وحده، وليس لنا أن نجتهد

وتتعمق لنجد مكانا للدرس الحديث في حيز مادتنا القديمة. ثم إن النهج العلمي يفرض هذا البعد الأول

عن الأخير، ولأن وسائل البحث لدى الدارسين الأوائل هي غير لدى المحدثين. إن مادة النحو القديم

تتخذ من فصيح العربية كما وردت في لغة التنزيل وفي الأدب القديم شعره ونثره أساسا لها، في حين أن

الدرس الحديث في النحو لا بد له أن يتخذ من العربية أساسا.<sup>1</sup>

يرى د، إبراهيم في هذا النص بحتمية التفريق بين سياق التراث العربي القديم وسياق المناهج

اللسانية المعاصرة وهذا التفريق هو من قبيل المنهج لا من قبيل التعصّب الذميمة للتراث اللغوي، فهذا هو

الضابط والحدّ الفاصل لإقامة مقارنة علمية ناجزة بين النحو واللسانيات لأنه لاحظ تخاذلا في هذه

التجربة عند الراجحي ونهاد، إذن، ف"من العلم أن نطلّ في القديم حيث يكون منه في الحيّز القديم،

ونجتهد في الجديد ونأخذه على أنه جديد."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> النحو العربي في مواجهة العصر، ص: 5.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 108.

وإبراهيم السامرائي وجدناه لا يرحّب بمصاهرة اللسانيات مع النحو العربي إذا كان في هذه المصاهرة فقدا للتوازن العلمي، أو بما يسميه د، حسن الملخ " شخصنة العلم اللساني! <sup>1</sup> ولا يخفى على الباحث المتخصص من أنّ هذا المنهج لا يخلو من التّعبد والابتذال، وهذا ليس دعوة للانطواء على الذات العربية في النحو، وإنما دعوة إلى توطين المنهج الذي يرفض فكرة التابع والمتبوع.

ومهما يكن، لقد حدث خلط منهجي عند بعض الباحثين العرب الذين قاربوا النحو باللسانيات عندما نجد أنه قد تحوّل الأستاذ اللساني الغربيّ كتشومسكي مثلا، إلى حجّة لسانية على صحة المعلومات اللسانية عند بعض المتخصّصين في العالم العربيّ ك:عبده الراجحي ونهاد الموسى، بدل أن تكون اللسانيات نفسها هي الحجّة العلميّة،<sup>2</sup> وهذا المأزق المنهجي في تحوّل العلم إلى شخصيات قبل أن يحدث حديثا وقع قديما في تاريخ النحو العربي في مقولة أبي علي الفارسي <sup>3</sup> التي كانت بداية مرحلة العقم في النحو العربيّ، وهي المقولة نفسها بألفاظ مختلفة التي تسود بعض المؤسسات العلميّة بين اللسانيين، لكن الفارق أن مقولة الفارسي كانت مسبقة بإنجازات هائلة في تأسيس النحو العربيّ وتطويره، لكنّ اللسانيات في العالم العربيّ لم تحقق وجودها الكامل حتى تصل إلى هذه المرحلة، فهل عقدة الفارسيّ ما تزال تعيش بيننا بعد أكثر من عشرة قرون؟<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص:320، 321.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص:320.

<sup>3</sup> وذلك عندما قال: "إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن الرماني فليس معنا شيء منه، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء." نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات الأنباري (ت: 577هـ)، تحق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط 3، 1985، ص:234. وقال أبو عليّ الفارسيّ أيضا في أبي القاسم الزجاجي (ت:340هـ)، وهو من هو في النحو والأصول، "لو سمع أبو القاسم الزجاجي كلامنا في النحو، لاستحيا أن يتكلم فيه. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص:227.

<sup>4</sup> انظر: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص:320.

عبد السلام المسدي<sup>1</sup> في كتابه: اللسانيات وأسسها المعرفية، نشره سنة 1986.

في بداية هذا الكتاب يرى د، المسدي أنه "من فضول القول لدى ذوي العلم والرجحان أن يتحدث المرء اليوم عن منزلة اللسانيات ووجاهة شأنها، فلو فعل لكان شأنه لديهم شأن من ينوّه بالرياضيات الحديثة بين أهل العلوم الدقيقة، أو شأن من يمتدح قيمة التحليل العضوية وكشوف الأشعة في حقل العلوم الطبيّة." <sup>2</sup> فقد أصبحت تقدّم توصيفات لعلاج أمراض الكلام من لثغة وحبسة وتوتّر، ومن مهامها تقديم برامج للرصيد اللغوي عصري حسب الأسنان والمستويات لاكتساب اللغة، ومن مهامها أن قدّمت حلولاً منهجية لتعليمية اللغات.. الخ.

ومن أهمّ القضايا التي عالجها وأحسن توصيفها عوائق البحث اللساني، فقد حدّدها في سبعة عناصر، أما العائق الأول وهو اعتقاد بعض اللغويين العرب أنّ علوم العربية قد اكتملت وذلك أنّ علماء العربية القدماء خلّفوا تركةً غزيرةً في كلّ علوم العربية فلا تحتاج إلى إضافة مضيف <sup>3</sup> وهو عائق ذو طابع نفسي حضاري سببه تلبّسات الخيال المضللة وعدم الاطلاع والتفتّح الأذهان لوعي الأبعاد الحضاريّة في الاستفادة من علم اللسان العام.

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي لساني تونسي قدّم الكثير للعربية وثقافتها، ولد سنة 1945، صاحب "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، نشره سنة 1981، من أحسن ما كُتب في لسانيات التراث.

<sup>2</sup> اللسانيات وأسسها المعرفية، د، عبد السلام المسدي، دار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986، ص: 07.

<sup>3</sup> وليس الباحثين العرب الذين آمنوا بهذا الطرح بل هناك من المستشرقين ك: يوهان فك، من آمن بهذا، عندما يقول: "لقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتوضيحية جديرة بالإعجاب، بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها... بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد." العربية، ص: 14.

أما العائق الثاني عدم فهم اللسانيات بشكل جيّد، بحيث ربط بعض اللغويين اللسانيات بعلم الأصوات بمختلف تلاوينه، ولقد كانت ضربة حظّ أنّ جانب الأصوات من أدقّ ماضبطه العرب في علومهم اللغوية، ولما كان الوجه التشريحي من علم الأصوات ثابتاً قارّاً لا يتغيّر من لغة إلى أخرى تأكّد لدى العربيّ إجمالاً بالاستغناء عن اللسانيات.<sup>1</sup>

أما العائق الثالث فيتمثل في العداء المنهجي الزائف بين الوصفية والمعيارية، وهذا العداء استنزف طاقات من هؤلاء وأولئك في فراغ، وكما ساهم في خلق عقدة الإشكال كلّ من اللسانيين دعاة الوصفية، وفقهاء اللغة دعاة المعيارية فلا أنصف العربية من ظنّوا أنهم حرّاسها، ولا خدم اللسانيات من انبروا رواداً لها، فالخطأ المبدئي هو في اعتبار الوصفية والمعيارية شحنتين متنافرتين.<sup>2</sup>

أما العائق الرابع وهو ظنّ أنّ من مهام اللسانيات دراسة اللهجات والتمكين لها ، ولقد كان المسدّي صريحاً، عندما قال: "لا مهرب لنا من الإقرار موضوعياً بأن بعضهم (يقصد المستشرقين) قد عمل على ازدهار علم اللهجات العربية بباعث إما سياسي غايته استعمارية، وإما عقائدي يهدف إلى تقليص البعد الديني والوزن الروحي الذي للعربية عند أهلها، وإما مذهبي يرمي إلى نقض التركيب الهرمي في المجتمع انطلاقاً من دك بنيته الفكرية."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> انظر: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص: 13،

<sup>2</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 13، 14، 15.

<sup>3</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 16.



فلنعناية باللهجيات كان من مطمع استعماري بدرجة أولى، بحيث أنه لما ظهرت أطماع الأوربيين في استعمار العالم العربي، والبحث عن كل الوسائل التي تسهل لهم استعمار العرب، تبينت لهم ضرورة الاهتمام باللهجيات العربية العامية وتعليمها، فأدخلوا تدريس العربية في مدارسهم وجامعاتهم مستعينين ببعض المغفلين من العرب، والمستشرقين الذين كانت لهم معرفة باللهجيات العربية، وكان هدفهم تعليم القناصل والمبشرين والحواسيس الأوربيين المرسلين إلى البلاد العربية.<sup>1</sup> ومن آثار هذا الجانب السلبي للسانيات في التمكين للهجات الإقليمية الضيقة ضعفت العربية على الألسنة، وما هذا العيبي البياني والركاكة اللغوية التي تصبغ بها كتابات اليوم إلا من آثار تلك الدعوة المشؤومة.

أما العائق الخامس فيتمثل في لغة البحث اللساني العربي، بحيث أغلب كوادرات اللسانيات العربية الحديثة يعمدون عن اختيار إلى الكتابة بلغة أجنبية، تقديراً منهم أنّ العربية قاصرة عن النهوض بأعباء تطورات علم اللسان، فالتدرّج بافتقار المصطلحات العربية حيناً وعدم توحيدها أحياناً أخرى، فهذا هروب من تحمّل مسؤولية العلم ليست من شيم العالم الذي يحمل همّ قضيتته العلمية، وربما هذا اللساني الذي يكتب في القضية اللسانية بغير لغته كان غرضه ليتسلّم وثيقة الرضى من سادة العلم،<sup>2</sup> مثلما نجد اليوم الفاسي الفهري الذي أصبح يصدر له نعوم تشومسكي في كلّ كتاب يصدر بالإنجليزية، وأحمد المتوكل الذي صدر له سيمون ديك وغيرهم خاصة من المغرب الأقصى.

<sup>1</sup> انظر: الدعوة إلى العامية، أصولها وأهدافها، عبد الله بوخلخال، مجلة الآداب، الجزائر، العدد 1994، ص. 166-165.

<sup>2</sup> انظر: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص: 17.

غير أنه ليس دائما من يكتب بغير العربية ملوم ومسلوب الأعذار، كيف ومنهم من لا يستطيع أن يكتب بغير اللغة الأجنبية، وجهل بعض بجاتنا وعلماؤنا للغتهم القوميّة وهذا أمر حاصل ومعيوش في واقعنا. أما الذي يكتب في تأطير القضية اللسانية بالعربية فإنه هو كذلك يفتقد القارئ الأوفى الذي يفهمه ويستهلك كتاباته وفق القراءة العلمية التي تستجيب لشروط النقد.<sup>1</sup>

أما الردّ على اللسانيين الزاعمين بأنّ العربية قاصرة عن استيعاب تطورات علم اللسان فسهل، كيف وهي اللغة التي اختيرت أن تحمل كلام الله؟ وما قصّرت في لفظ ولا معنى ولا سياق، فهي لغة ناضجة "ولو كانت لغة ميّنة أو ناقصة التكوين الطبيعي ما صلحت لحمل هذه الدعوة أولا (المحمدية)، وما صلحت بالذات لنقلها إلى خارج الجزيرة العربية ثانيا (العالمية)."<sup>2</sup> (mondialism) كما يقول سيّد قطب رحمه الله.

أما رأيي في اللسانيين الذين يعيشون هموم القضية اللغوية بلغة أجنبيّة، فأراه أنه يتعامل مع العربية وعلومها ليس بمنطق الانتماء والانتساب وأتمّ الكهف الذي نأوي إليه، وإنما بمنطق أنّ العربية لغة كباقي اللغات الإنسانية (في مرتبة العادي) وكأتمّ ليست لغة الهويّة، وهذا هو الإلحاد اللغوي بعينه عندما ينزل لغته الرسمية المدسّرة في كلّ وثائقه التاريخية والحاضرة في مرتبة اللغات الاستهلاكية، أو ربما حتّى أنّ العربية لا تقع في نفسه موقعا حضاريا حسنا!!

<sup>1</sup> انظر: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص: 17، 18.

<sup>2</sup> في ظلال القرآن: سيد قطب (ت: 1385هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط 17، 1412هـ، ج 5، ص: 3145.

أما العائق السادس وهو أنّ اللسانيين لا يقرءون لبعضهم بعضاً بحجة أنّ جلّ الكتابات أوليّة غرضها التعريف بهذا العلم فحسب، وهذا العائق شجّع العقلية الوحدوية التي تسببت هي الأخرى في القطيعة المعرفية بين الباحثين، وهذه العقلية الوحدوية التي وجدناها عند بعض الباحثين الكبار، من أسبابها كذلك الحرمان التمويلي من الهيئات والمؤسسات، والبؤس الثقافي في أهم الساحات العلمية، عندها صار حريّ بالباحث الجاد المخلص لاختصاصه أن يبحث لوحده ويفكر لوحده وينشر لوحده لقارئ يقرأ لوحده، على منهج أبي ذر الغفاري، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "رحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويبعث يوم القيامة وحده".

أما العائق السابع فيتمثل في ازدهار الدراسات القطاعية وضمور الأبحاث النظرية: فاللسانيات جذع كلّ يتفرّع أفنانا بحسب حقول الاهتمام، وذلك الجذع هو الجانب النظري. وبينما اشتغل اللغويون العرب على الجوانب الصوتية والتركيبية وغيرها فأتوا بيزاد تحليلي مناطه العربية منطلقا والاستنباط التجريديّ مصبًا، بحيث اقتصر اهتمامهم في المستوى النظري على جانب التعريفات والحدود، فحفيت أبعاد البحث اللغوي المعاصر ولا تكاد تجد آفاقا كليّة للسانيات تنحو بها منحى المعارف الكونيّة.<sup>1</sup> فغياب التصوّر المكتمل الناجز للسانيات قلّص من مفهومها الواسع الأبعاد، فقد فهموا نصف الفكرة عنها، وسبب هذا النصف هو أنهم لم ينطلقوا من نقطة الانطلاق وهي التراث عندها لم يستطيعوا أن يفهموا نقطة الانتهاء التي وصلت إليها تطورات علم اللسان.

<sup>1</sup> انظر: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص: 19، 20.

أما الموقف الصريح النهائي لعبد السلام المسدي من معادلة النحو واللسانيات اللذان يلتقيان كلاهما في معالجة اللغة، فإنه يقول بكلمة واضحة بـ: "أن النحو واللسانيات ليسا ضدّين بالمعنى المبدئي للتضاد، كيف والنحو نفسه منذ القديم مفهوم مزدوج، إذ هو يعني في نفس الوقت جملة النواميس الخفية المحركة للظاهرة اللغوية، كما يعني عملية تفسير الإنسان لنظام اللغة بمعطيات المنطق من العلل والأسباب والقرائن، ويتجلى هذا الفرق المفهومي في الصياغة المزدوجة تبعاً لقولك: نحو العربية أو نحو الفرنسية... فأتت تعني نظامها، أو لقولك: النحو العربي أو النحو الفرنسي؛ فالمقصود عندئذ عملية استخراج النظام الداخلي في تلك اللغة."<sup>1</sup>

إذن، فهو موقف وسطي معتدل متوازن، ليس فيه أي تعبد أو ابتذال لإحدى الطرفين، ودليل على ذلك قوله: "إننا حينما ندعو إلى إقامة حوار معرفي مع التراث فإنما نريده من الموقع الذي يقنا خطر الانبهار مما قد يتوهم البعض به أنّ الفكر الخلاق إنما هو الفكر الآخر غير العربي، ومن مستلزمات الموقف العلمي الوثائق بضابط الموضوعية أنّ مادة التراث العربي خارج حدود المركبات: سواء أكانت مركبات الغرور والاستعلاء بمجهر القراءة أشياء ليست هي التراث في حرفيته، ولا هي اللسانيات في منطوقها المتداول، وإنما هي كشف مستحدث يمكننا من تقديم إسهام يضاف في حلبة العلم الإنساني الجديد. على أنّنا بهذا المنطلق الحضاري تنكّد أنّ التراث العربي جزء من التراث الإنساني، فهو إذن ملك مشاع بين رواد المعرفة البشرية، وحرام أنّ يظلّ مغلق الأبواب أمام بصائرهم، فبقراءتنا للتراث العربي لا نقدم فحسب خدمة لميراثنا، ولا نقدم جميلاً لذواتنا فقط: وإنما تغدق على الفكر الإنساني بوابل

<sup>1</sup> مباحث تأسيسية اللسانيات وأسسها المعرفية، ص15.

الإسهام، فتحوّل علاقتنا بعلم اللسان الحديث تحوّلاً طبيعياً من مركز الخصيم إلى موقع النصير.<sup>1</sup> فهذا الكلام يشفّ عمّا في قلب صاحبه من الشعور بأمانة العلم ورغبته في إصلاح الفاسد وإجماع الشارد فهو يدعو إلى حوار الثقافات وتراسل الحضارت اللذان يزيدان في نضج المعرفة اللسانية التي نفلتّ بها الأزمات ونقدم بها الحلول لخدمة اللغة والإنسان والمجتمع.

أما أن نقع في خدمة النرجسية اللسانية الأوروبية التي لا ترى سوى ذاتها فهذا ليس من الثقافة ولا التحاضر في شيء وإنما هو من ثقافة الإقصاء لأنفسنا، وقليل من اللسانيين من يدركون هذا الفحّ النفسي في التعامل مع ثقافة الآخر، فثقافة الإقصاء في عمقها أول ما كانت في اليهود والنصارى ، "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ" (البقرة:113). وظلّت هذه الثقافة تمشي إلى أن تبناها مشركي العرب " كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ (البقرة:113)، فخالفوا الأنبياء واكتفوا بتقليد الآباء والسنن المورثة، ف: " قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا." (البقرة:170)، انظر: ثقافة الإقصاء والإلغاء الملخصة في: "لست على شيء" ماذا أفرزت لنا؟ وهي العناد والاستمرارية في الجهل، وضرب فطرة الإنسان التي تريد أن تتعلّم وتعرف وتتجاوز وتتقبل وتفهم. وهل هذه الثقافة موجودة؟ نعم موجودة ولكن بمظاهر أخرى، منها مظهر التجاهل المنكر لقيم الثقافة العربية وعلومها وفنونها.

<sup>1</sup> اللسانيات وأسسها المعرفية، ص:176.

## ❖ موقفي من معادلة النحو ≠ اللسانيات؟

لقد نهلّت الثقافة العربية الحديثة من الخطاب اللساني العام ، وأصبحت لدينا لسانيات عربية حديثة، بحيث بدأت المصاهرة مع المناهج اللسانية الغربية مع إبراهيم أنيس الذي يعدّ أول من طبّق المنهج النيووي على العربية في كتابه: "الأصوات اللغوية"، سنة 1941. بمعنى أنّ عمر هذه المصاهرة أكثر من سبعين سنة، وطبعاً كانت مواقف متعددة في قضية المصاهرة بين نحو العربية واللسانيات، غير أنّ جوهر الخلاف "يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم، (امتداداً للأزمة النفسية الفردية، التي يعاني منها إنساننا العربي)، بين الباحثين الذين يشدهم التاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليمين، وبين الباحثين الذين يشدهم التاريخ الحديث والمعاصر إلى أقصى مسافات اليسار، وبهذا فإنّ المعادلة الثقافية ستكون عرضة للاهتزاز والتفكك، وستحقق معاناة إقامة التوازن بين الأصالة والمعاصرة.<sup>1</sup>

ثم إنه ينبغي الاعتراف والتجرّد من الانطباعات العاطفيّة أنه "لا يمكننا -نحن العرب- معرفة هذا العلم الجديد إلا من خلال نافذة اللغات الأجنبية الإنكليزية أو الفرنسية؛ ذلك أنه للحق وللتاريخ، وإنصافاً للعلم والعلماء، لا يمكننا إلا أن نعتز بأن اللسانيات الحديثة هي محض العقلية الغربية التي أنتجتها."<sup>2</sup> وهذا كموقف مبدئي لنستطيع أن نمّد حبل الحوار العلمي إلى أقصى آفاقه.

<sup>1</sup> قضايا أساسية في علم اللسان، ص: 354، 355.

<sup>2</sup> قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص: 21.

إذن، فبعيدا عن هضم الحقائق فللسانيات هي علم غربيّ المنبت، "ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب، وإنما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس والهوية والعرق." <sup>1</sup> كما يقول مازن الوعر -رحمه الله-

وكما يرى د، حسن خميس الملخ "أن اللسانيات ليست بديلا عن النحو العتيق ولا المعجم المجيد، فهي إن دخلت هذه العلوم أعادت تنسيقها وتحديثها، لتخرج بثوب جديد لكنه لا يلغي الأصول الصحيحة، ولننظر إلى الموروث اللغوي العربي على أنه برج شامخ قديم يحتاج إلى كهرباء تضيء بداخله، ولون يزهو به، وتغيير بعض النوافذ وتخوير بعض المرافق والغرف." <sup>2</sup>

فالسانيات كعلم قائم بذاته لا تسيء إلى علم النحو بل تخدمه وتتكامل معه، أما الذي يسيء إلى النحو هو اللساني الذي يسيء استخدام هذا العلم في معرفة النحو، لأنه " كما يمكننا توجيه علم اللسانيات توجيها صحيحا سليما للبحث في الظواهر اللغوية المحيطة بنا ثم الاستفادة من هذه الظواهر اللغوية في مجالات مختلفة فإنه يمكننا في الوقت نفسه توجيه علم اللسانيات توجيها خاطئا معوجا للبحث في الظواهر اللغوية ثم استغلالها لتفتيت شمل الأمة الواحدة ذات الحضارة والتاريخ الواحد. كدراسة اللهجات العربية .. وذلك لتفتيت الثقافة الواحدة ذات الرابط اللغوي الواحد." <sup>3</sup>

<sup>1</sup> دراسات لسانية تطبيقية: د، مازن الوعر، دار طلاس، للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 1989، ص39.

<sup>2</sup> أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص: 321.

<sup>3</sup> قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص: 345.

غير أنه يجب أن يعلم الباحث المتخصص أن أصبح للسانيات وقعا انبهاريا على نفسية القارئ العربي المسكين، ولقد أحسن المفكر اللبناني "علي حرب" توصيف هذه الظاهرة التي خيبت على عقول طلاب العربية ومثقفها، وذلك حينما انتقد الشهرة اللسانية التشومسكاوية في كتابه: "أصنام النظرية وأطياف الحرية"، بحيث خصص له بعنوان: "تشومسكي من الناطق الفطري إلى الفاعل اللغوي"، وبين الحقيقة العلمية عند تشومسكي بدون تزويد، متخلصا من كل ضغوط الرسمية الأكاديمية أو تأثير الرواسب، فولى بأم عين فكره وعقله أن تاريخ الحقيقة يشهد بأن العلاقات مع المعرفة والحرية والعدالة لا تخلو من الالتباس والاشتباه أو الزيف أو الحجب أو حتى الإقصاء والخداع.<sup>1</sup>

أمر آخر؛ لا يفوتني أن أشير إليه وهو يتعلّق بالذين يكتبون خطاباتهم اللسانية بلغات أجنبية، وقد أحصى الباحثان عبد النبي سفير، وبنعيسى زغبوش أكثر من أربعين لسانيا يكتبون في القضية اللسانية بلغات أجنبية (الفرنسية والإنجليزية) بالمغرب الأقصى، من بينهم الفاسي الفهري، وأحمد المتوكل<sup>2</sup>، و من سوريا مثلا وجدنا كمال أبو ديب.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> فتشومسكي محل تقدير كبير من طرف المثقفين لا أحد ينكر هذا، ولكن هذا التقدير ضرب حجابا ثقافيا فاختلط الحقّ بالباطل، وهو في الحقيقة دون ما يقوله الإعلام بأشواط كثيرة، و"علي حرب" أراد بنقده هذا تحرير فكر المثقف العربي من الوصاية العلمية التي تمارس عليهم باسم حرية الفكر، وهي في الحقيقة وثنية الكفر، إذأ فليس كل من لمعت نجوميته في فن من فنون العلم والمعرفة محل القدوة العلمية.

<sup>2</sup> ببليوغرافيا الأعمال اللسانية بالمغرب: عبد النبي سفير، وبنعيسى زغبوش، مجلة معرفية (مجلة دولية متخصصة في العلوم المعرفية والترجمة)، المغرب، عدد مزدوج 3/2، سنة النشر: 1999.

<sup>3</sup> يعتبر كمال أبو ديب وهو من سوريا، من أوائل اللغويين العرب الذين قاربوا النحو باللسانيات في كتابه: نظرية الجرجاني عن التخييل الشعري: (Al-Jurjani's Theory of poetic Imagery)، نشره سنة 1979، وهذا الكتاب هو في الأصل رسالة دكتوراه أنجزها في جامعة أكسفورد في بريطانيا قبل ذلك التاريخ بسنوات، وما كنا نعرف هذه المعلومة لو لم يشر إليها حمزة المزيني في مقاله: تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، الذي نشرته صحيفة الرياض الخميس 1420/8/25هـ.



وفي هذا ذكر الجاحظ (ت:255هـ) أمراً عجبا حول خصائص تتألف الأعاجم مع العرب، فيقول: "وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونانية، وحوّلت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسنا، وبعضها ما انتقص شيئا، ولو حوّلت حكمة العرب، لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن.<sup>1</sup> بمعنى أن الثقافة العربية قديما كانت في مركز قوة مع ثقافات الأخرى، فالذي يُترجم من ثقافتهم إلى العربية، فإنّه إما أن لا يخسر شيئا من قدره العلمي، وإما أن يزداد قيمة، لأنه سيرقى بقدر رقي هذه اللغة التي رفعت لواء العلم والحضارة آنذاك، أما الذي يُنقل من العربية إلى اللغات الأخر فإنّه معرّض للتلف، لسبب بسيط وهو أن هذه اللغات الأعجمية ليس لها من الطاقة ما يوجد في العربية، في احتضان الفكرة المنقولة وحمايتها، ومن هنا نستطيع أن نقول وبقوة أنّ الفكر العربي الذي تُرجم في الزمن الغابر من العربية إلى الفارسية وخاصة اللاتينية.. الخ، أغلبه قد ضاعت حقوقه التوثيقية، بمعنى أنّه تماهى في ثقافتهم فتملكوه!؟"

وقد توسّع المفكر المغربي "عبد السلام بنعبد العالي" في قراءة هذه اللفتة الجاحظية، فرأى بأننا أصبحنا اليوم لا نشعر أننا نرقى بالنص عندما ننقله إلى العربية ونزيده جمالا كما قال "الجاحظ"، بل إننا نحسّ على العكس من ذلك، أننا نرقى بالنصوص العربية عندما نترجمها، وتفسير ذلك هو لجوء بعض كتّابنا إلى الكتابة بغير العربية، ليعملوا هم أنفسهم على نقلها إلى لغة الضاد، هنا يغدو المرور عبر لغة الآخر هو الطريق المضمون لبلوغ القارئ العربي فيتلقاه تلقيا حسنا.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الحيوان، ج1، ص:53.

<sup>2</sup> انظر الرابط: <http://aljabriabed.net> مقال بعنوان: الثقافة العربية في مرآة الآخر، تاريخ الاقتباس: 2015/01/05.

إذن، فلنكتفي بتلقي القارئ العربي النص ينبغي أن ينقل إليه عبر لغة أخرى، معنى ذلك أن المعنى بالنص، حتى عندما يكتب بلغة أجنبية هو دوماً القارئ العربي فكأن المثقف العربي اليوم لا يتكلم لغته إلا عبر لغة أخرى، لا يعترف بذاته إلا إذا اعترف به الآخر، فلثقافة العربية لا تعيش الثقافة كفاعل فكري، وإنما كسلوب عيش، وهي لا تعيشه كفاعل وثقاف، وإنما كإنفعال وثقاف.

لعل ذلك هو ما يجعلنا لا نقرأ إنتاجنا الفكري اليوم إلا مقارنين، وتجد القارئ عندنا سرعان ما يربط النص العربي، بصفة مباشرة أو غير مباشرة بنص آخر، إنه لا يطلع على النص العربي إلا بعد أن يربطه بنص آخر، إلا لبحث فيه عن النص الآخر، لا يقرأ حي به يقظان إلا بحثاً عن روبنسون كروزوي، ولا المقدمة إلا بحثاً عن أ. كونت، ولا اللزوميات إلا لربطها بشوبنهاور. ولا المنقذ إلا بحثاً عن ديكرت، ولا التهافت إلا بحثاً عن هيوم وكنط، ولا رسالة الغفران إلا تفصيلاً لدانتى.<sup>1</sup>

لقد اختلفت الأعصار وتغيرت أنماط الأمصار على نحو العربية، وحتماً سيختلف الحكم، فأما موقف المانعين للمقاربة فهو موقف تمييزي غير علمي وغير حضاري كالذي نجده عن محمد حسين ورشيد العبيدي وهم أصحاب العقلية الاكتفائية، أما موقف المنبهرين كالذي نجده عند عبده الراجحي ونهاد الموسى فلقد أضرب كثيراً في الإعراف برموزية اللغة العربية كثيراً، وذلك عندما مارسوا الوصاية العلمية باسم تطورات اللسانيات الغربية إلى درجة الديكتاتورية.

<sup>1</sup> انظر الرابط: <http://aljabriabed.net> مقال بعنوان: الثقافة العربية في مرآة الآخر تاريخ الاقتباس: 2015/01/05.

أما الموقف العلميّ الوسطيّ المعتدل فهو موقف عبد السلام المسديّ الذي هو أميل إلى المدرسة التقليدية، فهو الموقف الذي أجدني أراه صالحاً لمسألة النصوص النحوية التراثية بغية تأويلها وفق ما جدّ من أفكار ورؤى لسانية حديثة. وهو موقف حوارى ثقافى لا يعنى البتّة التّمصّص والتماهي واختلاط الأنساب وإنما يعنى عند اللسانيين المتفتحين المواصلة في الاكتشاف والإبداع والتحرر من الرواسب والمركبات النفسية العاطفيّة وخلق المسافات بين المتناقضين والتعددية وإنتاج الأسئلة لإيجاد الحلول لفكّ الأزمات اللغوية والمشكلات الثقافيّة.

إذن، فالتجديد المعتدل الذي يزيد في كشط غموض العربيّة ويرقيها لتستجيب لإيقاع العصر فريضة منهجيّة على علمائها في كلّ عصر، وإنيّ أستمدّ مشرعيّة التجديد الوسطيّ المعتدل وحجيّته من القرآن الكريم، فإنه قد عدّد العلماء صور الوحي إلى ثلاث عشرة صورة،<sup>1</sup> فهذا هو مستقرّ نظري واستواء عمود عقليّ حسب أصوليّتي العربيّة الإسلاميّة.

فالعربية لغة قادرة على التفاعل مع مختلف الأنساق الحضارية والمناهج المعرفية لأنّها لغة ذات مضمون علمي في مستوياتها الثلاث، وذات مضمون منهجي لأنّها لغة ازدوج فيه العقل والنقل، وذات مضمون تاريخي، وكما يقول ليف تولستوي "إذا وُجِدَ المضمون، انصاع الشكّل". إذن، فهي لغة قادرة على التفاعل مع القادرين الأقوياء، ولغة عاجزة على التواصل مع المترمّتين الضعفاء.

<sup>1</sup> وأصلها ثلاثة المذكورة في القرآن، قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا." (الشورى: 51)، ويدخل في هذا حتى بعض منامات الناس، والقسم الثاني: "مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ" (الشورى: 51)، مثل كلامه لموسى عليه السلام، وتكليمه للملائكة، والقسم الثالث: "أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُؤْخِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ." (الشورى: 51) وهذا الرسول من الملائكة، والوحي عن طريق الملك هو أكثرها.

# خاتمة

"كل حقيقة موضوعية هي نسبية، وكل حقيقة مطلقة هي ذاتية والعكس صحيح."<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> كارل بوبر (1902-1994) فيلسوف نمساوي بريطاني، متخصص في فلسفة العلوم.

## ❖ نتائج واقتراحات وتوجّس وتساءلات:

- انفتح باب الفتنة في الهجوم على النحو حديثاً مع كتابين، الأول: " إحياء النحو "، لمصطفى ابراهيم، الذي نشره سنة 1937، ومقدمة " الردّ على النحاة "، لشوقي ضيف الذي نشره سنة 1947، ثم وجدنا ملاحظات نقدية جزئية مع أنيس فريجة، ثم تطورت هذه الملاحظات عبر الزمن ليصبح الهجوم على النحو هجوما صارخا وقذف علمائه بأبشع المعرّات مع زكريا أوزون في كتابه: " جناية سيبويه "، والشريف الشوباسي في كتابه: " التحيا اللغة العربية يسقط سيبويه ".
- لقد انتهت مدارك الناظرين الميسّرين في علم النحو والصرف فقد هُذِّبَت مصطلحاتهما ورُتِّبَت أبوابهما حتى نفقت سوقهما، فأدركوا غاية الإحسان في التأليف فيهما، ولا معنى أن يصنع لنا أستاذ أو باحث كتاب في تيسير النحو والصرف فقد كُفِّيَ هذا الأمر في القرن العشرين، ابتداء من المغرب الأقصى وانتهاءً بالعراق، وإنما الشأن كل الشأن في الاهتمام بمن يدرسهما ليحسن التأني فيهما والتلطّف في تلقيهما.
- كفى ب: "النحو الواضح" كفايةً علميةً أو ما يقوم مقامه<sup>1</sup>، لغير المتخصص، أما المتخصص فهو مختار فيما يتمذهب به، ولكنه ملزمٌ أن لا يتجاوز في العبّ من المدرسة اللغوية التراثية الأصيلة.

<sup>1</sup> إن الكتب التي تقوم مقامه أكثر من أن تحصر في عشرة كتب أو عشرين، فحتى الباحثين من غير العرب ألفوا في هذا الحقل، نجد مثلا: كتاب "تعليم اللغة العربية بطريقة حديثة": لمحمد فتح الله كولن التركي الذي نشره سنة ( 1998)، يقع في خمسة رسائل، وفي كلّ رسالة ستون صفحة، وهو لمستوى الابتدائي، وهو من أحدث الكتب التي قاربت تعليم العربية بأسلوب عصري من حيث الاعتماد على الصورة، وذلك لكي يربط حبل التواصل العلمي القائم على الاشتراك في التفهّم، بين المتعلّم والمعلّم، وإنّ الاعتماد على الصورة في التعليم هو سرّ التعليم الناجز، وإذا عدنا إلى التراث العربي لوجدنا تأشيراً لهذا الأمر، وذلك في سينية البحتري التي وصف

- أغلب الذين اجتهدوا اجتهادا مضادا لا نفع فيه، كانوا متأثرين إما بآراء: **قطرب** (ت:206هـ) في إنكاره دلالة الإعراب على المعنى، وإما بآراء **ابن مضاء القرطبي** (ت:592هـ) صاحب "الردّ على النحاة"، وإما بآراء **ابن رشد القرطبي** (ت:594هـ) صاحب "الضروري في صناعة النحو"، أو بآراء **ابن حزم الظاهري** (ت:456هـ)، الذي أنكر القياس، وأنكر سنة التفاضل بين اللغات، وإما متأثرين بالدراسات الوصفية الحديثة التي عيّت النحو الأروبي التقليدي.
- لا يزال كتاب "الكفاف" ليوسف الصيدواي، الذي نشره سنة 1999، مجهول القدر في الثقافة العربية الحديثة، والذي يعتبر أول من فرّق بين القواعد والنحو، وأول من قال بأن النحو لا يبسرّ، وأول من قدّم القواعد مصافاة، فلقد نسخ كتابه كل ما قيل في قضية التيسير، فللقواعد تنطلق من **"هكذا قالت العرب"** وتقف عند **"هذا لم تقله العرب"**، وأما النحو فجولان فكريّ في هذه القواعد.
- الأمر المطلوب من اللسانيين العرب الذين ينتمون إلى هيئات ومنظمات هو حراسة حدود العربية من التآمرات اللغوية التي تحاك خلف البحار ضدّ العربية، فقد رأينا الدوارج أصبحت تسوّق بها المنتجات وتكتب في الواجحات، فالدفاع واجب عن العربية.
- إن الوحي الذي كان ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم كان يأتيه بعدّة طرائق وقد أحصاها العلماء إلى 12 صنفاً، فمرة مثل صلصلة الجرس، ومرة بصفة ملك، وهكذا، ومن هنا فلا بأس بتجديد

فيها إيوان كسرى، وكان في هذا الإيوان لوحة جدارية مرسوم فيه أحداث المعركة التي جرت بين الفرس والروم التي وقعت سنة 540م، وهذه الجدارية كانت مصدر إلهام ووحي لسينّيته، يقول فيها:

تَصِفُ العَيْنُ أَهْمَ جِدِّ أَحْيَا ۚ هَمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةُ خُرْسِ  
يَعْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي حَتَّى تَنْقَرَهُمْ يَدَايَ بِلْمَسِ

الطرائق لاكتساب اللغة وفهم علوم العربية، بل إنّ هذا التجديد يعدّ فريضة منهجيّة على رموز العربيّة في كلّ عصر.

■ إنّ أسباب الاختلاف في الكتابات اللسانية الحديثة هو أمر أكثر من عادي، لأن هؤلاء اللسانين العرب:

- من كان منطلقه فيرثي (جون روبرت فيرث) كتمام حسان ؛

- ومنهم كان منطلقه خليلي كعبد الرحمن الحاج صالح ؛

- ومنهم كان منطلقه تشومسكاوي كعبد القادر الفاسي الفهري ؛

- ومنهم كان منطلقه دي سوسيري كبلومفيلد ؛

- ومنهم كان منطلقه ديكراتي كتشومسكي ؛

- ومنهم كان منطلقه دارويني كشلايشر، الذي رفض اعتبار اللسانيات من العلوم الإنسانية،

وعدها من العلوم الطبيعية بل هي جهاز عضوي كباقي الكائنات الحية تتكون من عناصر

لها وظائف محددة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> بل أكثر من هذا كله، فقد وجدنا حتى الأنبياء قد اختلفوا مع بعضهم إذا كانوا في عصر واحد، ولكن ليس في جوهر القضية وإنما في شكلها مثلما نجد داود وسليمان "وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا." (الأنبياء: 78) فهذان النبيان الكريمان "داود" و"سليمان" عليهما السلام، آتاهما الله العلم الواسع والحكم بين العباد، إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، رعت فيه غنم القوم الآخرين ليلا، ففضى داود عليه السلام، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظرا إلى تفریط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بديرها وصوفها، ويقومون أي أصحاب الغنم على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادا ورجع كل منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام.

- لقد فقدَ بعض اللسانيين بعض توازنهم العلمي نتيجة فقرهم للمعرفة الناجزة، وذلك لما أصبحت المقاربة اللسانية عندهم بين النحو العربي واللسانيات تنحو نحو المطابقة وليس نحو المقاربة فما وافق علم اللسان العام فهو النحو وما خالفه فهو اللغو، وهذه في الحقيقة وثنية منهجية تتعلق بنفسية الباحث، فتحوّل اللساني الغربيّ إلى حجّة علمية في اللسانيات فالحسن ما استحسن، والقبيح ما استقبح.
- لقد أثبتت نظرية "تضافر القرائن" لتمام حسان العلاقة العضوية التجريدية في العربية نفسها بين الصوت والحرف والاسم والفعل والجملة والتراكيب والأساليب والفقرة والنص فهي ذرية بعضها من بعض، والعلاقة الروحية بين عربية العرب وعربية الوحيين، وفي هذه النظرية تجلت العبقرية الإبداعية للعربية بامتياز خاصة في كتابه التطبيقي "روائع من البيان القرآني". ولا يتمتع به إلا من عرف قدر مستويات العربية الخمسة صوتا وصرفا ونحو ومعجما ودلالة.
- صدق محمد الغزالي عندما قال: "أنا لا أخشى على الإنسان الذي يفكر وإن ضل، لأنه سيعود إلى الحق. ولكنني أخشى على الإنسان الذي لا يفكر وإن اهتدى لأنه سيكون كالقشة في مهب الريح"، ولقد لمسنا هذا الأمر عيانا في جل كتابات اللغويين والنحاة الذين عاجلناهم:
  - فلقد وجدنا العقاد ضلّ في كتابه: "الديوان"، ثم تراجع أفكاره في باقي كتاباته ؛
  - ووجدنا طه حسين ضلّ في كتابه: "في الشعر الجاهلي"، ثم تراجع أفكاره في باقي كتاباته ؛
  - ووجدنا مصطفى إبراهيم ضلّ في كتابه: "إحياء النحو"، ثم تراجع أفكاره في باقي كتاباته ؛
  - ووجدنا عبد الرحمن أيوب ضلّ في كتابه: "الدراسات"، ثم تراجع أفكاره في باقي كتاباته ؛



- ووجدنا سلامة موسى ولويس عوض ضللاً الطريق في كل ما كتبوا ولم يتراجعا لأنهما كانا مقلدين غير مفكرين.

■ هناك عقليتان بحثيتان: عقلية تراثية أصولية نصوصية حروفية لا تستطيع أن تستوعب العلاقة التلازمية الحتمية بين اللغة والدين والثقافة وربما حتى العرق، وعقلية كتابية استيعابية تستطيع أن تستوعب العلاقة التلازمية الحتمية بين اللغة والدين والثقافة لأنها أحسنت التسامح لدخائل اللغة ومفهوم الإنسان والمجتمع.

■ أغلب الذين أبدعوا في العربية كانوا مستشعرين معنى المسؤولية في الاختصاص، ولهذا أوتوا مفاتيحه، قرؤوا فاستنبطوا وكتبوا فأفهموا. فلقد وجدنا مصطفى صادق الرافعي استشعر هذا المعنى بقوة، وذلك عندما يقول: "إنه يُخيل إليّ دائماً أبي رسول لغوي بُعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه." (وحي القلم، ج3، ص:230).

■ منذ أمد طويل وأنا أقرأ كتابات أبي فهد محمود محمد شاكر، ولم أعرف سرّ عبقريته؟ ولكنني اليوم تأكدت من سرّ عبقريته وكانت في عزلة الناس والكتابة مدة ثلاثة عشر سنة حباً متراكباً كانت ما بين (1952 و 1965)، فالتاريخ الأول يمثل أول نشر للقوس العذراء، والتاريخ الثاني يمثل أول نشر لكتاب أباطيل وأسما في جزئه الأول، الذي خسف به لويس عوض ومن يحرّكونه، وأجدني أراه طبّق من حيث يدري أو لا يدري لا يهمننا، خطة "الإنسحاب والعودة"، لأرنولد توينبي (1889-1975) المؤرخ الإنجليزي التي أثبتتها في موسوعته "دراسة للتاريخ"، أي انسحاب الرجل من مجتمعه أو قومه أو عمله أو شأنه ثم العودة إلى الساحة بما يكسر أصنام النمط وأوثان السائد. وهذه الخطة قبل أن يلتفت

إليها العباقرة كانت من منهج الأنبياء عليه السلام، كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام جميعاً. ولقد فعلها كذلك أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) فقد كان مدرساً في إحدى المدارس النظامية، ولما رأى فساد المناهج التعليمية وأن الفساد قد استشرى إلى رسالة العلماء، انسحب أبو حامد مدة 10 سنوات معتكفاً في محراب العلم والمعرفة يقرأ ويدرس ويتعلم ويطوف البلاد، ثم عاد بفكرة المدارس المستقلة عن الدولة بمناهج وضعها بناءً على تشخيصه للمشاكل، وقد استطاع الغزالي أن يكون لنا جيلاً من طلاب العلم والعلماء مبني على أفكار صحيحة، فكان أبو حامد من أحسن العلماء العرب الذين أحسنوا تطبيق نظرية الإنسحاب والعودة، الإنسحاب من الواقع الذي يعبد ما ينحت، والعودة بمعول قويّ يحطم هذه النحوت والأوثان الفكرية المميّنة التي خدّرت العقول والقلوب وإعادة البناء من جديد على أسس علمية متينة.

■ وإني أفتح قوس فأقول: ربما تأتي أمة أخرى من اللسانين تنسخ جلّ أفكار النظريات اللسانية التي عدّوها سامريّة يقال في شأنها لا مساس! لأن تتطوّر العلم فرض على عصره اليوم القابليّة للتغيير في كلّ شيء، وقديماً قد مات سيوييه وفي نفسه شيء من حتى، ومات الخليل بن أحمد قبله ولم يعرف حدّ نعم وبئس، ومات دي سوسير وفي نفسه شيء من العلامة.

■ إذا كان طلاب العربية يتململون في قاعات الدرس ويتأفّفون من نحو ألفية ابن مالك، لأنّ فيها كرازة في متنها، فكيف بكرازة النحو الوظيفي وهو لا يزال نحو افتراضياً لم تخصص له دراسات تطبيقية تدبجه مع الأمثلة الحيّة.

- أجدني قليل الإعجاب بقضية علمية اللسانيات الموغلة في الصورة والتذير، التي كادت أن تفرغ اللغة من جانبها الإنساني النفسي، ويكفي في علمية علوم اللسان الملاحظة، والتحليل والتصنيف، والاستقراء، والمراقبة، والافتراض، فكفى بتوفر هذه الخصائص في علمية علم اللسان، فأما إذا بالغ الباحث في تحميل خصائص أخرى لعلم اللسان فهذا تصوّر خاطئ لخصوصية علم اللسان، لأنّ النزوع الموضوعي المبالغ فيه في العلوم الاجتماعية واللغة عنصر أساسي في هذه العلوم، ينتهي بإفراغ الإنسان من محتواه الإنساني وهو كائن عاقل مكلف، ومفكر متكلم. فهذا النزوع الموضوعي المبالغ فيه في البحث اللغوي قد سبّب إحراجا للعربية كلغة.
- انطلاقا من القاعدة الأصولية الجامعة، التي تقول: "ما لا يتم الواجب إلاّ به، فهو واجب"، فإنّ ينبغي الاعتماد على تأشير القرآن "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ." (النحل: 89)، في البحث اللساني لحلّ الأزمات وطيا للمسافات واختصارا للأوقات لأنه تقرّر بشكل فاقع أنّه من خصائص أيّ علم الغموض، ومن هنا قد يكون لبعض اللسانيين بعض العذر في عدم التوضيح لأنّ ظاهرة الغموض والإبهام من خصائص العلم، وما دام علم اللسان يتمتع بنصيب وافر من العلمية فإنّه سيكون من خصائصه الغموض والابهام، فهذه الثغرة ليست دائما بنقيصة في الكتابات اللسانية، وهذه الظاهرة كانت لا تزال لصيقة بعلم العربية ولقد انتبه لها حلمي خليل من المحدثين وخصّص لها كتابه الموسوم بـ: "العربية والغموض"، نشره سنة 1987، وأثبت أنّ ظاهرة غموض المعنى عانى منها الأصوليون والمفسرون والبلاغيون والنحاة، بل هناك من أشار إلى هذا قبله وهي جوليا كريستيفا عالمة في اللسانيات ما بعد البنيوية، صاحبة كتاب "اللغة ذلك المجهول"، الذي نشرته سنة

1981، le langage est inconnu، فلا شيء يتسم بالوضوح المطلق في نظر العلم، وكما

يرى فيلسوف العلم كارل بوبر من أن "كل حقيقة موضوعية هي نسبية وكل حقيقة مطلقة هي ذاتية

والعكس صحيح"، وقد أشرّ لهذا قبله شيخ المعرفة (ت:449هـ)، عندما قال:

أما اليقين فلا يقين، وإنما\*\*\*أقصى اجتهادي أن أظنّ وأحدسا

فلا علم حقيقيا مطلق إلا علم من خلق، كما قال الله تبارك وتعالى: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ." (المالك:14) فهو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

■ سرّ التعليم الناجح الناجز الذي يقوم على نحو المثل الصيني القديم: "قل لي وسوف أنسى، أرني

ولعلي أتذكر، أشركني وسوف أفهم"، فلا يصلح دائما وأبدا منهجية إعراب ما تحته خط، وحوّل ما

بين قوسين إلى الجمع المذكّر السالم، ونحن في عصر الجيل الرقمي، والحل هو صياغة منهجيات

علمية للتعليم وفق ما يتطلبه زمن الآي فون iPhones والآي باد iPads، وهذا التجديد الذي

يجدي في ملّتي واعتقادي، لتوليد الدافعية على حبّ المعرفة والبحث فيها.

■ اللغة هي صدى الفكر، والفكر صوت العقل والقلب والنفس والروح:

- وأما العقل فهو نور ؛

- وأما القلب فهو عقل ثان "هُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا" (الأعراف:179) ؛

- وأما النفس فهي نفخة إلهية "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"،

(الحجر:29) ؛

- وكلّ هذا العالم يقع في جسد مخلوق من طين، "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ"، (السجدة:07)، كلّها ذرّية بعضها من بعض، ومن هنا تأتي صعوبة تفسير اللغة في سرّ النطق بها وسرّ بياها.

■ إنّ العربيّة بحاجة إلى اجتهادات نوعية ذات البحث الناجز **killer search**، لتحاول التطلّع ماذا يدور في الأفق؟ لأنّ غاية البحث العلمي ليس دائما تشخيصا للوقائع وجمعا للحقائق بل من مهامه الافتراض والاستشراق، وخاصة أنّ العربيّة في ظلّ الكشوفات الحداثيّة التي رامت أسباب السماء، والتطوّرات العلمية التي غزت البرّ والبحر والفضاء، فإنّها قد دخلت نفقا جدّ معتم في الألفيّة الثالثة!؟

■ إنّ كثافة علوم المادة والمكانيكما هو الذي حجب روعة وأسرار ولطافة علوم الإنسان<sup>1</sup> بما في ذلك علم اللسان، لأنّ اللغة من أخصّ موائز الجنس البشري، وهذا العلم المادي أفقد الإنسان توازنه وأشغله بالمظهرات وكيفه ليعيش في عالم افتراضي حتى أفقده حسّ الروح وروح الحسّ العلمي وعبّد الإنسان لأخيه الإنسان، وكلّ هذا ساهم بطريقة أو بأخرى في إضعاف اللغة العربيّة وتمثّلها على الألسنة.

■ لن أضيف جديداً إذا قلت أنّه إذا كانت التجربة هي جزء مهم من أساس العلم، فإنّ التجارب التاريخيّة تشهد أنّه ما تقدّم بلد بلغة غيره، بل نحن نعيش واقعا مريرا اليوم بل أصبح اتقان اللغات

<sup>1</sup> وهذا ما جعل سيد قطب يقول عن شعب أمريكا عندما ذهب في بعثة علمية سنة 1948: "شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك".

يساهم في هجرة كوادرات اللغة والعلم إلى الغرب، ولهذا فإما خدمة العربية لنحيا بها ونعيش بكرامة، فقد أصبحت اللغة اليوم مرادف الحياة أكثر من أي وقت مضى، وإما أن نُستهلك، فلا صريخ لنا ولا نحن منقذون، أما قضية دسترة الأمازيغية وتوصيفات القانونيين لها وجعلها هي المحلّ الثاني من الإهتمام، فهي توصيفات ضرب أحماسٍ في أسداس، فإنّ هذا لن يحقق كبير نُهضة ولو قدّمت لها كلّ الخدمات لتحمل أدنى نصيب من العلم والأدب ما حملت عشر معشار منهما.

■ لقد اتّسع مفهوم اللغة في ظلّ تطورات اللسانيات، فاللغة ليست وسيلة التواصل فحسب، بل هي وسيلة التفكير، ووسيلة من وسائل الاقتصاد، ووسيلة من وسائل التمتع، ووسيلة من وسائل الاكتشاف وإيجاد الحلول والإصلاح... الخ.

■ اللغة هي الموضوع المحوري لعلم النحو وعلم اللسان معا، ومن هنا تأتي شرعية المصاهرة وحتميتها منهجيا، فالموقف الإكتفائي لا مكان له في عصر التفاعل وبأبوابه الواقع اللغوي المعيش، فيجب الخروج بعلوم العربية من حيز المتحفية والتعزّب إلى عالم الوصف والتحليل والحوار، وإعادة التشكيل وفق قاعدة البيانات القديمة ونماذج التطور الحديثة وكشوفاته الخلاقة.

■ لقد وجدنا مواقف الباحثين من معادلة النحو  $\neq$  اللسانيات ثلاثة مواقف:

- **موقف المانعين** الاكتفائيين تلخصها مقولة "ما ترك الأول للآخر شيئا"، وهذا الموقف

الانغلاقى أضّرّ بالعربية كثيرا، وكأنّ العربية تعيش في كينونة لغوية معزولة عن الحياة؛

- **وموقف المجوزين** تلخصها مقولة: "لا يزال الناس بخيرٍ ما بقي الأول يتعلّم منه الأخير"؛

- **وموقف المتوسطين** تمثله مقولة: "من ليس له قديم ليس له جديد".

- أما موقفي ، فقياسا على مقولة بيجوفتش الفيلسوف الإسلامي بوسني، عندما يقول

فيها: "الإنسان ليس مُفصَّلاً على طراز داروين، كما أنّ الكون ليس مفصَّلاً على طراز نيوتن"،

فكذلك اللغة اللغة فليست مفصلة بالضرورة على ما قاله بنيوية سوسير ولا سلوكية بلومفيلد ولا

توليدية تشومسكي.

■ أما نوعيّة العلاقة العلمية التي يجب أن تكون بين النحو واللسانيات هي علاقة تراسل وتصالح، وليست

علاقة مُؤثّر ومُؤثَّر، وتابع ومتبوع، فهذه علاقات غير علميّة بالمرّة، وكما يمكن للنحو أن يستفيد من

اللسانيات في العرض وليس في الجوهر، فكذلك العكس بالنسبة للسانيات مع النحو، لأنه مهما يشاد

بعلميّة اللسانيات العامة، فللنحو العربي مستوى علمياً لا يستهان به، ومن أراد أن يقطع الشكّ

باليقين فعليه بكتاب "التفكير العلمي في النحو العربي"، لحسن خميس الملخ، الذي نشره سنة

(2002).

■ وختاماً: فكلّ الذي كتبته في هذه الرسالة هو عبارة توصيف وتأشير فحسب، وليس تفصيلاً لكلّ

شيء، لأنّي لم أبحث في جزئية لسانية صغراوية لأحيط بها علماً، ولهذا فصعب جدّاً اسيفاء البحث

بكلّ جزئيات قضاياها المعالجة، وقد وجدنا من الباحثين من قدّم أكداً من البحوث في سبيل خدمة

مشروعه اللغوي ؛

- فالنظرية الخليلية مثلاً التي أشرت لها في الفصل الثاني هي رحلة عمر من البحث عند صاحبها

"الحاج صالح" التي بيّن فيها مبلغ الفكر وطموح النظر عند الخليل ومن نحا نحوه، فليس بمقدوري

في صفحات معدودات أن أبيّن تفاصيل جزئياتها، وأجدني أراها النظرية النحوية العربية الحديثة

الوحيدة التي تحتاج دفع مؤسسي قوي، لتبسيطها والتعريف بها، وخاصة لأنها نظرية عملاقة بحق، فهي نظرية حقيقية ملموسة من فكر خاص الخاص، وقد وُظِّفت عملياً في مشروع الذخيرة اللغوية، إذن فهي نظرية ممكنة التحقق لولا ضعف قدرات المنتمين إليها فكراً وقلة استيعابهم المكتمل الناجز لمطامحها.

● إذا قال عبد السلام المسدي عن كتابه: "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، هذا الكتاب مراهنة على مشروع حضاري فكري إذا تحقّق تسنى للذات العربية أن تضع غداً علمياً لها ولمن سواها؛

✓ فيّني أقول عن أطروحتي بثقة الباحث الذي عانى مشكلات بحثه، بأنها قد أثبتت نتيجةً مخيفةً لأعداء العربية، وهي أنه ثبت بعد سبعين سنة من المقاربات بين علوم العربية واللسانيات العامة، أنّ اللغة العربية رغم الفردات والمواضع التي تتمتع بها، قد اتسعت بدرجات متفاوتة لخمس مدارس لسانية غربية بتمفصلاتها التذرية الصغراوية، واحتوتها كالأّم الرؤوم الودود:

- فقد اتّسعت لطح اللسانيات البنوية التي تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها ؛
- واتّسعت لطح اللسانيات التوليدية التي ترى أنّ النحو هو قواعد ذهنية في صورة ملكة بيولوجية، وعلى اللسانيات أن تعنى بصورتها وصوغها في إطار نموذج صوري ؛
- واتّسعت لطح اللسانيات السلوكية التي تعتبر اللغة مجرد عادات كلامية مكتسبة خاضعة لقانون المثير والاستجابة، فاللغة هي شكل من أشكال السلوك الإنساني، كالأكل والنوم ؛



- واتّسعت لطح اللسانيات الإنجليزية التي ترى أن الكلام حدث كلامي وليس مجرد قول

منطوق، فاللغة جزء مهم من المسار الاجتماعي إنها الرصيد الثقافي والاجتماعي الذي يعين على

فهم المعاني ضمن سياقها ؛

- واتّسعت لطح اللسانيات الوظيفية التي تهتم بالقدرة التواصلية المتكاملة التي تعتمد على مجموعة

من الكفايات، كالكفاية المعرفية، والكفاية اللغوية، والكفاية الإدراكية، والكفاية المنطقية.

✓ وبجملة واحدة فقد اتّسعت للسانيات الأوروبية التي غايتها خدمة الركام اللغوي

والأدبي والأسلوبي والنقدي والإنساني، واللسانيات الأمريكية التي غايتها خدمة

البحوث كالبيولوجية والفيزيائية والرياضية.. والبحوث التكنولوجية كالهندسية

والإلكترونية.

✓ وما زالت تواصل! وهذا يعني أنّ لها مؤهلات اللسان الأنموذج الأوفى المقتدر على

مواجهة الإكراه التقني، وقيادة قاطرة العلوم والمعارف والفنون وتقنيات.

■ إذن؛ فالعربية ما زالت تواصل التحدي، لأنها أقوى لغة سامية (سام بن نوح: أبو الشعوب)، لأنها لغة

الوحيين، ولأنها لغة اشتقاقية، ولأنها لغة إعرابية، ولأنها من أقدم اللغات التي حافظت على بنيتها

وأنساقها، ولأنها لغة ذات أكبر ترسانة رموزية، ولأنها لغة ذات أكبر تركة عقلية تراثية، ولأنها لغة القوة

العددية: فما يقرب من 300 مليون يتكلمون باللغة العربية في الوطن العربي ناهيك عن يقرب من

مليار وربع من المسلمين، ولأنها لغة القوة الدستورية الرسمية فهي لغة 22 دولة عربية، فهي تحتل المرتبة

الثانية بعد اللغة الإنجليزية 48 دولة، ولأنها لغة القوة الإعلامية، ولأنها لغة القوة الدستورية ولها قوة

رقمية على النت... فكلّ هذا وغيره للغة العربية فهي مستعدة لأيّ عملية مخبرية تمتحن كروزوماتها

وجيناتها.

# قائمة المصادر والمراجع

أ/ المصادر والمراجع العربية:

\* القرآن الكريم برواية حفص.

\* الحديث الشريف.

- 1) أباطيل وأسمار: أبو فهر محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 2005.
- 2) أبي آدم - قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة- : د، عبد الصبور شاهين، دار الإعتصام، ط1، 1998.
- 3) اجتهادات لغوية: د، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007.
- 4) الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الأمدي، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- 5) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الظاهري، تحق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د، ت).
- 6) إحياء النحو بين مصطفى إبراهيم وأمين الخولي : د، عبد الله اسماعيل، منشورات جامعة عمر المختار، ط 1، 1994.
- 7) أخبار النحويين البصريين : أبو سعيد السيرافي، (ت: 368هـ)، تحق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، طبعة: 1966.
- 8) أدب الكاتب: لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الدالي، ، (د، ط)، (د، ت)، مؤسسة الرسالة بيروت.
- 9) ارتشاف الضرب من لسان العرب : لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د، رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998.
- 10) أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية)، إعداد وتقديم: د، حافظ اسماعيلي علوي، وليد العناتي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009.
- 11) الأصول: دراسة إستراتيجية للفكر اللغوي عند العرب: د، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2009.
- 12) أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، جمع وترتيب: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، ط1، 2004.
- 13) آفاق اللسانيات -دراسات، مراجعات، شهادات- تكريماً للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011.
- 14) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية): د، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986.

- 15) الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة): د، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986.
- 16) الإنصاف في مسائل الخلاف : لأبي البركات الأنباري (ت: 577هـ)، تحق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط1، 2003.
- 17) إنقاذ اللغة من أيدي النحاة - حوار جذري حول مشكلات العربية المعاصرة-: أحمد درويش، دار الفكر، سوريا، ط1، نشره سنة (1999).
- 18) الإيضاح في علل النحو: لأبي القاسم للزجاجي، تحق: د، مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1989.
- 19) البحث اللغوي عند العرب: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، ط8، 2003.
- 20) بحث المطالب في علم العربية: جرمانوس فرحات، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1995.
- 21) بحوث ألسنية عربية: د، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992.
- 22) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: أ.د، عبد الرحمن الحاج صالح، ط1، 2007، موفم للنشر، الجزائر.
- 23) البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوي في العصر الحديث: د، سامي سليمان أحمد، تقديم: أ.د، حسين نصّار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.
- 24) البصائر والذخائر: لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1988 ج1.
- 25) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي، تحق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، (د، ط)، (د، ت).
- 26) بناء الجملة العربية: د، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
- 27) البيان والتبيين: للجاحظ (ت: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423هـ.
- 28) تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي، راحه: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001.
- 29) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن أبي الإصبع العدواني (ت: 654هـ)، تحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة.
- 30) التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل : لأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحق: د، حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1997.
- 31) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك الطائي (ت: 672هـ)، تحق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، سنة النشر: 1967.

- (32) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، 1419هـ.
- (33) التفكير العلمي النحو العربي - الاستقراء، التحليل، التفسير - د: حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002.
- (34) التفكير اللساني في الحضارة العربية: د: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986.
- (35) تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ، وقائع ندوة جهوية، الرباط، 1987، دار الغرب، الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991.
- (36) تهافت الفلاسفة: لأبي حامد الغزالي، تحق: د: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط6، (د، ت).
- (37) توطئة في علم اللغة: التهامي الراجي الهاشمي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1977.
- (38) جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ، جمعها وقرأها وقدم لها: د: عادل سليمان جمال، ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط1، (د، ت).
- (39) جنابة سيويه، الرفض التام لما في النحو من أوهام: زكريا أوزون، رياض الريس للكتاب والنشر، ط1، 2002.
- (40) الحيوان: للجاحظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.
- (41) الخصائص: لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، (د، ع)، (د، ت).
- (42) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : أبو العباس السمين الحلبي (ت: 756هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد، دار القلم، دمشق، (د، ت).
- (43) الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية : د: نعمان عبد الحميد بوقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.
- (44) الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين: د: عبد الجبار جعفر القزاز، بغداد، 1981.
- (45) دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي: د: عبد الرحمن بدوي، دار العلم، بيروت، ط1، 1979.
- (46) دراسات في أسلوب القرآن الكريم: الشيخ عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- (47) دراسات في الأدب العربي الحديث: د: محمد هدارة، دار العلوم الإسلامية، بيروت، ط1، 1990.
- (48) دراسات لسانية تطبيقية: د: مازن الوعر، دار طلاس، للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 1989.
- (49) دراسات نقدية في النحو العربي: د: عبد الرحمن أيوب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1957.
- (50) دراسات وتعليقات في اللغة: د: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1994.

- 51) **الدروس النحوية**، تأليف الأساتذة: حفي ناصر، ومحمد دياب، ومصطفى طمطوم، ومحمد صالح، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط1، 2006.
- 52) **دلالة الألفاظ**: د، ابراهيم أنيس، ط5، 1984، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 53) **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر الجرجاني، تحق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط1، (د، ت).
- 54) **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود شاكر، دار المدني، مصر، ط3، 1992.
- 55) **الديوان**: عباس محمود محمود العقاد، و ابراهيم عبد القادر المازني، ، دار الشعب، القاهرة، ط4، 1997.
- 56) **الردّ على النحاة**: لابن مضاء القرطبي، تحقيق: د، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
- 57) **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**: لأبي فهر محمود محمد شاكر، ط2، 2006، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- 58) **رؤى لسانية في نظرية النحو العربي**: د، حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.
- 59) **السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية** : مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، (د، ت).
- 60) **سبويه إمام النحاة**: علي النجدي ناصر، عالم الكتب، القاهرة، 2009.
- 61) **الشرع واللغة**: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط1، 1944.
- 62) **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها** : أحمد بن فارس(ت: 395هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1997.
- 63) **طه حسين بين التحرير والتغريب** (دراسة نقدية لكتاب مستقبل الثقافة في مصر): أحمد دعوش، دار ناشري للنشر الالكتروني/ [www.NAshiri.net](http://www.NAshiri.net) / يناير 2011.
- 64) **ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم** : د، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د، ط) 2000.
- 65) **العربية والإعراب**: د، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010.
- 66) **العربية وعلم اللغة البنيوي** -دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث-: د، حلمي خليل، دار المعرفة، القاهرة، 1996.
- 67) **علم اللغة** (مقدمة للقارئ العربي): د، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط).
- 68) **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية**: د، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995.
- 69) **علم اللغة**: د، علي عبد الواحد وافي، شركة نخضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، 2004.

- 70 علم اللغة: د، حاتم صالح الضامن، مطبعة التعليم العالي، الموصل، العراق، (د، ط)، (د، ت).
- 71 علي السفود نظرات في ديوان العقاد: لمصطفى صادق الرافعي، (د، ط)، (د، ع)، (د، ت).
- 72 فتنة النص - بحوث ودراسات نصية - د، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- 73 في إصلاح النحو العربي - دراسة نقدية - عبد الوارث مبروك سعيد، دار القلم، الكويت، ط1، 1985.
- 74 في اللسانيات العامة - تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها: د، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، بيروت، لبنان.
- 75 في اللسانيات العربية المعاصرة (دراسات ومثاقفات): د، سعد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004.
- 76 في اللغة والأدب - دراسات وأبحاث - د، محمود محمد الطناحي، في الغرب الإسلامي، (د، ت).
- 77 في النحو العربي نقد وتوجيه: د، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986.
- 78 في ظلال القرآن: سيد قطب (ت: 1385هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط17، 1412هـ، ج5.
- 79 في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق): خليل أحمد عمارة، عالم المعرفة للنشر، م/ع السعودية، ط1، 1984.
- 80 قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث (مدخل): د، مازن الوعر، دار طلاس، سوريا، ط1، 1988.
- 81 قضايا لسانية وحضارية: د، منذر عياشي، دار طلاس، للدراسات والترجمة والنشر، 1991.
- 82 قطوف أدبية حول تحقيق التراث: لعبد السلام هارون، مكتبة السنّة، القاهرة، ط1، 1988، ص: 153.
- 83 كتاب العين: الخليل بن أحمد، تحقيق: د، مهدي المخزومي، د: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د، ت).
- 84 الكتاب: سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
- 85 الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية): د، يوسف الصيداوي، دار الفكر، سوريا، ط1، 1999.
- 86 لتحيا العربية يسقط سيبويه: شريف الشوباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004.
- 87 اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة - حفريات النشأة والتكوين - د، مصطفى غلفان، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006.
- 88 اللسانيات وأسسها المعرفية: د، عبد السلام المسدي، دار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986.
- 89 اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية: د، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.
- 90 اللغة العربية العلمية: د، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، ط4، 2009.

- 91 اللغة العربية بين المعيارية والوصفية: د، تمام حسان، عالم الكتب، ط4، 2000.
- 92 اللغة العربية في العصر الحديث-قيم الثبوت وقوى التحول-: د، نهاد الموسى، دار الشروق، عمان، ط1، 2007.
- 93 اللغة بين الفرد والمجتمع، أوتو جيسرسن، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، القاهرة، 1954.
- 94 اللغة والفكر والعالم-دراسة في النسبة اللغوية بين الفرضية والتحقيق-: د، محي الدين محسب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، مصر، مكتبة بيروت، ناشرون، 1997.
- 95 اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط2، 1971.
- 96 مآخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها النظرية والتطبيقية: منصور بن عبد العزيز الغفيلي، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، السعودية، ط1، 2013.
- 97 المتنبي: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1977.
- 98 المجموعة العلمية: بكر أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، م، ع، السعودية، ط1، 1416، ص:313.
- 99 المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن بن سيده (ت: 458هـ)، تحق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.
- 100 المخصص: لأبي الحسن بن سيده، تحق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996.
- 101 المدارس اللسانية في العصر الحديث: د، التواتي بن التواتي، دار الوعي، الجزائر، ط2، 2008.
- 102 المدارس النحوية: د، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1992.
- 103 مدرسة الكوفة النحوية ومناهجها في دراسة اللغة والنحو: د، مهدي المخزومي، ط2، 1958، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة.
- 104 مراجع اللسانيات: د، عبد السلام المسدي، دار العربية للكتاب، ط1، 1989.
- 105 المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية: د، اسماعيل أحمد عمارة، دار حنين، عمان، ط2، 1992.
- 106 المستصفي: أبو حامد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993.
- 107 المستقبل لهذا الدين: سيّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط16.
- 108 مستقبل الثقافة في مصر: د، طه حسين، دار المعارف، ط2، القاهرة، (د، ت).
- 109 مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان، ط1، 1988.
- 110 مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء: د، فخر الدين قباوة، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001.



- 111) معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها: د، محمد خلف الله أحمد، طبعة القاهرة، 1961.
- 112) معالم التنزيل في تفسير القرآن: لأبي محمد الحسين البغوي، تحق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420هـ.
- 113) معاني النحو: د، فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2007.
- 114) معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.
- 115) المفصل في صنعة الإعراب، الموسوم بالتحميم: للقاسم بن الحسين الخوارزمي (ت: 617هـ)، تحقيق: د، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.
- 116) مقالات الأستاذ الدكتور عبده الراجحي، جمع وإعداد: د، سمير اسماعيل، ومحمود عبد الصمد الجيار، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة، ط1، 2011.
- 117) مقالات في الأدب واللغة محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1986.
- 118) مقالات محمود محمد الطناحي، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2002.
- 119) مقامات الحريري: لأبي القاسم الحريري، مطبعة المعارف، بيروت، عام النشر: 1873.
- 120) مقدمة ابن خلدون (ت: 808هـ)، تحق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988.
- 121) مقدمة في فقه اللغة: لويس عوض، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
- 122) من قضايا اللغة والنحو: د، أحمد مختار عمر، القاهرة، 1974.
- 123) مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين: د، عطا محمد موسى، دار الإسراء، عمان، ط1، 2002.
- 124) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي -الأصول والامتداد-: د، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.
- 125) المنقذ من الضلال: أبو حامد الغزالي، تحق: د، عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر (د، ط).
- 126) المنهج الصوتي للبنية العربية- رؤية جديدة في الصرف العربي-: د، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980.
- 127) المنوال النحوي العربي -قراءة لسانية جديدة-: د، عز الدين مجدوب، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998.

- (128) الموازنة بين نحو سيويه ونحو تشومسكي (دراسة في مكونات الترادف والتباين والتكامل): د، رشيد بوزيان، (د، ط)، (د، ت).
- (129) موسوعة المستشرقين: د، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993.
- (130) نحو التيسير-دراسة ونقد منهجي-: د، أحمد عبد الستار الجوارى، المجمع العلمي العراقي، ط2، 1984.
- (131) النحو العربي في مواجهة العصر: د، ابراهيم السامرائي، دار الجليل، بيروت، ط1، 1995.
- (132) النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج): د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979.
- (133) نحو الفعل: د، عبد الستار الجوارى، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، تاريخ النشر: 2006.
- (134) نحو القرآن: د، أحمد عبد الستار الجوارى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط1، العراق.
- (135) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية: علي الجارم، ومصطفى أمين، دار المعارف، القاهرة، (د، ت).
- (136) النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط15.
- (137) النحو الوظيفي: عبد العليم إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط9، 1998.
- (138) نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية: د، مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987.
- (139) النحو والدلالة -مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي-: د، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، تاريخ النشر: 2006.
- (140) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة: أحمد محمد عرفة، مطبعة السعادة، ط1، (د، د)، (د، ت).
- (141) النحويون والقرآن: د، خليل بنان الحسون، مكتبة الرسالة، عمان، الأردن، ط1، 2002.
- (142) نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: د، فاطمة الهاشمي بكوش، ايتراك للنشر، القاهرة، ط1، 2004.
- (143) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية : د، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط1، 1997.
- (144) نظرية الأصل والفرع في النحو العربي: د، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، ط1، 2001.
- (145) نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين : د حسن خميس سعيد الملخ، دار الشروق، عمان، ط1، 2000.

- 146 نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : د نهاد الموسى، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1980.
- 147 النقد المنهجي عند العرب: د، محمد مندور، درا نَهضة، مصر، 1996.
- 148 نقض كتاب في الشعر الجاهلي: السيد محمد الخضر حسين، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- 149 نمط صعب ونمط مخيف: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، ط1، 1996.
- 150 نهج البلاغة: جمعه ونسق أبوابه: العلامة الشَّريف الرضوي، شرحه وضبط نصوصه: الإمام محمد عبده، مؤسسة المعارف، بيروت لبنان، ط1، 2004.
- 151 الوسيلة الأدبية إلى علوم العربية: حسين المرصفي، تحق: عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية للكتاب، 1982.
- 152 الوظائف التداولية في اللغة العربية: د، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.

ب/ المرجع الأجنبية المترجمة وغير المترجمة:

- 1) الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء: لإدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2، 1984.
- 2) الإسلام في المغرب: ديل إيكلمان، ترجمة: محمد أعيف، الدار البيضاء: دار توبقال، 1989.
- 3) أصول الشعر العربي: ديفيد صمويل مرجليوث، ترجمة وتعليق ودراسة: د، ابراهيم عوض، دار الفردوس، 2006.
- 4) البحث عن فردينان دو سوسير، ميشال أريفيه، ترجمة: أ، د: محمد خير البقاعي، مراجعة: نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1/ 2009.
- 5) البنى النحوية: لناعوم تشومسكي، ترجمة: د، يؤيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، مطبعة النجاح الجديدة، ط 2، 1987.
- 6) التطور النحوي للغة العربية: لجوتفيلف برجستراسر، أخرجه وصحَّحه: د، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994.
- 7) العربية -دراسات في اللغة واللهجات والأساليب - :يوهان فك، تعليق: شبيتالر، ترجمة ودراسة: د، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، بمصر، ط1، 1980.
- 8) علم اللغة العام : لفردينان دي سوسير، ص: 14، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د، مالك يوسف المطلي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.

- 9) اللغة: جوزيف فندريس، ترجمه: محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط 1، 1950.
- 10) مبادئ في اللسانيات العامة: أندري مارتينه، ترجمة: د، سعدي الزبير، دار الآفاق، الجزائر.
- 11) وظيفة الألسن وديناميتها: أندريه مارتينه، ترجمة نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2009.
- 12) Langage :by; leonard Bloomfield, holt, new york.
- 13) De Saussure : Course in general linguistics
- 14) Chomsky : reflexions sur le langage, trad par judith milner et autres ; libraires maspro, paris, 1977.
- 15) André martinet : élément de linguistique générale.

د/ قائمة المجلات والرسائل الماجستير والدكتوراه:

- 1) الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، د، عبد الرحمن الحاج صالح، حوليات جامعة الجزائر، ع6، ج1، 1992.
- 2) الألسنية المعاصرة والعربية: د، رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة الذخائر، العدد الأول، السنة الأولى، 2000.
- 3) بيبليوغرافيا الأعمال اللسانية بالمغرب : عبد النبي سفير، وبنعيسى زغبوش، مجلة معرفية (مجلة دولية متخصصة في العلوم المعرفية والترجمة)، المغرب، عدد مزدوج 3/2، سنة النشر: 1999.
- 4) تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي : جاسم علي جاسم، التراث العربي، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن اتحاد كتاب العرب بدمشق، ع116، كانون الأول 2009.
- 5) أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة : حيدر سعيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1996.
- 6) تشومسكي في عيد ميلاده السبعين: د، حمزة المزيني، صحيفة الرياض، الخميس، 1420/8/25هـ.
- 7) تيسير النحو عند عباس حسن في كتابه النحو الوافي -دراسة وتقويم- عبد الله بن حمد بن عبد الله الحسين، إشراف: رياض خوام، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1431هـ.
- 8) ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير: عز الدين وجدوب، حوليات الجامعة التونسية، ع26، السنة 1987.
- 9) جهود رواد النهضة والمجامع اللغوية في إحياء اللغة العربية وتحديثها في العالم العربي الحديث : توشيوكي تاكيدا، مجلة دراسات العالم الإسلامي، فبراير، 2012.

- 10) الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أيوب : حيدر محمد جبر العبودي، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، بإشراف: الأستاذ الدكتور محمد ضاري حمادي، أيلول 2005.
- 11) الدعوة إلى العامية، أصولها وأهدافها، عبد الله بوخلخال، مجلة الآداب، الجزائر، العدد 1994.
- 12) قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري: د، محمد حسن عواد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع، ع(1/أ)، 2011.
- 13) مجلة اللسانيات، عنوان المقال مدخل إلى علم اللسان: د، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلد 2، العدد 1، الجزائر.
- 14) مدخل إلى علم اللسان الحديث: عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، الجزائر، م 2، 1972، ع 1.
- 15) مراجعات لسانية: د، حمزة بن قبالان المزيبي، ج 2، سلسلة كتاب الرياض، العدد 79، يونيو 2000.
- 16) مع الدكتور شوقي ضيف في مقدمة الردّ على النحاة: د، جميل علوش، مجلة التراث العربي، (د، ت).
- 17) مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة: د، حمزة المزيبي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع 53، السنة الحادية والعشرون، ذو القعدة 1417هـ، ربيع الآخر 1418هـ.
- 18) ملامح التفكير اللساني عند حمزة بن قبالان المزيبي: نعمان عبد الحميد بوقرة، الأثر، ورقلة، 2011، ع 10.
- 19) موت النحو: حمزة المزيبي جريدة الرياض، ثقافة اليوم، 14/8/1419 هـ.
- 20) نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، إعداد: د، يحيى بعبيطيش، إشراف: عبد الله بوخلخال، السنة الجامعية، نوقشت في: 2006/12/07، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات.
- 21) نظرات في كتاب سيبويه: د، نبيل أبو عمشة، مجلة التراث العربي، العدد 94، آذار، 2004.
- 22) نظرية النحو القرآني بين الدلالة اللغوية والدلالة الدينية :أ، لعواش عزيز، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، ع 5، جوان 2009، جامعة محمد خيضر بسكرة.
- 23) د. محمد باباعمي: "نظرية كلّ شيء" بين عجز الفيزياء وتألق الوحي -الأستاذ فتح الله كولن نموذجاً- ، ندوة "نحن نبي حضارتنا" بجامعة محمد الخامس بالرباط - المغرب، الخميس 19 يناير 2012م.

و/ قائمة الروابط:

- ✓ <http://www.raya.com> إطلاق مشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية (25 ماي 2013).
- ✓ <http://majles.alukah.net> عنوان المقال: كبوة سيبويه: د، زينب عبد العزيز:
- ✓ <http://www.majma.org.jo/majma/index> مقال بعنوان: قراءة دلالية في كتاب "جناية سيبويه"
- ✓ <http://blog.fikrconferences.org>، زاوية فكر: مدونة مؤسسة الفكر العربي.
- ✓ <http://aljabriabed.net>، مقال بعنوان: الثقافة العربية في مرآة الآخر.
- ✓ <http://almajma3.blogspot.com> مقال بعنوان: المفاهيم الأساسية للنظرية التحليلية الحديثة.
- ✓ <http://ar.wikipedia.org> ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، (مصطفى جواد).
- ✓ <http://ar.wikipedia.org>، موقع: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، (مصطفى جواد)
- ✓ <http://forsanhaq.com> مقال بعنوان: تيسير النحو العربي بين المحافظة والتجديد (الأستاذ عباس حسن أمودجا): د، حسن مندويل حسن العقيلي، جامعة بغداد، تاريخ الاقتباس: 2015/01/06.
- ✓ <http://iatafl.blogspot.com> مقال بعنوان: تيسير النحو، موضحة أم ضرورة.
- ✓ <http://www.ahram.org.eg> حوار بعنوان: لا بد أن تعود "الكلمة العليا للمفكرين، الأهرام اليومى.
- ✓ <http://www.al-jazirah.com>
- ✓ <http://ar.wikipedia.org> (الإيقاع).
- ✓ <http://www.lissaniat.net>: (منتدى اللسانيات العربية).
- ✓ <http://www.alnoor.se/article>، مقال بعنوان: قراءة في كتاب شظايا لسانية: مراد حميد عبدالله.
- ✓ <http://www.alraeed.net> لقاء مع د. فاضل السامرائي، (2013/13/09)
- ✓ <http://aslimnet.free.fr> أفق اللسانيات.
- ✓ <http://www.alukah.net> مقال بعنوان: مقدمة في نشأة اللغة والنحو.
- ✓ <http://www.majma.org> قراءة دلالية في كتاب "جناية سيبويه": د، ياسين أبو الهيجاء
- ✓ <http://www.ta5atub.com>، مقال بعنوان: كبوة سيبويه: د، زينب عبد العزيز.
- ✓ انظر الرابط: <http://www.voiceofarabic.net>: إستيمولوجيا اللسانيات: حافيط علوي
- ✓ <http://www.wata.cc/forums/showthread> مقال بعنوان: مهدي المخزومي في أنظار الدارسين.
- ✓ <http://www.wijhatnadar.com>، "السمات والوسائط المفاتيح في نحو اللغة العربية".
- ✓ [http://www.maktoobblog.com/ibrahim\\_awad9](http://www.maktoobblog.com/ibrahim_awad9) [http://www.maktoobblog.com/ibrahim\\_awad9](http://www.maktoobblog.com/ibrahim_awad9)
- الكتاب الفضيحة مقدمة في فقه اللغة العربية؟ أم في الجهل والحقد والبهلوانية؟: د، إبراهيم عوض.

هـ/ قائمة المراجع المخطوطة:

- 1) الفيزياء وأحكام اللغة العربية-التعليق والاستدلال-:د. محمد كشاش، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، (مقال مخطوط).
- 2) موقف شوقي ضيف من الدرس النحوي-دراسة في المنهج و التطبيق-:د، علاء إسماعيل الحمزاوي، (مقال مخطوط).

❖ ملاحظة:

يقول أ.د: نهاد الموسى بأنّ "البحث في العربية قد سقط عنه حاجز التخصص الضيق، وأصبحت العربية شأنًا عامًا يتناول القول فيها المتخصص والمعلم والإعلامي والعلمي والسياسي<sup>1</sup>، بل أسقط المتخصصون أنفسهم جدار التخصص المغلق وانفتحوا على فضاء الخطاب الثقافي العام وأصبحت معالجة المسألة اللغوية تتجاوز المؤلفات اللغوية والدوريات الأكاديمية الخالصة إلى المجلات الثقافية والصحافة اليومية والمحطات الفضائية." <sup>2</sup> ومن هنا ترخّصت شيئًا قليلًا في كفيّة الاقتباس والتوثيق من حيث الأخذ (سواء من المخطوطات أو القنوات..الخ)، أما من حيث نسبة الآراء إلى أهلها فقد كنت بالمرصاد لهذا الأمر ولم أترخّص فيه.

<sup>1</sup> وأحسن من تجاوزوا حدود تخصصاتهم وولجوا عالم البحث اللساني قصد تنميته هم المفكّرون أصحاب الرؤية الإرتقائية للقضايا والمشكلات، أمثال علي الجابري، وعلي حرب، وطه عبد الرحمن، وغيرهم، فقد أزاخوا كثير من الغموض الذي يكتنف اللغة العربية وما يتعلق بها، بل هناك من قدّم حلولاً عملية ملموسة ك: محمد فتح الله كولن التركي، في كتابه: "تعليم اللغة العربية بطريقة حديثة"، وإذا أردنا أن نأخذ مثالاً حيّاً نأتي إلى تعريف الكلام فهو من منظور النحاة: اللفظ المركّب المفيد بالوضع، أما عند أبي سليمان المنطقي فإنّه: ينبعث في أوّل مبادئه إمّا من عفو البديهة، وإمّا من كدّ الرويّة، وإمّا أن يكون مركّباً منهما، وفيه قواهما بالأكثر والأقل، فضيلة عفو البديهة أنّه يكون أصفى، وفضيلة كدّ الرويّة أنّه يكون أشفى، وفضيلة المركّب منهما أنه يكون أوفى، وعيب عفو البديهة أن تكون صورة العقل فيه أقلّ، وعيب كدّ الرويّة أن تكون صورة الحسّ فيه أقلّ، وعيب المركّب منهما بقدر قسطه منهما: الأغلب والأضعف، على أنّه إن خلص هذا المركّب من شوائب التكلّف، وشوائب التّعسف، كان بليغاً مقبولاً رائعاً حلوا (..)، وقد يجوز أن تكون صورة العقل في البديهة أوضح، وأن تكون صورة الحسّ في الرويّة الوح إلا أنّ ذلك من غرائب آثار النفس ونوادير أفعال الطبيعة. "الإمتاع والمؤانسة: لأبي حيان التوحّيدي (ت:400هـ)، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1424هـ، ص:249، 250.

ولست أدري لماذا لا تفتح المعابر بين الاختصاصات لخدمة العربية كما كان عند أسلافنا قديماً، أ لعزّة الكمال أم لقصور عقول الرجال!! إنّ من يطّلع على كتب أبي حيان التوحّيدي مثلاً وهو المنطقي المتكلم كيف يلتفت لبعض المسائل اللغوية ليبدلي فيها بدلوه، ليدرك من سرّ قلبه أنّ العربية ما كان لها لتحمل لواء العلم والحضارة إلاّ بعقلية الحوار والتفتح المنضبط لا بعقلية التعصّب الذميمة والانغلاق المشتت، ومن هنا أجدني أفتّح من يقدّم رسالة دكتوراه أكاديميّة جاذبة حول: القضية اللغوية العربية بين رؤية المفكّرين (سواء اجتماعيين أو نفسانيين أو سياسيين أو مناطق..الخ) وطموحات اللسانيين.

<sup>2</sup> اللغة العربية في العصر الحديث-قيم الثبوت وقوى التحول-:د، نهاد الموسى، دار الشروق، عمان، ط1، 2007، ص:32.

# فهرس الموضوعات



الموضوع:

الصفحة:

❖ مقدمة: سبب اختيار "الاجتهادات النحوية المعاصرة بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي"، موضوعا للبحث، -تبيين

نوعية المنهج والطريقة المتبعة في البحث والاستنباط.....أ.

❖ مداخل: وقفات مهمّات في طريق البحث، محاكمة رجال اللغة والنحو في العصر الحديث: دراسة بيلوغرافية

موجزة لبدايات الاجتهاد والبحث في اللغة والنحو.....

أ/ لمحة خاطفة حول التجارب اللسانية الأولى عند المحدثين العرب.

1) التجارب اللسانية الأولى في مصر.....8

2) التجارب اللسانية الأولى في لبنان.....16

3) التجارب اللسانية الأولى في العراق.....21

4) التجارب اللسانية الأولى في المملكة العربية السعودية.....27

5) التجارب اللسانية الأولى في المغرب العربي.....30

ب/ وقفة عند أهم الكتب اللسانية المترجمة التي ساهمت في إخصاب التجربة اللغوية الأولى عند العرب:

1) منهج البحث في اللغة: أنطوان ماييه، ترجمه: محمد مندور، نشره سنة (1946).....38

2) اللغة، لفندريس، ترجمه: محمد القصاص، وعبد الحميد الدواخلي، ونشره سنة (1950).....40

3) البنى النحوية، للاعوم تشومسكي صدر عام (1957)، ترجمه: د، يوثيل يوسف عزيز، وراجعه: د، مجيد الم اشطة،

ونشره سنة (1987)، وهو الكتاب الذي ردّ الاعتبار للنحو العربي من حيث المعنى وما يتعلق به من تعليل وتأويل

وتفسير، الذي أقصاه الوصفيون.....42

4) مبادئ في اللسانيات العامّة، لأ ندرى مارتنيه: صدر عام (1960)، ترجمه: أحمد الحموي، بإشراف: د، عبد الرحمن

الحاج صالح والدكتور فهد عكام، ونشر سنة (1984)، ثم ترجمه ريمون رزق الله في سنة (1990)، ثم بعدها مباشرة

ترجمة د، سعدي الزبير، وهي آخر ترجمة له.....44

ج/ دور الاستشراق اللغوي بحديّه السلبي والإيجابي في تفعيل التجربة اللسانية عند العرب:

1) سلفستر دي ساسي ( 1758-1838) من مؤلفاته "الأنيس المفيد للطالب المفيد" وهو مختارات من أدب العرب

وعلومهم، وهو من كبار أساتذة رفاة رافع الطهطاوي.....52

- (2) أصول الشعر العربي: إدافيد صمويل مرجليوث ، نشره سنة (1925)، أول ترجمة له كانت على يد: د. يحيى الجبوري، سنة (1977)، ثم ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، سنة (1979) الخ.....55
- (3) أوجست فيشر (1865-1949)، مستشرق ألماني صاحب مشروع "المعجم اللغوي التاريخي".....57
- (4) التطور النحوي للغة العربية: جوتيلف برجستراسر، مجموعة محاضرات أُلقيت في الجامعة المصرية سنة (1929).....59
- (5) العربية-دراسات في اللغة واللهجات والأساليب-: يوهان فك، ترجمه: عبد الحليم النجار، ونشره سنة (1951)، وهو من أشهر كتب المستشرقين الموضوعيين الذين أنصفوا العربية.....60
- د/ إطلالة مختصرة حول حركة تيسير النحو عند المحدثين: من حفني ناصف وآخرون، أصحاب "الدروس التَّحوية"،

ظَهَرَ عام (1887) إلى شريف الشوباسي: "لتحيا اللغة العربية يسقط سيويه"، نشره سنة (2004).

أ/ وقفة عن أبرز الكتب التيسرية التعليمية حديثا.

- (1) حفني ناصف وآخرون، من خلال كتابهم "الدروس التَّحوية"، ظَهَرَ عام (1887).....62
- (2) علي الجارم ومصطفى أمين، النحو الواضح، نشره سنة (1949).....64
- (3) عبد العليم إبراهيم- النحو الوظيفي، نشره سنة (1970).....66

ب/ وقفة عند بعض الدراسات التهكمية.

- (1) حمزة بن قبلان المزيني: -موت النحو، مقال نشره سنة (1997).....67
- (2) أحمد درويش:-إنقاذ اللغة من أيدي النحاة- نشره سنة (1999).....69
- (3) زكريا أوزون:- "جناية سيويه، الرفض التام لما في النحو من أوهام"، نشره سنة (2002).....72
- (4) شريف الشوباسي:- "لتحيا اللغة العربية يسقط سيويه"، نشره سنة (2004).....73

الفصل الأول: النحو العربي بين الربع الأول من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلادي

أ/ محطات لا بدّ منها عند بدايات التجديد في الدرس النحوي وفي الدرس الأدبي العربيين:

- (1) البداية المجهولة في تجديد الدرس النحوي كانت مع جرمانوس فرحات (1670-1732) في كتابه: "بَحْثُ المَطَالِبِ فِي علم العربية"، ألفه سنة (1707).....77
- (2) حسين المرصفي:- الوسيلة الأدبية لعلوم العربية، نشره سنة (1871).....82
- (3) وقفة مع عباس محمود العقاد وعبد القادر المازني، من خلال كتابهما "الديوان"، نشره سنة (1921).....85

- 4) وقفة عند كتاب: "في الشعر الجاهلي"، لطفه حسين، الذي سلخ به اللغة من جلدها، وكان له أثر جدّ سلبى على علوم العربية كلّها، الطبعة الأولى كانت سنة (1927)..... 88
- 5) وقفة مع أبي فهر محمود محمد شاكر، من خلال كتابه: "المتني"، نشره سنة (1936)..... 95
- 6) وقفة مع لويس عوض، من خلال كتابه المصادر أكثر من عشرين سنة، مقدمة في فقه اللغة، نشره سنة (1981).... 101

ب/ محطات خفيفة عند أبرز دعاة الأصالة الذين ردوا على دعاة التجديد والتجريد في النحو:

- 1) محمد أحمد عرفة:- "النحو والنحاة بين الجامعة والأزهر"، نشره سنة (1937)..... 108
- 2) أحمد محمد شاكر في كتابه:- "الشرع واللغة"، نشره سنة (1945)..... 112
- 3) علي النجدي ناصف في كتابه:- سيويه إمام النحاة، نشره سنة (1953)..... 117
- 4) مصطفى صادق الرافعي:- "تحت راية القرآن الكريم"، نشره سنة (1953)..... 121
- 5) عبد السلام هارون، في مقاله:- "حول التيسير"، نشره (1968)..... 127
- 6) محمد عبد الخالق عزيمة في مقاله:- "النحو بين التجديد والتقليد"، نشره سنة (1976)..... 131
- 7) محمود محمد الطناحي في مقاله: "النحو العربي والحمى المستباح" (2ج)، نشره سنة (1996)..... 139

الفصل الثاني: أهم المشاريع النحوية المنجزة لكبار اللغويين العرب في حاضرة اللسانيات الحديثة.

- 1) إبراهيم مصطفى في كتابه:- "إحياء النحو"، نشره سنة (1937)..... 146
- 2) مهدي مخزومي في كتابه:- "في النحو العربي نقد وتوجيه"، نشره سنة (1964)..... 155
- "في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج الحديث"، (1966).
- 3) شوقي ضيف في كتبه الثلاث:- مقدمته في تحقيقه كتاب: "الردّ على النحاة"، نشره سنة (1947)..... 163
- "المدارس النحوية"، نشره سنة (1968).
- "تجديد النحو"، نشره سنة (1982).
- 4) تمام حسان بين كتابه:- "العربية معناها ومبناها"، نشره سنة (1973)..... 173
- "الأصول:- النحو. فقه اللغة. البلاغة-، نشره سنة (1981).

- 5) أحمد المتوكل في مشروعه: -"النحو الوظيفي" الذي يقوده منذ سنة (1985).....184
- 6) عبد الرحمان الحاج صالح:

في: -"النظرية الخليلية"، التي نال بها جائزة الملك فيصل العالمية سنة (2010).....197

الفصل الثالث: دراسات واجتهادات نحوية ولغوية أخرى جديدة بالتعريف والطرح بين النظرية والفرضية.

- 1) عبد الرحمن أيوب، في كتابه: -"دراسات نقدية في النحو العربي"، نشره سنة (1957).....208
- 2) أحمد عبد الستار الجواربي: -نحو التيسير، نشره سنة (1962).....214
- 3) عبد الصبور شاهين في كتابه: "المنهج الصوتي للبنية العربية"، نشره سنة (1980).....222
- 4) حماسة عبد اللطيف، في كتابه: "العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث"، نشره سنة (1984).....209
- 5) عز الدين مجدوب، في كتابه: -"المنوال النحوي العربي"، نشره سنة (1998).....237

الفصل الرابع: سفراء النحو العربي في النظريات اللسانية الغربية المعاصرة.

- 1) نهاد الموسى في كتابه: -"نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث"، نشره سنة (1980).....246
- 2) ميشال زكريا في كتابه: "الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، نشره سنة (1982)، و"الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، نشره سنة (1983).....252
- 3) عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه: "اللسانيات واللغة العربية"، نشره سنة (1985).....259
- 4) مازن الوعر في كتابه: "نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية"، نشره سنة (1987).....267
- 5) حسن خميس الملح في كتابه: -"التفكير العلمي في النحو العربي"، نشره سنة (2002).....275
- "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي"، نشره سنة (2007).....279

الفصل الخامس: بعض الاجتهادات النحوية لبعض دعاة الأصالة والتوسط بين التريدي والاستشراف.

- 1) عباس حسن في كتابه: -"النحو الوافي"، نشره سنة (1960).....284
- "اللغة والنحو بين القديم والحديث"، نشره سنة (1966).

- 2) أحمد سليمان ياقوت في كتابه: -"ظاهرة الإعراب في النحو العربي"، نشره سنة (1981).....292

3) فاضل صالح السامرائي في كتابه: - "معاني النحو"، نشره سنة (1989)..... 298

4) يوسف الصيداوي في كتابه: - "الكفاف"، نشره سنة (1999)..... 305

5) فخر الدين قباوة في كتابه: - "مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء"، نشره سنة (2001)..... 312

الفصل السادس: آفاق المصاهرة بين النحوي العربي والدرس اللساني الحديث "آراء ومواقف".

1) موقف المجوزين: - عبده الراجحي في كتابه: "النحو العربي والدرس الحديث"، نشره سنة (1979)..... 321

■ حمزة المزيني في بحثه: "مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة"، نشره سنة (1997)..... 327

2) موقف المانعين: - محمد محمد حسين في كتابه: "مقالات في الأدب واللغة"، نشره سنة (1986)..... 334

■ رشيد العبيدي من خلال بحثه: "الألسنية المعاصرة والعربية"، نشره سنة (2000)..... 338

3) موقف المتوسطين: - إبراهيم السامرائي في كتابه: "النحو العربي في مواجهة العصر"، نشره سنة (1995)..... 342

- عبد السلام المسدي في كتابه: "العربية والإعراب"، نشره سنة (2010)..... 348

❖ موقفي من معادلة النحو ≠ اللسانيات؟..... 355

خاتمة (نتائج واقتراحات وتوجسّ وتساءلات):..... 362

قائمة المصادر والمراجع:..... 375

## ملخص بالعربية:

**الكلمات المفتاحية:** (اللغة - النحو - اللسانيات - الفكر - الوصف - التحليل - النقد - المقارنة)

تعالج هذه الأطروحة قضايا التفكير اللساني في الثقافة العربية الحديثة، فهي دراسة فكرية تحليلية للقلق المتزايد حول القضية اللغوية العربية حديثاً، فلقد حاولتُ توصيف تراكم الدراسات اللغوية الحديثة التي دارت حول العربية ، دون تنقّصٍ أو مزايدة، وتصنيفها في بابات وحقول، ولقد ركزت كثيراً على توضيح النوازع والخلفيات التي تحكمت في هذه الدراسات، وكما تمّ تقديم بعض الحلول والتنبيهات وإنتاج بعض الأسئلة، وكلّ ذلك بما تيسّر من التقدير وتقدير من التيسير، أما النتائج فقد صغتها في شكل اقتراحاتٍ واستطلاعاتٍ وتساءلاتٍ.

## Résumé en français:

Cette thèse traite les questions de la pensée de la culture arabes modernes, c'est une étude intellectuelle et analytique des récentes préoccupation croissantes sur la linguistique arabe, on a essayé décrire l'accumulation des études sur les langues modernes, qui tournaient autour de la langue arabe, et les classé dans les champs, on a mis l'accent sur la clarification des impulsions et les références qui ont envelopper ces études, et aussi on proposé quelques solutions et tensions et inteduire des questions, a qui concerne les résultats on les a forme sous des suggestions et de questions et propositions.

## English summary:

This thesis addressed lingual thinking in modern Arab culture issues. It is an intellectual and analytical study of the growing concern about the newly Arabic language issue, and it has tried to describe the accumulation of the modern language studies, which revolved around the arab characterization, and has been classified in fields. We have focused very much on clarifying impulses that controll these studies. As well as, some solutions and alerts have been provided, and some questions has been asked, and results were shown in the form of suggestions and questions.

## "الاجتهادات النحوية المعاصرة بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي"

-دراسة فكرية تحليلية لأشهر المشاريع المنجزة في القضية النحوية-

أطروحة دكتوراه منجزة في تخصص: "الدراسات النحوية والبلاغية في ظلّ مناهج البحث الحديث".

**إشراف الأستاذ الدكتور:**

**إعداد الباحث:**

- عبد الجليل مرتاض.

الخثير داودي

يخطئ من يتخيّل أن المعرفة البشرية أجزاء مفرّقة لا يأخذ بعضها بطرف بعض، فالتصور الصحيح للعلم أنه في حالة تفاعل مستمر لا يفتر طرفه عين ، وهذا على مستوى الباطن، ولكن هذا التفاعل الباطني لا يتجلى إلا لفحول النظّار الذين يمارسون باستمرار: الفكر، والنقد، والتفكير. ولهذا حاولت قد الإمكان والمستطاع ذكر تاريخ النشر لأيّ كتاب تناولته، الذي ظهر فيه أوّل مرة على وجه الدقة، وذلك لأنّ الكتب المهمّة يمثل تاريخ ظهورها أوّل مرة حدثا لغويا مهمّا، له تأثيره على التفكير اللساني، مثال ذلك، يعتبر كتاب: "الديوان"، لعباس محمود العقاد وعبد القادر المازني، الذي نشره سنة (1921)، من أوّل الكتب التي حرّكت التفكير اللغوي في الثقافة العربية الحديثة في القرن العشرين.

- ثم جاء بعده كتاب: "في الشعر الجاهلي"، لطف حسين، الذي ظهر سنة 1927 ؛

- ثم جاء بعده كتاب: "المتنبي"، لأبي فهر محمود شاعر، ظهر سنة 1936 ؛

- ثم جاء بعده كتاب: "إحياء النحو"، لمصطفى إبراهيم، الذي ظهر سنة 1937 ؛

- ثم جاء بعده كتاب، تحقيق: "الردّ على النحاة"، لشوقي ضيف، الذي ظهر سنة 1947.

- ثم جاء بعده كتاب: "دراسات نقدية في النحو العربي"، لعبد الرحمن أيوب، الذي ظهر سنة

1957، وهو متزامن مع كتاب البنى النحوية، للاعوم تشومسكي في ظهوره؛

- ثم جاء بعده كتاب: "في النحو العربي نقد وتوجيه"، لمهدي مخزومي، الذي ظهر سنة 1964؛

- ثم جاء بعده كتاب: "اللغة العربية معناها ومبناها"، لتّمّام حسان، الذي ظهر سنة (1973).

أما التلخيص البانورامي لهذه الأطروحة، فقد جاءت في ستة فصول تسبقهما مقدمة ومدخل

وتلحقهما خاتمة على شكل نتائج واقتراحات وتساءلات.

■ أما المدخل: فقد عاجلت فيه التجارب اللسانية الأولى في الثقافة العربية الحديثة، في مصر، ولبنان،

والعراق، والمملكة العربية السعودية، والمغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب الأقصى)؛

- وكما تمّ التعريف بأهم الكتب اللسانية المترجمة التي ساهمت في إحصاب التجربة اللغوية

الأولى عند العرب؛

- وكذلك تمّ التعريف بدور الاستشراق اللغوي بحدّيه السلبي والإيجابي في تفعيل التجربة اللسانية

الأولى عند العرب؛

- ثمّ إطلالة مختصرة حول حركة تيسير النحو عند المحدثين : من حفني ناصف

صاحب: "الدروس النحوية"، الذي ظهر سنة 1887، إلى شريف الشوباسي صاحب: "لتحيا

اللغة العربية يسقط سيويه"، الذي ظهر سنة 2004.



■ أما الفصل الأول: فقد عاجلت فيه النحو العربي بين الربع الأول من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن العشرين، بحيث تم التطرق إلى البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوي التي كانت مع جرمانوس فرحات، صاحب كتاب "بحث المطالب في علم العربية" الذي ألفه سنة 1707، وهذه الحقيقة يجهلها أكثر لسانبي القرن العشرين، بحيث كانوا يرون بداية تجديد الدرس النحوي كانت مع "رفاعة الطهطاوي" في كتابه: "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية"، الذي ظهر سنة 1868، ثم وقفة خفيفة عند أبرز دعاة الأصالة الذين ردوا على دعاة التجديد في النحو:

■ أما الفصل الثاني: فقد عاجلت فيه أهم المشاريع النحوية المنجزة لكبار اللغويين العرب في حاضرة اللسانيات الحديثة، مع:

- إبراهيم مصطفى في كتابه: - "إحياء النحو"، نشره سنة (1937).

- مهدي مخزومي في كتابه: - "في النحو العربي نقد وتوجيه"، نشره سنة (1964).

- "في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج الحديث"، (1966).

- شوقي ضيف في كتبه الثلاث: - مقدمته في تحقيقه كتاب: "الردّ على النحاة"، نشره سنة

(1947)، و"المدارس النحوية"، نشره سنة (1968)، و"تجديد النحو"، نشره سنة (1982).

- تمام حسان بين كتابيه: - "العربية معناها ومبناها"، نشره سنة (1973)، و"الأصول"، نشره سنة (1981).

- أحمد المتوكل في مشروعه: - "النحو الوظيفي" الذي يقوده منذ سنة (1985).

- عبد الرحمان الحاج صالح في: - "النظرية الخليلية"، التي نال بها جائزة الملك فيصل العالمية سنة (2010).

■ أما الفصل الثالث: فقد عاجلت فيه دراسات نحوية ولغوية أخرى مع:

- عبد الرحمن أيوب، في كتابه: - "دراسات نقدية في النحو العربي"، نشره سنة (1957).

- أحمد عبد الستار الجواري: - نحو التيسير، نشره سنة (1962).

- عبد الصبور شاهين في كتابه: "المنهج الصوتي للبنية العربية"، نشره سنة (1980).

- حماسة عبد اللطيف، في كتابه: "العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث"، نشره سنة (1984).

- عز الدين مجدوب، في كتابه: - "المنوال النحوي العربي"، نشره سنة (1998).

■ أما الفصل الرابع: فقد عاجلت فيه سفراء النحو العربي في النظريات اللسانية الغربية المعاصرة، مع:

نهاد الموسى في كتابه: - "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث"، نشره سنة (1980).

- ميشال زكريا في كتابه: "الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)،

نشره سنة (1982)، و"الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، نشره سنة (1983).

- عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه: "اللسانيات واللغة العربية"، نشره سنة (1985).

- مازن الوعر في كتابه: "نحو نظرية لسانية عربية حديثة"، نشره سنة (1987).

-حسن خميس الملخ في كتابه: -"التفكير العلمي في النحو العربي"، نشره سنة (2002).

- "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي"، نشره سنة (2007).

■ أما الفصل الخامس: فقد عالج فيه بعض الاجتهادات النحوية لدعاة الأصالة والتوسط، مع:

- عباس حسن في كتابه: "النحو الوافي"، نشره سنة (1960)، و"اللغة والنحو بين القديم

والحديث"، نشره سنة (1966).

- أحمد سليمان ياقوت في كتابه: -"ظاهرة الإعراب في النحو العربي"، نشره سنة (1981).

- فاضل صالح السامرائي في كتابه: -"معاني النحو"، نشره سنة (1989).

- يوسف الصيداوي في كتابه: -"الكفاف"، نشره سنة (1999).

- فخر الدين قباوة في كتابه: -"مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء"، نشره سنة (2001).

■ أما الفصل السادس: فقد عالج فيه آفاق المصاهرة بين النحو العربي والدرس اللساني الحديث ؛

- موقف المجوزين: مع عبده الراجحي في كتابه: "النحو العربي والدرس الحديث"، نشره سنة

(1979)، وحمزة المزيني في بحثه: "مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة"، نشره سنة

(1997).

-موقف المانعين: مع محمد محمد حسين في كتابه: "مقالات في الأدب واللغة"، نشره سنة

(1986)، ورشيد العبيدي من خلال بحثه: "الألسنية المعاصرة والعربية"، نشره سنة (2000).

- موقف المتوسطين: مع إبراهيم السامرائي في كتابيه: "النحو العربي في مواجهة العصر"، نشره سنة

(1995)، وعبد السلام المسدي في كتابه: "العربية والإعراب"، نشره سنة (2010).

❖ وأخيرا، موقفي من معادلة النحو ≠ اللسانيات؟

أما الخاتمة، فقد كانت عبارة عن نتائج واقتراحات وتوجّس وتساءلات، منها مايلي:

- انفتح باب الفتنة في الهجوم على النحو حديثا مع كتابين، الأول: "إحياء النحو"، لمصطفى إبراهيم، الذي نشره سنة 1937، والثاني: تحقيق "الردّ على النحاة"، لشوقي ضيف الذي نشره سنة 1947، ثم وجدنا ملاحظات نقدية جزئية مع أنيس فريجة، ثم تطورت هذه الملاحظات عبر الزمن لتصبح هجوما صارخا على النحو والنحاة، مع زكريا أوزون في كتابه: "جناية سيويه"، والشريف الشوباسي في كتابه: "لتحيا اللغة العربية يسقط سيويه".

- أغلب الذين اجتهدوا اجتهادا مضادا لا نفع فيه، كانوا متأثرين:

- إماما بآراء قطرب (ت: 206هـ) في إنكاره دلالة الإعراب على المعنى ؛

- وإماما بآراء ابن مضاء القرطبي (ت: 592هـ) صاحب "الردّ على النحاة" ؛

- وإماما بآراء ابن رشد القرطبي (ت: 594هـ) صاحب "الضروري في صناعة النحو" ؛

- وإماما بآراء ابن حزم (ت: 456هـ)، الذي أنكر القياس، والعلل، وسنة تفاضل اللغات ؛

- وإماما بآراء الدراسات الوصفية الحديثة التي عيّبت النحو الأروبي التقليدي.

- إنّ أسباب الاختلاف في الكتابات اللسانية الحديثة هو أمر أكثر من عادي، لأن هؤلاء اللسانين

العرب:

-منهم من كان منطلقه فيرثي (جون روبرت فيرث) كتمام حسان ؛

-ومنهم من كان منطلقه خليلي ( الخليل بن أحمد الفراهيدي) كعبد الرحمن الحاج صالح ؛

-ومنهم من كان منطلقه تشومسكاوي كعبد القادر الفاسي الفهري.

■ هناك عقليتان بحثيتان في الكتابة اللغوية العربية الحديثة:

-عقلية أصولية حروفية لا تستطيع أن تستوعب العلاقة التلازمية بين اللغة والدين والثقافة وربما

حتى العرق ؛

-وعقلية كتابية استيعابية استوعبت هذه العلاقة، وأحسنت التسمّع لدخائل اللغة ومفهوم

الإنسان داخل المجتمع.

-أجدني قليل الإعجاب بقضية علمية اللسانيات الموغلة في الصورة والتذير، التي كادت أن تفرغ

اللغة من جانبها الإنساني والنفسي، فيكفي في علمية علوم اللسان الموضوعية، والشمول،

والتماسك، والإقتصاد، فأما إذا بالغ الباحث في تحميل خصائص أخرى لعلم اللسان فهذا

تصوّر خاطئ لخصوصية هذا العلم.

■ لقد وجدنا مواقف الباحثين من معادلة النحو = أو  $\neq$  اللسانيات ثلاثة مواقف:

-موقف المانعين الاكتفائيين تلخّصه مقولة "ما ترك الأول للآخر شيئاً" ؛

وموقف المجوزين تلخّصه مقولة: "لا يزال الناس بخير ما بقي الأول يتعلّم منه الأخير" ؛

-وموقف المتوسطين تلخّصه مقولة: "من ليس له قديم ليس له جديد".

- أما **موقفي** ، فقياسا على مقولة **بيجوفتش** الفيلسوف الإسلامي **بوسني**، عندما يقول

فيها: "الإنسان ليس مُفصَّلاً على **طراز** **داروين**، كما أنّ الكونَ ليسَ مفصَّلاً على **طراز** **نيوتن**"،

فكذلك اللغة فليست مفصلة بالضرورة على **بنوية دي سوسير**، ولا **سلوكية بلومفيلد**، ولا

توليدية **تشومسكي**.

■ إنّ نوعيّة العلاقة العلمية التي يجب أن تكون بين النحو واللسانيات، فهي علاقة فكرية فلسفية إبحائية،

وليست علاقة تابع ومتبوع، فهذه علاقة غير علميّة بالمرّة.

■ **وختاماً**: فكلّ الذي كتبه في هذه الرسالة هو عبارة توصيف وتصنيف وتأشير وتحرير فحسب، وليس

تفصيلاً لكلّ شيء، لأنّي لم أبحث في جزئية لسانية صغراوية لأحيط بها علماً، ولهذا فصعب جداً

استيفاء البحث بكلّ جزئيات قضاياها المعالجة، وقد وجدنا من الباحثين من قدّم أكاداسا من البحوث

في سبيل خدمة مشروعه اللغوي ؛

● إذا قال **عبد السلام المسدي** عن أطروحته:-التفكير اللساني في الحضارة العربية- "هذا

الكتاب مراهنة على مشروع حضاري فكري إذا تحقّق تسيّ للذات العربية أن تضع غداً علمياً

لها ولمن سواها" ؛

✓ **فإني أقول** عن أطروحتي بثقة الباحث الذي عانى مشكلات بحثه، بأنها قد أثبتت نتيجةً مخيفةً

لأعداء العربية، وهي: أنه ثبت بعد سبعين سنة من المقاربات بين علوم العربية واللسانيات العامة،

أنّ اللغة العربية رغم الفردات والمواضع التي تتمتع بها، قد اتسعت بدرجات متفاوتة لخمس مدارس

لسانية غربية، واحتوتها في أغلب طروحاتها وفهومها، واحتوتها أحياناً حتى ببعض تفصيلاتها

التدريسية.

- فقد اتّسعت لطح اللسانيات البنيوية التي تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها ؛

- واتّسعت لطح اللسانيات السلوكية التي تعتبر اللغة خاضعة لقانون المثير والإستجابة ؛

- واتّسعت لطح اللسانيات التوليدية التي ترى أنّ النحو هو قواعد ذهنية في صورة ملكة

بيولوجية، وعلى اللسانيات أن تعنى بصورتها وصوغها في إطار نموذج صوري ؛

- واتّسعت لطح اللسانيات الإنجليزية التي ترى أن الكلام حدث كلامي وليس مجرد قول

منطوق، فاللغة جزء مهم من المسار الإجتماعي إنها الرصيد الثقافي والإجتماعي.

- واتّسعت لطح اللسانيات الوظيفية التي تهتم بالقدرة التواصلية المتكاملة التي تعتمد على مجموعة

من الكفايات، كالكفاية المعرفية، والكفاية اللغوية، والكفاية الإدراكية، والكفاية المنطقية.

✓ وبجملّة واحدة فقد اتّسعت اللغة العربية:

- للسانيات الأوروبية التي غايتها خدمة الركام اللغوي والأدبي والأسلوبي والنقدي والإنساني ؛

- واتسعت اللسانيات الأمريكية التي غايتها خدمة البحوث الطبيعية (كالبيولوجية والفيزيائية

والرياضية..)، والبحاث التكنولوجية (كالهندسية والإلكترونية).

ومازالت تواصل! وهذا يعني أنّ لها مؤهلات اللسان الأنموذج الأوفى المقتدر على مواجهة الإكراه التقني

التكنولوجي، وبهذه الكفاءة البنيوية تستطيع قيادة قاطرة العلوم والمعارف والفنون.

## **Summary of the introduction in English:**

How the idea comes?

It is true that man doesn't think only if there are impulses, to respond to the interrogations of his mind or the filings of his hart or the ambitions of his soul, because the intensity of the impulsion is the first forward of reasoning to find solutions or to invade the unknown!

My impulsion in this subject is to know the reasons of the preponderancy and the diversity of these linguistic researches in the modern Arabic culture.

In deed, the linguistic researches are so preponderant to reach the accumulation, some of them with deep comprehension and others with a lot of illusion. Those with deep comprehension are because of the deepness and the ampleness of Arabic, and those with a lot of illusion are because of the deterioration of the intellectual conception of Arabic science.

The subject of the memoire is very important and deserves the scientific adventure, because it searches in linguistic and



grammatical issues that the linguists remain perplex in front of some of them! Namely:

- The creation of language
- The factor theory
- The analysis issue
- The relation between thought, language, culture and religion
- The relation between grammar and linguistics

Arabic science, starting from the eighties of the twenty's century, has taken a new orientation opposite to what it was, by the hand of serious Arabic linguists who searched, wrote and translated, using different cultural resources and divers intellectual conceptions about every thing, that is why we find:

- Some of them is working on applied linguistics
- Some of them is specialized in psychological linguistics
- Others are interested in anthropological linguistics
- Some of them is taking the road of social linguistics

- Some of them is specialized in biological and neural linguistics
- Others study mathematical linguistics
- And some of them is oriented to accountancy linguistics

All that is the consequence of a civilized dialogue between the occident and us, about language and linguistics.

But if you think about these modern linguistic writings and if you look to them as a watcher thinker, you will not realize any more that one book could replace a thousand of books, as the book \* Grammar meanings \* of SAMERAI by which he saved the Arabic from ruins, and found with it the edifice of language and reinforced with it the column of the metaphor.

However some of these books are totally the opposite, because of the lashings of the pretenders in the linguistic research, we find a cumulus of linguistic studies that pretends the creativity and the innovation, but it appears useless in the test time, nor in the scientific level neither in the teaching level.

- **Concerning the method** of this study characterized by: the modern grammatical diligences between the linguistic fact and the mental logic. It is a mental study based on description, analysis and critic, and I said a mental study that the real goal is searching the influences, the motivations and the backgrounds.
- The difficulty that I met in this subject is the ambiguity of some of modern Arabic linguistic speeches.

Nevertheless, the memoire is composed of six chapters preceded by an introduction and a preface and followed by a conclusion in the form of results, suggestions and questions.

- **The preface:** I treated the first linguistic experiences in the modern Arabic culture, in Egypt, Lebanon, Iraq, The Saudi Arabic Kingdom, and Arabic Maghreb (Tunisia, Algeria, Morocco)

- **The first chapter:** I treated the Arabic grammar between the first quarter of the eighteenth century and the first half of the twentieth century.
- **The second chapter:** I treated the most important grammatical projects realized by the most famous Arabic linguists in the metropolis of modern linguistics, with: Ibrahim Mustafa, Chaouki Daif, Mehdi Makhzoumi, Tamam Hassen, Ahmed Moutaouakil, and Abderrahmane Hadj Salah.
- **The third chapter:** I treated other linguistic and grammatical studies with: Abderrahmane Ayoub, Ahmed Abdessettar El Djiouari, Azzedine Medjdoub, Hemassa Abdellatif, and Abdessabor Chahine.
- **The fourth chapter:** I treated the ambassadors of Arabic grammar in the modern occidental linguistic theories, with: Michel Zakaria, Abdelkader El Fassi El Fahri, Mazine El Wair, Hassan Khamis El Melekh and Nihad El Moussa.

- **The fifth chapter:** I treated some grammatical diligences of some heralds of authenticity and mediation, with: Abbes Hassan, Ahmed Suleiman Yakout, Fakhereddine Kabaoua, Youcef Saidaoui, and Fadel Salah Samerrai.
- **The sixth chapter:** I treated the alliance horizon between Arabic grammar and modern linguistic lesson.

**And a conclusion** in the form of suggestions, reconnaissance and questions.

Those who preceded me in the study of this field are so many, some of them: Azzedine Medjdoub from Tunisia, Mustafa Ghalfene from Morocco, and Hafed Ismaili Aloui in the Doctorate of “Linguistics in modern Arabic culture” from Morocco, and Ata Mohamed Moussa from Jordan in his book: « Methods of grammatical lesson in Arabic world in the twentieth century », published in 2002.

Our aim is to diagnostic the fact of Arabic linguistic research nothing more, and to classify its writings in fields and sections,

and to study it mentally and analytically, infiltrating in the detection of trends that controlled pens of searchers, because each linguist has his civilized concept and his cultural resource and his religious training.

## Summary of the conclusion in English:

- The commotion door is opened in the grammar attack recently with two books, the first: « Vitalization of grammar », of Mustafa Ibrahim, published in 1937, and the introduction « Respond the grammarian» of Chaouki Daif , published in 1947, and we find partial critical observations with Anis Fariha, then these observations were developed through time, so the grammar attack became flagrant.
- The cognizance of the facilitators observers in the science of grammar and synthesis are finished, their expressions have been perfected and their sections have been classified, and there is no sense if a professor or a writer makes a book about the management of grammar because that is done in the twentieth century, starting from Morocco arriving to Iraq, but the importance is who teaches it.
- « The clear grammar » is enough scientifically for the unspecialized, but the specialized is chosen for his doctrine,

nevertheless he is obliged to not to cross the field of the authentic patrimonial linguistic school.

- Most of those who dig oppositely and unnecessarily were influenced by:
  - The opinions of **Kotrob** (D: 206 H) in his denying of the analysis signification on the meaning.
  - The opinions of **Ibn Madae Elkortobi** (D: 592 H) the titular of \*Respond to grammarians\*
  - The opinions of **Ibn Roched Elkortobi** (D: 594 H) the titular of \*The necessary in the industry of grammar\*
  - The opinions of **Ibn Hazem Dahiri** (D: 456 H) who denied the analogy and the norm of differential between languages
  - Or influenced by descriptive recent studies that defected the traditional European grammar.
- The Doctor Youcef Saidaoui has given a definitive solution to the problem of the facility of grammar in his book



**\*ELKAFEF\*** that he published in 1999, he wrote about all what was said in the facility mater. This book is still with an unknown destiny in the modern Arabic culture, he distinguished between analysis and grammar and he said that grammar cant be facilitated, and he was the first who presented grammar as : grammar started from \*that's what Arabs said\* and stopped on \*that was not said by Arabs \_\*, but grammar is a mind travel in these rules.

- The reasons of the differences in the modern linguistic writings is a normal thing, because those Arabic:

- Some of them were **vertian** (Jon Robert Vert) as Tammam Hassan
- Some of them were **Khalili** as Abderrahmane Hadj Salah
- Some of them were **Chomeskian** as Abdelkader Elfassi Elfahri
- Others were **Saussurian** as Bloomfield
- And some of them were **Decartian** as Chomsky

- The theory of \* presumption unit\* of Tammam Hassan has proved the abstract organic relationship in Arabic itself between the sound, the letter, the noun, the verb, the sentence, the constructions, the styles, the paragraph and the text.
- There are two mentalities of research: **literal textual fundamentalist mentality** that can't enclose the inevitable concomitant relationship between language, religion and culture, because it understands very well the labyrinth of the language and the society and man concept.
- If Arabic students are bored in the class rooms of the grammar of Ibn Malek millennium, because of its complexity, how about the complexity of functional grammar which is still hypothetical without applied studies that integrate it in the real examples.
- In the scientific language science we just have to observe, to analyze, to classify, to induct, to control and to suppose, these characteristics are enough in the scientific language

science. But if the searcher exaggerates in the loading of other characteristics to the language science, so this is a wrong conception of the language science privacy.

- We should count on Koran mention and on this linguistic research to solve the linguistic problems, because all sciences are ambiguous, so counting on Koran mention to solve the linguistic problems will reduce a lot of searchers efforts.
- The secret of a successful teaching is the one that is based on the ancient Chinese adage that said: \* Tell me I will forget, show me I will remember, **thank me I will understand**\*
- Language is the echo of thought, and thought is the voice of mind, hart, soul and spirit: the mind is the light, the hart is a second mind, the soul is a puff from God, and from here comes the difficulty of the explanation of language in the secret of its pronunciation and the secret of its demonstration.
- Arabic needs specific diligences with killer search, to try to know what comes from the horizon

- The language conception has been enlarged in the linguistic development because language is not just an instrument of communication, but it is an instrument of thought, of economy, of enjoyment, of discovery and of solving problems and reform ...ect
- Language is the main subject of even grammar science and language science, from here comes the legitimacy of alliance and its methodological necessity. The satisfaction situation has no place in the reaction era and it is refused by the lived linguistic reality, so we have to remove Arabic science from the museum contour to the word of description, analysis and dialogue, and to reform it according to the old data and to modern development examples and its creative discoveries.
- We find the positions of the searchers concerning the grammar equation  $\neq$  linguistics are three positions:
  - **The preventives satisfiers' position**
  - **The passers position**

**- The mediums position**

- **Concerning my position**, I see that Arabic language is not necessary detailed according to what said Saussure construction or Bloomfield behavior neither Chomsky generation.

- The quality of scientific relationship must be between grammar and linguistics, it is a suggestive philosophic mental relationship, and not a followed and follower relationship, because it is not a scientific relationship at all.

- Arabic grammar has a considerable scientific level, and he who wants to be sure, has to read the book \* Scientific thought in Arabic grammar\* of Hassan Khamis Elmelekhe, published in 2002

- If Abdessalem Elmesdi said in his memoire : -Linguistic thought in Arabic civilization- “ this book is a bet on a mental civilizing project, if it will be realized, so Arabic ego could put a scientific tomorrow for itself and for others “

✓ So I say about my memoire, with the trust of the searcher who suffered from his research problems, that it proves an occult result to the enemies of Arabic, which is: after seventy years of approaches between Arabic science and general linguistics is it proved that Arabic language has been enlarged in different levels, to five strange linguistic schools :

- It has been enlarged to pose **structural linguistics** that studies the language itself and for itself.

- It has been enlarged to pose **behavioral linguistics** that considers language as acquired talking habits only, which are submitted to the law of the exciting and the response, because language is one form of human behavior as eating and sleeping.

- It has been enlarged to pose **generative linguistics** that sees that grammar are mental rules in an image of a

biological queen, and linguistics has to be about its image and must formulate it in a simulated model.

- It has been enlarged to pose **English linguistics** that sees that talk is a talk event and not just a pronounced saying, because language is an important part of the social trajectory it is the cultural and the social account that induces to understand the meanings in their concepts.

- It has been enlarged to pose **functional linguistics** that is interested in the complementary communicative capacity which is based on a combination of adequacies, as knowledge adequacy, language adequacy, consciousness adequacy and reasonable adequacy.

# إشكيلة الآداب في اللغة والأدب

مجلة محكمة سنوية - تصدر عن وحدة اللغويات والأدب بكلية الآداب  
جامعة الجزائر - علم بالدراسات العربية واللغوية بكلية الآداب والعلوم  
الإنسانية



- مدخل إلى اللغة الأمازيغية - قراءة في قواعد من التراث اللغوي  
د. عبد الحفيظ حناور
- موقف الفيلسوف من إسقاط الفرس اللساني على النحو العربي.  
د. القادر باويدي
- آفة تلقي الخطب الشعرية القديمة في ضوء المنهج السيميائي.  
د. ناصر رضا
- إشكالية ترجمة بعض المفاهيم البدوية في روايات تشارلز ديكنز.  
د. عبودة بياوش
- صيرورة الاستعمال السردية في قصة الطفل وتأثيرها على عناصر  
السرد والزمن.  
د. أمال بن الشيخ
- L'aspect contextuel dans le dictionnaire  
bilingue français - arabe.  
Dr. Mohammed BESNACI

مؤسسة علم الآداب والعلوم الإنسانية - الجزائر

عدد 1435

العدد 1435

أبريل 2014

REVUE des études linguistiques et littéraires  
**ISHKELEET**

Centre Universitaire de Tamarougassout



ISSN : 2335 -1586





## العدد الخامس

جلدو الثاني 1435 هـ - أبريل 2014 م

### المعلومات

توجه نحو المصاحفات باسم شبكة الانترنت في :  
ص.ب 10034 - نابلس - فلسطين - الجزء  
العلمي : 91-86-34-91-213 (029)  
في 03 11 34 (213-029)  
المجلة الأدبية : 44 77 34 (213-029)  
المجلة : 05 92 34 (213-029)  
E-mail : (scholam@zaytoonah.net)



Issn : 2335-1586

منشورات المركز الجامعي للدراسات



### محتويات العدد

7	د. رمضان حياوي	لغة ريس الشعرية
8		(قسم الدراسات النقدية)
9	أ.د. عبد القادر منصور	مدخل إلى النقد الأسلوبى قراءة في شواهد من أثرنا النقدي
20	أ.حليمة بلواقي	النقد القديم بين النص والنهج: قراءة في جدلية الخطاب الشعري ومنهج النقد
34	أ.محمد معروف	"النقد الأدبي الثقافي" في التراث العربي: دعوة إلى تبني المصطلح فقط في حال التمس الأدبي
40	أ. خيرة عمارة	البعد الاجتماعي في رسالة الأتوار ابن عربي
63	أ. علي سحان	النص التراثي في ضوء التمازج النقدية المعاصرة: برهيد بن مالك الأندلسي
37		(قسم الدراسات الفوقية)
74	د. سعاد بسلامي	الوظيفية المنطقية والاجتماعية للرموزات في العربية
87	أ. فخر داودي	موقف المترجمين من إسقاط الترس اللساني الحديث على النحو العربي
101	أ. عبد الله عماري	الشيخ محمد باي باشار ومنهجه في شرح حلقة الإعراب للحريزي
116	أ. أحمد بناني	العلمة وأنظمة التعارض والتوزيع في علم العائل عند ابن السراج
136		(قسم الدراسات الشعرية)
137	أ. عامر رضا	أدبية نثري الخطاب الشعري الحديث في ضوء النهج السيميائي

الجزء العلمي للفصل - الثاني

الجزء الأدبي للفصل - الثاني



### الهدية الشكرية للجزء

(الهدية مقدمة من قبل المركز الجامعي)

(الجزء العلمي) (الجزء الأدبي)  
د. محمد بلقيش د. بهمان حياوي

(جزء الأدبي)

أ. أحمد بسلامي / أ. محمد بلواقي / أ. أحمد طويحي / أ. عبد الله عماري  
أ. عبد القادر بناني / أ. نور الدين كاتاني / أ. سعاد عمارات / بلقيش بوعدين

### (الهدية الاستشارية)

د. فخر بركة (جامعة سيدني بأستراليا) د. فخريل دعو (جامعة وركلة)  
أ.د. مثنى بن خليفة (جامعة وركلة) أ.د. عبد القادر سالم (جامعة عمان)  
د. محمد خرماني (جامعة كاس - لاسفرد) أ.د. أحمد بوز (جامعة وهنجران)  
د. أحمد بوشخة (التركي الجمعي للامم المتحدة) د. شبيب مقبوليد (جامعة للمساكن)  
د. مصطفى الطويل (جامعة أقيوس - القرد) د. صالح خنور (جامعة وركلة)  
د. عز الدين كشيط (الراج - لمانفستاد) د. مرارة من عشتار (الراج - فلسطين)

### (الهدية التعريفية)

أ.د. حبيب مونس (جامعة سيدني بأستراليا) د. سعاد بسلامي (جامعة وهران)  
د. نور الدين صدار (جامعة مصر) د. محمد الأمين شكلي (جامعة أوزان)  
أ.د. عبد القادر منصور (الراج - عين توشنت) د. هبة بشر (جامعة الجزائر 2)  
د. بلقيش بلقيش (جامعة أم البواقي) د. ليمان عمار (جامعة أم البواقي)  
د. ماريكلا بن بوز (جامعة الجزائر 2) أ.د. علي تلام (جامعة الجزائر 2)  
Larbi HADJER (Univ. Grenada) Esp. Espérance Aïmeur (Univ. Grenada) Esp. Am-Nour Ouyahmed (Univ. Grenada) Esp.

الجزء العلمي للفصل - الثاني

30

الجزء الأدبي للفصل - الثاني



**قواعد النشر في المجلة**

ترحب مجلة مشاركة الباحثين من كل الجامعات ومراكز البحث العراقية والأجنبية، ولتبادل الدراسات والبحوث المتخصصة في قضايا اللغة الآسي والدراسات اللغوية ولها التوجه الآتي:

- أن يتصدر البحث بالاصالة النظرية والتجريب العلمي.
- أن يكتب على حاف برشوح (word) خط (Straightened Arabic) بحسب (14) الحرف (12) الحواشي، بما لا يتجاوز (17) صفحة ولا يقل عن (10) صفحات حجم (A4) للبحوث النظرية، و(10) إلى (13) لصفحة للبحوث التطبيقية.
- كما أن يتصدر البحث ملخص موجز ومركز بالعربية في (2) أسطر ومثله بلغا اجنبية.
- غير أن يبدأ البحث بتعبير أو مقصود أو مدخل، ويتناول اللغة أو التراث.
- أن تصح البحوث الخاصة بالتعليم العلمي قبل نشرها.
- البحوث التي يتم نشرها في اللغة لا يجوز إعادة نشرها بطريقة أخرى، إلا بموافقة خطية من هيئة التحرير، ولا تكون قد نشرت من قبل أو عرضت للنشر في أي مطبوعة أو نشرية.
- لجهة التحرير لتقبل ما تراد ضروريا من غير حساب للمطبوع، دون الرجوع إلى صاحب القلم.
- ضرورة التزام الغير بالأمانة العلمية، وحسن التوثيق بذكر المصادر والرجوع من خلال التمهيد الآتي في الصفحة الأخيرة من المقال.
- إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة أو بدمج في قرص أو قران إلكتروني إلى رئيس التحرير، ولا يقبل بغير ذلك.
- يُرأس في أواخره النشر ما يلي:
- البحوث والدراسات المتخصصة بتسمية مركزية الجامعة ومحافظة الدراسة.
- التاريخ وميلاد البحث إلى هيئة تحرير اللغة على عنوانها الإلكتروني.
- تقدير هيئة التحرير والقرارة لأهمية الموضوع.

يحتل صاحب القلم مسؤولية نتائج بحثه العلمية  
باعتبارها تعلق بالقررة العلمية في أي شكل من أشكالها



مؤلف المقالين من إسقاط الدرس اللساني الحديث على النحو العربي.

الأستاذ الدكتور داود  
الفرزحاني - جامعة البصرة

**المخلص**

تلعب هذه الورقة البحثية دوراً هاماً في إحياء الحوار الحضاري بين العرب والغرب في حال التنشيط، وخاصة أنه لا يوجد جامعة في العالم بأهمه، لا تدرس قضايا اللسانيات والفكر الغربيين من جوسر، بالتحديد مؤسس هذا العلم، ثم آتيا نتائج تجربة إسقاط الدرس اللساني الحديث على النحو العربي، التي خاضها اللسانيون الغربيون، مع ذكر أشهر مواقف هذه الأمانة والبرهان من هذه التجربة وتلخيصها إما بالقبول وإما بالرفض وإما بالتوسط، مع ذكر أمثلة وتلخيص لكل موقف.

**Résumé**

Le but de cet article démontre l'importance du dialogue culturel entre les Arabes et l'Occident dans le domaine de la linguistique, surtout parce qu'il n'y a pas d'université dans le monde ne soit pas enseignée l'état de la linguistique et de l'histoire de Saussure par exemple. En fait que fondateur de cette science, En outre, démontre les résultats d'une expérience de laisser tomber la conversation leçon linguistique sur la grammaire arabe. Ensuite, il a mentionné les positions des partisans de l'acceptation de l'expérience de l'approche, soit acceptée ou rejetée et non la médiation.

**المقدمة**

يعتبر هذا البحث من القضايا ذات الشوكة بين كبار الباحثين حيث تم تشعبه شواظاً من الجهل والخلاف، إذ ينكس هذا واقع النحو العربي الذي أصبح حقلًا تاريخياً للدرس اللساني المعاصر الذي حظى بمصطلحاته وقوانينه وبركتهما عليه، ولا القول لم ينحصر في كونهم وإنما توارى عليهم أكثر الصواب، وموطن الصواب يعود إلى التهجئة على أقوى الطرفين والتجريح، لأنها لو سلمت فكانت النتيجة آتية، ثم إنه بات من الضروري أن نستفيد من اللسانيات وخاصة أنها مخررة في كل برامج جامعات العالي وخاصة كتاب من جوسر

التي لم تفر لعل الترس اللغوي لا توجد جملة في الدنيا لا وتدرسه، حسب كل الدراسات، وليس من الحكمة إقصائه من الاستخدام، والتي هو لم فتح بلد الخوار مع السبائيات انطلاقاً من اللغة بنموذج العربي فطش هذا الأساس لتكون القارية، ولا أصبح مبروزة الفوق والنحو من كسبه الضامة أن كبرها الزمن، كما تصميم اللغويين بسلسلة جاء مضمناً على موقفين وفي كل موقف، أو اختيار باحثين.

1- موقف المؤيد:

1- موقف الدكتور رمضان عبد التوكيد، وهو من أبرز المدافعين إلى إقامة الصلابة بين الترس اللغوي العربي والتراث العربي لسيرة روح العصر في أهل الفوق والنحو، وقد كثر لسانه التعمير في هذا التصريح بأوضح صورة عندما يقول «أقول فؤاد الذين يهجمون على الترس القديم ويتعنون به، ولا يرون في ذلك أي ركن ركن من التراث العربي، إنهم يسوون إلى هذا الترس اللغوي القديم إما إنشاء، عندما يكتبون لغة خاصة بهم، وتعميرات هي بنسق العرمان واليوم لحيث أنها في بنسما عن اللغة التي يترونها بها العرب ويعفون، لسواي منهم عن تراث، هذه اللغة التي نحن كثرا في تقرب النظريات اللغوية الحديثة إلى عمق شيوخ العربية»<sup>14</sup>.

ينمو في هذه الكلمة تهور كبير في الإقبال على الترس القديم الوافد من الغرب حيث أنه يرى فيه حياة وحيوية لإرواح التراث اللغوي ولقرينة يرى لساني شريب، وهذا قد يفسد كما قد يفسد إلى اللغة والنحو، لأن في عملية الإسقاط سبب يكون فيها تلهج وتركيب، وهذا الأخير قد لا يقع في حيز «متر» فهي مثل ما يرى أن إيمان اللغوي بعد انضمامه في دراسة اللغة، للعلم الأول، مع عدم التصرف من جهة اللغوي في الحسبان، هو أحد التبعات المقررة عند اللغويين؛ فقد كان «بولغيفان» Blooded وهو من كتبه هذه الدراسة على التراث اللغوي العربي، منذ أيام سيبويه، وما تلاه من التعمير والتذكير والتأنيب والقرارة والثقل والجمع، والشأن والمحر، والشغل والغافل، وقد تلك، لا أثر من أثر النهج الشكلي عند علماء العربية؛ فترجم على سبيل المثال يعربون: «كسر الهمزة» فلا يفتقد، مع أن التعامل اللغوي

في اللغوي لا وجود له في القفظ، كما يعربون كوا «خاصم محمد علياً» فعلا وقادماً، مع أن النحويين حاداً قابل في المنس كذلك<sup>15</sup>.

في الأمثلة التي ساقها الدكتور على شكلية منحج النحاة من التراث لتفتيشها صناعة النحو لأنه علمٌ أمه لوحدته، ثم تارة هذه الصناعة من شكلية وآلية الشكلية من النحويين تتحكم فيه، لأن في تغير حركات الإعراب لغوي العنصر، أما فؤاد، أن التعامل اللغوي في اللغوي لا وجود له في «كسر الهمزة» فهذا صحيح لكن بتفصيل فؤاد، حاد التصف، بالتفعل، وإن لم يقد به فهو فاعل كوا معمول مثلاً، أما المثال الثاني الذي ساقه فؤاد فاعلاً وقادماً ومفعولاً فمور لتفتيشها الصناعة ولا يمكن أن لغوي علياً فاعلاً، لأنه لا يوجد في اللغوي النحاة فاعلاً للعلم واحد، وهذا المثال الذي ساقه على بنوينة النحو العربي فقط من فيض في نظره يقول: «ويؤيدون بين القول أو تعينا نمدد الأمثلة على سبق علماء اللغة العرب القدماء لبعض قضايا النظريات الحديثة، واتهم في هذا الذي سبقوا به العصر الحاضر بملك السنن، وسامحون أن يوصفوا بأنهم «قدماء محاضرون»»<sup>16</sup>.

فهذه إشارة في فعل الألفاظ، وأنه ذلك، لكن لا ينبغي أن نعرف القدماء إلا في القضايا التي لا تتناقل مع النظريات الحديثة، وإن كان هذا التقريب في أغانه شكلي وسطحي، قد يقع بين أي حذرنا، ثم إن هناك مؤثرات يتردد بها كل تراث عند التناول وخاصة إذا تعلق الأمر بالعربية وبالأخص بنحوها الذي لا يزال يشغح رغم أواخر الثورتان التي تشكل له عند عهد حضارة الأندلس إلى يومنا هذا.

إذاً فلا يوافق النحويين إلى لا يوجد لا نظراً بنوينا كان أو معنياً ليست جنتاً مؤثرات إنتاج إلى نوع روي من الإسقاط الترس اللغوي القديم كما يعتقد جنة العربية للتفتيش الحديث بدون صانعة لتبهم من اللغوي الذي يفقد الفوق، لأن الأجزاء على مثل هذا الأمر في منتهى الضعف، صحيح أن انتعاش اللسانيات بالعلوم العربية سببه إنانها من جديد وهذا لإقامة لغوية آراء منه بما لا يمكن أن أجلا، وقد تأخر وأرشد من هذا الانتعاش وأثر لا مفر منه للمحافظة على بريق العربية لأن اللغة بوصفها حقيقة استعمارية تبقى قائمة مادام أعالي يتحدثون بها ويتكلمون بها، لكن علاوها ليست من

قبل اختلافنا بل من قبيل اليأس وصف تفاخري، وهذه الكليات قابلة للتغير لأصناف مختلفة»<sup>17</sup>.

لكن لا يقوم بهذا العمل إلا إن امتلك الأدوات واستولى على اللغوي العلمية المطلوبة بكفاءة ولا يغلب الأمر إلى ضده، فتصبح اللسانيات تقرباً لعلوم اللساني العربي من صياغة، وخاصة في حال التطبيق التي يتوغل فيه في عصب، كما يتوغل فيه أي تقاطع مفرق دقيق، كالتي ذكره الدكتور رمضان في هذا يقول: «دكتور كتب النحو العربي بفلسفا ترتيب الجملة، والتقديم والتأخر، وتفسير الأصل والغريب، ويصوب صورة معينة وجواز لغوي، ويذكر هذا ما يعرفه النحويون تحت اسم: «التعامل مع التوالف» ويتكهن أن ذلك هذا كذلك ما يقوله كاة العربية، من وجوب ثبات الجملة، «حرب موسى عيسى» هذا على النحو، إن أريد لجس أن يكون فاعلاً، وأجيب أن يكون مفعولاً، وجواز أن يقال: «حرب محمد علياً، وحرب علياً صم»»<sup>18</sup>.

فهذا مثال واضح لا تركيب معقد فيه دليل على أن هناك توافق لكن أن كثر وجل من المدفئة حاداً سائر شكواك، وسأني مضافة هذه القضية في موقف الدكتور فؤاد، ثم إنه إن دل على شيء، من زاوية نظر أخرى إلا يدل على ارتفاع نسبة معائل علمية منحج النحاة أثناء، رغم عدائية حيالهم وسامطها، فهذه صورة عامة وموجزة من موقف الدكتور رمضان للسنن أنها إقرار والتعجب كبيرين لتداول، كما أنه يرى أن في الدرس الحديث النتيجة الكلية إلى صانعيه سيرة لأول.

2- موقف الدكتور حازم الجوزي:

موقف الدكتور حازم الجوزي، يعتبر من الأتوم المتمسكة في الدعوة إلى ترسيخ ما بين التراث والمناهج الحديثة، ولأسباباً أنه متحصل على الدكتوراه بدرجة من جامعة جورج تاون كولايات للخدمة الأمريكية في علم اللسانيات الحديث، كما كان له ملاحظات كثيرة مع أبرز اللسانيين أمثال تشومسكي وغيره، ما كثر لديه نعتها علياً ما أعظم بعداً معرفياً يرى فيه بمصاحبه التراث اللغوي والنحوي ما نفاق عليه كبرية الإسقاط يقول: «والحقيقة إن ما يدور بنحو بشأن هذه النظرية العربية السلفية هو مشروع كبير وضخم لا يمكن أن يتم في سنوات قليلة بل يحتاج إلى جهد وعمل ومخطط متواصل لتأسيس العمل الجماعي العربي ولكن قبل هذا المشروع اللساني ينبغي أن

أسسه خطوة مهمة جداً، وذلك للتأكد على أرضية صلبة، تلك هي الأمثلة من التراث العربي»<sup>19</sup>، وهذا هو الأساس كشرط قبلي لكي لا يكون هناك حين يؤثر سلباً في الوصول إلى نتيجة ثم يواصل كالتمة يقول: «هذه التناقضات من التراث العربي اللغوي ينبغي أن تكون من ثلاث مستويات: المستوى الصوتي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي»<sup>20</sup>، لأن في هذه المستويات هي التي يقع فيها التداخل والتقارب بينهم وبين اللسانيات.

إذاً فتحدد هذه المستويات بعداً خطوة منهجية لا تغير عليها يستجيبها النطق المعاني ويتناقلها الواقع العلمي بنحو حسن مادام أن اللسانيات من أركان إسلامها هذه اللغة، ثم يفتح بعد هذه الخطوة وهذا قبل فتح باب حوار لتجهيز المسطلحات والقوالب وتركيبها في مخرجا فيقول: «وهكذا عندما نتأمن من عملية الجمع الصوتي والنحوي والدلالي ينبغي علينا أن نعتبر بإعادة صياغة النهج العربي اللغوي الذي ابتدأ العرب القدماء منه لدراسة اللغة العربية كافة عالية طبقاً للمنهج اللغوي الإسلامي، فلما انتهينا من إعادة صياغة النهج العربي اللغوي القديم فإنه وبنا متعاضاً أن نتحج بواقف ثقافتنا اللسانية على مصرايحها للثقافة اللسانية الغربية، ثم استمرنا لتتبع العربية الحديثة على نحو ما كان العرب القدماء يفعلون، فقد كانوا يستوردون التلميح والنظريات الغربية»<sup>21</sup>.

والمقصود بإعادة صياغة النهج هو ترتيب الأفكار والأسئلة وفق معايير وفوائيد علمية معاصرة، وهذا لتكون لدينا مادة قوية للتخصيص والتجريب في إطار كبرية الإسقاط والتفريق، غير أن هذه التجربة صعبة جداً أن نتجج شراً شتم وتراخا فؤاد، لأن هذا الأمر هو عبارة عن خلق نظرية لغوية لسانية عربية وهذا العمل يتخلف رسوخاً علمياً كبيراً وطويلاً من السنن، غير أن الدكتور حازم في هذا المنس الأخير له نداءت عليه الأفكار وذكر شدة لا ينبغي أن نستك عليه بأن الحرب كانوا يستوردون النظريات الغربية في لغتهم، وهذه فربة زرعيها بعض المستشرقين بعيد سبب هذه الفؤاد على نظرية الاستعلاء والاستصغار التي درس فيها المستعمرون حضارتنا، فتحكموا علينا بتأنيب المادحة والتكبير، وسنطرح المنتصر العقل في هذا فؤاد إذا من مصدر فكري أنجس يتسرب إلى كل طائفة بإعادة فيها نشاط عقلي»<sup>22</sup>.

ولذلك لاهم إرهابهم صنع فراج القائمة التحويلية فظفروا على القدماء... وهذا نظره من خلف الزجاج، فهو إن هذا الاعتقاد شاح واستعمل في عقول كثير الباحثين لا يرضي هؤلاء، لكن ذلك حين مناسب، وهذا الاستمرار وإن كان خارج حقل الموضوع لابد منه استبعاد أي خلفية فكرية في الدراسة، يقول الدكتور حازم في مشروعه: «أدوية تصور واضح وصحيح للنظرية العربية التحويلية الحديثة إن نهدف إليها، وربما ينضج مشروع هذه النظرية التي افكر فيه من خلال هذه الصورة».



ففي هذا التصحيح النظرية يدل على تصويم نظري حرضه بركيز على يتلوه فيه أبعد استنرافية لهذه التطريف وهذا إن وأظف على الترسيم الذي ذكره في استنطو الفوات، والاشدوي المنجز الكسائي عنه التطبيق، وسيكون النجاح حليفه مادامت أن السليبات ليست بعيداً عن النمو الجديد ولا للحجم الجديد. فهي إن دخلت هذه العلوم أعادت تنسيقها وأعيدتها لتخرج بأب جديد لكنه لا يفتي الأصول الصحيحة، ولنظير إلى الفروقات التحويلية

العربي على أنه برج شامخ فهدم فراج إلى كبرياء، نصص، بناخله، وأون برجو به، واعتبر بعض النواقد، وكثير من بعض المراقب والفرق لكي يفتي صادماً قائماً بمعدله»<sup>(1)</sup>.

لكن من دون زعزعة لبعض الشكوك عند التصادم بالقضايا التي يتج فيها التفكر فيجتاح إلى التحليل من بعض النواقد، أو إلى ترويج أصرح لا يطمأن إليه، أو إلى ألعاب فكري، وهذا تنطية للتعايش بدى عوارض، فليحتب الفاسي التوهم برفض كل هذا لأنه يشعت من وضوح منهجياته إن تنسج بالتمسك والسفلة.

ب- موقف العراضين

1- موقف الدكتور إبراهيم السطراحي

وهو من أبرز المعاضين لتجربة الإسقاط - بحيث يرى أن النمو العربي خصوصيات وموازين يافره بها لا يسمح بأن تقام عليه فرضيات، وخاصة منها التي تكون على حساب بعض الفوائد، أو حتى على حساب الفداء بعض العلماء، ثم إنه يرى في جعلها تعريق من التخليق التصوير وتتخالل عند العربية والتقليب، وكان موقفه عبارة عن ردود، أولاً في رده على الدكتور عبد الراجحى يقول: «ما بال دارسين الآخرين الذين سبقوا الراجحى في الزمن، والذين انطلقوا بالفيزيائي والاسميا في كلية دار العلوم، لم يكتبوا في "النمو العربي والنمو الجديد"، وقد كانت بدايته موهبة الأركان في حياطة عشر تكسبن وعشر السنين من هذا القرن، ولا يرى ما هو صامتون اليوم، وقد كثرهم التيزر، وانتشار هذا النظر القديم جزر السمع والبصر، بل إن هؤلاء الجند قد ظفروا هذه فرسوا يشاؤون بنيتي، لا وجود له زاعمين أن كتب اللغة القديمة اشتملت على جاور الآسنية»<sup>(2)</sup>، وخاصة التكرمة التي لم تتجرده في الصورة الواضحة من الآسنية بحيث تنصص عليها استيعاب النجز الآسني وكل حياظوه فلتاسناته وسنويته انسطروا في رحلة بحث في التراث من جنود تؤسك الاستيعاب، ثم إن هناك حقيقة وهي أن جل هذه النظريات السالمة الحديثة لا تناحر فيما بينها، بحيث أنه كلما التزم نظرية جديدة فلتقت مع سابقتها إن تفرعت منها أو بالأحرى رمتها بالتسليم في الآسني والراجحى، وهذا يرى أن أعمار هذه النظريات قصيرة جداً، وسنيتها

معدومة، وإنما ما فورت مع التراث لا تلك تذكر تلك، وهذا يرى أن الدكتور إبراهيم كان عفا عندما حشد الفكر على الذين يقومون التراث من منظور نظريته، كنتاج إلى ترميد نظره في أكثر ما جاد به يقول: «لقد وجد الأستاذ الراجحى شافته فيما كتبه عبد النضر في مسالة النظم، وقد ذهب حاله نظر آخر من الدارسين، وأرادوا بل فعلوا إلى أن المرحاجي عظيم "مبتكر" لأن حيدته ما سطره في مسالة النظم وأفق على رسومه وأقومه ما قاله الأستاذ تشومسكي، فغرائك التوهم ريد أو لنا عكسا الأمر وأمرنا قيمة المرحاجي عبد الفاهر وسيله قبل أن يعقلنا الكواجا تشومسكي لثنا أهل جند»<sup>(3)</sup>.

فهذا الاعتزاز العربي والتعجبى يعانى منه كثير منا ثم إنه شاق جداً للترك من حياظته الذاتية وسط معالم البحث التوهم لأنه شيء، ولكنه طلاقة وهذه الطلاقة تتماثل في الروجا إلى بيورها كبر أمة التقليد التي ابتليت به أكثر البحوث اليوم، وكثيراً ما عفا أن تسمى التعميمات والمعصرة وإلى توصلت إلى فراج فكر القدماء في كثير من نتائجها.

فهذا كان لابد من العرس الحديث فلا ينبغي أن يكون إسقاطه على عراض النحو وسواريه للفتيات فهم أكثر ما تين، أما موقفه يفتي الدكتور إبراهيم لا جاد به الدكتور نهد التوسى فقد التزم معه نفس المسألة في الفوار والتفاهل بآثار وقتها، ويتصافى يقول: «إن الفاروق ليس أن المؤلف الدكتور نهد التوسى قد ذهب في توهم ما جاد به أولئك الدارسون العرب القدماء، لاهم وأقلوا ما جاد تشومسكي كما حكر إليه أنهم وألقوه»<sup>(4)</sup>، ثم إنه من كان في منهجيته ضرير فلا يمكن أن يكون في نتيجته بصراء ففكر النحوي لدى القدماء، كيد ركاة ولو لم يكن كذلك، لا وصفاً كما ففوهة وقتلوه على بعد شقة الزمن، ومشقة الزمن.

فكشبي، التي كسب للدكتور نهد أنه أراد أن يبرز عظمة التراث وصلاحيته لكل زمان ومكان في كرمته التي قال عنها الدكتور حياطة رغم أن هذا الأخير يعد من المؤمنين بتجربة الإسقاط، بالمقارنة إلى عندما الدكتور نهد التوسى بين أصول النحو العربي وأصول نظرية التحويل والتفريق، وقد اشتملت هذه المقارنة على مفهوم النحو، والسليقة، وما ينحصر وما لا ينحصر، والأصول والفروع، والرائس (السطحي)،

والجوانب (المعجم)، من صفحة 45 إلى صفحة 79 من كتابه "نظرية النحو العربي في ضوء نتائج النظر التحويلية الحديثة" - وفي كثير من هذه المقارنات تصف، وألا يؤخذ عليه هذا أنه حاول من خلال هذه المقارنة أن يقول أن النحو العربي فيه كل شيء، فكل النصب في جوف النحو العربي، ولا يعنيه من ذلك ما بينه في "التعميمات والصوغات" من أن هذه التعميمات عرد التعلق بمسألة النظر الصحيح»<sup>(5)</sup>.

لقد أحسن الدكتور حياطة في مناقشة الدكتور نهد بالسلبى عارض من الرجز والفتن، بحيث أنه لم يبدل منه هذا الفلو والإفراط الذي التمس في تقريبه ومقارنته، فهو لم يتحكم في جناح إعجابته الذي لقيده أن يقول: «إن جل مسطقات نظرية تشومسكي لتتقى مع الأصول التي رجمها ابن هشام في الفن للتصنيف النحوي وسألفها في حياطة جوات يدخل الاعراض على العرب من جهتها، ولكن الحرب عند ابن هشام هو النحوي عند التحويليين»<sup>(6)</sup>، لتعرض إن هذه النتيجة صحيحة وثيقة التي يقول فيها: «وإن الحرب عند ابن هشام هو النحوي عند التحويليين»<sup>(7)</sup>، وسلمنا له أن هناك أعمال في الشكل والتشويق، وليس مجرد تصاميم ظاهري التي قد تتلقى فيه حيو أشتات التفتلت للقفرة لا يفتح هذا في مولودية تشومسكي من زاوية أخرى فنحكم عليه بتعلق أملاخ التأخر على ترات الأول، وبالتالي يكون هناك توير وإعادة تنسيق ممكنة من المستطقات والتسريعات والتسريعات، وما شابه ذلك.

إنما فهذه المقارنة تحتاج إلى تفكير أعمق، وليس من الفن لتبني، فإما أن تكون هذه المقارنة مجرد تشاكل ظاهري فحسب على أن هناك خصوصيات يافره بها كل منهما، وأما أن نصب المقارن في صميمها شخصية تشومسكي العلمية ثم أن عرفه يهودي، ثم نتحكم عليه بأنه تناسق على اكتشاف لغة العرب في نظريته الأخرى إما وأشد فالدكتور نهد يكون صحيحاً ووجهياً عندما ينظر بقوله: «إن مستحدثات الانظر في السانبات يمكن أن نسهم في إظهار فرائد جديدة لتضع لتجاسة العرب قد نكتنا من إضافة "أصول" أخرى إلى نظريتها، أصول في حدي لكبة تلك الانظر»<sup>(8)</sup>، لكن في حال التطبيق يعور عليه وجه الصواب، وهذا هو

الوطن الذي نزل فيه الأعداء، وفتح فيه الأقفال، ونجح فيه الأقفال قبل نضجها، كما، ومن قبل أن تسوق عدتها للخطوة في حال التطير.

أما إذا عدنا إلى الدكتور إبراهيم السمراني فإنه لا يرضى بهذه المقارنة والإسقاط لا من قريب، ولا من بعيد، وهذا قوله: «إن النحو العربي الفتنة لا يمكن إلا أن يدرس وحده، وليس لنا أن نكته ونتمسك لنحد منها كما ندرس الفتنة في حين مثلنا الفتنة، ثم إن النهج العلمي يرضى هذا العهد الأول من الآخر، وإن مسائل البحث لدى الباحثين الأوائل هي غير لدى الباحثين. إن عمدة النحو القديم لنجد من فصيح كعربية كما وردت في لغة التنزيل وفي الآيات القديم شعره وطره أسماها في حين أن القوي الجديد في النحو كانه له أن يتخذ من العربية أسماها وأنه معلوم أن تلك المساحة الفتنة وهذه العربية المعاصرة مملتان فتلقتان على التماثل على ما هو مشترك بينهما»<sup>1</sup> يرى الدكتور إبراهيم في هذا النص حتمية التفريق بين التراث والتماثل المعاصرة وهذا التفريق هو من قبل النحوي لا من قبل النحوي، لذلك نرى أنها هي المسألة والمدة الفاصل من اللغة معاصرة بينهما لأنه لاحظنا هنا في هذه التجربة عند الدكتور الراجحي والدكتور هادي فالتماثل إبراهيم وأن أشد النحوي علميا فإنه لا يرفض الجديد والمقبل على ذلك قوله: «من العلم أن نحل في القديم حيث يكون منه في الجديد القديم، فكيف في الجديد ويتأخذ على أنه جديد»<sup>2</sup>

2- موقف الدكتور فهد العرابي قوله: أما موقف هذا الأخير ففيه شيء من التسوية في الكفاءة، وذلك أنه مثل خليفة الكاتب أن تتماثل في الثوب الأول، وتتبع في الفوضى إلى نتيجة أن كتاب سيويه كان منبع الفكر الأبرز للنحو العربي، وإن كل حقل هذه القضية مالي، بشوك الفداء، وإن كانت أريد الآيات الكريمة في التحكيم والتفاد، يقول: «وإننا لنفحص هذه الكلاعات في الدرس اللغوي الحديث، نستنتج بصحة حجة وتطوره من منار سيويه، في مقدمة كتابه "حلول المستطرفين والمستطرفين طمس مسأله، وترويض معاصره بنسبها إلى الجهود الأروبية الأصيلة - تنقسم الكتب ويوسف عرابي وآخره، وبإزالة العامل بالمحمول، وكيفية صور البنية والإعراب، و صوغ الشبكية و الجمع في الألف، والأصل ... كل هذا درس قوي وصفي

لواقع العربية، أعد رواد النوبية بالسبيل الداني الذي عرف بالترقية الوسيطة»<sup>3</sup>

وهذه الكلمة تقرير منه بدور الفتنة و لا التواء، إن مصدر الإضاح القسري للدرس الحديث كان مصدرا كتب سيويه، وخاصة أن أصحاب التطويرات العربية اعتادوا به منذ زمن بعيد قبل أن يصل إلى الباحثين العرب كما أنه من التلمذ الترموقة بين السننات النحوية العربية، ولكن لأسف أنهم لم يترجموا لأمانة العلمية في التماثل والتوضيح نظرياتهم، وهذه حقيقة يكشف عنها الدكتور فهد العرابي، ثم إن جيل أعلامنا اللغوية لا يزال يكتسب منها الأساس العمومي، وما دام واقع اللغة باليهيم فإن هذا الأمر يرضى عنده في حين التطوير كونه لا شك أن تتجاوزته بالتجريب و قطع الشك باليقين، لا شك، إلا أنصفتنا وشعورنا بمفيدة التمسك كنه العرب، ولولا هذا فانه يوجد الأمانة الكتابة العربية العرابي.

كذلك مثال آخر يسوقه الدكتور فهد العرابي يقول: «والدكتور غار التوزيع في رسائلهم» وهو توزيع الكلمات على أقسام يعينها الاستبدال والتوافق - إننا نرى في بسط التوافق لأقسام الكلام: مثل: "مبغول، وإن العمل، وإن يفعل، وإن عدك لك يفعل، وهذا رجل ضارب وصرخت رجل حيل". وفي هذا ترى الفصل بين سوايق أو أوضاع معينة، أنه تخصصية من سائر أقسام الكلام، وتظهر بعده الأوصاف ليحل عليها الفعل أحيانا ويكون القوي لأقسام أصناف، والجزء للمشارك، وقد يؤول مقامها شيئا في الوظيفية»<sup>4</sup>

فها مثال يسوقه فهد العرابي ولا يفعله إلا من أراد أن يغلط في الفتحاق نفسها أو أراد أن يفر من راحة عقله ولا يتبع العلم لأكثر كل الامانة التي سألها نيل على قوة أمثاله فيما يقول وحجة أمثاله فيما يذهب، وهذا ليوضح للنصه لكي لا يتأول فيها إن يشاء له تطوير تعريفا بالاعتقالات وهذا موقف منه صارم وله ذلك مدام أن إنتاج الفقه عليه وكما أنه لا يظن أنهم أخذوا في نظره كل حجة وبرهان وإلا استغنىوا وبولتوا في بناء أعراف نظرياتهم في زمن الفتنة التي ضربت عليها يقول: «القول أن مثل هذا يكون مصدقة والتوراة، أو وقع الخلل على الخطر، كما يقال: قد يتسار ذلك زعم كنه، أو كانت نظراته، كثره حوزة لا رابط بينهم، أما نحن عرابك تشمل جواب البحث والتطوير والتفسير والتأليف، فإن الأصابع كنه أن كنت

بالكلام، وتحقيق الأقباس والنظر والتقليد، وكه بعد هذا أن زعم حركة الفكر النوبية، لتتلمذ خطوات التأثر خاصة، من نشأته وصفية خاصة، إلى إسقاط الوظيفية للوصف، بل أن ذلك الحركة سارت في خط منظر تاريخ النحو العربي، عن المسألة والتعميم والتأثر في التصديق والتخصيص والتطوير»<sup>5</sup>

ثم إنهم لسؤال كل لواء التنوير والتحرير في كل حقيقة ومثالية، ثم إنه ليس من السهل أن يعرف أحد منهم على سبيل التوضيح في الأمر الذي استناد منه من الورود العربي بعد أن نتاج طموحه وتلقوا طهره من عدة التصديق والتأثر في تقرير أصول نظريته أن يقول لك سبيل في هذا وأحد من العرب يدعي القائل أو أير جن أو أبو حيان الفراهيدي، ولا يفعل هذا إلا بأحد برون الشمس مثلما من داء التفتيش إلى الفطيس على كرسى الصيت والشهرة.

وقد أحسن الياء، الدكتور فهد العرابي في كشف بواقيهم إذا التزموا منعت التأثير والبرهين لكي لا تقع بيده ليست في صالحهم فقل: «بواقيهم، مع هذا كنه حكما لواقعهم ومنازعتهم الاستعمارية، في التمسك، والاستناد، فهوها صور التأثر والافتقار، وجوروا التمسك عن القاصد، برجون ومصطلحات اعجمية برقاء، وصيوعا في رسمهم وخطوطهم ومفاهيمهم لغة متخللة صيدت الناتج بكون الامانة والبراهين أموا بدرسون بعض تلك الطواغر، من زاوية متحرقة ليشيوا أن النحو العربي على بنشأته وتطوره على فناء، موقف العرابي الأعمى، وكان حريا بهم أن يسوقوا في الطريق المعاكس، ليكشفوا صور تكروم متابع النحاة العرب، وسيويه منهم خاصة»<sup>6</sup>

فهذه هي الفتنة العنقودية التي أعياها العقول التي هذا الاختصاص، وإن كان هذا الأمر مركزا حبيب الملو كحال إلى تلك الفتنة كنه لنظر صوغها من الأسلة من الأحدث وما هي مواضع الأحدث مع الأدليل والبرهان بكل روح كروية من نواحي التمسك التمسك، فهذه لغة صفة من موقف الدكتور فهد العرابي فيها كنه الجأش حاد التمسك على الذين اتفروا على أسلة النحو العربي وسئلوا على كنهك أشهر كنه من دون أعرفك.

حالة

وحصاه هذه التوافق التي كانت عبارة عن تسامول بين كبار النحاة المعينين العرب، كمن فيها أن النحو العربي يعين نطقا حادا بينه وبين التمسكات مختلف اتجاهاتها التمسك والتلصق، غير أن موقف فهد العرابي الأصالة الفراهيدي لتجربة الإسقاط يعين موقفهم الذي ركنا وأرماه لأنهم على الأصل ولم يتخلوا شيئا مع من يدع القول أو العمل في أفعال اللغوي أو النحوي لموقف الدكتور إبراهيم والدكتور فهد وكما تقول القاصدة الأصولية في النحو "من سلك لأصل خرج عن عمدة العقيلة بالمثل" أما الخلاف بالأدليل والبرهنة والتبرير هم أصحاب تجربة الإسقاط والمقارنة والتفريق، كالدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور حازم الوتر وغيرهم، وإن كانوا قدملوا شيئا كثيرا في إنتاج برهانهم بركا تركب الدرس الشكلي الحديث، وكما أنهم برهنوا على صلاحية التوريث اللغوي والنحوي في عدة قضايا للتحديث، إلا أنه كتب عليهم أمر بذلك أنهم جعلوا كلام أمثال توماسيكي وبلومبيد وغيرهم حجة على النحو العربي حتى تعد الأمر عند بعضهم حقا وافق كلامهم فهو لسواب وما خالفه فهو القريب، وأمعرو من سطره هذا التحكم الذي يتبع النحو العربي وتركه أشبه شيء "لهم على وضوء" وهذا، حينا الذين حكمهم غرباء على العربية لسلكا وعلما، وأن هذه التطويرات التي صمروها في حربة الحجة أسماها قد كروا في علم التمسكات حتى سار الواحد منهم بفهم منطلق النظر ولغة التمثل وسائر لغات المعجمات.

إذا فها التعلق للبراع فيه بتطبيقات العرب أن يكون عمدا ولا قلب كبير نغمة سطر الزمن أو فسر، إذا كان بالأمر الذي ذكره فلاحيد والتأثير هو الفوار التخصيص، وترك العصب والتشقق، لكي يكون هناك توافقا متعينا، وترافقا فكريا، والعاقبة للأصالح للأصالح.

1: دراسة وظيفية في اللغة - رمضان عبد التواب، مجلة الفصحى، القاهرة، ص 204، 1994.  
2: المرجع نفسه، ص 196، 197.  
3: المرجع نفسه، ص 201.

الوطن الذي نزل فيه الأعداء، وفتح فيه الأقفال، ونجح فيه الأقفال قبل نضجها، كما، ومن قبل أن تسوق عدتها للخطوة في حال التطير.

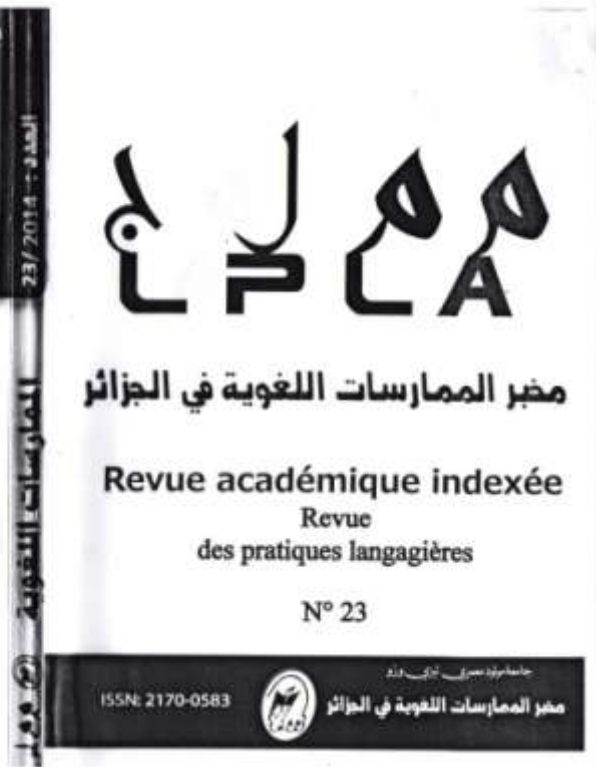
أما إذا عدنا إلى الدكتور إبراهيم السمراني فإنه لا يرضى بهذه المقارنة والإسقاط لا من قريب، ولا من بعيد، وهذا قوله: «إن النحو العربي الفتنة لا يمكن إلا أن يدرس وحده، وليس لنا أن نكته ونتمسك لنحد منها كما ندرس الفتنة في حين مثلنا الفتنة، ثم إن النهج العلمي يرضى هذا العهد الأول من الآخر، وإن مسائل البحث لدى الباحثين الأوائل هي غير لدى الباحثين. إن عمدة النحو القديم لنجد من فصيح كعربية كما وردت في لغة التنزيل وفي الآيات القديم شعره وطره أسماها في حين أن القوي الجديد في النحو كانه له أن يتخذ من العربية أسماها وأنه معلوم أن تلك المساحة الفتنة وهذه العربية المعاصرة مملتان فتلقتان على التماثل على ما هو مشترك بينهما»<sup>1</sup> يرى الدكتور إبراهيم في هذا النص حتمية التفريق بين التراث والتماثل المعاصرة وهذا التفريق هو من قبل النحوي لا من قبل النحوي، لذلك نرى أنها هي المسألة والمدة الفاصل من اللغة معاصرة بينهما لأنه لاحظنا هنا في هذه التجربة عند الدكتور الراجحي والدكتور هادي فالتماثل إبراهيم وأن أشد النحوي علميا فإنه لا يرفض الجديد والمقبل على ذلك قوله: «من العلم أن نحل في القديم حيث يكون منه في الجديد القديم، فكيف في الجديد ويتأخذ على أنه جديد»<sup>2</sup>

2- موقف الدكتور فهد العرابي قوله: أما موقف هذا الأخير ففيه شيء من التسوية في الكفاءة، وذلك أنه مثل خليفة الكاتب أن تتماثل في الثوب الأول، وتتبع في الفوضى إلى نتيجة أن كتاب سيويه كان منبع الفكر الأبرز للنحو العربي، وإن كل حقل هذه القضية مالي، بشوك الفداء، وإن كانت أريد الآيات الكريمة في التحكيم والتفاد، يقول: «وإننا لنفحص هذه الكلاعات في الدرس اللغوي الحديث، نستنتج بصحة حجة وتطوره من منار سيويه، في مقدمة كتابه "حلول المستطرفين والمستطرفين طمس مسأله، وترويض معاصره بنسبها إلى الجهود الأروبية الأصيلة - تنقسم الكتب ويوسف عرابي وآخره، وبإزالة العامل بالمحمول، وكيفية صور البنية والإعراب، و صوغ الشبكية و الجمع في الألف، والأصل ... كل هذا درس قوي وصفي

مؤلف		العنوان	
4	أسئلة اللغة أسئلة التحليلات - د. حنان إبراهيم باوي، محمد التاج، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2009، ص 321.		
5	مراكش وتاريخها في اللغة، ص 200.		
6	قضايا أكاديمية في علم السيميائية الحديثة (مداخل) - د. عزالدين بوزغوار، دار طلائع، سوريا، ط 1، 1982، ص 347.		
7	الترجم لغة، ص 348.		
8	الترجم لغة، ص 350-351.		
9	أقبل الشعر النحوي (متنوع ولوجات) - د. هاجر أمين شبلية، دار الفكر، سوريا، 1997، ص 143.		
10	قضايا أكاديمية في علم السيميائية الحديثة (مداخل)، ص 352.		
11	أسئلة اللغة السيميائية، ص 321.		
12	النحو العربي في مواجهة العصر - إبراهيم السمرقاني، دار الفيل، بيروت، ط 1، 1995، ص 14.		
13	الترجم لغة، ص 35.		
14	الترجم لغة، ص 72.		
15	النحو اللغوي - مداخل لدراسة لعش النحو اللغوي - د. عبد حمزة عبد الحفيظ، دار غرب، القاهرة، 2006، ص 38، في لغتنا.		
16	الترجم لغة، ص 61، في لغتنا.		
17	التحليلات السيميائية للغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة - دار الشروق، عمان، ط 1، 2003، ص 18.		
18	النحو العربي في مواجهة العصر، ص 5.		
19	الترجم لغة، ص 108.		
20	أقبل الشعر النحوي (متنوع ولوجات)، ص 155.		
21	الترجم لغة، ص 155.		
22	الترجم لغة، ص 161.		
23	الترجم لغة، ص 162.		



العدد : 3 / 2014



ISSN: 2170-0583



الممارسات اللغوية في الجزائر

## الهيكل الإداري للمجلة

- المدير الشرقي: أ.د ناصر الدين حنطاش؛
- مدير المصنهر: أ.د صلاح بلعدي؛
- رئيسة التحرير: الجوهرة مودر؛
- هيئة التحرير: ميثي بن حويش، فتيحة حداد، حياة خليفاتي، علية أيت بوجمعة، عيسى بطوش، ريش بولتجة، علية أوطالب.
- الهيئة الاستشارية:
- محمد العربي ولد خليفة: رئيس البرلمان الجزائري؛
- أبو عمران الشيخ: رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر؛
- عبد الرحمان الحاج صالح: رئيس مجمع اللغة العربية الجزائري؛
- محمود فهمي حجازي: رئيس جامعة تور مبارك في طشقند؛
- محمود أحمد السيد: نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق؛
- سالم شكري: باحث في المزيجات في inslco بالفرنسا؛
- وفاء كامل فايد: أستاذة اللغويات في جامعة القاهرة؛
- علي القاسمي: خبير في الأسيسكو وباحث في المصطلحات والمعجم؛
- عبد السلام المسدي: أستاذ كرسي في جامعة تونس؛
- Valérie Orlando, Professor, University of Maryland, U.S.A.
- Kathryn LaFever, Professor, University of Miami, U.S.A.
- Zerar Sabrina, Maître de conférences, University of Tizi-ouzou, Algiers.

- المدير الفني: أ.د صلاح يوسف عبد القادر.

ISSN : 2170-0583

مخبر الممارسات اللغوية

جامعة مولود معمري - تيزي وزو  
الجزائر

الهاتف: 026 41 14 00

التاسو: 026 41 14 00

البريد الإلكتروني: laboling@yahoo.fr

(15)  
+00

## الهيكل الإداري للمجلة

- المدير الشرقي: أ.د ناصر الدين حنطاش؛
- مدير المصنهر: أ.د صلاح بلعدي؛
- رئيسة التحرير: الجوهرة مودر؛
- هيئة التحرير: ميثي بن حويش، فتيحة حداد، حياة خليفاتي، علية أيت بوجمعة، عيسى بطوش، ريش بولتجة، علية أوطالب.
- الهيئة الاستشارية:
- محمد العربي ولد خليفة: رئيس البرلمان الجزائري؛
- أبو عمران الشيخ: رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر؛
- عبد الرحمان الحاج صالح: رئيس مجمع اللغة العربية الجزائري؛
- محمود فهمي حجازي: رئيس جامعة تور مبارك في طشقند؛
- محمود أحمد السيد: نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق؛
- سالم شكري: باحث في المزيجات في inslco بالفرنسا؛
- وفاء كامل فايد: أستاذة اللغويات في جامعة القاهرة؛
- علي القاسمي: خبير في الأسيسكو وباحث في المصطلحات والمعجم؛
- عبد السلام المسدي: أستاذ كرسي في جامعة تونس؛
- Valérie Orlando, Professor, University of Maryland, U.S.A.
- Kathryn LaFever, Professor, University of Miami, U.S.A.
- Zerar Sabrina, Maître de conférences, University of Tizi-ouzou, Algiers.

- المدير الفني: أ.د صلاح يوسف عبد القادر.

ISSN : 2170-0583

مخبر الممارسات اللغوية

جامعة مولود معمري - تيزي وزو  
الجزائر

الهاتف: 026 41 14 00

التاسو: 026 41 14 00

البريد الإلكتروني: laboling@yahoo.fr

(15)  
+00

مجلة الممارسات اللغوية

مجلة الممارسات اللغوية مجلة علمية عالمية محكمة

قواعد النشر في المجلة

- 1 - مجلة (الممارسات اللغوية) تسألُ حال المغفور، فتستقل كل الأبحاث/ المقالات/ التلخيصات/ سير الزوار/ بيانات التماثل/ مصادر الاستشهادات... ذات علاقة بالممارسات اللغوية.
- 2 - ترحب المجلة بكل من يرغب لنشر بحثه الذي يتخذ في إطار اختصاص المجلة (الممارسات اللغوية).
- 3 - تنشر المجلة في طيُّ أوراقها ملفات خاصة حول موضوع واحد، كما تنشر موضوعات متخصصة في جوانب مستقل عن المجلة، يصدر في شكل كتاب مخصص.
- 4 - تنشر مجلة (الممارسات اللغوية) البحوث المكتوبة والدراسات الميدانية، والتأسيوس للمنطقة أو المترجمة أو مترجمات الكتب المتعلقة بالعربية وأدبها.
- 5 - يقدّم البحث في صورة ورقية، ينشر الباحث: اسمه ولقبه ودرجته العلمية والولاية التي ينتمي إليها، أو المجلة التي ينتمى إليها.
- 6 - ترسل البحوث إلى رئيس تحرير مجلة (الممارسات اللغوية) بجامعة مولود معمري بتيزي وزو في نسخة ورقة بريدية مصحوبة بنسخة قرصية، أو ترسل عن طريق بريد المراسلة الإلكتروني وهو [labeling@yahoo.fr](mailto:labeling@yahoo.fr).
- 7 - تنشر المجلة البحوث الأصلية المعدة أصلاً باللغة العربية، كما تنشر البحوث المترجمة باللغات: الماليزية والإنجليزية والإسبانية والفرنسية، شرط أن يتصاها مخلص باللغة العربية.
- 8 - تنشر المجلة البحوث ذات الاختصاص المجلة في بعدها العام بعد أن نضع للتعليم ولا ترة إلى أسمائها سواء أقلت أو ثقلت.
- 9 - يتولّى تحكيم البحث مستقلاً أو أكثر حسب هيئة التحرير.
- 10 - يتخذ في البحث المقدم للنشر ألا يكون له نشر سابق، إلا إذا كان البحث قد أعيد فيه بنسخة جديدة ومختلفة أو من الأبحاث التي تستحق النشر مرة ثانية، على أن يشور صاحبها إلى مكان وتاريخ صدوره.

11 - كل بحث منشور في مجلة (الممارسات اللغوية) لا يشتر في قائد لغوي إلا بالإشارة إلى أسبقية صدوره في هذه المجلة، ويشير إلى ذلك في صدر القاء التي ظهر فيها؟

- 12 - يكافأ صاحباً البحث المنشور بنفس (5) نسخ من المجلة التي نشر فيها بحثه.
- 13 - على صاحب البحث التقدُّ بـشروط استيفاء البحث وهي:
  - التقيد بالمعايير العلمية والأكاديمية المتعارف عليها من توثيق واستخدام المصادر والرسوم، والتفريق بين التمهيش للكتاب، والتمهيش للمجلات، واستعمال علامات الوقف، وكذا مستقبات الملهمة...

- كتابة البحث بخط simplifiedArabic ببيد 13،

- طول الكتابة 24 بعرص 12،

- توضع الرسوم والبيانات ضمن إطار 12 x 24،

- المسافة بين السطور 1.0،

- الهوامش في آخر البحث متشعبة ومكتوبة ألياً، ببيد 12،

14- يتازم صاحباً البحث بالتعديل حالة ما أقرّ استحقاق نشره بشرط التعديل.

15- الأبحاث المنشورة في مجلة (الممارسات اللغوية) تعز عن أسمائها، ولا تعكس توجهات المصنّر أو جامعة مولود معمري، أو وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في التولة الجزائرية.

16- ترسل الأبحاث عن طريق البريد على العنوان التالي: السيد رئيس تحرير مجلة الممارسات اللغوية/ مدير الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجمهورية الجزائرية.

روابط الاتصال:

- البريد الإلكتروني: [labeling@yahoo.fr](mailto:labeling@yahoo.fr)

- الهاتف الثابت: 026213291

- الفاكس: 026411400

المفهرس

العدد	7
الأنشطة المستخدمة في العملية التعليمية التقليدية وندورها في تحقيق الأهداف التربوية الأنشطة اللغوية لسنة ثنائية ابتدائي أمونجا	11
اللغة العربية بين التثدي والواقع	11
أ. محمد بوعبي/ ج. سمعان	33
المطاعرة الإعرابية السقيمة وأسبابها في المدرسة الجزائرية - مرحلة التعليم المتوسط أمونجا-	39
أ. مسمرة جمان، ج. سمعان	63
منايس قائد لغوي في كتاب الوساطة بين التناسي ومضمونه للتأسي "علي بن عبد العزيز الجزائري"	63
أ. شهيرة بويان، ج. سمعان	91
التحضر التثدي في منهاج اللغة ومراج الأبياء لعازم القرطاجني ت (2004م.)	91
أ. خديجة كاتمة، ج. سمعان	105
إشكالية اللغة واللغاء عند اللغويين العرب	105
أ. مسمرة بن مسمرة، ج. سمعان	123
أثر أسنول لفته في توجيه أسنول النحو	123
أ. طارق بوموم، ج. سمعان	147
العرف بين المفاهيم اللغوية والفاظية النصية	147
أ. مسمرة بويان، ج. سمعان	147



**الأنشطة المستخدمة في العملية التعليمية التعلمية ودورها في تحقيق الأهداف التربوية الأنشطة اللغوية للسنة الثانية ابتدائي نموذجاً**

د. عبد الحفيظ تهريني  
جامعة جامعة بشار

**المختصر:** يهدف تعليم الأساس إلى تنمية شاملة للمتعلم في المجال الوجداني والحس الحركي والمعرفي وإلى تمكينه من لغته الوطنية وإكسابه المعارف والمهارات والقيم التي توحيه إلى الانتماء في بيئته، وتسمح له أيضاً بتواصله مع المجتمع أو الانخراط في الحياة المجتمعية. وللأنشطة التعليمية أهمية كبيرة في تعلم وتعلّم التلميذ وفي تكوينه السليم والمتكامل وفي دفعه للمشاركة الفعالة والإيجابية في العملية التعليمية التعلمية للأنشطة المنهجية أهمية كبيرة في تعلم وتعلّم التلميذ وفي تكوينه السليم والمتكامل وفي دفعه للمشاركة الفعالة والإيجابية في العملية التعليمية والتعلمية

**1- الأنشطة:** هي مجموعة الأساليب التي يقوم بها المتعلمون داخل الصف الدراسي أو خارجه من أجل تحقيق أهداف منسوبة ويعرفها اللغوي: «على أنها العميد المعنى أو الشيء الذي يبنيه المتعلم أو المتعلم من أجل بلوغ الأهداف المرجوة» (لمتد للثقافي، 1995، ص: 6). والأنشطة المستخدمة في العملية التعليمية التعلمية كثيرة وتصنف إلى:

أ- الأنشطة التعليمية التعلمية الصفية: وتشمل العمليات التعليمية داخل فضاء الصف.

**هل النحو العربي أصعب أم النحو الألماني؟**

أ. الخضير داودي  
جامعة مينة

**المختصر:** تتلخص هذه الورقة البحثية في بيان أن أهمية صعوبة النحو العربي، كانت يوماً ما مبدأ لتفهمه، والانتقال من شأن الضمير، ثم وثقة مع كثير أبحاث الأهل الذين أقروا بصعوبة النحو، ثم قراءة مثالية في سائر صعوبات النحو العربي، لماذا هو صعب؟ وهي خاصة لا تعرف بها العربية بعدد من من سائر اللغات، إذ هناك من اللغات ما هو نحوها أصعب بكثير من نحو العربية. تكلموا الألماني مثلا، ونظروا لوجود التماثل بين اللغتين، لكننا نكتفينا بأمثلة ونماذج من النحو الألماني، بينما من ملاحظنا أنه أصعب بكثير من النحو العربي.

**Résumé:** Le but de cet article est de montrer que la difficulté de la grammaire arabe, était une fois une des causes pour négliger cette langue. Puis un aperçu sur les premiers célèbres grammairiens qui ont reconnu la difficulté de sa grammaire, puis une lecture attentive des mystères de la difficulté de la grammaire arabe, pourquoi est-elle difficile? Une caractéristique qui n'est pas spécifique pour la langue arabe uniquement. Nous vous citons l'exemple de la langue allemande, en raison des similitudes entre l'arabe et l'allemand en matière de difficulté grammaticale, nous avons mentionné des exemples et des modèles de l'allemand afin de bien démontrer ce point.

قال أن بعد المقارنة بين النحو العربي والنحو الألماني، يجازي اثنين أمر مهم -رغم فرغمه- للفرق المتخصص، وسأوضحه مختصراً في ذلك كذا الاختصار، وهو تفسير أكثر بعض علماء من النطق الذي يلوح من نمو الصعوبة وتوقع التقلبات له. لهذا أن استوى النحو لغةً لوجهه إلى يوم الناس هذا والمتعلمون والعربية يتكلمون عن أهمية صعوبته، فسأبحث في هذه القضية ذات البعض والمفصل لونية من حيز، حتى لا نضل هذا السبيل زبناً ورياً. ومن هذا الزيد

هل النحو العربي أصعب أم النحو الألماني؟	
167	أ. الخضير داودي، مركز دراسات جامعة مينة
185	أ. أحمد العربي، جامعة طبريز
201	أ. عبد الله بولص، جامعة / الثقافة
La marque comme référent ultime de la publicité	
	Atmane Boughé, Université de Bejaia
15	
L'influence culturelle sur la traduction de la poésie populaire: traduire une langue ou un dialecte?	
	Moussawi Yamina Lella, Université Tlemcen
1	

الفرسي الذي حُرِّب على العربية صوغها، كالكلمات التي اتخذت صبغة النحو العراقية للهيكل على العربية ونسب من شأن طوموا.

فقل ثورة ابن مضاء (ت: 592 هـ)، على النحو العربي، كانت هناك طائفة تصادى لها عبد القاهر الجرجاني (ت: 474 هـ)، وهو من السعديين، من أجل العلم، في بلدته حرمان وفي زمانه، كان لهم شغف ولجاجة وشعب وجدال ومناظرة في مسألة إعمار القرآن<sup>169</sup>، وهو حسن أبحاث القاضي عبد الجبار (ت: 415 هـ)، كما حقق في لربها الأمثلة الكبير أبو فهر محمود محمد شاذر وما قاله الجرجاني على تسليمه أولئك النحو، فقلته متروكاً من التكلف، وبنا من التكلف، وشبهه لا يستدعي إلى أصل، ولا يعتمد فيه على أصل، وأن ما زاد فيه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تعده في العناد، فهو فضل لا يجدي نفعاً، ولا تحصل منه على فائدة<sup>170</sup>، حتى غداً البحث فيه حروب من الأباطيل والأضاليل لا تشبه إلا لصعوبة شكيته، وقد ناصب الجرجاني أهم العلماء وكان لهم بالمرصاد في كل ما يقولونه، بعدما كتلف منهم العظومات القارية التي ينظفون منها لتطيق أبحاثهم الإحصائية المنطوية -إلى لأعناق الصوم-، فخشى ذلك الجرجاني على حياة اللغة والنحو من هولاء الترامة الذين تتفخروا واستغابوا على من قبلهم من النحو والحداد.

وعلى كثير القائلين والفرحج أن الطائفة التي كان يعانى منها الجرجاني، كان لها إسهاد إلى عهد الزمخشري (ت: 538 هـ) بحكم الزمن المتقارب بينهما وبحكم تدقيق أبي فهر للجماعة الأولى، وقد صدق الزمخشري ذمها بما يكتم تعاضدهم من نص طويل له، منه قوله هذا: أوصل الذين يعرضون من العربية ويعرضون من مقارها، ويريدون أن يخلصوا ما رفع الله من منازها، حيث لم يجعل خيرة رسله وحير كنهه في عجم خلقه، ولكن في عربيه، لا يعرضون عن الشعوبية مثابة الحق الإلح<sup>171</sup>، بحيث نرى أن ذلك القارب بين الوصلين من حيث الموضوع للإمامين.

ثم إن إلهاماً بحجم الزمخشري لا يمكن أن يرفع عقبرته إلا إذا آمن بمظهر حال بأهم النحو الذي كان يستشعره بعض العلماء قديماً باسم "العربية" بمعنى من أثير النحو فقد أثير العربية.

ويقول مرة أخرى عنهم، من نفس النص: فهم ملتصقون بالعربية لئلا يسلخوا غير ملتصقين منه وإنما وجهوا كل عليها حينما سقروا ثم إيهام في تصانيف ذلك يحدون فضلها (...) فهم في ذلك على المثل لساناً: النحو بالأصل ويأيد (...) فإن صحح ذلك فما يابهم لا يظنون اللغة رأساً والأحرار، ولا يظنون بينهما الأسباب<sup>172</sup>، وكما هو واضح في لسانه هذه العبارات أن هذه الطائفة المتطرفة لها إسهاد في العلوم الإسلامية التي لا يتوحد فيها إلا يعلم النحو وهو رأس علوم الآلة فإذا طرح نثر فإن الاعتناء، فإن هذا الطرح مدعاة لظهور ومصلحة للنحو.

ومهما يكن؛ فقد عصبوا علم النحو وأصلوا صورة دلوية عنه حتى كنهه حروب من قروم والعمروز فإلى يبعث القرآن ولقد آمن بسمع كلامهم وبأخذ به وذلك لأنه أياهم طول الكدح في إصالح اللغة ورشح العيين في مخالفت مسالته وإيه لا يأخذ بقوله إله إلا أنه ملهم بلقون العربية، وإن كانا نجد حتى هذه الآراء منذ ذلك الوقت السيد إلى اليوم بطريقة أو بأخرى، ككتاب شعيا العربية، بسط مسيوهه<sup>173</sup>، للشيخ كوتوشلي، نشره سنة (2004) الذي يعد آخر من قرح العربية بهذا الوصف أحقاد بكاتبه هذا الذي أشاعه للناس في العصر الحديث استهانة برسول اللغة والنحو.

ثم إنه لولا لفظ الجرجاني وبعده الزمخشري أنذاك لهم وأصابتهم المحصورة في تصدي لهم لأخلفت لوالي العربية القراء وتنهيت أيها الضموراء كيف وألها لقا في شعيا أثير كتبه وأعلى رسائل يثقل بها هذه الترام المتهاكلة، ومن جهة أخرى تفسر هذه الردود من الإمامين على من أرقوا عدم بيان النحو أن النحو العربي حقاً صحيح، وقد أسدح كيد العلماء، فإذا لم يمتلئ المتوحد فيه

لغة على مكره المراتب الوحيدة في مسالته، يظن أنه الدهر خرباً عن القيم الصحيح التي به يهتدى بين القردة والتمسح، وهذه الصعوبة في فواعده كما يرى عبد السلام حارون كما هي: 'لغو هذه اللغة وضغامة شأنها وأصاح مراتبها وتشتك أساليبها'<sup>174</sup>.

إنما عود على بدء، فمن أبرز العلماء العربية الأوائل الذين أقروا بصعوبة النحو العربي وأنه لا يمكن الإحاطة بكل تفاصيله، عالم العربية الأول الخليل بن أحمد القرطبي، (ت: 175 هـ) كالت الحجة، الذي شهد فيه أن السلف بأنه أرحم بظنه أكثر من ظنه<sup>175</sup>، والذي أعلن بولته كلاماً من دون تردد، في خاتمة منظومته النحوية حيث يقول:

كنص بحر ليس يسدركه لغره

والمقصود إذا ما عدت ليس ألبته

واستنقذت بعضه عن بعضه

وهسن لذي عقلت لا يتشبه<sup>176</sup>

فهذا كلام خرج من ألسان الخيرة والممارسة، بحيث يظن أنه 'الخليل' للمعلم غير المتخصص في هذا النحو -الذي شجح بأنه عن مقد الهمة في العربية- بالعمل بهذا المنثور، فالواجب أخذ الأهم فالأهم، الذي يهبط لساناً ولقم من الوقوع في اللحن لكي لا يثبه في ألبته وشعبه، فهذا هو المنهج التطبيقي الذي يراه صائفاً وصائباً.

أما صاحب الاختصاص المتأخر الذي أورد أن يحذر هذا العلم، فإنه يوجه له قاعدة محكمة تدل على فكر غداً إلى منطلات النحو، يكتب بها لغة بأرجح عبارة حيث يقول: 'لا يصلح أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه'<sup>177</sup>.

بمعنى أن النحو علم متكامل في لونه وينطلق مسالته كالتعليم الواحد، فلا يمكن تفكير النحو في إنشائه إلا إذا أضعمت أوليه وترسلت أعضائه، وهذا أمر

أراد أن يكون في سلم الصعود في فهم العربية ومعرفة جملتها الشرح المسفر ومعالجتها المتعقبات المنسب، أساليباً وتركيباً، وألن العمل بهذه المسئلة النحوية لتستمر تفرغاً كاملاً وهذا ليس أن يترك صورة النحو ويحولها بهم حقيق يتنو منه كل بعيد، وإن كان الوصول إلى هذا الشرف من العصر يمكن كيف وقد روى لنا اقتراح أن كبار العلماء ماوا وفي نصهم كتاباً من النحو لم يعرفوا الحكمة منها.

وقد شكى حديدية النحو كبار علماء العربية منهم: الجاهظ (ت: 255 هـ) وهو الأديب المصنف، يشكو من طريقة النحاة في كتبهم وصعوبة تناولها المادة النحوية، والنحو في عهده لا يزال حربياً أسبلاً في قرونه الأربعة الأولى، وذلك قوله: قلت لأبي الحسن الأصفهاني: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتابك مفهومة كلها؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها وما بالك تقدم بعض العربيين وتؤخر بعض السامع<sup>178</sup>.

إنما فهذا مثال من أمثلة كثيرة، كقوله وميزون في الرحلة على صعوبة النحو وعسره لأن الحافظ أديب المصنفي له من التمهيلات ما يستطيع أن يعطيه جميع علوم اللسان العربي ضيقاً ملقاً ومع ذلك يخافه، هذا الشعور ويستكين لسولة هذا العلم الذي قد التوي فيه الأفتار وتتروى منه النفوس، وتغور منه الأرواح، لا تشبه إلا لجويته الرياضية التي تتمشق في مهاريته الصارمة.

ومن كبار العلماء الإحصائيين في العربية الذين أقروا بصعوبة النحو، أبو جهل الأقفلي (ت: 745 هـ)، وذلك أنه لما آمن بشموخ كتابه تفسير بحر المحيط على طباب العربية، والذي أخذ فيه علم النحو كوسيلة لتفتح مغالبي التصوص، ووسيطاً لاستكشاف أسرار التركيب والتصوير، تراجع فيه بتأليف كتاب آخر لطلاب العربية لتعليم يهلون له، وهو كتاب: التبرر المثل من البحر المحيط للتسهيل، وذلك أنه آمن في قرارة نفسه بعد العهد من عسره والقارئ له، فكيف إذا كان هذا القارئ من المبتدئين، وربما حتى ولو كان ذا فهم في اللغة

والنمو، يقول في مقدمة نهرنا: «وهذا النهر منذ من بحر ليس له حَزْرٌ، فتمسح وورده على من حظه في النهر لَزْرٌ»<sup>174</sup> فهذه العبارة على فسرهما صيغة المعزى بحيث يُستلطف منها أن لعلم النهر أوضاع رجافة يصحب التوابع فيها من لم يكن له عسر مدي في مباحثاته ومسير على مشكلاته الإعرابية التي عليها تكثر المعنى لأنَّ أسلوبه وفروجه.

ولو ذهبنا إلى نقد حالة النهر في عهد النقاد المتأخرين لكتبت ظهوراً بعد ابن هشام الأصمري (ت: 761هـ)، لربما أنه كلما زاد على النهر وكان السنين كلما أُرمت مسأله وهشاهه، فالنهر في عهد متأخري المتأخرين تكلمت قواعد وفككت مداهمه، وكما قال الإمام بدر الدين العيني: «له في هذه الفترة تيسير أشد من نيب النحباء، فرمنا الشغل به طلبة وهو في قفله، ومات بعد أن جاوز أركان المعنى، وهو لم ينته إلى أوساطه، وهذا من سوء اختيار المؤلفين وشدة مجرد المتأخرين»<sup>175</sup>

فالشاهد من هذا، قوله: «صار أشد من نيب الضميمة» وهذا بسبب تحول النحاة عن غاية النحو التصويبية والاستشائية التي وجد لأهلها، وبسبب زحف العلوم لتضيق علمه كالقسطه، علم الكلام والمنطق، فزادت إلى صعوبته التي طبع عليها تعقيدات تلك فبدأ عوار الشغل يظهر في جوانب علمه، ولا سيما إذا حشرت هذه العلوم العقلية موطن الأصول كالقواسم مثلاً.

مع أن التشكيك من النحو وادت مع التصنيف فيه، وظلت تنقل من جيل إلى جيل، وترجع الصيحات مطابقة لتيسير النحو للتعظيم<sup>176</sup> غير أن التشكيك من النحو في قرونه الأربعة الأولى، كانت خفيفة، لأن النحو في هذه الفترة كان عربياً أصيلاً، وإن تسربت إليه بعض التغييرات لكنها كانت قليلة، أما بعد القرون الأربعة إلى عهد الأتومني (ت: 929 هـ) فإنه قد تغير وأصبح نمواً عربياً غاملاً وأصبحت كل مسألة فيه لها أكثر من تخريج في العربية.

✓ من أشهر كتب النحو التيسيرية عند النقاد:

1. مقدمة في النحو، لخلف الأحمر، (ت: 180هـ).
2. مختصر في النحو، للكاشي (ت: 198هـ).
3. موقد الجاحظ في كتاب المعرّف، من تعليم النحو للصبيان (ت: 255هـ).
4. الموجز في النحو، لابن السراج (ت: 316هـ).
5. القامحة في النحو، لأبي جعفر النحاس، (ت: 338هـ).
6. الواضح في النحو، للزبيدي (ت: 379هـ).
7. موقد شيخ المعرفين: 449 هـ، الشاعر من التوفيق والتقدير في رسالتي: الخفان، وأبوت التوكيد.
8. الضروري في صناعة النحو، لابن رشيد القرطبي، (ت: 550هـ).
9. الشرف، لابن مسعود، (ت: 669 هـ).
10. العنقة الأرومية، لابن أروم، (ت: 723هـ).
11. ابن خلدون في مقمته، (ت: 808 هـ).
12. العنقة الأثرية، لشك الأثرية، (ت: 905هـ).

فهذه نسخة بليوغرافية خاتمة عن الحركة التيسيرية للنحو عند النقاد من خلال حلون كتبه، مثل على صعوبة النحو، ابتداءً من مقدمة خلف الأحمر (ت: 180هـ)، إلى مقدمة شك الأثرية (ت: 905 هـ)، وهذه كتاب التيسيرة أكثر من أن تحصر هنا، وقسمه الذي يريد أن نثبه أن كل نوعي ينثر للنحو حسب عقليات زلته حفظاً للمفاهيم والشروط، فهو قرأنا مثلاً، بين مقدمة خلف الأحمر، (ت: 180هـ)، وبين مقدمة شك الأثرية، (ت: 905هـ)، لربما أن مقدمة الأثرية أكثر نوعي وضع كتاباً في التيسير، أسهل بكثير من مقدمة خلف الأحمر، لأن بينهما سبعة قرون وتيق، بمعنى العربية كانت في حرم التزول منذ

نشأ النحو، وبالتالي ثلاثة الأثرية غير ثلاثة خلف الأحمر، ولهذا يحتاج التيسير إلى تيسير.

ولو عرضنا مقدمة الأثرية التيسيرية على ذهبات طلاب علم العربية اليوم، في عصر التزويقات، لرأى الأستاذ بأنه يدرس الأحكام والحروز والفرقات، ولهذا اضطرت الجهود على الجهود في تيسير النحو أفراداً وجماعات عند المحتكين ابتداءً من رقاعة الطهطاوي، صاحب: المنفعة المنكفية لتقريب علوم العربية، الذي نشره سنة (1809)، إلى زكريا أوزون صاحب: أجنية سيوية الرخص التي لما في النحو من أوجاه، الذي نشره سنة (2002).

وقفة متأنية مع أصول صعوبة النحو العربي: من الملاحظات التي تستحق وهذه معرفة متغلطة ولتأكد بنا على أن النحو لما ارتقى إلى مستوى الصناعة والتم التدبیر والتفريق شخ وصعب، فعندما نطلق من قول الأثرية الطوي الذي فاج به باباً لأجلها، وذلك له لما مرّ على جماعة من النحاة ينتقدون فيما بينهم أهم دورٍ كبريّ التحل من شدة الجدل، فوسوس لكلامهم ولحرق، فحكم عليهم بأن قال: «أكثر المتكلمون بكلاماً في كلامنا بما ليس في كلامنا»<sup>177</sup>

فهنا الحكم القليل من الكلمات، لتعني في المعنى يثبت أن طواهر التصادح الذي كان بين النحاة في النحو كان سيده الأول طبيعته الصعبة، فكذلك في قوله: تتكلمون بكلاماً يعني لغة كأداة تعبير بين الصناعة، وكلام في قوله في كلامنا يعني لغة كموضوع الحديث والبحث، وكلام في قوله ليس من كلامنا يعني أن الألفاظ المستعملة والتي هي من شائع ما يتداوله الناس قد أصبحت لها دلالات اصطلاحية خاصة، وهذا ينبغي لأن الأثرية عندما كان يسمعون يقولون: رفع والنصب، والفتح، والكسر، والجزم، والسكون، إما كان يذهب في فهم هذه الألفاظ إلى معانيها التي يعرفها، وهي معانيها اللغوية الأولى التي ماركتها لسالفها حين يقول: رفعت من شاة، ونصبت الخيل، وفككت الأبواب، وكسرت الأحرف

وجزمت بصنفة، وسكنت النفس بعد طول اضطراب<sup>178</sup> لهذا هو الذي كان يلهو إلى جوانب الأثرية من المعاني اللغوية، ولا عهد له بالمعاني اصطلاحية التي تلقى عليها النحاة.

والحجج بانكر في هذا المقام، في التعلق على لطباع الأثرية، كالكفاة بارعة إلى جوانب التوحدي عندما تعامل مع لغة الأثرية بفكر وفاء، يقول: إن الكلام على كلام صحب، لأن الكلام على الأمور المتعمدة فيها على صور الأمور وشكلها التي تقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحصن ممكن، وهنأ هذا متبع والشمال فيه مختلف، ولما الكلام على الكلام فإنه يتور على نفسه ويتبين بعضه ببعضه، ولهذا شق النحو»<sup>179</sup>

فالشاهد من هذا الكلام القليل الذي يدل على ثلثا المعاصر والفهم الوافر في التعلق على قول الأثرية قوله كلما الكلام على الكلام فإنه يتور على نفسه ويتبين بعضه ببعضه، ولهذا شق النحو وهذه المشقة كما كانت على المسكين معدة فكذلك كانت على الكبار النحاة، كهد لا وقد مات سيويه وفي نفسه شيء من أثر التي اضطرت لها ركب النحاة قرون متطوالة بعده، وذلك من كآثر النحاة من مات ولم يعرف حد أهم وبشر بين الأسمية والقطعية، والجس بين القطعية والخرفية، والأشقة في هذا ليل غزير.

ولهذا ظلّ رهاً عن كانوا يمارسون مهنة التعليم يتوسلون بشق الطرق في اشتداد ما يحسن منه على ذهن المتعلم فقد كانت التشكيك من بعض قواعد النحو ونظريته قيمة قيمت كل الأدعان لتقل قواعد الإضمار والتقدير والحذف، وتزداد هذه قواعد صعبة في الفهم عندما تكون موجّهة للثلاثة المتكلمين بنظم العربية<sup>180</sup>، والشغل في المرحلة الابتدائية ورقة يضاء يستطيع المعلم أن يخطّ فيها ما يضاء، فإننا نعاملنا معه بالتقنين المسند لأمادة النحو، فإنه إن ينشط ذهنه في تترب هذه المادة الصعبة، وقد تكون هذه المادة سبباً في كره المعلم وكل ما يترتب

من يولد لغوي، وإنما قال الباحث أنها النحو فلا تشغل قلب العربي به.<sup>174</sup> بمعنى لا تكسر على الصبي من النحو إلا بما يحسن لسانه وقلبه من اللحن ولا تزيد. وهذا صحيح بلونك بعسي في التعليم يوضح به الباحث وذلك مراعاة لمراد الشعر التي تضع لها مراتب الاكتساب والقلب وذلك أن النحو مادام أنه عقل من نقل، فمتعلق جداً أن ينكر فيه العذل والخالف والفتائل والتضاد، وهذا يتفق على قلب الشعر.

حقبة أخرى، وهي أن التنكوي من العلوم المختلفة طاهرة طبيعية لتقياً تبرز بوضوح في دراسة قواعد اللغة - (ل) كانت - لأن براسها على مستوى ما مطلب لومى لحفظ اللغة، وقد يكون منطقياً فورياً وديناً. كما في دراسة العرب المسلمين مستوى ما من قواعد اللغة العربية، فلأن دراسة اللغة مطلب علم كانت التنكوي من بعض قواعد اللغة العربية، ولو كانت دراسة الهندسة مثلاً منطقياً ومع ذلك جميعاً ليست التنكوي منها، ومع ذلك لم تكن التنكوي منها حذفت بتأرياتها، وأسسها الصحيحة بمحة التنكوي.<sup>175</sup>

لهذا هو السر العظيم من أسرار التنكوي من النحو فالتنو لما كان مادة مقروءة في جميع مراحل الطلب والتعليم حتى وإن لم يكن التخصص للطلب اللغة والنحو من حفظ اللفظ إلى حيازة الفن فقد يتألمه طورا من السنين أما عندنا اليوم في عصر الحديث فإنه مادة مقروءة بنسب متفاوتة بين الشعب والاختصاصات في وزارة التربية الوطنية، في كمال أرجاء الوطن العربي (أ) فالنو طبع على الصعوبة حتى إن معلمه طبع على التسرع فيه وعطفاً لنفسه تجاه هذه المادة العلمية.

ومن سنة الله في خلقه ألا تشغل بعض العلوم لفهم بعض العلوم، فقد روي أن الأصمعي - على الله - شرع في تعلم العروض على الخليل ابن أحمد فعلم

ذلك عليه فيس الخليل منه، وسلكه عن المعصوم الوافر، فقال له، يا أبا سعيد كيف تطع قول الشاعر:

إذا لم تستطع أمراً فدعه وحاوله إلى ما تستطيع

فعلم الأصمعي أن الخليل قد تأذى لبعده عن علم العروض، فلم يعاوده فيه.<sup>176</sup> والأصمعي (ت: 216 هـ) جاء من حنظلة اللغة فقد حفظ ثلاث اللغة وتولا له شغل نفسه بحفظ الأخبار والأشعار لحفظ اللغة كلها.<sup>177</sup> ومعلوم أن الأصمعي من أمراء لغوية المشهورين الثالث الذين يطعن بأبحاثهم ومع ذلك لم يوفق في تعلمه.

**هل النحو العربي أصعب أم النحو الألماني؟** قد شككنا بالبرهان عقلاً ونقلاً أسرار صعوبة النحو العربي، فهل يكون هذا الأخير أسحب من النحو الألماني، أم العكس؟ أول صعوبة تواجهنا في الحديث عن النحو الألماني هي إشكالية تعديد بدائه ووضع لفظه فإذا كان عصر اللغة الألمانية لا يتجاوز القرنين على أوسع تقدير وتوسيع، فمصر نحوها يكون أقل من تقدير سبها، معلوم أن اللغة الألمانية ليست لها في الأصل قواعد، ولكن جهدهم اللغة الألمان في إدخال القواعد اللغوية عليها لمنهجها، لأنها لغة دائمة للتغير، وعلى يد جيود علمائها في صناعة نمو لها، خصصت اللغة الألمانية للقواعد بشكل كبير، حتى صار الإعراب في اللغة الألمانية سمة بارزة فيها ومهمة، بل ويكاد يعثر المعنى لفصود كلياً، وهو مستخدم بكثرة.<sup>178</sup> غير أن العلامات الإعرابية في اللغة الألمانية ليست حركات قلعة وبسرة وضمة كما في اللغة العربية، وإنما هي أحرف توضع في نهاية الكلمة لم تعبير بطراً على نون التعريف والتشكيك والضمائر وما إلى ذلك، وهذا يدل على أن الألمانية ليست لغة مرنة.

لهذا النحو الألماني؟ لأن هناك مواطن تشابه بين العربية والألمانية، ولهذا أولاً أن نقرر بين العنوين بحيث أن كلا منهما يحتوي على المعرب والعربي مثلا كلمات المعربة في الألمانية:

- 1- Substantiv (Nomen) : الاسم مثل Buch والتي تعني كتاب.
- 2- Verb : الفعل مثل lesen والتي تعني يقرأ، قرأ، يقرؤون... إلخ.
- 3- Adjektiv : الصفات مثل groß تعني كبير. للملاحظة: هناك بعض الصفات مبنية لكلمة قليلة مثل rosa والتي تعني وردية.

لما الكلمات المبنية مثل:

- 1- Präposition : حروف الجر مثل von, auf, unter, über.
- 2- Adverb : الظروف مثل beispielsweise والتي تعني على سبيل المثال، وقد تكون الظروف في لغات صفات لا يتم إعرابها مثل schnell والتي تعني كسريرة.<sup>179</sup>

لما إذا جئنا إلى إثبات صعوبة النحو الألماني، فنأخذ مثلا لينة الصرفة لغة الألمانية، فأهم ما يميز الكلمة في اللغة الألمانية هو إشكالية تصنيفها من عدد كبير من الكلمات الأخرى لتكون كلمة طويلة لها معنى مفصص أكثر من لغز كلمة في سلسلة كلمات المركبة، من الأمثلة على الكلمات المركبة: Lösungsverfahren (تعني أسلوب الحل، وكذلك جملة Hammerfertigkeiten تعني: أوصيات المسؤول عن المنزل).<sup>180</sup>

ونظر في الألمانية خاصة لغوي، فقد نصل الكلمة في هذه اللغة إلى خمسة عشر حرفاً مثلا كلمة: entschuldigung بمعنى تعذرا. وهذه خاصية صعبة في الألمانية لا توجد في العربية، وودا يتوكل عن هذه الخاصية صعوبة نطق الكلمات وخاصة لدى المبتدئين، فمن أبرز ميزات العربية أن أكثر لفظها ثلاثية في الأسماء والمشكلة والأفعال المتسرفة التي يدخلها للتصريف، ولهذا جعلوا الميزان الصرفي

من حروف ثلاثة (ف ح ع ل). وهذا دليل على خفة الكلمة العربية على اللسان وأسهل لوقت والفهم وأنصر للكتابة وأوفر للجهد.

ومن مواطن الاختلاف بين العربية والألمانية أن الفعل في اللغة الألمانية أساس في بناء الجملة ويأتي أوماً في المراتب التالية ولا يمكن تكوين جملة ألمانية صحيحة بدون فعل على خلاف الجملة الاسمية في العربية، وهذا من صيق كلمة الألمانية وعسر نحوها.

فإذا جئنا إلى الإعراب، الذي وسم بأنه أسحب ما في النحو العربي، فإن العربية القصص لا تتقود به، بل إن هناك لغات كثيرة، لا تزال نحيا بينها، وهما من طواجر الإعراب المعقد، ما يفوق العربية بكثير. فاللغة الألمانية، تقسم أسماءها اعتماداً إلى منكر ومؤنث وجنس ثالث لا تعرفه العربية وهو: "المجند" وتضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة، أربع حالات إعرابية، هي حالات: الفاعلية والمفعولية، والإضافة، والظرفية، وهذه الحالة الأخيرة لا تعرفها العربية، وهي إعراب المفعول الثاني، فهي من حالات المفعولية في العربية، وليست حالة خاصة فيها. تلك هي حالات إعراب الاسم المفرد المعروف في الألمانية. والمفرد والمنكر له أربع حالات أخرى، وكذلك الجمع المعروف والجمع المنكر.<sup>181</sup> فهذه بعض الأمثلة فقط، نئين كم هي حجم الفجوة بين طراز النحو العربي وطراز النحو الألماني فالعروق مائة وصريحة ولا روية عليها.

وإذا عدنا مقارنة بين النحويين، من حيث الجملة فلنأخذ نموذجاً العربية نحوها فسأناجم الجملة في اللغة الألمانية، له نظم صارم، فالفعل يحمل فيها السرعة التالية دائما، إلا في الجمل الفرعية، كماجمل القاطبة مثلا، فإن الفعل يواخر فيها إلى نهاية الجملة. وإن من يشكو من كثرة جمع التكمير في العربية، وعليه التشاؤم على قواعد هذا الجمع فيها، فيصعد للعربية الاثراء التنسي في هذه القواعد، إذا درس اللغة الألمانية، ورأى كثرة صيغ هذه الجموع فيها، وفقدان القاعدة التي تضع لها

شاماً، إلى درجة أن كل كتاب في تعليم قواعد الألمانية، تبدأ صفحاته الأولى بهذه العبارة: **«حفظ مع كل يسور أداة تعريفه، وصيغة جمعها، لأنه ليست هناك قاعدة بذلك.»**<sup>104</sup>

إنّ فيها يكمن النمو العربيّ ذو صيغة جنسية في قواعد، فإنّ النمو الألمانيّ ذي صيغة لولائية، فهو حرف كلّ يامت من بمائة العربية التي نزلوا دعوة للتبسيط ما في لغة من مزاجاً وفضائل لأنّ ركناً ما يتعلّم بتوجيهها إلى قلوب البشر، وشكرها لهم، ولا يمتنع على الذي تعلّم عليه من النمو والتصريف مهما كانت مسألتها معقّلة، ولم يبن في نصير العربية وعلومها فإلية، كيف وأن هو دأبوس العربية الذي تدور عليه حيث صار أسلطته انقفا عليها.

كلمت العربية إنّ، بدعا من اللغات في صعوبة القواعد، غير أنّ شيئاً من هذه الصعوبة، يعود كذلك إلى طريقة عرض الترميز للواضحة، فقد خلطوا في هذه القواعد بين الواقع اللغوي والتمثيل اللغوي، ويعتدوا عن وصف هذا الواقع إلى المعطيات اللغوية.<sup>105</sup> بمعنى آخر فإزمة النمو قد كانت كذلك في المنهج من حيث الاختيار والانتقاء لمعلّم النمو وتلوث النمو التي تترس حسب الترحيل، وليست الإزمة كلها في النمو نفسه من حيث أنه صعب، ولقد كان المصطلح على حقّ كما سبق ذكره، عندما قال: **«أما النمو فلا تشغل به قلب المعلم.»** فقد يكون من لعبت تدريس باب الاشتغال للعلماء وإن كانوا في طور التلوي، ففي مثل قول **«تصادف لك ذلك فليته فكره»**، فالوا في نصيب ذلك أنه منصوب على الاشتغال أو أنه اسم لشعور حبه، ومعنى ذلك أن الفعل بعده كالمثل: **«قد نصب شعور الاسم المنظم لذلك»** فلم ينصب واشتغال ينصب شعوره فصحة إنّ على الاشتغال وهو مشغول عنه، والأصح كما يرى إبراهيم السنبراني أن الاسم منصوب لأنه مفعول به قائم على فعله والشعور في قلبه هو اسم إشارة عائدة على الاسم المنظم ولا حاجة أن نقول أنه في محل نصب.<sup>106</sup> وهذا المثال إنّ لفن للمصنّف فإنه يشتت

لغيرهم عن حيا اللغة والقواعد، وما يقال عن هذا الباب كذلك يقال على باب اشتغال وباب التعجب، وغير ذلك.

#### كلمة لغيره

وإذا كان الألمان يهتمون بلغتهم لصحة والمصنفة، والتي لو سألت ألمانيا معاصراً أن يقرأ فقط نص مكتوب بالألمانية عبر قرن لاشتغل عليه الأمر فرامة ولهما وقوع في حيزهم يمتنع، لأنها لغة دالة لتحتفظ لفظها، والتي لو لا جهود تعاليمها وتعليمها لتسارت في عداد اللغات الموتى، وهم يحاولون إحياءها بدءاً بالاعتماد بالمعلّم الذي يشرف على تعليم أطفال اليوم وهم رجال لغة، لأنهم آمنوا أنّ الاهتمام بالمعلّم هو الاهتمام بالطفل بطريقة أو بالأحرى، ثم إنه مهما أتم الألمان بلغتهم للتواصل والتعليم والتحضّر، وأنها أتمهم الرسمية في المستقبل، ومهما ارتفع شأن هذه الأهمية بالنسبة إليهم، فإنهم يشكّلهم الاستثناء عنها بلغة من اللغات المتعددة من اللاتينية يمكن تشبيه الحروف الألمانية كتابة ونطقاً بينها وبين الألمانية.

بينما العربية بالنسبة إليها ليس لها صيد عنها لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه ليس لها بديل تواصل آخر عنها، والذي يعينها وبينها نحن العرب من لغتنا أهم بأصناف كثيرة من التي يهتمون من تعليم الألمانية بحيث إنّ ارتباط العربية بالمتحدثين الذين قرأوا واللغة التي عليها مدار الدنيا والآخرة، فهو أجداداً مثلاً ظاهرة الإعراب في النمو التي هي من نظير الظواهر في نمو المعلم الذي لنا تحت أثر ذلك على مفهوم النص، وإذا أثر على هذا الأخير أثر على الاعتقاد بطريقة أو بالأحرى، فمن هذا الاختلاف الجذري في الرؤية إلى النمو فيعلم أنّ ينحني على الفكر المكون الذي يار المصنّف لتتوق مصنفاً ثم حينها تتزوّه أرباح

ثم إنّ النمو العربي نشوء علمية لا يعرف فرعها إلا من تولّوها وفرت في قلبه وروحها وعقله ولسانه، ومن يتولّوها حتماً يدرك جلال العربية وجمالها، وإن

معرفة النمو شام المعرفة على غليله وعرفائه برشدنا إلى معرفة حائلة لغة المتعددة في كيفية حملها المعاني في أصولها وحروفها وفي تعلق كلماتها التي تشتق أنواعاً من الجمال والتركيب يعطيها بيانية سميّة تؤدي بتطورها وظلتها حتى لا يراها إلا المتعلّم في علم العربية. ثم يقل لغة العرب وشيخ العربية الأول الخليل بن أحمد، كما سبق أن ذكرنا إليه، في الإحالة رقم ستة: **«لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه.»**

فأشّر هذا القول بعين محنة بعيدة عن الأعراس والهدى، وتقرّه بحجة العقل المادي، فيستدرك أنّ النمو كلّ من **«كائناتاً لفظاً مهيبة تستلزم إلى والتزم الإلهام لِحفا في هلم.»** تشكّل كل مسألة من ألفتها **«تتكلّم كالمعلمين من السحابل»** كما قال الشاعر العربي قيسياً، وأصبح النمو عندك موهوباً ومحبوباً، حينها تترك أنّ هذا الرجل الذي طلب العلم على حساب رزقه، سبق زمانه حفا بألف سنة، كما نظّر له عبد الرحمن قحاح صالِح وبسبب عليه النظرية الخليلية والتي يلوّدها أكثر من أربعة أطوار، ومن أمثلة هذه النظرية تشكّلت فكرة الأخيرة اللغوية العربية القومية، وهي مشروع الألفية الثالثة فإن نجاح فيستكون العرب شأن ولو بعد حين.

#### مراجع الإحالات:

- 1 - دلال الإحسان، لإمام أبي بكر عبد القادر العرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه، أبو بكر محمود محمد شاطر، دار الشفاء، مصر، ط 1، 1992، ص: 9.
- 2 - المصنّف نفسه، ص: 8.
- 3 - المصنّف في علم العربية، أبي القاسم الزمخشري، تحقيق محمد محمود، عجل، دار الجيل بيروت، ط 1، 2001، ص: 86.
- 4 - المصنّف نفسه، ص: 5.
- 5 - خطوط ألفية حول تحقيق التراث: أحمد السلال، عاون، مكتبة لبنان، القاهرة، ط 1، 1988 ص: 147.

- 10 - المنظومة اللغوية المنصوبة إلى الخليل بن أحمد القرايبي، دراسة وتحقيق: د. أسد خليل، دار الصنعة، القاهرة، ص: 253.
- 7 - نقل عن الصورة والصورة (بصائر في أصول لغات العربية ونظرة النمو العربي)، د. ناهد الشوس، دار الشروق، عمان، ط 1، 2007، ص: 63.
- 8 - النحو قلابه، د. حور يوسف، مكتبة دار الفارس، ط 1، 2003، ص: 38.
- 9 - النحو صفا من البحر المحيط، لإمام أبي حنبل الأندلسي، تحقيق: عمر السعد، دار الجيل بيروت، ط 1، 1995، ص: 24.
- 10 - النظر في العجائب: المصنّف في علم العربية، ص: 86.
- 11 - النحو العربي بين الأصالة والتجديد، د. عبد السيد عيسى، دار ابن خزيمة، لبنان، ط 1، 2008، ص: 62.
- 12 - نقل عن قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، د. محمد عبد، عالم الكتب القاهرة، 1989، ص: 57.
- 13 - العربية والإعراب، د. عبد السلام حسني، مركز الثقافي، تونس، 2003، ص: 15.
- 14 - الإنعاش والمواصلة، أبي حنبل الخوجي، تحقيق: عبد خليفة الشامي، مكتبة المنيرة بيروت، ط 1، 2003، ص: 139.
- 15 - نظرية الخليل في النحو العربي بين القدماء والمعاصرين، د. حسن جيسر محمد الحاج، دار الشروق، عمان، ط 1، 2000، ص: 214.
- 16 - رسائل الجامعة، تحقيق: عبد السلام عاون، مكتبة الخديجي، القاهرة، 1964، ج 3 ص: 38.
- 17 - نظرية الخليل في النحو العربي بين القدماء والمعاصرين، ص: 214.
- 18 - المرجع نفسه، ص: 215.
- 19 - البحث على قلب العلم والابتداء في جمعه: إلى حال السنبراني، تحقيق: عبد السيد عيسى، دار الفوائد، القاهرة، 1997، ص: 93.
- 20 - كتاب على صفحة الانترنت (إقرار) قواعد لغة الألمانية الحديثة، وبموجب الموسوعة العربية.
- 21 - النظر: المصنّف نفسه.
- 22 - النظر: المصنّف نفسه.

23 - أصول في لغة اللغة ، د. رمضان عبد الواحد ، الدكتور مكتبة المجمع ، القاهرة ، 1999 ، ص 418.

24 - المرجع نفسه ، ص 416-417.

25 - المرجع نفسه ، ص 417.

26 - نظرا من لغة العربية ، د. إبراهيم الشارح ، دار الكتب - بيروت ، 1998 ، ص 211.

\* النظران هذا من لغة ابن مالك باعتبارها شكل خلاصة النحو العربي نظام ، وقد جرت العادة في التصنيف عند العلماء بدء من سيوريه (بدا 180 هـ) إلى الأسموني (بدا 929 هـ) كما هو معروف التاريخ ، أن يدوا من لغات كلام ويصنفوا باب الإعراب ، بل هذا النوع ظل جاري إلى عهده حين صنفه النحو الواسع الذي نشره سنة (1900) في العصر الحديث.